
هذه إيران .. وهذا مشروعها
(٢)
إيران
نظام.. وقيم
قراءة موضوعية لنظام الحكم في إيران والمبادئ التي يقوم عليها
د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب التعريف بالقيم الكبرى التي يقوم عليها النظام الإيراني، وذلك من خلال العناوين التالية:

ولاية الفقيه.. والحكومة الإلهية: ويتناول الأسس التي تقوم عليها نظرية الحكم في إيران، والتي يطلق عليها [ولاية الفقيه]، والتي تستند إلى مبدأ [الحاكمية الإلهية]

ولاية الفقيه .. وقيم الجمهورية: وفيه حديث مفصل عن الآليات التي وفرها النظام الإيراني حتى يعبر بها الشعب عن إرادته ومواقفه، حتى لا يصطدم النظام الشرعي بالرفض الشعبي.

ولاية الفقيه.. والحرية المنضبطة: وفيه حديث مفصل عن مدى الحرية المتاحة للإيرانين، كما ذكرنا القيود المفروضة على الحرية السلبية حفاظا على السلم والقيم الاجتماعية.

ولاية الفقيه.. والأخوة الإنسانية: وتناولنا فيه اهتمام النظام الإسلامي الإيراني بقيمة [الأخوة]، سواء الأخوة الداخية، أو الأخوة الخارجية مع جميع شعوب العالم.

ولاية الفقيه.. والمساواة العادلة: وتناولنا في قيمة [المساواة] باعتبارها من القيم التي قام عليها النظام الإسلامي الإيراني، وهي قيمة تجعل المواطنين في درجة واحدة، ودون تفريق بينهم، لا في الحقوق، ولا في الواجبات، إلا ما اقتضته العدالة.

ولاية الفقيه.. والقيم التربوية: وتناولنا فيه اهتمام النظام الإيراني بالقيم التربوية بجميع أصنافها، وفي جميع مجالاتها، ذلك أن هدف هذا النظام هو بناء الإنسان، وتحقيق ما يطلق عليه [التقوى الاجتماعية]

ولاية الفقيه.. والقيم الحضارية: وتناولنا فيه اهتمام

إيران

نظام .. وقيم

قراءة موضوعية لنظام الحكم في إيران والمبادئ التي يقوم عليها

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

2018 . 1439

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

2 ـ الدعوة لإصلاح الواقع الإسلامي: 293

خامسا ـ ولاية الفقيه والتعامل مع العالم: 300

المقدمة

لا يمكن لمن يريد أن يتعـرف على إيـران، أو على مشـروعها الحضاري الجديد أن يمر مرور الكرام على نظامها الـذي اعتمدتـه منذ انطلاقة الثورة الإسلامية قبل ما يقرب من أربعين سـنة، ذلـك أن كل الهجمات السياسـية والعسـكرية والإعلاميـة والدينيـة الـتي تعرضت لها كانت بسبب ذلك النظـام الـذي أسسـه قـادة ثورتهـا، ورضيه شعبها، وعبر عن رضاه بوسائل مختلفة.

وهو نظام متفرد من نواح كثيرة جدا؛ فلا هو بالنظـام الـديني المحض، ولا هو بالنظام العلمـاني والـديمقراطي المحض، ولا هـو مزيج ملفق من كليهما، بل هو نظام له خصوصياته التي تسـتدعي البحث الدقيق والموضوعي والهادئ بعيـدا عن شـغب المشـاغبين وجدل المجادلين.

ولـذلك اهتممنـا في هـذا الجـزء بـالتعرف على أسـرار هـذا النظام، والأسس الفكرية التي يقوم عليها، ومثل ذلك الآليات التي استخدمها لتحقيق تلك الأسس النظرية على أرض الواقع.

وقد دعانا إلى هذه الاهتمام مجموعة أمور:

أولها: أن هذا النظـام تعـرض منـذ انطلاقتـه لحملـة تشـويه كبـيرة جـدا، لا من أمريكـا وإسـرائيل فحسـب، وإنمـا من طـرف الكثـير من المسـلمين الـذين نهض ساسـتهم وإعلاميـوهم ورجـال دينهم لتشويهه وشيطنته وإلصاق كل أنواع التهم به.

ولذلك كان الواجب على كل باحث صادق إنصافه، لا بنصـرته عاطفيـا؛ فهـو لا يحتـاج إلى ذلـك، وإنمـا بوصـفه وصـفا دقيقـا وموضـوعيا من خلال المصـادر الـتي أسـس عليهـا، أو التطبيقـات التي خرج بها إلى أرض الواقع.

ثانيا: أن هذا النظام متفرد في كل شيء، ابتداء من الأسس الفلسفية التي يقوم عليها، وانتهاء بالمؤسسات التي يتكـون منهـا، ولذلك يعتبر تجربة فريدة يتطلع كل عاقل للاطلاع عليها، ليسـتفيد

من مزاياها، ويتجنب عيوبهـا، ولـذلك كـان البحث الموضـوعي في هذا الجانب مهما جدا، حتى نتقي تلك الطروحـات الـتي لا هم لهـا إلا تشويه الحقائق، وعرضها بصورة لا تتناسب مع الواقع.

ثالثها: أن هــذا النظــام يُصــنف ضــمن نمــاذج الإســلام السياسي، والتي نجد لها صـورا كثـيرة تحققت عـبر التـاريخ، وقـد لقي الكثير منها ردود فعل سلبية بسبب الأخطاء الـتي وقـع فيهـا، ولذلك كـان لدراسـة هـذا النمـوذج دوره المهم في عـرض صـورة أخرى، ربما تكون أحسن تمثيلا لنظام الحكم في الإسلام، أو ربما لا تكون كذلك.. والمـؤمن الصـادق هـو الـذي لا يحكم على شـيء قبل أن يطلع عليه، ومن أهله، لا من أعدائه.

رابعها: أن هذا النظام صمد فترة طويلة جـدا، مـع الحـروب الكثيرة التي تعرض لها، بل نراه يقوى يوما بعد يـوم، ويتحـول من مجرد نظام لدولة من الدول إلى محور قائم بذاته تهابـه إسـرائيل وأمريكا وكـل من يحلـق في فلكهمـا، وذلـك يسـتدعي البحث عن أسرار ذلك الصمود والاستقرار على الـرغم من كـل تلـك الـزلازل التي تحيط به.

خامسها: أن الكثير من الأخطاء التي يقـع فيهـا السياسـيون أو الإعلاميون أو رجال الدين في فهم المواقف الرسـمية الإيرانيـة ناتج من عدم فهمهم للأسس الفلسفية والدينية الـتي يقـوم عليهـا نظام الحكم في إيران، ولذلك كان البحث في هـذا الجـانب وقايـة من الوقوع في تلك الأخطـاء؛ فـالمواقف السياسـية تنبـع في كـل دولة تحترم نفسها من المبادئ والنظريات التي تقوم عليها.

هذه بعض الاعتبارات التي جعلتنا نخصص هذا الجزء للحـديث عن النظـام الإيـراني، والمبـادئ والقيم الـتي تحكمـه، وقـد دعتنـا القراءة الموضـوعية لـه إلى اعتمـاد المصـادر الـتي ينطلـق منهـا، وأهمهــا كتب قــادة ثورتــه وخطبهم وبيانــاتهم، ومن أهمهــا كتب الخميني والخامنئي ومطهري وغيرهم، والتي يستند إليها الدســتور الإيراني، وكل القوانين الإيرانية.

بالإضــافة إلى المواقــع الخاصــة بالمؤسســات الإيرانيــة

المختلفة، والتي نجد فيها التجليات والمظاهر التي طبقت بها تلك المبادئ النظرية.

وقد ألزمتنا القراءة الموضوعية لهذا النظام الاطلاع على ما كتبه أعداؤه من العرب وغيرهم، حتى نتبين صدق ما ذكروه أو تهافته، وحتى نعرض للقارئ الحقيقة من جوانبها المختلفة، ليبت فيها بعد ذلك بما يرشده إليه دينه والقيم الأخلاقية التي تحكمه.

وقد قسمنا الكتاب مثلما سبقه إلى سبعة فصول، تحاول أن تعرف بالأسس التي يقوم عليها هذا النظام وما ينبع منه من قيم ومؤسسات وقوانين، وهي كما يلي:

1 ــ ولاية الفقيه.. والحكومة الإلهية: وتناولنا فيه الأسس التي تقوم عليها نظرية الحكم في إيران، والتي يطلق عليها [ولاية الفقيه]، والتي تستند إلى مبدأ [الحاكمية الإلهية] الذي نص عليه قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، وقد عرضنا فيه الأدلة التي اعتمدها مؤسسو هذا النظام، وما ناقشوا به مخالفيهم.

2 ــ ولاية الفقيه .. وقيم الجمهورية: وتناولنا فيه الآليات التي وفرها النظام الإيراني حتى يعبر بها الشعب عن إرادته ومواقفه، حتى لا يصطدم النظام الشرعي بالرفض الشعبي، وحتى يتخلص من سلبيات الحكومة الدينية التي شوهتها الكنيسة وبعض أنظمة الحكم الاستبدادي في التاريخ الإسلامي.

3 ـ ولاية الفقيه.. والحرية المنضبطة: وتناولنا فيه [الحرية] باعتبارها قيمة من القيم الكبرى التي ناضل من أجلها الشعب الإيراني ليتخلص من قيود الطواغيت والمستبدين، ويسترد ممتلكاته من مغتصبيها، ويمارس حياته بعيدا عن كل الضغوط، وقد ذكرنا فيه بتفصيل مدى الحرية المتاحة للإيرانين تحت ظل ولاية الفقيه على عكس ما يشيع المغرضون، كما ذكرنا فيه أيضا القيود المفروضة على الحرية السلبية حفاظا على السلم والقيم الاجتماعية والهوية الدينية للشعب الإيراني.

4 ـ ولاية الفقيه.. والأخوة الإنسانية: وتناولنا فيه

اهتمام النظام الإسلامي الإيـراني بقيمـة [الأخـوة]، سـواء الأخـوة الداخية مع جميع الأعراق والأديان والمذاهب، أو الأخـوة الخارجيـة مع جميع شعوب العالم، وخصوصا المستضعفين منهم.

5 ـ ولاية الفقيـه.. والمسـاواة العادلـة: وتناولنـا في قيمـة [المسـاواة] باعتبارهـا من القيم الـتي قـام عليهـا النظـام الإسلامي الإيراني، وهي قيمة تجعل المواطنين في درجة واحـــدة، ودون تفريـــق بينهم، لا في الحقـــوق، ولا في الواجبـــات، إلا مـــا اقتضته العدالة.

6 ـ ولاية الفقيه.. والقيم التربوية: وتناولنا فيه اهتمام النظـام الإيـراني بـالقيم التربويـة بجميـع أصـنافها، وفي جميـع مجالاتها، ذلك أن هدف هذا النظـام ليس توفـير حاجيـات الشـعب الحسية فقط، وإنما يهدف فوق ذلك إلى بناء الإنسان، وتحقيق مـا يطلق عليه [التقوى الاجتماعية]

7 ــ ولايـة الفقيـه.. والقيم الحضـارية: وتناولنـا فيـه اهتمام النظام الإيـراني بالـدعوة لقيـام حضـارة إسـلامية جديـدة، تسـتند إلى القيم الإسـلامية، والمصـادر الدينيـة، في نفس الـوقت الذي لا تغفـل فيـه المكتسـبات الماديـة، والخـبرات البشـرية، بـل تحاول أن تزاوج بينها لتحقق القفزة الحضارية، وتكون نموذجا عن الحضارة الإلهية التي تخلص البشرية من الحضارة المادية.

ونحب أن ننبه إلى أنه مع اجتهادنـا في أن نكـون موضـوعيين قدر الإمكـان، إلا أننـا لم نسـتطع أن نخفي إعجابنـا ببعض مظـاهر الجمـــال في هـــذا النظـــام، ولا أن نخفي نقـــدنا لبعض ســـلبياته؛ فالذاتية شيء لا مفر منه، لكنا لا ندخل ذواتنا في بيان الحقائق، أو وصف الوقائع، وإنما نـذكرها تعليقـا على تلـك الحقـائق والوقـائع، وقد يوافقنا القارئ على ذلك، وقد يخالفنا فيه.

ونحن ـ مع احترامنا للقراء الكرام ـ إلا أنه لا تهمنـا مـوافقتهم ولا مخالفتهم؛ فالحق أحق أن يتبع، وقد طولبنا بالشهادة بالحق، لا بما يرغب به الذين نصبوا أنفسهم قضاة على الخلق.

ونريد بهذه المناسـبة أن نطلب من الـذين يـذكرون منتقـدين

بأننـا بهـذا الكتـاب وغـيره نقـوم بنـوع من الإشـهار لإيـران أو مشروعها، لأن ينكروا أولا على ما في مكتباتنا ورسـائلنا الجامعيـة من الكتب الـتي تتحـدث عن المشـروع الشـيوعي والاشـتراكي، والكتب التي تتحدث عن الثـورة الصـينية والبلشـفية والسـوفياتية، والكتب التي تمدح الظاهرة اليابانية والماليزية والتركيـة، وينكـروا قبل ذلك على الأحزاب الشيوعية والاشتراكية والليبراليـة.. والـتي تتبنى مشاريع لا علاقة لهـا بالـدين، ولا بـأي قيم أخلاقيـة.. وبعـدها يمكنهم أن ينكروا علينا هذا الطرح الموضوعي المتعلق ببلد كـريم من بلاد الإسـلام أجمـع الجميـع على تشـويهه وظلمـه وخذلانـه واحتقاره.

وواجبنـا الشـرعي يحتم علينـا توضـيح الحقـائق الـتي تزيـل الشـبهات، وترفـع الأوهـام؛ فنصـرة المظلـوم واجب الشـرعي، والساكت عن الظلم شيطان أخرس، ولا ينفع الحياد عندما تحتـدم المعارك، ذلك أن المحايد ليس سوى متول عن الزحف، وقد حرم علينا التولي عن الزحف، والتثاقل إلى الأرض والهوى.

الفصل الأول

ولاية الفقيه.. والحكومة الإلهية

يتربع على عرش القيم والمبادئ التي تتحكم في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية مبدأ [الحكومة الإلهية]، أو مبدأ [الحاكمية]، وهو المبدأ الذي ينص على أن الله تعالى هو الحكم بين عباده، وأن شريعته هي المرجع في كل القوانين التي تحكمهم في شؤونهم جميعا، ابتداء من حياتهم الشخصية، وانتهاء بحياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، واعتبار الحياة بذلك كله معبدا لله، تؤدى فيه أوامره، مثلما تؤدى في الصلاة تماما، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163]

وهذا، وإن كان من المتفق عليه بين المسلمين في الكثير من النواحي، لكنهم يختلفون اختلافا شديدا في تطبيقه في المجالات السياسية وما يرتبط بها، حيث نرى فريقا من المسلمين، أو أكثر فقهاء المسلمين عبر التاريخ، يرون أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق الخلفاء والملوك والأمراء الذين قد يستشيرون الفقهاء، ويرجعون إليهم للتعرف على أحكام الشريعة في المسائل المختلفة، وبذلك تتحقق حاكمية الشريعة عبر تلك الاستشارات، التي يكون فيها الفقهاء وسائط للتعريف بمراد الله من عباده.

وهم يستدلون لذلك بالدول الكثيرة التي حكمت بلاد المسلمين ابتداء من الدولة الأموية، وانتهاء بالدولة العثمانية، والتي نرى نموذجا معاصرا لها في المملكة العربية السعودية، والتي شكلت هيئة كبار العلماء، واعتبرتها، واعتبرت مفتيها من المستشارين لدى الملوك والأمراء والسعوديين، وقد زكى الفقهاء ذلك، واعتبروا النظام السعودي بسببه نظاما إسلاميا.

بينما يرى فريق آخر أن تطبيق الشريعة، وتحقيق الحاكمية

الإلهية، لا يكون إلا عن طريق الفقيه العدل المجتهد الذي لا توكل إليه مهام الاستشارة فقط، بل توكل إليه قبل ذلك وبعده، جميع الصلاحيات التي يستطيع من خلالها أن يطبق الشريعة، باعتباره أكثر الناس فهما لها، وأكثرهم ودراية لكيفية تنفيذها.

وقد تبنى قادة الثورة الإسلامية الإيرانية هذا النوع من الحاكمية، وأطلقوا عليه اصطلاح [ولاية الفقيه]، وهي تعني أن الشريعة لا تُطبق كقوانين فقط، وإنما تضيف إلى ذلك وجوب إشراف الفقهاء على ذلك التطبيق وفق استراتيجية تعمل على تحكيم شرع الله في جميع مناحي الحياة.

وبما أن هذا النوع من الأنظمة لم يتحقق وقوعه على مدار التاريخ، وفي جميع الدول الإسلامية؛ فقد تعرض ــ منذ بداية الدعوة إليه ــ إلى ردود فعل كثيرة من أطراف متعددة، يمكن حصرها في أربع جهات:

الأولى: العلمانيون والليبراليون الذين تصوروا أن الشريعة لا يمكنها أن تحقق التقدم والرفاه، وأن تطبيقها سيؤخر المسلمين عن ركب الأمم، وهؤلاء من يطلقون على أنفسهم لقب [التنويريين]، وهم ـ عادة ـ ليس لديهم أي مشروع سياسي أصيل، بل هم تبع للمشاريع الغربية، ويستندون إلى التراث السياسي الغربي الذي تشكل من أدبيات الثورة الفرنسية والثورة الأميركية والانتفاضة البريطانية، أو من أدبيات الشرق الأوربي المؤسس على تراث الثورة البلشفية أو الفكر ماركسي بمدارسه المختلفة الصينية والكوبية واليوغسلافية والشيوعية الأوربية.

وقد عانت الثورة الإسلامية في إيران في بدايتها الكثير من شغبهم، حيث تحولوا إلى إرهابيين يستعملون كل الوسائل لضرب بلدهم ومؤسساته، بحجة مواجهة نظام الملالي، ولا يزال الغرب يمد هؤلاء بمدده، ويستعملهم وسائل لتشويه الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونظامها.

بل إن انطلاقة الثورة الإسلامية كانت رد فعل على هذا التيار الذي كان يحكم إيران، واستعمل معها كل الوسائل التي استعملها

أتاترك بغية تحويلها إلى دولة أوروبية علمانية لا علاقة لهـا بالـدين، أو لا يشكل الدين فيها إلا الجانب الطقوسي.

ومن قرأ رسـائل وبيانـات وخطب الخميـني في ذلـك الحين، يجد الكثير من الطروحات التي يطرحها هذا الفريق ليرد بهـا على مشروع الحكومة الإلهية، ومن تلك البيانات قوله في خطاب وجهه لجمع من العلماء وطلبة العلوم الدينيـة والجـامعيين وغـيرهم بعـد إطلاق سراحه من السجن، وبعد انتفاضة حصلت حينها: (لقد قالوا للعالم بأننا رجعيون، ونسبوا علماء الإسلام الى الرجعية السـوداء! وتعتبرنا الصحف الصادرة في الخارج، وهي تُـدار بميزانيـة ضـخمة لضربنا، بأننا معارضون للإصلاحات، ويقولـون: إن العلمـاء يريـدون أن يتخذوا من الحمير وسـيلة لـرحلاتهم من ناحيـة إلى أخـرى، ولا يريـدون الكهربـاء والطـائرة، فهم رجعيـون يبغـون العـودة إلى القرون الوسطى!) [1]

وهي كلمة تختصر ذلك التشويه الذي يواجـه بـه هـذا الفريـق الدعوة للحكم الإسلامي، وقد رد الخميني عليهم بقوله: (إن علماء الدين يرفضون هـذه الأيـام الحالكـة الـتي أصـابت البلـد، ويـرفض العلماء الأعلام ممارسات الضـرب والقتـل والعجرفـة والاسـتبداد، فهل هـذه رجعيـة؟! وقـد وقـف علمـاء الإسـلام في بدايـة مرحلـة الحركة الدستورية بوجه الاستبداد الأسود وحققوا الحريـة للشـعب بدمائهم، وسنّوا بأنواع العـذاب والمصـائب الـتي رأوهـا وتحملوهـا قوانين لمصلحة الشعب واستقلال البلـد والإسـلام، واليـوم انتفض الشعب أيضاً تبعاً للعلماء، وما يطلبـه العلمـاء هـو العمـل بقـوانين الإسلام، فهل هذه رجعية؟! وهل كان الرسول الأكرم ﷺ رجعيـاً؟! وهل الدعوة إلى القـوانين السـماوية رجعيـة؟! وهـل كـان- تبـارك وتعـالى- رجعيـاً؟! وهـل جبريـل الأمين واسـطة الـوحي الإلهي رجعي؟! وهـل الرسـول الأكـرم ﷺ رجعي؟! وهـل أئمـة الهـدى رجعيون؟!) [2]

---

[1] () صحيفة الإمام، ج1، ص: 275.

[2] () المرجع السابق، ج1، ص: 275.

ثم بين أن أحكام الشريعة لا تنطوي إلا على العدالة والرحمة والتحضر الحقيقي، ولذلك لا معنى لردها باعتبارها رجعية، بل الرجعية في الاستبداد والظلم ومصادرة الحريات، والذي مارسه الذين يدعون التنوير، ومثلوه أحسن تمثيل، يقول معبرا عن ذلك: (إن علماء الإسلام منذ صدر الإسلام إلى اليوم لم يطرحوا ولا يطرحون من أنفسهم شيئاً، بل يبلغون قوانين الإسلام والوحي إلى الناس، فهل تبليغ القوانين الإلهية رجعية؟! وإذا كنتم تعتقدون بأحكام الإسلام، فإن الإسلام يحترم حرية الإنسان وسيطرته على ماله وحياته وعرضه، وقال بأن كل إنسان حر في كل ما لا يخالف القوانين الإلهية، وإذا هاجم أحد دار أحد فإن الإسلام يجيز لمن عُرِّض للهجوم أن يقتُل ذلك المهاجم، إلى هذا الحد يؤيد الإسلام الحريات! إن علماء الإسلام لا يأتون بشيء من أنفسهم، فكل ما نقوله هو قول رسول الله ﷺ وكل ما يقول الرسول أيضاً هو قول الله، فلو كنا رجعيين فإن ذلك يعني أن رسول الله ﷺ رجعي، إذن أنتم تعتبرون رسول الله ﷺ رجعياً! تباً لهذا التجدد! فإذا كنتم تقبلون القوانين، وتقبلون الإسلام الذي نحن أتباعه فإن الإسلام هو مصدر جميع الحريات والتحرر والسيادة والاستقلال)[1]

ويقول: (إننا لسنا رجعيين، ولا نرفض آثار الحضارة، والإسلام لا يرفض آثار الحضارة، بل يتوق الى أن تتحكموا في جميع مقدرات العالم، والإسلام هو ذلك الذي أخضع هذه البلدان التي أصبحتم أسرى لها! وليست هذه الأفكار النيرة التي يحملها الرجال العظماء وعلماء الإسلام ومراجعنا العظام إلا من نور الإسلام. وأما الرجعية، فهي الأفكار المتهرئة والبالية التي يحملها السادة والتبعية العشواء للجميع وتقديم ثروات بلد للآخرين. وليسود وجه هذه الرجعية!)[2]

هذه نماذج عن خطابات الخميني التي وجهها لهذا الفريق من الناس، والذي ظل يحارب الجمهورية الإسلامية إلى اليوم،

1() المرجع السابق، ج1، ص: 276.

2() المرجع السابق، ج1، ص: 278.

وللأسف وجد من المسلمين والعرب خصوصا من يقف في صـفه، ويمد يده إليه، مع أنه لم يكن سوى خادم ذليل لأمريكا وإسـرائيل، وجميع المحور الإمبريالي.

وقد اعتـبره الخميـني عميلا للاسـتعمار؛ فهـو يفعـل نفس مـا يفعله المستعمر، يقول في الخطـاب السـابق: (إن جميـع صـحفنا ومجلاتنا بيد الاستعمار، وهو الذي يجعل الصحف بهـذا الشـكل من الابتـذال لكي يسـمم أفكـار شـبابنا. والاسـتعمار هـو الـذي ينظم برامجنـا الثقافيـة بنحـو لا يكـون بـه شـباب أقويـاء في هـذا البلـد يضحون في سبيل إنقاذ الشعب. والاستعمار هو الذي ينظم برامج الراديو والتلفزيون تنظيماً يرهق أعصاب النـاس ويجعلهم يفقـدون معه القوة والطاقة، ونحن نعارض هذه المظاهر الاستعمارية، فهل نحن رجعيـون، وأنتم تقـدميون؟ ليس في كلامنـا خصـام وجـدال وسباب، فتعالوا لنرى أية حضارة نعارضـها؟ نحن نعـارض الفسـاد، وإسـرائيل هي الـتي تنظم مشـاريعكم الإصـلاحية وأنتم تجلبـون الخـبراء العسـكريين من إسـرائيل، وتبعثـون الطلاب من هنـا إلى إسرائيل، ونحن نعارض هذه الأعمـال، نحن نقـول: إن جميـع البلاد الإسلامية وقفت صفاً واحداً مقابل الكفر وإسـرائيل، فيمـا تقفـون أنتم وتركيا مع إسـرائيل في الطـرف المقابـل. ونقـول: ليس هـذا عملًا جيداً، فلا تتجاهلوا عواطف الشعب إلى هذه الدرجـة، فيقـف المسلمون في طرف، وإيـران في طـرف! فواللـه إن هـذا مضـر، وعندئذ يظن الإخوة من أهل السنة أن الشيعة هم عبـدة اليهـود!) (1)

الثانية: الإسـلاميون من أبنـاء الحركـات الإسـلامية، وخاصـة من ذوي التوجهات التقدمية، والذين راحوا ينتقدون تـولي الفقهـاء لشؤون السلطة، ورأوا أن ذلك ليس شأنهم، بل تصوروه نوعا من الاستبداد، وراحوا يصفونه بما يصفون به الدولة الدينية التي مثلتها الكنيسة، وأساءت تمثيلها.

وقد كان هـؤلاء في بـدايتهم يمثلـون نفس الخـط الـذي كـان يسير عليه قادة الثورة الإسلامية الإيرانية، بل كـان التواصـل بينهم

---

(1) المرجع السابق، ج1، ص: 280.

كبيرا إلى درجة أن بعضهم اعتبر الخميني مجدد هذا العصر، بل اعتبره الخليفة الشرعي الذي يجب على المسلمين جميعا اتباعه.

وقد ورد في كتاب [الإخوان المسلمون وإيران: الخميني – خامنئي]، أنه بعد نجاح الثورة الإيرانية عام 1979، بادرت الجماعة وعدة جماعات إسلامية سنية أخرى إلى تهنئة الخميني، ومد يد التعاون للعمل المشترك وفق مرجعية الثورة الإسلامية.

وذكر أن وفدا من الإخوان زار طهران، وعارضوا استضافة الشاه في مصر، وناصروا إيران في حربها ضد العراق، خاصة في بداية المواجهات، وبعد وفاة الخميني، سنة 1989، نعته الجماعة واحتسبته (فقيد الإسلام الذي فجر الثورة ضد الطغاة)

لكنهم ـ وبعد الحملة الشديدة التي قادتها السعودية ومصر ودول الخليج ضد إيران ـ تحولوا تحولا جذريا، وصاروا ينتقدون هذا النظام، مع كونه يعبر عن طموحاتهم وأهدافهم.

ولم يكن ذلك الانتقاد وليد بحث علمي، ولا تحقيق موضوعي، بل كان مجرد ردة فعل لا مسوغ لها، ذلك أنهم كانوا يريدون من الخميني أن يتخلى عن تشيعه ومذهبه الذي ربي عليه، ويصبح مالكيا أو شافعيا حتى يتحقق رضاهم عنه.

وقد عبر عن ذلك سعيد حوى ـ زعيم الإخوان المسلمين في سورية حينها ـ حين قال: (عندما أنتصر الخميني ظن المخلصون في هذه الأمة أن الخمينية إرجاع للأمر إلى نصابه في حب آل بيت رسول الله وتحرير التشيع من العقائد الزائفة والمواقف الخائنة، خاصة وأن الخميني أعلن في الايام الأولى من انتصاره أن ثورته إسلامية وليست مذهبية، وأن ثورته لصالح المستضعفين ولصالح تحرير شعوب الأمة الإسلامية عامة ولصالح تحرير فلسطين خاصة، ثم بدأت الأمور تتكشف للمخلصين، فإذا بالخميني هذا يتبنى كل العقائد الشاذة للتشيع عبر التاريخ، وإذا بالمواقف الخائنة للشذوذ الشيعي تظهر بالخميني والخمينية، فكانت نكسة

كبيرة وخيبة أمل خطيرة)[1]

مع أن المواقف التي ذكرها الخميني بعد الثورة هي نفسها التي ذكرها بعد الثورة، ولم يكن فيها أي غلو ولا شطط، وقد تطرقنا إلى ذلك بتفصيل في الجزء السابق من هذه السلسلة.

وهكذا كان الحال في الجزائر، حيث تأثر الحركيون الجزائريون بدعوة الخميني ومنهجه وانتصاراته، لكنهم ــ للأسف ـ وبتأثير من السعودية والخليج انقلبوا على ذلك.

ومن باب الشهادة لله، نذكر أن بعضهم، بل من كبارهم من بقي على نظرته للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولنظامها، ولم يتأثر بذلك الضخ الإعلامي الكبير، ويتربع على رأسهم شيخ الحركة الإسلامية في الجزائر الشيخ أحمد سحنون، الذي قال: (إنّ الإمام الخميني عاش في المجد والفخار، وكان صادق العزم وصانع الصحوة الإسلامية)[2]

بل رثاه بقصيدة قال فيها:

غاب الخميني تباًّ	تصاب بالموت
لكن مجد الإمام	بلا زوال ولا اندثار
ما مات من كان	قد عاش للمجد
يا قاهر الشاه يا	طرد العدوّ من
يا صادق العزم يا	ضعف الشعوب
يا صانعاً صحوة	عزّ الطغاة إلى
عش في قلوب	يبقى مدى الليل
ودُمْ مناراً إلىَّ	أعظم بذكراك من

---

[1] الخميني: شذوذ في العقائد شذوذ في المواقف، سعيد حوى، ص3.

[2] موقع رابطة الحوار الديني للوحدة.

طهران بعدك سوف تقفو خطاك بلا مثال
يا رب لا تحرم من خير دار وخير دار
ولا تعذّبه يا إلهي بزمهرير ولا بنار
فإنّه عاش في جهاد بلا هدوء ولا قرار

أما موقف قادة الثورة الإسلامية الإيرانية من هذا الاتجاه خصوصا؛ فقد كان موقفا طيبا، لاشتراكهم معهم في الدعوة لحاكمية الشريعة، ولهذا نرى اهتماما كبيرا بكتب سيد قطب، وترجمتها للفارسية، بل تولى الترجمة القائد الحالي للجمهورية الإسلامية، السيد علي الخامنئي.

ومن تلك الكتب التي ترجمها الخامنئي كتاب [المستقبل لهذا الدين]، وجعل عنوانه: [بيان ضد الحضارة الغربية]، وقد أثنى في مقدمته كثيرا على سيد قطب ووصفه بـ [المفكر المجاهد]، وذكر أن كتبه تشكل خطوة على طريق توضيح معالم الرسالة الإسلامية.

ونحب أن نرد هنا على من يصورون الخميني أو قادة الثورة الإسلامية بمثابة التلاميذ والأتباع للفكر الإخواني، وأنهم تأثروا في قولهم بالحاكمية بسيد قطب أو أبي الأعلى المودودي، أو جماعات الإسلام السياسي، بأن ذلك غير صحيح.

فكتابات الخميني وبياناته وفتاواه في هذا المجال سبقت سيد قطب وأبي الأعلى المودودي بكثر، ومن الأمثلة على ذلك تلك الرسالة التي كتبها الخميني سنة 1944م، وفسر فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ [سبأ: 46]؛ فقال: (لقد بين الله تعالى في هذا الكلام الشريف مسير البشرية، منذ المنزل الأول المظلم للطبيعة وحتى نهاية هذا المسير. وهو أفضل موعظة اختارها إله العالم من بين جميع المواعظ، واقترح على البشر هذه الكلمة الواحدة التي ينحصر فيها طريق إصلاح الدارين وهي: القيام لله الذي بلغ بإبراهيم خليل الرحمن منزل الخلّة، وأطلقه من المظاهر المختلفة لعالم الطبيعة. لقد خاض إبراهيم في علم اليقين حتى قال لا أحب

الآفلين.. والقيام لله هو الذي سلّط موسى الكليم بعصاه على آل فرعون، ودمّر عروشهم وتيجانهم، وأوصله إلى لقاء المحبوب ومقام الصحو.. والقيام لله هو الذي جعل خاتم النبيين ﷺ يتغلب ـ لوحده ـ على جميع العادات والعقائد الجاهلية، وأزال الأصنام من بيت الله، ووضع مكانها التوحيد والتقوى، وأوصل ذاته المقدسة إلى قاب قوسين أو أدنى.. وحب الذات وترك القيام لله أوصلانا إلى هذه الأيام السود، وسلطا أهل العالم ـ جميعاً ـ علينا، وجعلا البلاد الإسلامية تحت نفوذ الآخرين.. فالقيام للمصالح الشخصية هو الذي خنق روح الوحدة والأخوّة بين الشعب المسلم، والقيام للنفس هو الذي فرق أكثر من عشرة ملايين شيعي وفصلهم عن بعضهم، فأصبحوا لقمة (في أفواه) حفنة من عباد الشهوة الجالسين وراء الموائد)[1]

ثم راح يخاطب الأمة بأن تنهض لتعيد الحاكمية لله، فقال: (فيا أيها العلماء المسلمون الربانيون، أيها العلماء المتدينون، أيها المتحدثون الذين تحبون الشريعة، أيها المتدينون المحبون لله، أيها المحبون لله الطالبون للحق، أيها الطالبون للحق الشرفاء، أيها الشرفاء الوطنيون، أيها الوطنيون أصحاب الكرامة، اقرأوا موعظة إله العالم، واسلكوا طريق الإصلاح الوحيد الذي اقترحه، واتركوا المصالح الشخصية كي تنالوا سعادة الدارين جميعها، وتتمتعوا بالحياة الشريفة فيهما.. اليوم يوم هب فيه النسيم الروحي الإلهي، وهو أفضل يوم للقيام الإصلاحي؛ فإذا فقدتم الفرصة، ولم تقوموا لله، ولم تعيدوا المراسم الدينية، فسلّط عليكم غداً حفنة من التائهين الراكضين وراء شهواتهم، ويجعلون شريعتكم وشرفكم عرضة لأغراضهم الباطلة، وما هو عذركم اليوم أمام إله العالم؟! .. إنكم إذا لم تقوموا من أجل حقكم المشروع، نهض الحمقى الفاقدون للدين، وبدأوا في كل ناحية يضربون على وتر عدم التدين، ولسوف يتسلطون عليكم ـ أيها المتفرقون ـ قريباً تسلطاً يجعل أيامكم أصعب من زمان رضا خان)[2]

---

(1) صحيفة الإمام: ج1 ، ص 46.

الثالثة: الإسلاميون من ذوي التوجهات السلفية، والذين وقفوا منه موقفا سلبيا منذ البداية، مع كونهم لم يعارضوا الشاه، ولا إيران في فترة علمانيتها، ولعل من أسباب ذلك تلك المواقف الشديدة من قادة الثورة الإسلامية من النظام الملكي، واعتباره بدعة لا علاقة لها بالإسلام، على عكس ما يذهب إليه فقهاؤهم الذين تحالفوا مع كل الأنظمة الملكية.

ومن أمثلة ذلك قول الخميني في أوائل كتبه السياسية: (إنّ الله تعالى يشير في هذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 59] إلى تشكيل الحكومة الإسلامية حتى يوم القيامة. وواضح جداً أنه لم يوجب حاكمية أحد غير هؤلاء الثلاثة، ولأنه أوجب على جميع أفراد الأمة طاعة أولي الأمر فإنه يجب البحث حول من هم أولو الأمر.. إن بعضهم يقول: إنهم الملكوك والأمراء! وإن الله أوجب على الناس طاع سلاطينهم وملوكهم! وها نحن نحتكم إلى العقل الذي وهبه الله لنا.. إن إله العالم أرسل نبي الإسلام بآلاف الأحكام السماوية، ووضع أسس حكومته على مبدئي التوحيد والعدل. هذا الإله نفسه الذي قوى أساس العدل في العالم بتضحيات المسلمين، ومنع المظالم وانتهاك العفة؛ فهل يأمر الناس بأن يطيعوا أتاتورك الذي يعرف جميع الناس ماذا فعل بأصحاب الدين وكيف ظلم الناس؟! أو يأمر بطاعة بهلوي الذي رأيتم جميعاً ماذا صنع؟! والذي لو أراد أحد أن يعد مخالفاته الصريحة لله والقرآن فإنه قد يحتاج إلى كتاب.. إن هذا الإله الذي وضع أسس الدين والعدل ويأمر بنفسه بهدم هذا البناء، لن يقبله العلماء إلهاً عادلاً وقاسطاً، وإن مقام الألوهية منزه عن هذه الأعمال التافهة)[1]

ونحب أن نذكر هنا أن هذا الكتاب [كشف الأسرار]، وربما بسبب مواقفه الشديدة من هذا النوع من الأنظمة ترجم ترجمات مشوهة من طرف الاتجاه السلفي، وصارت تلك الترجمة هي

---

[2] المرجع السابق، ج1، ص47.

[1] كشف الأسرار، ص138..

المصدر الذي يعتمدون عليه في تشويه إيران ونظامها[1].

وهكذا أعلن في كتابه [الحكومة الإسلامية] عن موقفه من هذا النوع من الأنظمة بقوله: (فالملكية والحكم الوراثي هي مما أبطله الإسلام وألغاه في صدر الإسلام في ايران وبلاد الروم الشرقية ومصر واليمن. ولقد دعا الرسول الأكرم ﷺ في رسائله المباركة امبراطورية الروم الشرقيين (هراكليوس) وملك ايران إلى التخلي عن نمط الحكومة الملكية والامبراطورية، وعن إلزام عباد الله بالطاعة والعبودية المطلقة لهم، وليتركوهم ليعبدوا الله الواحد الذي لا شريك له، الذي هو السلطان الحقيقي .. الملكية والحكم الوراثي هي ذلك الطراز من الحكم المشؤوم والباطل الذي ثار سيد الشهداء ﷺ واستشهد من أجل المنع من إقامته، فلقد ثار ودعا جميع المسلمين للثورة لكي لا يخضع لولاية عهد يزيد، ولكي لا يعترف رسمياً بسلطنته، فهذه الأمور ليست من الإسلام، الإسلام ليس فيه ملكية وحكم وراثي)[2]

الرابعة: بعض مدارس الشيعة ومراجعهم، والذين تصوروا أن بناء دولة يحكمها الفقيه الشيعي، يتنافى مع مبدأ انتظار الإمام المهدي، بل تصوروا أن ذلك سيلغي دوره، ويرفع الحاجة لظهوره.

وقد رد عليهم قادة الثورة الإسلامية ردودا كثيرة، منها قول الخميني مخاطبا لهم: (من البديهي أن ضرورة تنفيذ الأحكام التي استلزمت تشكيل حكومة الرسول الأكرم ﷺ ليست منحصرة

---

[1] () أثبت زيف تلك الترجمة بالأدلة الكثيرة د. إبراهيم الدسوقي شتا رئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة في كتيب بعنوان (كشف الأسرار بين أصله الفارسي والترجمة الأردنية)، نشر كمقال في (مجلة الراصد - تموز 1991م) ونشر في الترجمة الجديدة للكتاب من ص13-29، وقد كشف المقال عن تحريف خطير ومغرض في الترجمة (الأردنية) بغية تشويه صورة الخميني، وتشويه صورة الشيعة والطعن فيهم، وقد تم ترجمة كتاب [كشف الأسرار] ترجمة صحيحة معرّبة.

وقد اشترك في الترجمة الأردنية المحرّفة بشار عواد معروف، ومعه أستاذ الشريعة محمد أحمد الخطيب، ومعهم سليم الهلالي، ومعهم الشخصية الوهمية محمد البنداري التي اخترعوها ليكون في واجهة الغلاف بأنه المترجم للكتاب، وقد تم هذا بمباركة الألباني الذي ألحق فتواه في آخر الطبعة المذكورة بكفر الخميني.

[2] () الحكومة الإسلامية، ص11.

ومحدودة بزمانه ﷺ، فهي مستمرة أيضاً بعد رحلته ﷺ. وفقاً للآيات القرآنية الكريمة، فإن أحكام الإسلام ليست محدودة بزمان ومكان خاصين، بل هي باقية وواجبة التنفيذ إلى الأبد؛ فلم تأت لأجل زمان الرسول الأكرم ﷺ لتترك بعده ولا تنفّذ أحكام القصاص، أي القانون الجزائي للإسلام. أو لا تؤخذ الضرائب المقررة، أو يتعطل الدفاع عن الأراضي والأمة الإسلاميتين، والقول بأن قوانين الإسلام قابلة للتعطيل، أو أنها منحصرة بزمان أو مكان محددين خلاف الضروريات العقائدية في الإسلام، وعليه فبما أن تنفيذ الأحكام ضرورة بعد الرسول الأكرم ﷺ وإلى الأبد، فإن تشكيل الحكومة وإقامة السلطة التنفيذية الإدارية يصبح ضرورياً، فبدون تشكيل الحكومة، وبدون السلطة التنفيذية والادارية ـ والذي يجعل جميع تصرفات وأنشطة أفراد المجتمع خاضعاً لنظام عادل، وذلك عن طريق تنفيذ الأحكام ــ بدون ذلك تلزم الفوضى، ويتفشى الفساد الاجتماعي والعقائدي والأخلاقي، إذن لا مفر من تشكيل الحكومة، وتنظيم جميع الأمور التي تحصل في البلاد منعاً للفوضى والتفسخ. وعليه فما كان ضرورياً في زمان الرسول ﷺ وأمير المؤمنين بحكم العقل والشرع، من إقامة الحكومة والسلطة التنفيذية والادارية، فهو ضروري بعدهم، وفي زماننا أيضاً)[1]

ثم راح يسألهم قائلا: (هل يجب أن تبقى الأحكام الإسلامية طيلة فترة ما بعد الغيبة الصغرى إلى اليوم حيث مضى أكثر من ألف عام، ومن الممكن أن تمر مائة ألف عام أخرى دون أن تقتضي المصلحة ظهور صاحب الأمر ــ فهل يجب أن تبقى مطروحة وبلا تطبيق، وليعمل كل امرئ ما يشاء؟ ولتعم الفوضى؟ فهل كانت القوانين التي جهد الرسول الأكرم ﷺ في سبيل بيانها وإبلاغها ونشرها وتطبيقها مدة ثلاث وعشرين سنة، هل كانت لمدة محدودة فقط؟ وهل حدَّد الله تعالى تنفيذ أحكامه بمدة مئتي سنة فقط؟ وهل ترك الإسلام كل ما فيه بعد الغيبة الصغرى؟)

---

[1]() الحكومة الإسلامية، ص.

ثم أجاب على ذلك بقوله: (الاعتقاد بـأمور كهـذه أو إظهارهـا أسـوأ من الاعتقـاد أو الإظهـار للقـول بنسـخ الإسـلام... لا أحـد يستطيع القول أنـه لم يعـد من الـواجب الـدفاع عن حـدود وثغـور جميـع أراضـي الـوطن الإسـلامي.. أو أنـه يجب تعطيـل قـانون الإسـلامي العقوبـات والـديات والقصـاص. فكـل من يقـول أنـه لا ضرورة لتشكيل الحكومة الإسـلامية، فهـو منكـر لضـرورة تطـبيق الأحكام الإسلامية، ولجامعيتها، ولخلود دين الإسلام المبين)

ونحب أن نذكر هنا أن ما قـرره الخميـني في هـذا المجـال لا يعني ثورة على التشيع، أو تصحيحا لـه، كمـا ذهب بعض البـاحثين، وإنما هو فرع أصيل في التشيع، لم تتح لـه الظـروف الـتي تـبرزه للواجهة ليؤدي دوره في التغيير السياسي؛ فقـد كـانت الحكومـات المستبدة تمنع الشيعة من الحديث في السياسة، وهـذا مـا جعلهم يمارسون التقية حرصا على بقاء مذهبهم.

ومثل ذلك حصل في المدرسة السـنية، والـتي اتفـق فقههـا السياســي القــديم على عــرض الفقــه السياســي، أو السياســة الشرعية انطلاقا من الواقع السياسي، لا من حقيقة الإسلام ذاته.

بناء على هذا سـنحاول في هـذا الفصـل التعـرف على الأدلـة التي اعتمدها الخميني وقادة الثـورة الإسـلامية في هـذه النظريـة السياسية، وكيف ردوا على مخالفيهم، أما الآليات التي نفـذت بهـا هذه النظرية، والضوابط التي تحكمها، فسنتعرض لهـا في الفصـل الثاني.

وبما أ هناك اتفاقا بين قادة الثـورة الإسـلامية في إيـران مـع الحركات الإسلامية ذات التوجه السياسي على مواجهـة العلمانيـة والدعوة لتحكيم الشريعة الإسلامية؛ فقد ظهرت الكتابات الكثـيرة التي تخدم الشق الأول من حاكمية الشريعة، وهـو حاكميـة الفقـه الإسلامية، وكونـه الإطـار المـرجعي الـذي يُعتمـد عليـه في جميـع القوانين التي تسنها الدولة.

أما الشق الثاني، وهو المرتبط بحاكمية الفقيه، ولـزوم كونـه المشرف على تطبيق الشريعة، بل المنفذ لذلك؛ فإن الكتابة فيه ـ

حسـبما أعلم ــ بقيت محصـورة في قـادة الثـورة الإسـلامية في إيران، الذين ألفوا المؤلفات الكثيرة التي تؤصل لهذا الجـانب، بـل تجعل من حاكمية الشريعة دليلا على حاكميـة الفقيـه، ذلـك أنـه لا يمكن عزل الفقيه، أو التهوين من شأنه في الوقت الذي يراد فيـه تطبيق الشريعة، مثلما لا يعزل الطبيب أو المهندس عن مجالهما.

ومن المؤلفـات الـتي ألفت في ذلـك، وكـانت مصـدرا من مصادر التأصيلات والتنظيرات المرتبطة بولاية الفقيه، وما يصحبها من حاكمية الشريعة كتاب [الحكومـة الإسـلامية أو ولايـة الفقيـه] للإمام الخميني، والذي كـان عبـارة عن دروس فقهيـة ألقاهـا على طلاب العلوم الدينية في النجف، وتحـدث فيـه بتفصـيل عن الأدلـة الكثيرة على ولاية الفقيه، وعلى التحريقات التي حـاولت أن تزيـل الجانب السياسي من الدين، وذكر فيـه الأدلـة العقليـة والشـرعية الموجبـة لتشـكيل الحكومـة، كمـا تحـدث فيـه عن نظـام الحكم الإسـلامي، وشـروط الحـاكم المسـلم، والـدور الـذي يجب على العلماء القيام به لتحقيق ذلك في الواقع.

وقـد لاقى الكتـاب ــ منـذ صـدوره ــ ردود فعـل مختلفـة من الإيرانيين وغيرهم، حيث أنه في الوقت الذي استقبل فيه اسـتقبالا طيبا من العلماء وطلبة العلم الذين شكلوا فيما بعد الأساس الذي قامت عليه الثورة الإسلامية الإيرانية، استقبل اسـتقبالا قاسـيا من المعارضين سواء كانوا من السياسيين أو رجـال الـدين التقليـديين الذين يرون أنه ليس على الفقيه أن يتحـدث في السياسـة، ولا أن يمارسها.

وقـد ذكـر نجـل الخميـني السـيد أحمـد بعض تلـك المواقـف، فقال: (أما [الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه] فهو مجموعة تضم (16) درساً من دروس الإمام التي ألقاها في الحـوزة العلميـة في النجف، وعندما شرع الإمـام في بحث ولايـة الفقيـه بـدأ اعـتراض الرجعـيين في تلـك الحـوزة، فحركـوا بعض الأشـخاص لكي يـترك الدرس عدد من الذين يحضـرون هـذه الـدروس، وقـد نجحـوا في ذلك مع الأسف، إذ قال الإمام: إن بعضهم لم يحضر منذ بداية هذا الدرس وحتى نهايته لأنهم كـانوا يعتقـدون ــ حتمـاً ــ بأنـه يجب أن

يحكم الشاه وصدام، وليس الإمام والمجتهد الجامع للشرائط، فكانوا يقولون: إن الحكومة ليست من شأن الفقيه! وكم لاقى منهم أصحاب الإمام الخلَّص من عذاب ومتاعب، وبدأت النزاعات فضايقوا الإمام وآذوه، ولكنه لو كان يمكن للإمام أن يعطل أعماله بسبب هذه الأمور لما انتهى به الأمر إلى النجف، ولترك الجهاد ضد الشاه ونظامه وهو في قم)[1]

وقد ذكر موقف الخميني من تلك التشنجات التي أبداها المخالفون له؛ فقال: (لقد سمع الإمام مثل هذا الكلام كثيراً، ولذلك فعندما كان أصحابه القليلون الصابرون والصامدون المخلصون ينفد صبرهم وتتعبهم الشتائم، كانوا يأتون الإمام ليستلهموا منه روحاً جديدة، فيقول لهم: عليكم بالاستمرار في عملكم ولا تنصتوا لهذه الأقوال. إنكم مسؤولون، وواجبكم العمل وفقاً لمسؤوليتكم وتحمل الصعاب والشتائم بصدر رحب، من أجل خلاص المسلمين، وعليكم أن لا تتركوا عملكم الصالح مهما قالوا لكم ومهما ضايقوكم؛ فلن يكون ذلك بمقدار يوم واحد من الصعاب التي تحملها الرسول ﷺ، فكان أصحابنا القليلون يعالجون قلة عددهم برفع عزائمهم، ويغادرون الإمام بإرادة من حديد)[2]

وذكر السيد أحمد كيف استقبل الكتاب في إيران، وموقف السلطات الحاكمة منه؛ فقال: (وفي الوقت نفسه قام أصحاب الإمام الموجودون بالآلاف في حوزة قم العلمية بطبع هذه الكتب وتوزيعها بكل قدرتهم، وحتى إن السيد لاجوردي مدعي عام طهران (سابقاً) باع الكراسات التي تحتوي على هذه الدروس (دروس الإمام في الحكومة الإسلامية) في محلّه علناً، واعتُقل بعد ذلك.. لقد انتشرت هذه الكتب بسرعة البرق في جميع الحوزات العلمية والمحافل الدينية، وبذل المرحوم آية الله الرباني الشيرازي جهداً كبيراً في نشر هذا الكتاب، وما أحسن ما

---

[1] () لمحة عن عبادة الإمام ومؤلفاته، السيد أحمد الخميني، مقال من كتاب: الإمام الخميني قدوة، ص6.

[2] () المرجع السابق، ص7.

أدى أنصار الإمام في إيران رسالتهم مع وجـود التعـذيب والسـجن والنفي)[1]

ويمكننا اعتبار هذا الكتاب هو المصدر الأكبر الـذي ضـم أكـثر الأدلة وأقواها على مشروعية ولاية الفقيه، ولذلك كـان لـه تـأثيره كبيرا في الأوساط الإيرانية خصوصـا، بـل كـان السـبب الأكـبر في جعلها مستعدة لتقبل هذا النظام الجديد، وهـو مـا يـرد بقـوة على تلـك الأطروحـات الـتي تصـور قـادة الثـورة الإسـلامية في إيـران منقلـبين على الشـعب الـذي وقـف معهم، ذلـك أن أطروحــاتهم واضـحة من خلال هـذا الكتـاب وغـيره من الكتب والبيانـات الـتي كانت تصدر على كل حين، وسنرى تفاصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ومن الكتب التي أصلت لهذا النظام كتاب [الإمامـة والولايـة: قيادة المجتمع الإسلامي ومسؤولية المسلم] للقائد الحالي للثـورة الإسلامية السيد علي الخامنئي، وقد ذكر فيه الكثـير من المسـائل المؤصلة لهـذا النظـام انطلاقـا من القـرآن الكـريم، بالإضـافة إلى ذكره لشروط الولي الفقيه وصفاته وغير ذلك.

ومنهـا كتـاب [أسـاس الحكومـة الإسـلامية] للسـيد كـاظم الحائري، وهو عبارة عن دراسة استدلالية مقارنة بين الديمقراطية والشورى وولاية الفقيه، وقـد ذكـر فيـه ولايـة الفقيـه، وأثبتهـا من خلال ذكر شروط الولايـة، ثم إجـراء مقارنـة بين الشـورى وولايـة الفقيه.

ومنها كتاب [الأسس المهمـة في النظـام الإسـلامي] للشـيخ محمد علي التسخيري، وقد تطرق فيـه إلى الكثـير من التأصـيلات لهذا النظام ابتداء من الرؤية الكونية، وانتهاء بتطبيقاته العملية.

ومنها كتاب [الإرشاد إلى ولاية الفقيه] للسيد يوسف المـدني التبريزي، وهو بحث استدلالي حول ولاية الفقيـه، تحـدث فيـه عن أهميـة الفقيـه في الروايـات، ثم عن ولايـة النـبي ﷺ وأئمـة أهـل البيت؛ ثم تحدث عن ولاية الفقيه، والاستدلال عليها من الروايـات،

---

[1]() المرجع السابق، ص7.

وفي الكتاب مباحث تفصيلية مهمة كمسألة القضاء، والفرق بين الحكم والفتوى، والتصرف بأموال الخمس، ومسألة الحدود والتعزيرات، إلى غير ذلك من المباحث المهمة.

ومنها كتاب [الدولة الإسلامية] للشيخ عبد المنعم مهنا، وهو بحث في ولاية الفقيه، تحدث فيه عن ولاية الفقيه في تاريخ الفقه الشيعي وتطوره، وفي كتب أهل السنة، ثم تحدث عن أدلة ولاية الفقيه في الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ثم عن شروط الولي، مع مسائل أخرى مهمة مثل الفرق بين الحكم والفتوى،و حالة تساوي الفقهاء هل تنتج الشورى، ورأي الأكثرية، هل يلزم مشاورة الفقيه للعلماء؟ وغيرها من المسائل.

ومنها كتاب [ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي] للشيخ جعفر حسن عتريسي، وبحث فيه عن صفات الولي، وكون الإسلام مشروع حكم في ظل ولاية الفقيه، وعن صلاحيات الولي، وضرورة الدستور، وخصائص الدولة المعاصرة عبر أوجهها المختلفة، كالنظام البرلماني والرئاسي والماركسي والديمقراطي، وتحدث عن مبدأ الفصل بين السلطات، مشيراً إلى السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية في النظام الإسلامي، ومبدأ فصل السلطات من وجهة النظر الإسلامية، ومتحدثاً عن الديمقراطية والشريعة الإسلامية.

وغيرها من الكتب الكثيرة[1]، والتي حاولنا الاستفادة منها جميعا في التعرف على حقيقة ولاية الفقيه، والأدلة الشرعية عليها، وإن كان تركيزنا خصوصا على كتاب [الحكومة الإسلامية] للخميني باعتباره المصدر الذي رجع إليه كل من تحدث عن ولاية الفقيه.

بناء على هذا سنلخص هنا مجمل الأدلة على كلا الفرعين في حاكمية الشريعة الإسلامية: حاكمية قوانين الشريعة، وحاكمية الفقيه من خلال طروحات قادة الثورة الإسلامية الإيرانية، وخصوصا الإمام الخميني.

[1] انظر مقالا بعنوان: كتب في ولاية الفقيه، عباس رشيد، مجلة بقية الله، السنة الثالثة عشر، العدد 145.

أولا ـ التأصيل الشرعي للحكومة الإلهية:

عند استقراء ما كتب حول البراهين الدالة على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال السياسي، وما يرتبط به من مجالات، نجد صنفين من الأدلة:

أولها ـ أدلة عقلية وواقعية تحاول أن تخاطب جماهير الناس بمختلف مشاربهم حتى العلمانيين منهم، لتثبت لهم أن الشريعة ـ في حال تطبيقها الصحيح ـ لا تتعارض مع أي مصلحة، ولا تتسبب في أي مفسدة، بل هي تضمن تحقيق جميع المصالح، وبأقل التكاليف، وبأجمل الصور.

ثانيها ـ الأدلة النصية، وهي الأدلة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وما يفسرها من الروايات والشروح وأقوال الفقهاء، وهي تتوجه للمسلمين الملتزمين خصوصا، لتبين لهم أن الشريعة التي آمنوا بها شريعة شاملة لجميع مناحي الحياة، ولذلك لا يصح أن يتوجه المؤمنون لله بالعبادة في صلاتهم وصومهم، في نفس الوقت الذي يضيعون فيه أوامر الله المرتبطة بالثقافة والاقتصاد والسياسة وسائر شؤون الحياة.

وقد استعمل قادة الثورة الإسلامية الإيرانية كلا الأسلوبين في البرهنة على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، واعتبار أحكامها قوانين قطعية تخضع لها كل المؤسسات، ولا خيار لها في تطبيقها، باعتبارها أوامر الله ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]

وسنحاول هنا ـ باختصار أن نورد كلا الصنفين من الأدلة ـ من خلال المصادر التي سبق ذكرها.

1 ـ البراهين العقلية والواقعية على شرعية الحكومة الإلهية:

تنطلق كل القوانين الوضعية، والفلسفات التي تقوم عليها

من محاولـة الوصـول بالمجتمعـات إلى تحقيـق النظـام والسـعادة والرفاه، وتحاول أن تبحث عن أقرب السـبل الـتي يمكنهـا تحقيـق ذلك، من غير أن تصطدم بأي عقبة، لكنها لم تفلح في تحقيق ذلك في الواقــع، نتيجــة تنــوع البشــر واختلاف مصــالحهم وأذواقهم وطبائعهم وتصـوراتهم للحيـاة، بحيث يسـتحيل أن يرضـى الجميـع بنظام واحد.

وقد نقل العلامة الكبير وحيد الدين خـان في كتابـه [الإسـلام يتحـدى] عن فلاسـفة القـانون الغـربي الاعـتراف بهـذا الإشـكال الكبير، وقدم لذلك بقوله: (السؤال الأساسي الـذي يفـرض نفسـه عند البحث في المشكلات الحضارية يكـون دائمـا عن التشـريع أو الدستور، فهذه المشكلات تنشأ عن علاقة الفرد بغيره، والتشــريع هو الـذي يحـدد هـذه العلاقـة على أسـاس من العـدل والانصـاف، ولكن من المــذهل أن أقــول: إن الانســان لم يفلح إلى الآن في الكشف عن دستور حياته! صحيح أن جميع الدول في العالم قائمة على أســس الدســتور؛ ولكن هــذه الدســاتير مخفقــة تمامــا في الوصول الى أهدافها، بل لايوجد هناك مايسوغ وجود هذه الدساتير سوى أنها تنفـذ بـالقوة والاجبـار، ومن الحقـائق المعروفـة لرجـال القانون أن جميع الدساتير الرائجة في هذا العصر تفقد أية أســس علمية أو نظرية تجيز بقاءها)[1]

وهو ينقل من المصادر الغربية اعترافها بـالعجز عن الوصـول إلى القانون الحقيقي المبني على أصول نظريـة وفلسـفية مسـلّم بهـا، حـتى أن الأسـتاذ (فـولر) مؤلـف كتـاب (القـانون يبحث عن نفسه)، قال: (إن القانون لم يكشف عن نفسه بعد!) [2]

ويــذكر أنــه (وضـعت كتب لاحصـر لهـا حـول هـذا الموضـوع بالذات؛ وبذلت عقول جبارة من علمائنا أوقاتهـا في سـبيل البحث عن مقومات القانون. وكما يرى محرر (موسوعة تشـامبرز) (لقـد أعطى القانون أهمية علم هـام، حـتى رفـع من شـأنه الى أقصـى

1() الإسلام يتحدى، ص156.

2() المرجع السابق، ص156.

الحدود)، ولكن كل هذه الجهود لم توفق في الحصول على صـورة متفق عليها من القانون، وقد تشعبت بهم السبل، حتى قـال خبـير في التشـريع: (لـو طلبت من عشـرة خـبراء أن يعرفـوا القـانون، فعليك أن تستعد لسماع أحد عشر جوابا!!)[1]

وبناء على هـذا انقسـم خـبراء التشـريع الى مـدارس فكريـة كثيرة؛ والسبب في ذلك ـ كما يرى، وكما ينقل عن فلاسفة الغرب ـ هو (عدم توصلهم الى أساس صحيح يمكن إقامة صريح التشـريع عليـه، إنهم يجـدون أن القيم الـتي يحـاولون جمعهـا في هيكـل الدستور يستحيل وضعها في ميزان واحد. ومثل رجل القـانون في محاولتـه هـذه كمثـل الرجـل الـذي يـزن مجموعـة من الضـفادع بمجموعة أخرى مماثلة؛ فكلمـا وضـع مجموعـة في كفـة وجـد أن ضفادع الكفة الثانية قد وثبت الى الماء مرة أخرى، ومن ثم بـاءت كل الجهود التي استهدفت الحصول على الدستور المثالي بالفشل الذريع) [2]

أو كمـا عـبر عن ذلـك الأسـتاذ (و. فريـدمان) بقولـه: (إنهـا لحقيقة: أن الحضارة الغربيـة لم تجـد حلا لهـذه المشـكلة غـير أن تنزلق من وقت لآخر، من نهاية الى أخرى)

وبنـاء على هـذا ذهب الكثـير من فلاسـفة التشـريع إلى أن القانون لا ينطلق من أسس فلسفية ولا علمية، وإنمـا ينطلـق من السـلطة والغلبـة، فـالمتغلب هـو السـيد الـذي يمكنـه أن يضـع القوانين، ويمكنه أيضا أن يفرضـها، حـتى لـو لم تكن متناسـبة مـع طبائع المجتمعات التي يفرضها عليها، وقد نقل وحيـد الـدين خـان عن (جون آستين) قولـه: (إن الدسـتور، أي دسـتور، لايصـبح نافـذ المفعـول الا اذا كـانت تسـنده قـوة من ورائـه)، ولـذلك عـرف (القـانون) في كتابـه، الـذي نشـر لأول مـرة عـام 1861، بقولـه: (القانون هو الحكم الذي أصدره رجل رفيـع المنزلـة سياسـيا لمن

1() المرجع السابق، ص156.

2() المرجع السابق ، ص157.

هو أدنى منه في المرتبة السياسية) [1]

ويذكر وحيد الدين خان أن هـذا النـوع من القـوانين عـورض بموقف آخر معاكس تماما له، وهو أن الشعب هو الـذي يمكنـه أن يسن القوانين التي يمكنها أن تطبق عليه، لكن هذا أيضـا اصـطدم باختلاف أذواق الشعوب ومشاربها وتصوراتها للحياة، (وترتب على ذلك أن ضوابط كثيرة، يجمع على صحتها وإفادتها جميع أهل العلم ومعلمي الأخلاق لايمكن تنفيذها، لأن الشعب لايوافق عليها، وعلى سبيل المثال لم يتمكن الأمريكيون من إدخال مشروع قرار يحـرم الخمر، لأن الشعب لم يـرض عنـه.. كمـا اضـطر البريطـانيون إلى إدخال تعديلات هامة في قانون عقوبة القتل، واضطروا الى إباحـة أنـواع محرمـة من العلاقـات الجنسـية، على الـرغم من ضـجيج المثقفين، واحتجاج علماء القانون!)[2]

وهكذا نرى عجر العقل البشري عن تحديد القوانين المناسبة التي تحكمـه، والـتي يمكنهـا أن تـوفر لـه السـعادة والرفـاه، وفي نفس الوقت تحمي القيم الإنسانية والاجتماعيـة والأخلاقيـة من أن تنهار وينهار معها الإنسان، مثلما هو حاصل في المجتمعات الغربية التي أتاحت كـل أنـواع الشـذوذ إرضـاء للأذواق الـتي لا يعجبهـا إلا الشذوذ.

وقـد اسـتعمل قـادة الثـورة الإسـلامية هـذه المعـاني لإقنـاع الشعب الإيـراني بعقلانيـة تحكيم الشـريعة، ذلـك أنهـا وحـدها من يراعي المصالح جميعـا، مصـالح الـدنيا والآخـرة، ولا يصـطدم بـأي مشكلة كتلك المشكلات التي اصطدمت بها المجتمعات الغربية.

وقد ذكر الخميني أن السبب وراء الغفلـة عن هـذا مـع كونـه من البديهيات التي يـذعن لهـا كـل مسـلم يعـترف للـه بالعبوديـة، اليهود والاستعمار بأشكاله المختلفة، يقول في ذلـك: (لقـد ابتليت النهضة الإسلامية منـذ انطلاقتهـا بـاليهود، فهم الـذين شـرعوا أولاً

---

[1]() المرجع السابق، ص157.

[2]() المرجع السابق ، ص158.

بالدعاية ضد الإسلام وبالدسائس الفكرية بنحو وصل مداه إلى أيامنا هذه، ووصل الدور بعدهم إلى طوائف هم ـ بمعنى من المعاني ـ أكثر شيطنة من اليهود، وهؤلاء استطاعوا الوصول إلى البلاد الإسلامية على شكل استعمار منذ ثلاثة قرون أو أكثر، وقد رأوا أنه من اللازم لكي يصلوا إلى مطامعهم الاستعمارية أن يهيئوا الأرضية للقضاء على الإسلام. ولم يكن هدفهم إبعاد الناس عن الإسلام لتقوية النصرانية، لأن هؤلاء لا يعتقدون بالنصرانية ولا بالإسلام، لكنهم ـ وطوال هذه المدة وأثناء الحروب الصليبية ـ شعروا أن الذي يقف سداً أمام مصالحهم المادية، ويعرّض مصالحهم المادية وقواهم السياسية للخطر هو الإسلام وأحكامه وإيمان الناس به، فقاموا بالدعاية والدس ضد الإسلام بمختلف الوسائل، وقد تعاضد في العمل على تحريف حقائق الإسلام رجال الدين الذين أوجدوهم في الحوزات العلمية، والعملاء الذين كانوا يعملون لهم في الجامعات والمؤسسات الإعلامية الحكومية أو مراكز النشر، والمستشرقين الذي هم في خدمة الدول الاستعمارية، فهؤلاء جميعاً تكاتفوا في ذلك بنحو صار فيه الكثير من الناس والمثقفين في حالة من الضياع والانحراف عن الصواب تجاه الإسلام)[1]

ويذكر الدور السلبي الذي قام به رجال الدين نتيجة تجاهلهم لما ورد في النصوص المقدسة من الأحكام المرتبطة بجميع شؤون الحياة، فقال: (إن هذا التصور الخاطئ عن الإسلام الذي يلقي في أذهان عامة الناس، والشكل الناقص الذي يعرض فيه الإسلام في الحوزات العلمية هدفه سلب الخاصية الثورية والحياتية للإسلام، ومنع المسلمين من السعي للقيام والتحرك والثورة، ومن أن يكونوا متحررين وساعين لتطبيق الأحكام الإسلامية، ومن أن يؤسسوا حكومة تؤمن سعادتهم ويكوّنوا الحياة اللائقة بالإنسان، فكانوا يشيعون مثلاً أن الإسلام ليس ديناً جامعاً، فهو ليس دين حياة، وليس فيه أنظمة وقوانين للمجتمع، ولم يأت بنظام وقوانين للحكم، الإسلام أحكام حيض ونفاس فحسب، وفيه بعض التوجيهات الأخلاقية أيضاً، لكن ليس فيه شيء مما يرتبط

---

[1] الحكومة الإسلامية، ص10.

بالحياة وإدارة المجتمع، ومن المؤسف أن دعاياتهم السيئة هذه قد أثَّرت، وحالياً ـ فضلاً عن عامة الناس ــ فإن الطبقة المثقفة سواء من الجامعيين أو الكثير من رجال الدين لم يفهموا الإسلام جيداً، وهم يمتلكون تصورات خاطئة تجاهه، والناس يجهلون الدين، كما يجهلون الأشخاص الغرباء عنهم، فالإسلام يعيش بين شعوب الدنيا بغربة كما أنه لو أراد الانسان أن يعرض الإسلام كما هو فلن يصدقه الناس بسرعة، بل تواجهه أصوات الاستعمار في الحوزات بالضجيج والغوغاء)[1]

ثم يذكر الخميني كثرة ما ورد في النصوص المقدسة من الأحكام المرتبطة بشؤون الحياة المختلفة، مقارنة بين ما ورد في الشعائر والعبادات التي استغرق الفقهاء جل وقتهم في الاهتمام بها، مع تضييع الجوانب الأخرى؛ فيقول: (ولكي يتضح شيئاً ما عظم الفرق بين الإسلام وبين ما يعرض على أنه الإسلام ألفت نظركم إلى التفاوت الموجود بين القرآن الكريم وكتب الحديث، والتي هي مصادر الأحكام والقوانين من جهة، وبين الرسائل العملية التي تكتب من قبل مجتهدي العصر ومراجع التقليد من جهة أخرى من ناحية الجامعية والتأثير الذي يمكن أن تتركه في الحياة الاجتماعية، فنسبة الاجتماعيات في القرآن للآيات العبادية تتجاوز المئة مقابل واحد، كما نجد أنه في كتب الحديث التي تشتمل الدورة منها حوالي خمسين كتاباً وتحتوي على جميع الأحكام الإسلامية، نجد أن هناك ثلاثة أو أربعة كتب حول عبادات الانسان ووظائفه تجاه ربه وشيئاً من الأحكام الأخلاقية، والباقي كله مما يتعلق بالأمور الاجتماعية والاقتصادية والحقوق السياسية وتدبير المجتمع) [2]

وهكذا؛ فإن الخميني ــ من خلال هذا النص ــ يعرض دليلا عقليا وواقعيا ملموسا للمسلمين، بل لغيرهم أيضا، يمكن تقريره بأن الذين أذعنوا باختيارهم لقوانين الله المرتبطة بشعائرهم

1() المرجع السابق، ص11.

2() المرجع السابق، ص11.

التعبدية على الرغم من المشاق الكثيرة التي تصيبهم من جرائها، لا يعجزون عن الإذعان لقوانين الله المنظمة لحياتهم، بل إن استجابتهم لها ستكون أكثر فاعلية من استجابتهم لأي قوانين أخرى، وبذلك فإن المجتمع المسلم لن يحتاج في تطبيقه للقوانين إلا إثبات كونها قوانين الله حتى يسلم لها عن طواعية ورضا.

وانطلاقا من هذا يوجه الخميني خطابه للدعاة بأن يركزوا على هذه المعاني أثناء دعوتهم للحكومة الإلهية، ذلك أن الحائل بين المجتمعات الإسلامية وتطبيق الشريعة، ليس المعاندة، وإنما الجهل، ولو أنهم علموا أن الشريعة تحوي أحكاما سياسية واقتصادية، لما فرطوا في الإذعان والتسليم لها مثلما يفعلون في الأمور الأخرى، يقول الخميني: (أنتم أيها السادة يا جيل الشباب، الذين ستكونون مفيدين لمستقبل الإسلام انشاء الله، عليكم أن تكونوا بعد هذه النقاط الموجزة التي أبينها لكم مجدّين طوال حياتكم في بيان انظمة الإسلام وقوانينه، وأطلعوا الناس ــ بأي شكل ترونه مفيداً كتابة أو مشافهة ـ على المشاكل التي ابتلى بها الإسلام منذ بداية نهضته، وعما لديه الآن من أعداء ومصائب، لا تتركوا حقيقة الإسلام وماهيته مستورة كيلا يتصور أحد أن الإسلام كالمسيحية يمثل ـ بالاسم لا بالحقيقة ـ عدة قوانين حول العلاقة بين الله والناس فحسب، وأن المسجد لا يختلف عن الكنيسة) (1)

ويبين لهم ما عساهم أن يذكروه لربط الناس بأحكام الشريعة في جميع مجالات الحياة، وتحبييهم فيها، ليصبحوا الحاضنة التي توفر الرعاية للحكومة الإسلامية عند نشوئها؛ فيقول: (في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه الغرب شيئاً يذكر، وكان أهله يعيشون في حالة من التوحش، وكانت أمريكا موطناً للهنود الحمر شبه المتوحشين، وكانت امبراطوريتا الفرس والروم تحت سيطرة الاستبداد والطبقية وسلطة الأقوياء، ولم يكن فيها من أثر لحكومة الشعب والقانون، أرسل الله تعالى من خلال رسوله الأكرم ﷺ قوانين تدهش الإنسان بين فترة ما قبل انعقاد نطفته إلى ما بعد دفنه، ووضع قوانين للوظائف العبادية، وجعل

---

(1) المرجع السابق، ص11.

للأمـور الاجتماعيـة والإداريـة قـوانين وطـرق ورسـوم، فحقـوق الإسلام حقوق راقية ومتكاملة وجامعـة والكتب الموسـوعية الـتي ألِّفت من قديم الزمان في مختلـف المجـالات الحقوقيـة بـدءاً من أحكام القضاء والمعـاملات والحـدود والقصـاص إلى العلاقـات بين الشـعوب، ومقـررات السـلم والحـرب والحقـوق الدوليـة العامـة والخاصـة إنمـا هي غيض من فيض الأحكـام والأنظمـة الإسـلامية، ليس ثمة موضـوع لم يضـع لـه الإسـلام تكليفـاً، ولم يصـدر حولـه حكماً) [1]

وهو يرد بقـوة على تلـك القـوانين المسـتوردة الـتي تحكمت في بلاد المسلمين، من غير أن تكون لهم أي علاقـة تـربطهم بهـا، ولا أي انسجام نفسي يجعلهم ينساقون لتنفيـذها، ويضـرب المثـل على ذلك بما وقع في إيران عند تدوين الدستور؛ فيقـول: (عنـدما أرادوا تدوين الدستور في أوائـل المشـروطة اقترضـوا المجموعـة الحقوقية البلجيكية من سـفارة بليجكـا، وقـام عـدة أشـخاص (ولا أريد أن أذكر هنا أية أسماء) بكتابة الدسـتور في تلـك المجموعـة، ورمَّموا نقائصه من المجموعات الحقوقية لفرنسـا وانجلـترا، ومن أجـل خـداع الشـعب ضـموا إليـه بعض الأحكـام الإسـلامية، فقـد اقتبسـوا أسـاس القـوانين من هـؤلاء وأعطوهـا لشـعبنا، فمـواد الدسـتور هـذه ومتمماتهـا المتعلقـة بالملكيـة، والحكم الـوراثي، وأمثال ذلك أين هي من الإسلام، فهذا كلـه ضـد الإسـلام ويناقض نمط الحكومة الإسلامية وأحكامها) [2]

ويرد على تلك الشـبه الـتي تصـور الشـريعة بمـا ينفـر عنهـا؛ فيقول: (يكتبون أحيانـاً في كتبهم وجرائـدهم أن الأحكـام الجزائيـة في الإسلام أحكام خشنة.. إني أعجب لهؤلاء كيف يفكـرون! فمن جهـة عنـدما يقتلـون عـدة اشـخاص لأجـل عشـر غرامـات من الهـيروئين يقولـون إنـه القـانون.. وعنـدما توضـع هـذه القـوانين المخالفة للانسانية تحت شعار أنهم يريـدون منـع الفسـاد لا يكـون

---

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع السابق، ص12.

فيها خشونة.. أنا لا أقول دعوهم يبيعوا الهيروئين، ولكن ليس هذا جزاءه، يجب منعه، لكن يجب أن تكون عقوبته متناسبة معه، إذا ضرب شارب الخمر ثمانين جلدة فهذا أمر فيه خشونة، أما اذا أعدموا إنساناً لأجل عشرة غرامات من الهيروئين فلا خشونة في الأمر! مع أن الكثير من المفاسد التي ظهرت في المجتمع هي من شرب الخمر، فالكثير من حوادث السير التي تقع في الطرقات، وعمليات الانتحار والقتل سببها شرب الخمر) [1]

وهكذا يذكر الجرائم البشعة التي مارسها الغرب مع الشعوب المستضعفة، والتي تدل على انسلاخه من كل معاني الإنسانية، ويبين أن إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحياة جزء من تلك الجرائم، حتى تبقى الشعوب خاضعة للغرب يستولي على ثرواتها، ويتحكم فيها، يقول في ذلك: (المخطط هو أن يبقونا، وعلى الحال التي نحن فيها من الحياة المنكوبة لكي يتمكنوا من استغلال ثرواتنا ومنابعنا الطبيعية وأراضينا وطاقاتنا البشرية، يريدون لنا أن نبقى غرقى في المشاكل والعجز، وأن يبقى فقراؤنا بهذه التعاسة، ولا يخضعوا لأحكام الإسلام التي تحل مشكلة الفقر والفقراء، ولكي يبقوا هم وعملاؤهم في القصور الفخمة مستمرين في تلك الحياة المرفهة. تلك مخططات قد وصل مداها حتى إلى الحوزات الدينية والعلمية، بشكل لو أراد الانسان أن يتكلم حول الحكومة الإسلامية ووضع حكومة الإسلام فيجب عليه أن يستعمل التقية، وأن يواجه معارضة أذناب الاستعمار، كما أنه عندما طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب انتفض عملاء السفارة (سفارة نظام الشاه في العراق) وقاموا بتحركات يائسة، وفضحوا أنفسهم أكثر فأكثر. والآن وصل بنا الحال إلى أن صاروا يعتبرون لباس الجندي منافياً للمروءة والعدالة مع أن أئمة ديننا كانوا جنوداً وقادة ومقاتلين. وكانوا يذهبون إلى الحروب التي تسردها كتب التاريخ وهم يرتدون بزة الحرب، وكانوا يقتلون ويقدمون القتلى. وأمير المؤمنين كان يضع الخوذة على رأسه المبارك، ويلبس الدرع وكان لسيفه حمائل. وهكذا كان الإمام الحسن وسيد الشهداء، ولم يفسح المجال فيما بعد، وإلا لكان الإمام الباقر بهذا

---

[1] () المرجع السابق، ص13.

النحو أيضاً، ووصل بنا الحال الآن إلى أن صار ارتداء لباس الجندي مضراً بالعدالة وصار ممنوعاً، وإذا أردنا اقامة حكومة إسلامية فيجب علينا أن نقيمها بهذه العباءة والعمامة، والا كان ذلك خلاف المروءة والعدالة. إنها تأثيرات تلك الدعايات، وهي التي وصلت بنا وأوصلتنا إلى هنا بنحو صرنا بحاجة إلى تجشم المشقات لنثبت أن الإسلام يمتلك قواعد للحكومة) [1]

هذه بعض المناهج التي استعملها الخميني في الدعوة للحكومة الإسلامية من خلال مخاطبة العقول والمشاعر حتى تسجيب لهذا المعنى، وتوفر الحاضنة التي يمكنها أن تتقبل هذا النوع من الحكم، وقد آتت دعواته أكلها، حيث استجاب أكثر الشعب الإيراني أثناء الانتخاب على الدستور على هذا النظام ووافق عليه على الرغم من تعدد مشاربه ومذاهبه وأعراقه وأديانه، وذلك لثقتهم من أن الشريعة الإسلامية يمكن أن تستوعبهم جميعا، وتفيدهم جميعا.

ومن النواحي التي لها علاقة عظيمة بهذا الجانب، وخاصة لدى المسلمين المتدينين ما يرتبط بالجانب الأخروي في تطبيق الشريعة، وهو ما عبر عنه المرجع الديني الكبير كاظم الحسيني الحائري[2] في كتابه [أساس الحكومة الإسلاميّة]؛ فقال: (تتابعت البحوث حول أفضل أشكال الحكم وأسسها التي تضمن إيصال البشرية إلى ساحل السعادة ورفع أنماط الظلم والتعدي التي ابتليت بها على مر التاريخ، وقد أغفل الباحثون غير المسلمين حول هذه المسألة عنصرين هامين لهما أكبر الأثر في تشخيص أساس الحكم وشكله، وهما: السعادة في الحياة الأخرى، وتحقيق رضا الله تعالى، ولقد أثبتت التجارب الطويلة الأمد وستثبت أكثر فأكثر أن السعادة البشرية في الحياة الدنيا لا يمكن أن تنال ما لم يرس شكل الحكم على أسس مستوحاة من الله جل وعلا العليم

---

[1] المرجع السابق، ص15.

[2] هو مرجع شيعي عراقي مُعاصر مقيمٌ بمدينة قم، وهو أحد أبرز تلاميذ محمد باقر الصدر.

بأدواء البشرية الخبير بصلاحها الناجع. هذا، فضلاً عن سعادة الآخرة أو تحقيق رضا الله سبحانه)[1]

ويضرب المثل على ذلك بما يقع في الغرب نتيجة انحرافه عن الفطرة الإنسانية التي لا يمكن أن تجد سعادتها، وهي بعيده عن الله، يقول في ذلك: (وها نحن نرى العالم يغرق في بحر من الظلم والعذاب ويتهدده خطر الفناء والدمار ـ في أي لحظة ـ رغم كل ما طرحه مفكروه الكبار من مناهج وصيغ تحاول التخطيط لنظام الحكم على ضوء التجارب الاجتماعية الممتدة عبر المسيرة التاريخية، ورغم توفر كل الوسائل المادية للراحة وتقدم مستوى الصناعة والتكنيك الى مدى بعيد، كل ذلك لم يستطع أن ينتشل البشرية من الوهدة السحيقة التي تعاني تبعاتها، الأمر الذي يؤكد عليها الضرورة الماسة لمد يد الحاجة للسماء الرحيمة والاستهداء بتعاليمها الوضاءة)[2]

2 ـ البراهين النصية على شرعية الحكومة الإلهية:

وهي نصوص كثيرة جدا نجدها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويتفق على الاستدلال بها دعاة ولاية الفقيه مع دعاة الحركات الإسلامية ذات التوجه السياسي، فهم جميعا يستعملون هذا الصنف من الآيات الكريمة للرد على العلمانية، وإقناع جماهير المؤمنين بضرورة التحاكم المطلق لشريعة الله، وعدم أخذ بعض الكتاب، والتفريط في البعض الآخر مثلما حصل في الديانات الأخرى.

ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: 44]، وقوله: وَمَنْ

[1] أساس الحكومة الإسلاميّة، الحائري، ص5..

[2] المرجع السابق، ص6.

لَمْ يَحْكُمْ بِمَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ فَأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [المائـدة: 45]، وقولـه: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ [المائدة: 47]، وهي آيات تبين مدى الكفر والظلم والفسوق الذي يقع فيه الذين فصلوا حياتهم عن شريعة الله، وقد ذُكـرت الأحكـام فيها بذلك الترتيب بحسب نوع الإعراض عن حكم اللـه، فـإن كـان إعراضا كليا، ممتلئا بالجحود والتحقير، فهو الكفر بعينـه، وإن كـان الإعراض ناتجا عن التقصير والكسل، فصـاحبه ــ كمـا تنص الآيـات الكريمة ـ ظالم وفاسق.

وهكـذا نـرى القـرآن الكـريم يعتـبر الشـرائع والقـوانين الـتي تتعـارض مـع شـريعة اللـه شـرائع وقـوانين جاهليـة، قـال تعـالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُـــونَ وَمَنْ أَحْسَـــنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًـــا لِقَـــوْمٍ يُوقِنُـونَ [المائـدة: 50]، واعتـبر تـارك شـريعة اللـه، والملتجئ لغيره مشركا؛ فقال: أَمْ لَهُمْ شُـرَكَاءُ شَـرَعُوا لَهُمْ مِنَ الـدِّينِ مَـا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ [الشورى: 21]

بل نجد من الآيات الكريمة ما ينفي الإيمان عن المعرض عن أحكام الله، كما قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُـونَ حَتَّى يُحَكِّمُـوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجًـا مِمَّا قَضَـيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65]

وضرب مثالا على ذلك بمـا كـان يحصـل في عهـد النبـوة من مرضى القلوب الـذين يـدعون الإيمـان باللـه ورسـوله، وفي نفس الوقت لا يذعنون لما يرد عنهما من أحكام، قال تعالى: وَيَقُولُـونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْـهِ مُـذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ أَمِ ارْتَـابُوا أَمْ يَخَـافُونَ أَنْ يَحِيـفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) [النور: 47 - 51]

وذكر في مقـابلهم موقـف المؤمـنين الصـادقين في إيمـانهم والمـذعنين إذعانـا تامـا للـه ورسـوله، وذكـر جـزاءهم ومصـيرهم؛ فقال: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُـولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُـوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَـا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ (51) وَمَنْ

يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) [النور: 51، 52]

وهكذا نرى القرآن الكريم يعتبر الدعوة إلى الحكم بغير ما أنزل الله دعوة إلى الطاغوت، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: 60، 61]

وقد استعمل قادة الثورة الإسلامية الإيرانية هذه المصطلحات القرآنية في مواجهة الشاه؛ فقد كانوا يطلقون عليه لقب الطاغوت، ويدعون إلى الثورة عليه، وعدم جواز السكون والرضى بقوانينه، بل يدعون إلى مواجهتها وتحديها والإعراض عنها، ويستعملون القرآن الكريم في تلك المواجهة، مثلما يفعل دعاة الحركات الإسلامية تماما، يقول الخامنئي: (القرآن يصطلح على كل ولاية غير ولاية الله بالطاغوت. فهو يؤكِّد أنَّ من لا يخضع لولاية الله وحاكميته فهو خاضع لولاية الطاغوت وحاكميته، فما هو الطاغوت؟ .. الطاغوت هو ذلك الشخص الذي يستخدم مختلف الوسائل من أجل أن يجعل الناس يسيرون على خلاف نهج الله ورسالته ودينه.. إذاً، فليس الطاغوت اسماً خاصاً، وليس صحيحاً ما يتخيله البعض من أنَّ الطاغوت اسم لصنم معين. نعم، يطلق على الصنم ويسمى الصنم به لكنه ليس صنماً معيناً، وقد يكون الإنسان نفسه صنماً، وكذلك ثروته وحياته العاطلة المتراخية المترفة، وكذلك أمانيه وآماله، وقد يضع الإنسان يده بيد إنسان هو صنم يغمض عينيه ويضع كل ما لديه بيده، وقد يكون الصنم هو الذهب والفضة أو النظام الاجتماعي أو القانون. فليس الطاغوت اسماً لشيء محدد خاص. والذي يستنبط من القرآن الكريم أنَّ الطاغوت مقامٌ فوق مقام الملأ وأشراف القوم والمترفين والجبارين والرهبان.. وعلى هذا فكل من يخرج عن ولاية الله وحاكميته فلا بدَّ أن يدخل في ولاية الطاغوت والشيطان)[1]

---

(1) الإمامة والولاية، الخامنئي، 93 - 92.

ومثله قال الخميني في الرد على العلماء الذين يدعون إلى السكون إلى الطغيان وعدم مواجهته: (لقد كان نبي الإسلام وأئمته وعلماؤه دائماً في نزاع مع سلاطين عصرهم، إن الذين كانوا ملوكاً باسم الخلفاء سجنوا الإمام موسى بن جعفر عشر سنين أو خمس عشرة سنة، لماذا؟ هل لأنه كان يصلي؟! لقد كان هارون والمأمون يصليان أيضاً، وكانا يؤمّان صلاة الجمعة والجماعة! فهل قبضوا عليه لأنه من أحفاد النبي أو لانه إمام؟! هل القضية هذه؟! كلّا، بل لأن الإمام موسى بن جعفر كان يخالف ذلك النظام الطاغوتي! وكانت معارضته له سبباً لمشاكله، وقد ثار علماؤنا منذ صدر الإسلام والى الآن، وفي عصر الأئمة ثار أبناء الائمة وكان ذلك بدافع من الأئمة، فإذا كان زيد إنساناً ارتكب ذنباً فلماذا يثني عليه الأئمة؟! كما لدينا في عصرنا عدة ثورات قام بها العلماء. العلماء الذين يتحدث عنهم اليساريون والمنحرفو بأنهم أعوان البلاط! ولا غرابة في ذلك فهم لم يدرسوا، وليست آذانهم مفتوحة ليعلموا كم مرة ثار علماء الإسلام في عهد رضا شاه وعهد محمد رضا شاه، حيث كان يجتمع علماء أصفهان وآذربيجان ومشهد وقم ويُعلنون اعتراضهم، فهل كان أولئك من أعوان البلاط؟!)[2]

وهكذا كانوا يستدلون أيضا بالنصوص الكثيرة الدالة على شمولية أحكام الشريعة الإسلامية لكل شؤون الحياة، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:162]، وقوله: ﴿ ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:89]

ومثلها الآيات الكريمة التي تدعو إلى الدخول في الإسلام من جميع أبوابه، وفي جميع معانيه ومجالاته، كقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: 208]

أو تلك الآيات الكريمة التي تحذر من الأخذ ببعض الكتاب، وترك بعضه، كما قال تعالى منكرا على اليهود: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

---

(2) صحيفة الإمام، ج4، ص: 70.

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة:85]

ولهذا نرى الخميني ــ في مناقشته للمعترضين على ولاية الفقيه ــ يستعمل مثل هذه النصوص، ومن أمثلة ذلك قوله: (الدليل الآخر على لزوم تشكيل الحكومة هو ماهية القوانين الإسلامية (أحكام الشرع) وكيفيتها. فماهية هذه القوانين تفيد أنها قد شُرِّعت لأجل تكوين دولة، ولاجل الإدارة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع إذ أنها تشتمل على قوانين ومقررات متنوعة تبني نظاماً اجتماعياً شاملاً، ويتوفر في هذا النظام الحقوقي كل ما يحتاجه البشر، من نمط التعامل مع الزوجة والأولاد والعشيرة والقوم وأهل البلد والأمور الخاصة والحياة الزوجية، إلى المقررات المتعلقة بالحرب والصلح والتعامل مع سائر الشعوب، ومن القوانين الجزائية، إلى قوانين التجارة والصناعة والزراعة. ففيها قوانين لمرحلة ما قبل النكاح وانعقاد النطفة، وتبين كيف يجب أن يتم النكاح، وماذا ينبغي أن يكون طعام الإنسان عندها، أو أثناء انعقاد النطفة، وما هي تكاليف الأبوين فترة الرضاعة، وكيف يجب أن يربى الطفل، وكيف يجب أن يتعامل الرجل والمرأة مع بعضهما، ومع أولادهما، فيوجد فيها قانون لجميع هذه المراحل، لتربِّي الإنسان فردا كاملا فاضلا، يجسد القانون ويعمل على تطبيقه تلقائياً، ويتضح بهذا إلى أي حد يَهتمُّ الإسلام بالحكومة والعلاقات السياسية والاقتصادية للمجتمع، لكي يوفر كل الظروف لأجل تربية الإنسان المهذب الفاضل، فالقرآن الكريم والسنة الشريفة يشتملان على جميع القوانين والأحكام التي يحتاجها الانسان لسعادته وكماله)[1]

ويستدل الخميني لهذا، بما ورد في كتاب الكافي تحت عنوان [الرد إلى الكتاب والسنة، وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة][2]، وهو ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن تبيانا لكل شيء، حتى والله ما

---

[1]() الحكومة الإسلامية، ص27.

ترك شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يقول عبد: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلا وقد أنزل الله فيه)[1]

ويضرب الخميني في كتابه [الحكومة الإسلامية] الأمثلة الكثيرة على ذلك، ومنها ما عبر عنه بقوله: (الضرائب التي فرضها الإسلام والميزانية التي طرحها تدل على أنها ليست لمجرد سد رمق الفقراء من السادة الهاشميين وغيرهم، وإنما لأجل تشكيل حكومة، وتأمين المصارف الضرورية لدولة كبيرة، مثلاً: الخمس أحد الموارد الضخمة التي تصب في بيت المال، ويشكل أحد مصادر الميزانية، وبحسب مذهبنا يؤخذ الخمس بشكل عادل من جميع المصالح، سواء الزراعة أو التجارة، أو المصادر المخزونة في جوف الأرض، أو الموجودة فوقها، وبشكل عام من جميع المنافع والعوائد بنحو يشمل الجميع من بائع الخضار على باب المسجد، إلى العامل في السفن، أو من يستخرج المعادن. فهؤلاء عليهم دفع الخمس من أرباحهم بعد صرف المصارف المتعارفة إلى الحاكم الإسلامي لكي يضعه في بيت المال. ومن البديهي أن مورداً بهذه العظمة إنما هو لأجل إدارة بلد إسلامي، وسد جميع حاجاته المالية. فعندما نحسب خمس أرباح البلاد الإسلامية، أو جميع انحاء الدنيا ـ فيما لو صارت تحت الحكم الإسلامي ـ يتضح لنا أن الهدف في وضع ضريبة كهذه ليس مجرد سد حاجة السادة الهاشميين وعلماء الدين، بل ان القضية أهم من ذلك. فالهدف هو سد الحاجة المالية لجهاز حكومي كبير. ففيما لو قامت الحكومة الإسلامية فيجب أن تدار بواسطة هذه الضرائب) [2]

ومن الأمثلة على ذلك ـ كما يعبر الخميني ـ (أحكام الدفاع الوطني)، وهي (الأحكام التي تتعلق بحفظ نظام الإسلام والدفاع عن جميع أراضي الأمة الإسلامية واستقلالها، وهي تدل على لزوم

---

(2) أصول الكافي، ج1، ص76ـ80.

(1) أصول الكافي، ج1، ص76ـ80.

(2) الحكومة الإسلامية، ص28.

تشكيل الحكومة، فمثلاً هذا الحكم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، والذي هو أمر بالاستعداد وحشد ما أمكن من القوى المسلحة المدافعة بشكل عام، وأمر بالتهيؤ والمراقبة الدائمة في فترة الصلح والهدوء، لو عمل المسلمون بهذا الحكم، وقاموا بالحشد الواسع من خلال تشكيل حكومة إسلامية، وكانوا في حالة استعداد قتالي كامل، لما تجرأت حفنة من اليهود على احتلال أرضنا وتخريب المسجد الأقصى وحرقه، دون أن يتمكن الشعب من القيام برد فعل فوري. فكل هذا نتيجة عدم قيام المسلمين بتنفيذ حكم الله، وتشكيل الحكومة الصالحة والمطلوبة. ولو كان حكام البلاد الإسلامية ممثلين للشعب المؤمن ومنفذين للأحكام الإسلامية، لوضعوا الخلافات الصغيرة جانباً، وتخلوا عن التفرقة والتخريب، وصاروا يداً واحدة فعندها ما كانت حفنة من اليهود الاشقياء العملاء لأمريكا وانكلترا والأجانب لتستطيع القيام بهذه الاعمال حتى ولو كانت أمريكا وانكلترا داعمتين لها)[1]

وهكذا نرى الأمثلة الكثيرة في كتب قادة الثورة الإسلامية، والتي تبين شمول الشريعة لكل مجالات الحياة، وهو ما يستدعي توفر الحكومة التي تطبق تلك الأحكام بحروفها ومقاصدها.

ثانيا ـ التأصيل الشرعي لولاية الفقيه:

كل ما ذكرناه سابقا من التأصيلات المرتبطة بالحاكمية متفق عليها بين المسلمين جميعا، ما عدا أولئك المتنورين الذين ينادون بالعلمانية، أو يؤمنون بالحداثة، أو يتصورون أن الإسلام لا يختلف عن المسيحية في كونه مجرد علاقة بين العبد وربه، أو مجموعة قيم خلقية لا علاقة لها بالسياسة والاقتصاد وشؤون الحياة.

ولكن الخلاف الكبير بين هؤلاء الذين اتفقوا على شرعية الحكومة الإلهية يبدأ من علاقة الفقيه بهذه الحكومة، وهل هي قاصرة على الاستشارة، أو بعض الصلاحيات المحدودة، أو أن الفقيه هو عينه من تُوكل إليه مهام تطبيق الشريعة في الواقع،

[1] المرجع السابق، ص31.

وذلك عبر الصلاحيات الكبرى الـتي تعطى لـه؛ فتجعلـه على أعلى هرم السلطة في البلاد.

وربما يكون أقرب البيئات الإسلامية لتقبل إعطاء الفقيه هذه الصلاحيات التي بموجبها يصبح صاحب الكلمة النافذة في المجتمع هي البيئة الشيعية، بحكم علاقتها بالفقيه، والتي تتعدى الاستشارة إلى الولاية، فكل شيعي مكلف ـ على حسب فقه الشيعة ـ باتخـاذ مرجع حي يثق في علمـه وتقـواه وعدالتـه ليجعلـه واسـطة لتلقي أحكام الشريعة، كما يجعله واسطة لتبليغ الحقوق المختلفة، سواء كانت مالية أو غيرها.

وقد رأينا في الواقع العراقي كيـف اسـتطاعت فتـوى السـيد السيسـتاني على الـرغم من كونـه لم يتبـوأ منصـب ولايـة الفقيـه المطلقة، أن تجمع أكبر حشد من المتطوعين لمواجهة أكبر تنظيم إرهابي في التاريخ، وفي أقصر مدة.

وقد أشار المفكـر والإعلامي الكبـير فهمي هويـدي إلى تفـرد البيئـة الشـيعية بتقبـل مثـل هـذا النـوع من النظـام عنـد رده على رسالة أرسلها بعض العلماء الإيرانيين إلى الرئيس المصري حينهـا [محمد مرسي]، دعـوه فيهـا للاسـتفادة من التجربـة الإيرانيـة في هذا المجال، وتطبيق ولاية الفقيه في مصر، والتي أحـدثت حينهـا ـ كمـا يـذكر ــ فرقعـة في السـاحة السياسـية، بـل صـارت محلا للسخرية.

وقد كتب فهمي هويدي في ذلك مقـالا يحسـن ذكـر بعض مـا ورد فيه، باعتباره أكثر المفكرين والإعلاميين فهما للواقع الشيعي، والإيـراني خصوصـا، ولـه في ذلـك كتابـه المعـروف [إيـران من الـداخل]، ولسـت أدري هـل هـو في رده على تلـك الرسـالة كـان حزينا لعدم تمكن المصريين من تقبل مثل هذا النوع من الأنظمـة، أو أنه كان يرى مصر أرفع وأعظم من أن تقبل به.

يقول في بيان أسباب تفرد البيئة الشيعية بالقدرة على تقبـل الولاية المطلقة للفقيه: (ولايـة الفقيـه فكـرة مرتبطـة بخصوصـية المذهب الشيعي، ثم إنها ليست محل إجماع داخل المـذهب ذاتـه،

ولا نستطيع أن نستوعب الفكرة ما لم نضعها في سياقها التاريخي، ذلك أنه باستثناء الدولة الفاطمية التي استمرت نحو مائتي عام في مصر وتونس والشام (969 -1172م)، فإن الشيعة عاشوا على مر القرون بلا دولة يستظلون بها، فقام الفقيه بهذه المهمة، إذ صار هو المظلة التي تحمي وترعى أتباع المذهب، به يلوذون، وإليه يقدمون زكواتهم ويستفتونه فيما يستشكل عليهم، وتقليد المرجع الديني الحي واجب على المتدينين)[1]

ثم بين نوع الولاية التي كان يمارسها الفقيه في البيئة الشيعية؛ فقال: (ولكي يقوم المرجع بواجباته فإنه يوفر الخدمات للأتباع مما يحصله من مال الزكاة. وهذه الخدمات تتراوح بين مساعدة الفقراء وإنشاء المدارس والمعاهد والمستشفيات وبعثات الحج والابتعاث الدراسي إلى الخارج، وله معاونون يباشرون تلك الأنشطة لا يختلفون كثيرا في أدائهم لوظائفهم عن الوزراء المختصين، كما أن له وكلاء في مختلف الأقطار يتسلمون الزكوات ويتلقون استفسارات المقلدين، وهم أقرب إلى السفراء فيما يؤدونه من وظائف)

ثم ذكر عن نفسه كيف التقى ببعض أولئك المراجع، والأدوار التي كانوا يمارسونها في مجتمعاتهم؛ فقال: (لقد أتيح لي أن ألتقي بعضا من المراجع العظام في مدينة قم حين كنت أعد كتابي [إيران من الداخل]، الذي صدرت طبعته الأولى في عام 1987، ووجدت أنهم أقاموا ممالك مصغرة لا تختلف كثيرا عن الإمارات التي انتشرت في أوروبا العصور الوسطى، وأشرت في ثنايا الكتاب إلى أن الدور الذي يقومون به وفر لأتباع المذهب الغطاء الذي كانوا بحاجة إليه في غياب الدولة، وأن قيام المراجع بذلك الدور كان حلا عبقريا للحفاظ على المذهب، خصوصا في ظل المخاطر التي كانت تتهدده جراء ضغوط مجتمعات أهل السنة المحيطة به، التي تحولت إلى صراع وحروب بين الدولتين العثمانية السنية والصفوية الشيعية، استمرت ستة عشر عاما فيما

[1] انظر مقالا بعنوان: ولاية الفقيه لا تلزمنا، فهمي هويدي، جريدة الوطن الالكترونية، بتاريخ 19/2/2013 م..

بين سنتي 1623 و1639)[1]

وقد كان لذلك كله دوره الكبير في تقديس الشيعة لمراجعهم، وخضوعهم لهم، وقبولهم بولايتهم، يقول فهمي هويدي: (هذه الخلفية حفرت للفقيه دورا عميقا ومهما في المجتمعات الشيعية، أحسب أنه يتجاوز بكثير دور الفقيه في مجتمعات أهل السنة، وهذا الدور كان بمثابة التربة التي نمت فيها فكرة ولاية الفقيه عند الشيعة، ذلك أنه إذا كان في غيبة الدولة يقوم الفقيه بكل هذه الرعاية لصالح مقلديه، فإن تأصيل هذه الفكرة من الناحية الشرعية من خلال ولاية الفقيه يغدو تطورا منطقيا ومفهوما) [2]

وعلى خلاف هذا ـ كما يذكر فهمي هويدي ـ ما جرى عليه العمل في البيئة السنية، وموقفها من علمائها؛ فقد قال في خاتمة مقاله عن اختلاف البيئتين: (لأنه لا مكان للإمامة في الفكر السياسي لدى أهل السنة، فلا محل للحديث عن نائب الإمام أو عن مراتب الفقهاء الذين يتميزون بعلمهم، فضلا عن أن الفقهاء عند أهل السنة ليسوا خريجي المعاهد الدينية فقط، وإنما هم كل من حسن إسلامه وتبحر في أي فرع من فروع المعرفة الإنسانية.. وقد درج العمل في مجتمعات أهل السنة على الفصل بين المؤسسة الدينية والدولة، وثمة كتابات عدة تعرضت لهذه المسألة وشاركت في صياغة وضبط العلاقة بين الفقيه والسلطان. وظل الاتجاه الغالب ينحو نحو التمييز بينهما. والتمييز غير الفصل الذي يدعو إليه البعض، وإنما هو أقرب إلى تنوع الاختصاص واحترام حدوده) [3]

وبناء على هذا يذكر فهمي هويدي أن [ولاية الفقيه]، ليست

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

كما يزعم بعض السنة والشيعة من أنها بدعة ابتدعها الخميني، وخالف بها أصول مذهبه، وإنما هي فكرة قديمة، مورست في الواقع، ولم يكن دور الخميني إلا زيادة تأصيل لها، وتحويلها من مجرد ولاية ترتبط ببيئة محدودة إلى نظام سياسي يشكل دولة كاملة، بل يطمح إلى الوصول إلى جميع بلاد العالم الإسلامي، لتخضع جميعا تحت سلطة الولي الفقيه.

وما ذكره فهمي هويدي في هذا الجانب ليس استنقاصا من دور الخميني في الدعوة لهذا النظام، أو التأصيل له، ذلك أن الخميني نفسه أشار إلى هذا، وتحدث عنه كثيرا، حتى يرد على تلك الشبه التي يوردها المخالفون له من المدرسة الشيعية.

ومن أمثلة ذلك قوله في كتابه [الحكومة الإسلامية]: (إن موضوع ولاية الفقيه ليس موضوعاً جديداً جئنا به نحن، بل إن هذه المسألة وقعت محلاً للبحث منذ البداية. فحكم المرحوم الشيرازي [1] في حرمة التنباك كان واجباً اتباعه، حتى من الفقهاء الآخرين أيضاً. وقد اتبع ذلك الحكم جميع علماء ايران الكبار ماعدا بضعة أشخاص، وهو لم يكن حكماً قضائياً في خلاف بين بعض الأشخاص، بل كان حكماً ولائياً (حكومياً) أصدره (رحمه الله) بالعنوان الثانوي[2] مراعاة لمصالح المسلمين. وكان الحكم مستمراً مادام العنوان موجوداً. وبزوال العنوان ارتفع الحكم)[3]

وضرب له مثالا آخر بـ (المرحوم الميرزا محمد تقي

---

[1] ()) الميرزا حسن (أو محمد حسن) بن محمود الحسيني الشيرازي (1230 ـ 1312هـ ق) فقيه اصولي، ورئيس الامامية في عصره. انتخب بعد وفاة الشيخ الانصاري مرجعا للشيعة. وقصة التنباك المعروفة التي حصلت سنة وفاته وأدت إلى ترك استعمال التبغ من قبل ملايين الايرانيين، مما سبب إلغاء الاتفاقية مع الانكليز، كانت نموذجاً واضحاً عن قدرته الدينية وبصيرته السياسية.

[2] () العناوين التي يتعلق بها الحكم الشرعي لها نحوان: الأول لا يكون العنوان أو الموضوع مقيدا بقيد كالاضطرار مثلا، ففي هذه الصورة يسمى الحكم المجعول لها بالحكم الأولي، والنحو الثاني يكون العنوان أو الموضوع مقيدا بقيد كالحرج والاضطرار والاكراه والضرر والفساد، ففي هذه الصورة يسمى الحكم المتعلق بها بالحكم الثانوي..

[3] () الحكومة الإسلامية، ص119.

الشيرازي[1] الذي حكم بالجهاد ـ وكان ذلك بصفة دفاع بالطبع ـ فقد اتبعه بقية العلماء، لأنه كان حكماً ولائياً (حكومياً)[2]

ومنهم ـ كما يذكر الخميني ــ (المرحوم النراقي الذي يرى ثبوت جميع شؤون رسول الله ﷺ للفقهاء، والمرحوم النائيني أيضاً يقول أن هذا المطلب يستفاد من مقبولة عمر بن حنظلة)[3]

وقد عقب على هذه الأمثلة، ببيان الجديد الذي جاء به؛ فقال: (وعلي أية حال هذا البحث ليس جديداً، وإنما قمنا نحن بالبحث حوله أكثر فحسب، ووضعنا تشعبات المطلب المذكور في متناول السادة لتتضح المسألة أكثر، كما قمنا تبعاً لأمر الله تعالى في كتابه، وبلسان نبيه ﷺ ببيان بعض الأمور المبتلى بها هذه الأيام. وإلاَّ فإن المطلب هو نفس ما فهمه الكثيرون وذكروه) [4]

ثم طلب من الفقهاء بعده أن يتولوا البحث المفصل في كيفية تطبيق هذه الولاية وتنظيمها، فقال: (لقد قمنا بطرح أصل الموضوع، وعلى هذا الجيل والاجيال القادمة أن تبحث وتفكر في ذيوله وتشعباته، وأن تجد السبيل إلى تحقيقه، ليطردوا عن أنفسهم التراخي والضعف واليأس، وسوف يتوصلون إن شاء الله إلى كيفية التشكيل، وسائر الفروع من خلال التشاور وتبادل وجهات النظر، ويضعون مسؤوليات الحكومة الإسلامية بيد خبراء أمناء عقلاء من أهل الإيمان والعقيدة، ويقطعون أيدي الخونة عن الحكومة والوطن وبيت مال المسلمين ليتيقنوا أن الله القدير

[1] () الميرزا محمد تقي بن محب علي الشيرازي الحائري (1338 هـ ق) بعد اكمال دراسة المقدمات سافر إلى سامراء، وحضر درس الميرزا الشيرازي (الكبير) وصار معدودا من أفضل طلابه، ونال مقام المرجعية بعد الميرزا في سامراء، وبعد السيد محمد كاظم اليزدي تولى رئاسة الشيعة.. وأعلن الجهاد بفتواه المشهورة في العراق، ودعا الشعب إلى مواجهة الانكليز الذين دخلوا إلى العراق.

[2] () الحكومة الإسلامية، ص119.

[3] () المرجع السابق، ص119.

[4] () المرجع السابق، ص119.

معهم) [1]

وقد ذكر فهمي هويدي أمثلة أخرى لم يذكرها الخميني؛ فقال: (يذهب بعض الباحثين في لبنان إلى أن فكرة ولاية الفقيه أطلقها أحد المجتهدين الكبار بين علماء الشيعة، هو الشيخ محمد بن مكي الجزيني الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي. وهو من قرية جزين في جبل عامل. وقد ألف كتابا كان عنوانه [اللمعة الدمشقية]، وفيه ذكر لأول مرة عبارة نائب الإمام، التي ذاع أمرها فيما بعد واعتبرت أساسا لقيام الفقيه أو المرجع بالدور الذي يتعين أن يقوم به الإمام الغائب في القيام بأمر الأتباع. وقيل في هذا الصدد: (إن التشيع أفلح على يد محمد بن مكي الجزيني في ملء فراغ السلطة، الذي استمر فترة تزيد على أربعة قرون، أي منذ الانتهاء العملي لفترة الإمامة)، أي منذ اختفاء آخر أئمة آل البيت)[2]

ومن الأمثلة التي ذكرها: (الشيخ أحمد النراقي الذي ينسب إلى قرية نراق بمحافظة كاشان في إيران (توفي سنة 1820م). وقد خصص الشيخ النراقي فصلا في كتاب أصدره بعنوان [عوائد الإمام]، كان عنوانه [ولاية الفقيه]، وسواء كان الرجل قد استقى العنوان من فكرة نائب الإمام التي صكها الشيخ الجزيني أم لا، فالثابت في الأدبيات الإيرانية أن الشيخ النراقي هو صاحب الفكرة، وأن آية الله الخميني تأثر بها ودعا إليها في مشروعه الذي جسده في كتابه عن [الحكومة الإسلامية]، وجمعت فيه محاضراته التي ألقاها على الدارسين في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف (العراق) خلال ستينيات القرن الماضي)[3]

وقد ذكر فهمي هويدي ردود فعل بعض الفقهاء والمراجع،

1() المرجع السابق، ص120.

2() انظر المقال السابق: ولاية الفقيه لا تلزمنا، فهمي هويدي.

3() المرجع السابق.

وما قابلوا به تلك التأصيلات التي أصل بها الخميني لولاية الفقيه، والتعرف عليها مهم جدا لفهم سر ذلك الانفعال والألم الذي كان يبدو عليه الخميني، وهو يحاول أن يطرح ولاية الفقيه.

يقول فهمي هويدي: (وفي حين رحب بها البعض فإن آخرين رفضوها. وفي المقدمة من هؤلاء السيد أبو القاسم الخوئي (المتوفى سنة 1992) الذي كان مرجع زمانه ويتربع على رأس الحوزة العلمية في مدينة النجف بالعراق وقد أصدر رسالة انتقد فيها رأى الإمام الخميني كانت بعنوان [أساس الحكومة الإسلامية]، أيده في ذلك المراجع الكبار في مدينة قم بإيران. وكان ذلك الموقف هو السبب الأساسي الذي دعا الإمام الخميني لأن يفضل الإقامة في طهران بدلا من قم، بعد نجاح الثورة وعودته إلى وطنه من منفاه بباريس، وكان لذلك التحفظ صداه في أوساط شيعة لبنان، فأصدر الدكتور محمد جواد مغنية، وهو من فقهائهم، كتابا بعنوان [الخميني والدولة الإسلامية]، فند فيه رأي الخميني ورفض فكرة الولاية المطلقة للمرجع. وأيده في هذا الموقف رئيس المجلس الشيعي الأعلى الإمام محمد مهدي شمس الدين (المتوفى سنة 2001)، وقد سمعت منه حديثا مطولا في المسألة انحاز فيه إلى فكرة ولاية الأمة ورفض ولاية الفقيه)[1]

وقد رد الخميني على هؤلاء جميعا ردا مفصلا في كتابه [الحكومة الإسلامية]، أو عبر بياناته وخطبه المختلفة، بل إن الأمر وصل به إلى اعتبار ولاية الفقيه قضية بديهية لا تحتاج لوضوحها لأي براهين، حيث يقول في مقدمة كتابه [الحكومة الإسلامية]: (وولاية الفقيه من المواضيع التي يوجب تصورها التصديق بها، فهي لا تحتاج لأية برهنة. وذلك بمعنى أن كل من أدرك العقائد والأحكام الإسلامية ـ ولو إجمالاً ـ وبمجرد أن يصل إلى ولاية الفقيه ويتصورها فسيصدق بها فوراً، وسيجدها ضرورة وبديهية)[2]

---

(1) المرجع السابق.

(2) الحكومة الإسلامية، ص7.

وبين الأسباب الداخلية والخارجية التي حولتها من قضية بديهية إلى قضية تحتاج إلى البراهين والأدلة؛ فقال: (والسبب في عدم وجود أدنى التفات لولاية الفقيه وفي أنها صارت بحاجة للاستدلال هو الأوضاع الاجتماعية للمسلمين بشكل عام والحوزات العلمية بشكل خاص، وهناك أسباب تاريخية لأوضاعنا الاجتماعية نحن المسلمين، ولأوضاع الحوزات العلمية نقوم بالاشارة اليها، لقد ابتليت النهضة الإسلامية منذ انطلاقتها باليهود، فهم الذين شرعوا أولاً بالدعاية ضد الإسلام وبالدسائس الفكرية بنحو ـ وكما تلاحظون ـ وصل مداه إلى أيامنا هذه. ووصل الدور بعدهم إلى طوائف هم ـ بمعنى من المعاني ـ أكثر شيطنة من اليهود، وهؤلاء استطاعوا الوصول إلى البلاد الإسلامية على شكل استعمار منذ ثلاثة قرون أو أكثر وقد رأوا أنه من اللازم لكي يصلوا إلى مطامعهم الاستعمارية أن يهيئوا الأرضية للقضاء على الإسلام. ولم يكن هدفهم ابعاد الناس عن الإسلام لتقوية النصرانية، لأن هؤلاء لا يعتقدون بالنصرانية ولا بالإسلام، لكنهم ــ وطوال هذه المدة وأثناء الحروب الصليبية شعروا ان الذي يقف سداً أمام مصالحهم المادية، ويعرّض مصالحهم المادية وقواهم السياسية للخطر هو الإسلام وأحكامه وإيمان الناس به، فقاموا بالدعاية والدس ضد الإسلام بمختلف الوسائل. وقد تعاضد في العمل على تحريف حقائق الإسلام رجال الدين الذين أوجدوهم في الحوزات العلمية، والعملاء الذين كانوا يعملون لهم في الجامعات والمؤسسات الاعلامية الحكومية أو مراكز النشر، والمستشرقين الذي هم في خدمة الدول الاستعمارية، فهؤلاء جميعاً تكاتفوا في ذلك بنحو صار فيه الكثير من الناس والمثقفين في حالة من الضياع والانحراف عن الصواب تجاه الإسلام)[3]

وهو يتعجب من الذين يريدون من الفقهاء اعتزال السياسة وتركها باعتبارها من الدنيا؛ فيقول: (لقد غرسوا في أذهانكم من البداية أنّ السياسة تعني الكذب وما شابه ذلك من المعاني، لكي يبعدوكم عن أمور البلاد، بينما يتصرفون هم كما يريدون. وأنتم عليكم بالدعاء أيضاً، عليكم بالجلوس هنا والدعاء بـ (خلد الله

---

(3) المرجع السابق، ص8.

ملكه(بينما هم يفعلون ما يحلو لهم، ويرتكبون القبائح التي يريدون. بالطبع فهم لا يمتلكون هذه الدرجة من الفهم ـ ولله الحمد ـ لكن أساتذتهم وخبراءهم هم الذين وضعوا هذه الخطط. وضعها الاستعمار الانكليزي الذي دخل بلاد الشرق منذ ثلاثة قرون، وتعرّف إلى جميع أمور هذه البلاد)[1]

ويذكر عن نفسه بعد خروجه من السجن، وكيف راحوا يستعملون الوسائل المختلفة لإقناعه بالابتعاد عن السياسة، والاكتفاء بالتدريس والمرجعية العلمية؛ فقال: (كتبوا في الجرائد بتاريخ 4/8/1963م حين أخرجوني من السجن ما يُفهم منه أن علماء الدين لن يتدخلوا في السياسة. وأنا الآن أُبيّن لكم حقيقة الأمر. لقد جاءني أحدهم ولا أريد ذكر اسمه، وقال لي: أيّها السيد إن السياسة كذب وخداع وغش ونفاق، والخلاصة أنها بلاء ولعنة فدعوا ذلك لنا نحن. وبما أن الظرف لم يسمح فلم أشأ مناقشته، فقلت له: نحن منذ البداية لم نتدخل في هذه السياسة التي تتكلم عنها. والآن حيث أن الظرف يستلزم ذلك، فإني أقول: إنّ هذا ليس من الإسلام في شيء. والله إن الإسلام كله سياسة. لقد بيّنوا الإسلام بشكل غير سليم. إنّ سياسة المدن تنبع من الإسلام. إنني لست من أولئك الملالي (رجال الدين) الذين يكتفون بالجلوس هنا والتسبيح. أنا لست [البابا] لكي أكتفي بتأدية بعض المراسم يوم الأحد، وأنصرف بقية الأوقات إلى شأني، دون التدخل في الأمور الأخرى) [2]

بعد هذا التمهيد الذي رأينا ضرورته، سنسوق هنا باختصار ما ذكره الخميني وغيره من قادة الثورة الإسلامية ومراجعها من براهين على ولاية الفقيه، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين: أدلة عقلية كلامية، وأدلة نصية روائية.

1 ـ الأدلة العقلية والكلامية على ولاية الفقيه:

---

[1] المرجع السابق، ص136.

[2] الكوثر في خطابات الإمام الخميني، ج1، ص104 ـ 105. يوم الجمعة 10/4/1964م ضمن خطبة له في بيته.

بمـا أن المدرسـتين السـنية والشـيعية تختلفـان في النظـر للإمامة، وهـل هي من أصـول الـدين أم من فروعـه، فـإن الخلاف أيضا امتد إلى مسألة [الحكومة الإلهية]، باعتبارها امتدادا للإمامـة، أو نيابة عنها، أو تمثيلا لها، وسرى الخلاف أيضا إلى [ولاية الفقيـه] باعتبارها تطبيقا من تطبيقات الحكومة الإلهية.

وقد أشار الخميني إلى هذا البعد الكلامي في [ولاية الفقيـه]؛ فقــال: (حفــظ النظــام من الواجبــات الأكيــدة، واختلال أُمــور المسلمين من الأُمور المبغوضة، ولا يقـوم ذا ولا يُسـدّ عن هـذا إلّا بوالٍ وحكومة. مضافاً إلى أنّ حفظ ثغور المسـلمين عن التهـاجم، وبلادهم من غلبة المعتدين واجب عقلاً وشـرعاً، ولا يمكن ذلـك إلّا بتشكيل الحكومة. وكلّ ذلك من أوضح ما يحتاج إليـه المسـلمون، ولا يعقل ترك ذلك من الحكيم الصَّانع. فما هو دليل الإمامة، بعينـه دليل على لزوم الحكومـة بعـد غيبـة وليّ الأمـر عجـل اللـه تعـالى فرجه الشريف... فهل يعقل من حكمة الباري الحكيم إهمال الملَّة الإسـلاميَّة وعـدم تعـيين تكليـف لهم؟ أو رضـى الحكيم بـالهرج والمرج واختلال النظام؟)[1]

وأشار إليه من المعاصرين الفيلسوف والمفسـر الكبـير عبـد الله جوادي آملي بقوله: (البحث الكلاميّ بشأن ولايـة الفقيـه، هـو أنّ الله عالم بجميع ذرَّات العالم ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ﴾، فهـو يعلم أنّ للمعصومين من أوليائه حضوراً وظهوراً خلال مدَّة معيّنـة، وسيغيب خاتم أوليائه مدّة مديدة، فهل أمر بشيء زمان الغيبة، أم ترك الأُمّة لحالها؟ وإن أمر بشيء، فهل ذلـك الأمـر نصـب الفقيـه الجامع شرائط الولاية وضرورة رجوع الناس إلى هذا الوليّ أم لا؟ إنّ موضوعا هكذا مسألة هو [فعل الله]، وبناءً عليه فالبرهان الّذي يثبت ولاية الفقيه مرتبط بعلم الكلام)[2]

بناء على هذا اعتمد المنظرون لولاية الفقيه على نـوعين من الأدلة: أدلة عقلية يُعتمد عليهـا عـادة في علم الكلام، وأدلـة نصـية

[1] البيع، الإمام الخميني: 461 و462.

[2] ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام، عبد الله جوادي آملي: 143.

تستعمل عادة في الفقه.

ونحب أن نزيل هنا الإشكال المرتبط بربط المسألة بعلم الكلام والعقيدة، وأن ذلك لا يعني تكفير المخالف، وإنما يعني أهمية المسألة، وضرورتها، وكونها لا ترتبط بأفعال المكلفين فقط، وإنما ترتبط أيضا بالعدالة الإلهية، ذلك أن الله الحكيم ـ كما ينص القائلون بولاية الفقيه ـ يستحيل عليه أن يترك خلقه للملوك والمستبدين، دون أن ينصب لهم أئمة، أو دون أن يشرع لهم الشرائع التي تنوب عن الأئمة في حال فقدهم.

وقد عبر عن هذا المعنى بعضهم؛ فقال: (إنّ المباحث الكلاميَّة لا تتَّصف بالدرجة نفسها من الأهمِّيَّة، فبعض المباحث الكلاميَّة جزء من مباحث أُصول الدِّين، مثل مبحث النبوّة والمعاد، أمّا مبحث الإمامة فهو بحث من أُصول المذهب. والمعاد من أُصول الدِّين. وجزئيَّات تلك المسألة وتفصيلاتها، رغم كونها كلاميَّة، ليست بأهمِّيَّة أصل المعاد. وبناءً على ذلك، فولاية الفقيه والحكومة في عصر الغيبة، رغم كونها مسألة كلاميَّة، هي أقلُّ مرتبة من مسألة الإمامة. ومن هنا، فهي ليست من أُصول المذهب)[1]

ونحب أن نشير هنا أيضا إلى أن ربط المسألة بالعقيدة وعلم الكلام ليست بدعة ابتدعها الخميني أو غيره من القائلين بولاية الفقيه، بل نجد هذا المعنى موجودا لدى قادة الحركات الإسلامية، وخصوصا سيد قطب، والذي اعتبر [الحكومة الإلهية] قضية عقدية، وليست مجرد فروع فقهية، بناء على ما ورد في النصوص من بيان خطورة التخلي عن حكم الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]

بل إننا نجد المدرسة السلفية نفسها، والتي تنكر إنكارا شديدا على ولاية الفقيه، تضع في مسائل العقيدة قضايا فرعية جدا، هي أدنى بكثير منها، من أمثال المسح على الخفين، وتبرر ذلك بما ذكره ابن جبرين في شرحه على الطحاوية بقوله: (مرت

---

[1] () الحكومة الإسلامية: دروس في الفكر السياسي الإسلامي، مركز نون، ص182.

بنا مسألة فرعية، وذكرنا أنها أدخلت في الأصول لأجل أن الخلاف فيها مع المخالفين في الأصول، وهي مسألة المسح على الخفين، وذلك لأن الرافضة أنكروا المسح على الخفين، وصاروا يمسحون على القدمين مكشوفتين، فتركوا سنة وارتكبوا بدعة، ولما كانوا مخالفين في العقيدة.. فقد ترتب على ذلك المخالفة في المسح على الخفين، فذكرت في العقائد)[1]

بل إن الأمر بلغ بالسلفية ما هو أخطر من ذلك حيث أدخلوا فروعا فقهية كثيرة مثل التوسل والاستغاثة وزيارة الأضرحة في أبواب العقائد، بل جعلوها من أصول العقائد، وكفروا على أساسها المخالفين، باعتبارهم وقعوا في الشرك الجلي.

وحتى لا نتيه في الخلاف في المسألة، لأنها في كلا الحالتين ـ عند القائلين بولاية الفقيه ـ لا علاقة لها بالكفر والإيمان، وإنما علاقتها بمدى أهمية المسألة، ذلك أنها عندما ترتبط بالعقيدة يكون الاهتمام بها أعظم من كونها مجرد فرع من الفروع الفقهية التي وقع فيها الخلاف.

وقد أشار إلى هذا الشيخ عبد الله جوادي آملي عندما ذكر أن الخميني استفاد من التدرّج الذي حصل سابقاً في علاقة الفقيه بالأمة، والتي ابتدأت بعلاقة المحدِّث بالمستمع، ثم تطورت إلى علاقة مرجع التقليد بالمقلدين إلى أن بدت تتضح معالم ولاية الفقيه في الأبحاث العلمية، ويذكر أن الخميني قام بإنجاز عظيم حين أخرج بحث ولاية الفقيه من دائرة الفقه إلى موقعه الأصلي في علم الكلام، وأن لذلك تأثيره الكبير في نجاح الثورة الإسلامية، ذلك أن عموم الناس يهتمون للعقائد أكثر من اهتمامهم للفروع الفقهية، وخاصة إذا وقع الخلاف فيها.

ونحب أن ننبه هنا أيضا إلى أن ربط المسألة بعلم الكلام لا يعني إعطاء الفقيه منزلة فوق منزلته، ذلك أن دور الفقيه لا يعدو النيابة عن الرسول ﷺ والأئمة في تنفيذ الأحكام الشرعية، كما نبه إلى ذلك الخميني بقوله: (عندما نثبت نفس الولاية التي كانت

[1] شرح الطحاوية لابن جبرين (57/ 3)

للرسول ﷺ والائمة للفقيه في عصر الغيبة، فلا يتوهمن أحد أن مقام الفقهاء نفس مقام الأئمة والنبي ﷺ، لأن كلامنا هنا ليس عن المقام والمرتبة، وإنما عن الوظيفة، فالولاية ـ أي الحكومة وادارة البلاد وتنفيذ أحكام الشرع المقدس ــ هي وظيفة كبيرة ومهمة، لكنها لا تحدث للانسان مقاماً وشأناً غير عادي، أو ترفعه عن مستوى الانسان العادي. وبعبارة اخرى فالولاية ــ التي هي محل البحث، أي الحكومة والادارة والتنفيذ ـ ليست امتيازاً، خلافا لما يتصوره الكثيرون، وانما هي وظيفة خطيرة)[1]

ثم وضح مرتبة ولاية الفقيه، وعلاقتها بالنبوة والإمامة؛ فقال: (ولاية الفقيه من الأمور الاعتبارية العقلائية وليس لها واقع سوى الجعل، وذلك كجعل القيم للصغار، فالقيم على الامة لا يختلف عن القيم على الصغار من ناحية الوظيفة والدور. وكأن الإمام قد عين شخصاً لأجل حضانة الحكومة أو منصب من المناصب. ففي هذه الموارد لا يعقل أن يكون هناك فرق بين الرسول الأكرم ﷺ والإمام والفقيه)[2]

ولهذا يعبر عن الولي الفقيه بكونه نائبا للإمام، أو خليفة له، أو ممثلا في الأمة عنه، وهو ما يعطيه مكانة اجتماعية مهمة تجعل لأوامره من القداسة والأهمية ما ليس لغيرها، ومع ذلك لا ترقى به إلى مرتبة النبوة والإمامة.

بناء على هذا استعمل القائلون بولاية الفقيه، وخصوصا الخميني، الكثير من الأدلة العقلية لإقناع المخالفين، أو جماهير الناس، وأولها البداهة العقلية التي تبدو من خلال الإجابة على أمثال هذه التساؤلات: (هل يجوز تصدّي الفقيه للشؤون الاجتماعيَّة والأُمور العامَّة للمسلمين أو لا؟ وهل يجب على المسلمين طاعة أوامر الفقيه ونواهيه في الأُمور الاجتماعيَّة والسياسيَّة؟ وهل تجب عليهم مساعدة الفقيه العادل في ممارسة الولاية على أُمور المسلمين العامَّة؟ وهل يجوز للمسلمين أن

[1] الحكومة الإسلامية، ص47.

[2] المرجع السابق، ص48.

يسلّطوا على أمورهم غير الفقيه العادل؟ وهل تجب طاعة أحكام الوليّ الفقيه من قبل سائر الفقهاء؟)[1]

فالإجابة البديهية على هذه التساؤلات هي أن الحكومة الإلهية تقتضي علما واسعا بالشريعة، وكيفية تنفيذها، ذلك أنه لا يمكن أن ينفذ الشريعة من لم يحط علما بفروعها وأصولها.

وذلك يقتضي أن يكون لذلك العالم الفقيه الكثير من السلطات التي تتيح له ذلك التطبيق، وكلما كانت السلطات أكثر كان التطبيق أفضل، وأحق باسم الشريعة.

فلو أن دور الفقيه لم يتعد الاستشارة، ولم يكن له دور التنفيذ، لم يتمكن من تنفيذ الكثير من أحكام الشريعة، ولذلك ستعطل باعتبار أنه لم يُستشر فيها، أو لم يكن له رأي حتى يدليه نحوها.

لكن إن كان للفقيه كل السلطات، بحيث يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويخطط للدولة ومستقبلها في جميع المجالات بناء على علمه بأحكام الشريعة؛ فإن تطبيق الشريعة حينها سيكون في أوج كماله الممكن، وخاصة إن استعان بالمستشارين من الفقهاء وغيرهم، وفي المجالات المختلفة، وخاصة إذا علمنا أن مصطلح [الفقيه] الذي ترتبط به الولاية، لا يعني فقط العلم بالأحكام الشرعية، وإنما يعني علوما كثيرة سنتطرق لها عند الحديث عن الجانب التطبيقي من ولاية الفقيه.

ونحب أن نذكر هنا باختصار بعض النماذج عن الأدلة العقلية التي استند إليها القائلون بولاية الفقيه، وهي كما يلي[2]:

النموذج الأول:

---

[1] انظر: الحكومة الإسلامية: دروس في الفكر السياسي الإسلامي، مركز نون، ص 179.

[2] انظر في تقريرات هذه الأدلة: ولاية الفقيه مفهوماً ودليلاً ، السيد أبو الحسن الموسوي الغريفي، مركز الصدرين للدراسات السياسية، و الحكومة الإسلامية: دروس في الفكر السياسي الإسلامي، مركز نون.

وينص على أن علة بعث الأنبياء والأئمة موجودة في نصب الولي؛ فالمتكلمون ذكروا أن الله تعالى رحمة بعباده نصب لهم من يحفظ البلاد، وينظم أمور المعاش والمعاد، وأوجب ذلك على نفسه؛ فكما وجب النصب عقلاً بالنسبة إلى النبي والإمام وجب النصب عقلا بالنسبة إلى القائم مقامهم، وهو الولي الفقيه، أو كما عبر عن ذلك الخميني بقوله: (لا يعقل ترك ذلك من الحكيم الصانع، فما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر (عجّل الله فرجه) ولا سيما مع طول الأمد)[1]

وقد قرر بعضهم هذا الدليل عن طريق المقدمات التالية[2]:

1 ــ الإنسان كائن اجتماعيّ، ومن الطَّبيعيّ حدوث التَّنازع والاختلاف في كلّ مجتمع، ولذلك، فالمجتمع البشريّ بحاجة إلى التَّنظيم والانضباط.

2 ـ لا بدَّ من أن يضمن نظام الحياة الاجتماعيَّة البشريَّة كمال الإنسان وسعادته الفرديَّة والاجتماعيَّة.

3 ــ لا يتمُّ تنظيم الحياة الاجتماعيَّة، بما يجعلها خالية من النِّزاعات والاختلافات، وضامنة لسعادة الإنسان المعنويَّة والغائيَّة، إلّا من خلال القوانين المناسبة والمنفّذ الجدير.

4 ـ ليس للبشر قدرة على تنظيم الحياة الاجتماعيَّة المطلوبة من دون الله.

5 ــ لا بدَّ من أن يكون حامل القوانين الإلهيَّة وحافظها معصوماً لتصل إلى الإنسان بصورة كاملة، ومن دون نقص وتدخّل وتصرّف.

6 ـ تبيين الدِّين الكامل وإجراؤه يتطلّب نصب الوصيّ والإمام المعصوم.

1() كتاب البيع، الخميني ، ج2، ص460..

2() الحكومة الإسلامية: دروس في الفكر السياسي الإسلامي، مركز نون، ص212.

7 ـ لا يؤمّن الهدف المذكور ـ أي الحياة الاجتماعيَّة المطلوبة والمنسجمة مع القوانين الشَّرعيَّة ـ في حالة فقدان النبيّ والإمام المعصوم، إلّا من طريق القائد العالم بالوحي والعامل به.

وبناء على هذا؛ فالمقدّمة السادسة، في هذا البرهان، مقيدة بلزوم نصب الإمام، والمقدّمة السَّابعة تثبت ضرورة نصب القائد في زمان غيبة الإمام.

وقد عبر عن الصُّورة الحاصلة من اندماج مقدِّمتي هذا البرهان الشيخ جوادي آملي بقوله: (إنّ حياة الإنسان الاجتماعيَّة وكماله الفرديّ والمعنويّ تتطلّب، من جانب، قانوناً إلهيّاً في الأبعاد الفرديَّة والاجتماعيَّة، مصوناً ومحفوظاً من الضُّعف والنَّقص والخطأ والنسيان، وتحتاج، من جانب آخر، إلى حكومة دينيَّة وحاكم عالم وعادل لتحقُّق وإجراء ذلك القانون الكامل. والحياة الإنسانيَّة لا تتحقَّق، في بعدها الفرديّ والاجتماعيّ، بدونهما أو بأحدهما، وفقدانهما في البعد الاجتماعيّ يوجب الهرج والمرج وفساد المجتمع الّذي لا يقرّه أيّ شخص عاقل. وهذا البرهان الّذي هو دليل عقليّ، ولا يختصُّ بأرض وزمن معيَّنين، يشمل زمان الأنبياء عليهم السلام. ولما كانت نتيجته ضرورة النبوّة، فإنَّه يشمل، أيضاً، ما بعد نبوّة الرسول الخاتم ﷺ، ما يعني أنَّه يفضي إلى ضرورة الإمامة، وكذلك إلى عصر غيبة الإمام المعصوم وحاصله ضرورة ولاية الفقيه)[1]

النموذج الثاني:

وهو متكون من خمس مقدمات:

المقدمة الأولى: يلزم في كل مجتمع أن يكون فيه قانون وحكومة تحكمه، وإلا لساد الهرج والمرج، وهذا أمر وجداني مؤيد بالنصوص المقدسة، ومن أمثال قول الإمام علي في جواب الخوارج عندما سمع قولهم: (لا حكم إلا لله)، حيث قال: (كلمة حق يراد بها باطل، نعم، إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون: (لا

---

[1]() ولاية الفقيه: 151 و152..

إمرة إلا لله)، وإنه لا بد للناس من أمير براً كان أو فاجر..)[2]

المقدمة الثانية: أن المجتمع الإسلامي فيه قانون إلهي، يعتقد المسلمون بصحته وكماله، وهو يوجب العمل والحكم على طبقه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]

المقدمة الثالثة: قوانين كل بلد يلزم أن تكون منسجمة فيما بينها، وصادرة من منشأ واحد، حتى لا يحصل فيها التعارض والتزاحم والخلل، والأمر كذلك في قوانين الحكومة الإسلامية، حيث يجب أن تكون صادرة من اجتهاد فقهي واحد، أي جميع قوانين البلاد تكون مطابقة لفتوى فقيه معين، وهذه الوظيفة الأولى للولي الفقيه.

المقدمة الرابعة: في كل إدارة يلزم أن يكون المدير واحدا، ومركزه على رأس الهرم الإداري في إصدار الأوامر حتى لا يؤدي التعدد إلى حصول النزاع والتخاصم بين المدراء، ويؤدي إلى ضعف عملهم أو عدم انسجامه وتوحده في نظام عام، وكذلك الإدارة السياسية الإسلامية يلزم أن يكون الحاكم شخصا واحدا.

المقدمة الخامسة: اتخاذ القرار السياسي لابد أن يكون صادرا من شخص الحاكم بحسب تشخيصه للمشكلة الموجودة في الواقع الخارجي وعلمه بالقانون، فيحدد القرار المناسب لرفع المشكلة على وفق القانون، حاله حال الطبيب الذي يشخص المرض، ويعطي العلاج المناسب، ولا يمكن الفصل بين الطبيب المشخص للمرض وبين المعطي للعلاج، وكذلك الحال في الحاكم الإسلامي لابد أن يكون فقيها عالم بالقانون الإسلامي على نحو يستطيع أن يستنبط منه الحكم المناسب لمشكلة الواقع السياسي الخارجي، وهذه الوظيفة الثانية للولي الفقيه.

والنتيجة التي تدل عليها هذه المقدمات هي أن وظيفة الحاكم الإسلامي تتلخص في أمرين:

---

(2) نهج البلاغة / الخطبة 40.

التقنين: أي تقنين قوانين الحكومة الإسلامية واستنباطها من مصادرها الشرعية بحيث تكون جميع أحكام الدولة مطابقة لفتواه واجتهاده الشرعي الذي توصل أليه.

التطبيق: أي ممارسة السياسة بنفسه أو الإشراف عليها على نحو يطابق مبادئ الإسلام ويحول دون مخالفة أحكام الإسلام بحسب فتواه واجتهاده الشرعي الذي توصل إليه.

وهاتان الوظيفتان لا تمنعان من تفكيك القوى إلى السلطات الثلاثة، بحيث يكون دوره دور الإشراف، وصاحب القرار النهائي، وكل قرار سياسي يكون على طبق فتواه واجتهاده الشرعي الذي توصل إليه.

النموذج الثالث:

وهو دليل عقلي مركَّب، يتكوّن من بعض المقدِّمات الشَّرعيَّة، بالإضافة للأدلة العقلية، وقد ذكره العلامة الكبير السيد حسين البروجردي(1875-ـ 1961)، بالاستناد لهذه المقدِّمات العقليَّة والنقليَّة[1]:

1ـ يتصدّى الحاكم لتلبية الحاجات الّتي يتوقَّف عليها حفظ نظام المجتمع.

2ــ التفت الإسلام إلى هذه الحاجات، وشرّع لها الأحكام اللازمة، وطالب حاكم المسلمين بإجرائها.

3ـ كان قائد المسلمين وزعيمهم، في صدر الإسلام، رسول الله ﷺ، ومن بعده الأئمّة الأطهار، وكان من وظائفهم سياسة شؤون المجتمع وإدارتها.

4ـ القضايا السِّياسيَّة وإدارة شؤون المجتمع لا تقتصر على ذلك الزمان، فهي من حاجات المسلمين في العصور والدُّهور جميعها.

5 ـ لم يكن من السَّهل على المسلمين، الوصول إلى الأئمّة

[1] ولاية الفقيه: 167 و168..

في حياتهم، ولذلك، فإنّنـا نـوقن بـأنّهم نصّـبوا بعض الأفـراد لإدارة هذه الأُمور، ونحن لا نحتمل ـ في عصر الغيبة ـ أن يكون الأئمّة قد نهـوا عن الرُّجـوع إلى الطَّواغيت وأعـوانهم، وفي الـوقت نفسـه أهملوا السِّياسة، ولم ينصّبوا بعض الأفراد لتدبير الأُمور السِّياسيَّة، ورفع الخصومات وسائر المتطلّبات الاجتماعيَّة المهمَّة.

6ـ بالنَّظر إلى لزوم نصب الوليّ، من جانب الأئمّة، لا بــدَّ من إحراز تعيين الفقيه العادل لإحراز هذا المنصب، لأنّـه لا أحـد يعتقـد بنصب غير الفقيه لهذا المنصب، فليس هناك سوى احتمالين:

الأوّل: أنّ الأئمّة لم ينصّبوا أحداً، وإنّما نهوا عن الرُّجـوع إلى الطَّاغوت والسُّلطان الجائر فقط.

والثاني: إنّهم نصّبوا الفقيه العادل لهذه المسؤوليَّة.

ويتّضح من المقدمات الأربع السـابقة بطلان الاحتمـال الأوّل. وعليه، قطعاً، تم نصب الفقيه العادل.

النموذج الرابع:

وقــد قــرّره الشــيخ جــوادي آملي على حســب المقــدمات التالية[1]:

1.صـلاحيَّة الـدَّين الإسـلاميّ وديمومتـه إلى يـوم القيامـة من المسلّمات والواضحات.

2. تعطيل الإسلام، في عصر الغيبة، مخـالف لخلـود الإسـلام في جميع الشؤون العقديَّة والأخلاقيَّة والعمليَّة.

3. إقامة النِّظام الإسلاميّ وإجراء أحكامـه وحـدوده والـدفاع عن كيان الدِّين وحفظه من الطامعين أمورٌ لا يشكّ في ضرورتها.

4. الله تعالى بحكمته ولطفه بعباده لا يرضى بهتك الحرمـات الشَّرعيَّة وأعراض الناس وضلالهم وتعطيل الإسلام.

---

[1] ولاية الفقيه: 167 و168..

5. دراسة الأحكام السِّياسيَّة ــ الاجتماعيَّة للإسلام تفيد استحالة تحقّقها من دون زعامة الفقيه الجامع للشرائط.

وبناء على هذه المقدمات، فإن العقل يحكم، على هذا الأساس، أنّ الله تبارك وتعالى لم يترك الإسلام والمسلمين في عصر الغيبة من دون زعامة.

2 ـ الأدلة القرآنية والروائية على ولاية الفقيه:

من أكبر الأدلة على كون [ولاية الفقيه] مسألة من المسائل المطروحة قديما، وأنها ليست بدعة ابتدعها الخميني، ولا تصحيحا للتشيع، أو خروجا عنه، أو تأثرا بالمدرسة السنية، أو الحركات الإسلامية، كما يزعم بعض الباحثين من المدرسة السنية والشيعية، هو تلك النصوص القرآنية والروائية التي تتحدث عن السلطات التي يمكن أن يتولاها الفقيه، باعتباره واسطة بين الله وعباده في تعريف الأحكام الشرعية، وفي تولي تنفيذها.

وقد ذكر تلك النصوص أكثر الفقهاء القدامى[1]، حيث نجد الحديث عن مسائل ولاية الفقيه كفتاوى من غير إشارة الى دليل عند الشيخ المفيد (المتوفى 413هـ)، فقد صرح بها في المقنعة[2]، والطوسي في النهاية[3]، ومحمد بن إدريس الحلي في السرائر[4]، والمحقق الأردبيلي في مجمع الفائدة

[1] انظر: ولاية الفقيه مفهوماً ودليلاً ، السيد أبو الحسن الموسوي الغريفي، وقد استفدنا منه الاقتباسات التي ذكرت ولاية الفقيه في الكتب الفقهية.

[2] المقنعة: 675ـ 163ـ 811ـ 252ـ 270ـ 152ـ 442ـ 678ـ 721،774ـ 740 وغيرها.

[3] النهاية: 185، 192،700، 704، 706..

[4] السرائر، ج3، ص538 و539.

والبرهان[1]، والمحقق الأول في شرائع الإسلام[2]، وغيرهم.

كما نجدها مذكورة ـ مع الأدلة المختصرة ـ عند العلامة الحلي في المختلف والتذكرة، وباقي كتبه[3]، ونصير الدين الطوسي، والشهيد الأول في الدروس، والشهيد الثاني في المسالك واللمعة، كما نقل الإجماع عليها العديد من الفقهاء منهم المحقق الكركي في رسالة صلاة الجمعة[4]، وغيرهم.

كما نجدها ـ مع الدليل المفصل ـ عند الشيخ النراقي، الذي بحث فيها بحثا مفصلاً في عوائد الأيام[5]، ومثله المير عبد الفتاح المراغي في كتاب العناوين[6]، والسيد محمد آل بحر العلوم في كتاب بلغة الفقيه[7]، وصاحب المستند، وصاحب الجواهر الذي قال: (بل هو المشهور، بل لا أجد فيه خلافاً، ثم أخذ في الاستدلال بنصوص روايات كثيرة، وأخيراً قال: فمن الغريب وسوسة بعض الناس في ذلك، بل كأنه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً، ولا فهم من لحن قولهم ورموزهم ـ يقصد أئمة أهل البيت ـ أمراً)[8]، وختم

[1] مجمع الفائدة والبرهان: 12: 28..

[2] الحلي، جعفر بن حسن، شرائع الإسلام، مختلف الشيعة: 4:ـ 478. تذكرة الفقهاء، ج1، ص452.

[3] محمد علي المدرس، ج2، ص177. والرضوي، محمد تقي المدرس، أحوال وآثار خواجة نصير الدين الطوسي.

[4] رسائل المحقق الكركي (المجموعة الأولى): 142.

[5] عوائد الأيام: 536..

[6] العناوين 2: 557، العنوان 73، 74، 75.

[7] بلغة الفقيه. رسالة في الولايات.

[8] جواهر الكلام - ج21، ص394ـ397.

قوله هذا بقولـه: (هـذا حكم أسـاطين المـذهب)، والمـيرزا محمـد حسين النائيني في كتابه تنبيه الأمة وتنزيه الملة [1]، وغيرهم.

وفي الأخير تحولت إلى مرحلة التطبيق العملي، وما تبعه من التأصـيلات النظريـة، والتحقيقـات العلميـة المرتبطـة بهـا، والـتي حولتها إلى حقيقة بديهية واضحة.

وقـد اعتـبر بعضـهم هـذه المـوارد نوعـا من الإجمـاع الفقهي عليها، كما عبر عن ذلك العلامة محمد هادي معرفة بقوله: (كـانت هي مورد اتفاق الفقهاء فيما سـلف حـتى عصـر صـاحب الجـواهر حيث بدت بعده وساوس المتشككين، وراق لبعضهم إنكارها رأساً، إنكار أمر كان قد أحكمه أساطين المذهب)[2]

وهـذا لا يعـني عـدم ورود الخلاف في المسـألة؛ فقـد صـرح بالخلاف فيها الشيخ الأنصاري الذي حصر ولاية الفقيه في التصدّي للأمور الحسـبية فقـط، ومثلـه السـيّد الخـوئي الـذي أنكـر مطلـق الولايـة للفقيـه حـتى ولايتـه في شـؤون القضـاء، بـل أثبت نفـوذ قضائه، وحجّية فتواه، والتصرف في أموال القصّـر أو غـير ذلـك لا من باب الولاية، بل من باب الأمور الحسبية.

لكن السيّد الخـوئي نفسـه، وفي أواخـر عمـره، تصـرف بمـا تقتضـيه ولايـة الفقيـه العامـة، حيث أنـه قـام في أيـام الانتفاضـة الشعبانية بتنصيب عشـرة من تلامذتـه الأكفـاء لقيـادة العـراق في تلك الظروف، وكان ذلك نوعا من صلاحيات الولي الفقيه.

وهذا الموقف إمـا أن يحمـل على تراجـع السـيد الخـوئي عن موقفه القديم، والقول بولاية الفقيه، كما فعل تلميـذه السـيد علي السيستاني بعد احتلال العـراق، وصـرح بعـد ذلـك بقبولهـا، أو أنـه وسّع الحسبة، كما برر ذلك بعضـهم بقولـه: (لا يتصـور أن مفهـوم الحسـبة ضـيق جـداً، بل يشـمل كل ما كـان للمعصـوم في إدارة شؤون الأمة الإسلامية)، وهذا بعينه القول بولاية الفقيه العامة.

[1] النائيني، محمد حسين، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ص41.

[2] آية الله محمد هادي معرفة، ولاية الفقيه أبعادها وحدودها ، ص2...

بناء على هذا نجد القائلين بولاية الفقيه يستدلون لها بالكثير من الأدلة النصية، والتي يمكن تصنيفها إلى ما يلي:

أ ـ الأدلة من القرآن الكريم:

وقد جمعها العلامة الشيخ أحمد أزري قمّي في كتابه (ولاية الفقيه من منظار القرآن الكريم)، ومن الآيات التي أوردها للدلالة عليها:

1 ـ قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: 59]، والتي علق عليها الخميني بقوله: (إن جعل الرسول الأكرم ﷺ رئيساً وعدَّ طاعته واجبة ليس المراد منه أنه إذا ذكر الرسول حكماً فيجب علينا القبول والعمل به، فالعمل بالأحكام إطاعة لله عز وجل، وكل الاعمال العبادية وغير العبادية التابعة للأحكام هي إطاعة لله، واتباع النبي الأكرم ﷺ ليس عملا بالأحكام، وإنما هو أمر آخر، أجل طاعة الرسول الأكرم ﷺ هي بمعنى من المعاني طاعة الله، لأن الله قد أمر أن نطيع رسوله ﷺ، فإذا أمر الرسول الأكرم ﷺ ـ الذي هو رئيس المجتمع الإسلامي وقائده ــ أمر الجميع بلزوم الذهاب إلى الحرب مع جيش أسامة؛ فلا يحق لأحد أن يتخلف، وهذا ليس أمر الله، وإنما هو أمر الرسول ﷺ، فالله تعالى قد أوكل الحكومة والقيادة له ﷺ ويقوم هو ﷺ وفقاً للمصلحة بتجييش الجيوش، وتعيين القضاة والحكام والولاة، أو يعزلهم)

وبناء على ما ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا). قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: (اتباع السلطان؛ فاذا فعلوا ذلك، فاحذروهم على دينكم)[1]، فإن النص في الآية ــ كما يذكر الخميني ـ يتعلق بهم أيضا، حيث قال: (وبناءً على هذا فالفقهاء أمناء الرسل، تعني أن الفقهاء العدول مكلفون ومأمورون بالقيام بجميع الأمور التي كانت في عهدة الأنبياء، ولئن كانت العدالة من الأمانة، فمن الممكن أن يكون الانسان أميناً في الأمور المالية،

---

[1] () اصول الكافي، ج1، ص58،.

دون أن يكـون عـادلاً، إلا أن المـراد من أمنـاء الرسـل هـو أولئـك الذين لا يتقاعسون عن أداء أي تكليـف، والـذين يكونـون طـاهرين ومنزهين)[1]

وقد ورد في هذا روايات كثيرة في المصادر السنية والشيعية تعتبر الفقهاء والعلماء بالدين من أولي الأمر، كما روي عن الإمـام علي قوله: (أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه)، وقال: (ولا يحمـل هـذا العلم إلاّ أهـل البصـر والصـبر والعلم بمواضـع الحـق)[2]، وقـال: (إن أولى النـاس بالأنبيـاء أعلمهم بمـا جـاءوا بـه)، ثم تلا قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِـإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمـران: 68]، وقال تعـالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْـدِي إِلَى الْحَـقِّ أَحَـقُّ أَنْ يُتَّبَـعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: 35])[3]

وهاتـان الآيتـان الكريمتـان واضـحتان في الدلالـة على ولايـة الفقيه، حيث أنهما تنصان على أن الاتباع لا يكون إلا للمهتدين، ولا يكون المرء مهتـديا مـا لم يكن لـه علم مفصـل بمواضـع الهدايـة، وذلك ليس إلا للفقيه العالم.

2 ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِـهِ وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْـرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّـيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]، فهذه الآية الكريمة تصرح بالدعوة للرجوع لرسـول اللـه ﷺ أو لأولي الأمـر، وهي تـذكر من صـفاتهم القـدرة على اسـتنباط حكم اللـه في المسـألة، وذلـك لا يكـون إلا للفقيـه العالم.

وقـد ذكـر هـذا المعـنى الكثـير من فقهـاء المدرسـة السـنية،

---

(1) الحكومة الإسلامية، ص65.

(2) نهج البلاغة، الخطبة رقم 163..

(3) مجمع البيان، ج2، ص458..

ومنهم الإمـام الجويـــني، الــذي نص على هــذا بقولــه: (إذا كــان صاحب الأمر مجتهداً فهو المتبوع، الذي يستتبع الكافة في اجتهاده ولا يتبــع، أمــا إذا كــان ســلطان الزمــان لا يبلــغ مبلــغ الاجتهــاد فالمتبوعون العلماء، والسلطان نجدتهم وشوكتهم، والسلطان مــع العالم كملــك في زمــان نــبي، مــأمور بالانتهــاء إلى مــا ينهيــه إليــه النبي)[1]

ويصرح في موضع آخر من كتابه على ذلك بقولــه: (إذا شــغر الزمــان عن الإمــام، وخلا عن ســلطان ذي نجــدة وكفايــة ودرايــة، فــالأمر موكــول إلى العلمــاء، وحــق على الخلائــق على اختلاف طبقــاتهم أن يرجعــوا إلى علمــائهم، ويصــدروا في جميــع قضــايا الولايات عن رأيهم، فإن فعلوا ذلك، فقد هدوا إلى ســواء الســبيل، وصار علمــاء البلاد ولاة العبــاد، وهم على الحقيقــة أصــحاب الأمــر استحقاقاً، وذو النجدة من الحكام مــأمورون بارتســام مراســمهم، واقتفاء أثرهم، والانكفاف عن مزاجرهم)[2]

بل إنه ينص على كيفية تطــبيق ولايــة الفقيــه؛ فيقــول: (وإن كثُر العلماء في الناحية فالمتبع أعلمهم، وإن فرض اســتواؤهم في العلم، فإصدار الرأي عن جميعهم) [3]

ومثله قــال الفخــر الــرازي: (لكن المقصــود بــأولي الأمــر في الآية هم العلماء، وأعمال الأمراء والسلاطين موقوفــة على فتــاوي العلماء، والعلمــاء في الحقيقــة أمــراء الأمــراء، فكــان حمــل لفــظ أولي الأمر عليهم أولى)[4]

3 ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُــدًى وَنُــورٌ يَحْكُمُ بِهَــا

---

[1] الجويني ، غياث الأمم ، ص380.

[2] المرجع السابق، (ص 280).

[3] المرجع السابق، (ص 391)

[4] مفاتيح الغيب: (5/150)

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: 44]، حيث حصرت الآية الكريمة الحكم لثلاث أصناف من الناس: وهم(النبيون) والمراد بهم الأنبياء ورسل الله تعالى، و(الربانيون) وهم ورثتهم من الأئمة، و(الأحبار) وهم ورثة الأئمة من العلماء، فأثبتت هذه الآية الكريمة الولاية للعلماء في حال غياب الأنبياء والأئمة.

ب ـ الأدلة الروائية:

وهي كثيرة جدا، نذكر باختصار بعضها، مع بيان وجوه استدلال الخميني بها، على حسب ما ذكره في كتابه [الحكومة الإسلامية]:

الرواية الأولى:

وهي ما روي عن عمر بن حنظلة، أنه سأل الإمام الصادق عن رجلين حصلت بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة؛ فقال له الإمام الصادق: من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يُحكم له فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يُكفر به، قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [النساء: 60]، فقال له عمر: فكيف يصنعان؟ فأجابه الإمام الصادق: (ينظران من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا؛ فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً؛ فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حد الشرك بالله)[1]

وقد اهتم الخميني بهذه الرواية، وأشار إليها كثيرا عند استدلالاته على ولاية الفقيه، وقد قال عنها: (هذه الرواية من الواضحات، وليس ثمة وسوسة في سندها ودلالتها، فلا ترديد في

[1] () الكافي ، ج7، ص412، رقم5..

أن الإمام الصادق قد عين الفقهاء لأجل الحكومة والقضاء، وعلى جميع المسلمين طاعة أمر الإمام)[1]

ومع كون الرواية واضحة في الدعوة لتحكيم الفقهاء والعلماء، بدل القضاة والسلاطين، إلا أننا سنقتبس بعض ما ذكره الخميني من وجوه الاستدلال بها[2]:

1ـ كما يتحصل من صدر وذيل هذه الرواية، ومن استشهاد الإمام الصادق بالآية الشريفة، فإن موضوع السؤال كان حكماً عاماً، كما أن الإمام قد بين التكليف العام، وقد ذكرت الرجوع في الدعاوى الحقوقية والجزائية إلى القضاة، وإلى المسؤولين التنفيذيين والحكوميين بشكل عام، فالرجوع إلى القضاة يكون لأجل اثبات الحق، وفصل الخصومات، وتعيين العقوبة، والرجوع إلى السلطة لأجل إلزام الطرف الآخر في الدعوى بقبول النتيجة، أو لتنفيذ الحكم الحقوقي أو الجزائي.

2 ــ في هذه الرواية يُسأل الإمام عن جواز الرجوع إلى سلاطين الجور وقضاتهم، ويجيب الإمام بالنهي عن الرجوع إلى دوائر الحكومات غير الشرعية، سواء التنفيذية أو القضائية، ويقول بأنه على الشعب المسلم ألا يرجع في أموره إلى سلاطين وحكام الجور والقضاة العاملين لديهم، حتى لو كان حق الشخص المراجع ثابتاً، ويريد الرجوع لإحقاقه وتحصيله.. ومن رجع إليهم في موارد كهذه فقد رجع إلى الطاغوت، أي السلطات غير الشرعية، وما يأخذه من حق بواسطتهم فإنما يأخذه سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، فهو حرام، ولا حق له في التصرف فيه.

3 ــ بين الخميني بعض الأسرار الثورية التي يحملها قول الإمام الصادق؛ فقال: (هذا حكم سياسي للإسلام، حكم يبعث على امتناع المسلمين عن الرجوع إلى السلطات غير الشرعية والقضاة التابعين لهم، وذلك لكي تتوقف الأجهزة الحكومية

---

[1] () الحكومة الإسلامية، ص88.

[2] () المرجع السابق، ص86.

الجائرة وغير الإسلامية، وتتعطل هذه المحاكم الطويلة العريضة التي لا يعود للناس منها سوى التعب والمشقة، وتفتح الطريق إلى أئمة الهدى وإلى الأشخاص الموكل اليهم حق الحكم والقضاة من قبلهم، والهدف الأساسي هو عدم السماح للسلاطين والقضاة التابعين لهم بأن يكونوا مرجعاً للأمور، وبأن يتبعهم الناس في ذلك. فقد أعلن الأئمة للأمة الإسلامية أن هؤلاء ليسوا بمرجع، والله تعالى أمر الناس بالكفر بهم وعصيانهم، والرجوع اليهم يتنافى مع الكفر بهم، فإذا كنت كافراً بهم وتراهم ظالمين وغير لائقين، فيجب ألا ترجع إليهم) [1]

4 ـ بناء على هذا، وبناء على حاجة الناس للقضاة والحكام؛ فإن قول الإمام الصادق، ليس سوى دعوة لتحقيق ولاية الفقيه في الواقع، كما ينص الخميني على ذلك بقوله: (بناءاً على هذا، فما هو تكليف الأمة؟ وما الذي يجب عليهم عمله في الحوادث والمنازعات؟ وإلى من يرجعون؟.. فالإمام لم يترك شيئاً مبهماً ليقول البعض إذن فرواة الحديث هم المرجع والحاكم، بل ذكر كل الجهات وقيد (الرواة) بكونهم ممن نظر في الحلال والحرام وفقا للقواعد، وله معرفة بالأحكام، ويمتلك الموازين لتمييز الروايات الصادرة على خلاف الواقع .. ومن الواضح أن معرفة الأحكام ومعرفة الحديث أمر آخر غير نقل الحديث) [2]

5 ـ يقول تعليقا على قول الإمام الصادق: (فإني قد جعلته عليكم حاكماً): (أي منصباً من قبلي للحكم والامارة، وللقضاء بين المسلمين. ولا يحق للمسلمين أن يرجعوا إلى غيره، وبناءاً عليه، فلو اعتدى أحدهم على مال لكم، فالمرجع في الشكوى هي السلطة التي عينها الإمام، وإذا تنازعتم مع أحد على دَين، واحتجتم إلى اثبات ذلك، فالمرجع هو ذلك القاضي الذي عينه أيضاً، ولا حق لكم في الرجوع إلى غيره. وهذه وظيفة جميع المسلمين، وليس تكليفاً خاصاً بعمر بن حنظلة حين يواجه تلك

---

[1] () المرجع السابق، ص87.

[2] () المرجع السابق، ص87.

المشكلة، فأمر الإمام هذا عام وكلي، فكما كان أمير المؤمنين في زمان حكومته يعين الحكام والولاة والقضاة، وكان على جميع المسلمين أن يطيعوهم، فالإمام الصادق أيضاً بما أنه ولي الامر المطلق، وله الولاية على جميع العلماء والفقهاء والناس، فهو يستطيع أن يعيّن الحكام والقضاة لزمان حياته، ولما بعد مماته. وقد قام بذلك وجعل هذا المنصب للفقهاء، وإنما قال [حاكماً] لكيلا يتوهم البعض أن الأمر مختص بالمسائل القضائية، ولا يشمل سائر أمور الحكم والدولة) [1]

الرواية الثانية:

وهي ما روي عن سالم بن مكرم المكنى بأبي خديجة[2]، أنه قال: (بعثني أبو عبد الله إلى أحد أصحابنا، فقال: قل لهم: إيّاكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ والعطاء، أن تُحاكموا إلى أحدٍ من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإنّي قد جعلته عليكم قاضياً، وإيّاكم أن يُخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر)[3]

وقد ذكرها الخميني في كتابه [الحكومة الإسلامية]، وذكر وجوه الاستدلال بها بتفصيل نختصره فيما يلي [4]:

1. المراد من التداري المذكور في الرواية هو الاختلاف الحقوقي؛ فالمعنى أن لا ترجعوا إلى هؤلاء الفساق في الاختلافات الحقوقية والمنازعات والدعاوي. ومن قوله بعد ذلك: (إني قد جعلته عليكم قاضياً) يتضح أن المقصود من [الفساق] هم القضاة

---

[1] المرجع السابق، ص88.

[2] كان من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم وروى عن كليهما، وثَّقه ابن قولويه، وعليّ بن فضّال، وعبَّر عنه الرجاليّ الكبير النجاشيّ بالثقة.

[3] وسائل الشيعة، ج18، ص100.

[4] الحكومة الإسلامية، ص89.

المعينون من قبل سلاطين ذلك الوقت، والحكام غـير الشـرعيين. ويقول في ذيـل الحـديث: (وإيـاكم أن يخاصـم بعضـكم بعضـاً إلى السلطان الجائر)، أي لا ترجعوا في الأمور ذات العلاقـة بالسـلطة التنفيذية هؤلاء الحكام غير الشرعيين.

2. أن السـلطان الجـائر هـو كـل حـاكم جـائر وغـير شـرعي بشكل عام، ويشـمل جميـع الحكـام غـير الإسـلاميين، والسـلطات الثلاث القضائية والتشريعية والتنفيذيـة جميعـاً، لكن بالالتفـات إلى أنـه قـد نهى قبـل ذلـك عن الرجـوع إلى قضـاة الجـور، يتضـح أن المراد بهذا النهي فريق آخر، وهم السلطة التنفيذية.

3 ـ أن قوله: (إيّاكم أن يُخاصم بعضـكم بعضـاً إلى السـلطان الجائر) ليسـت تكـراراً للكلام السـابق، أي النهي عن الرجـوع إلى الفساق، وذلك لأنه قد نهى أولاً عن الرجوع إلى القاضـي الفاسـق في الأمور المتعلقة به من التحقيق، وإقامـة البيّنـة، وأمثـال ذلـك، وأوضح وظيفـة اتبـاع القاضـي الـذي عينـه، ثم منـع بعـد ذلـك من الرجوع إلى السلاطين أيضاً، ممـا يـدل على أن بـاب القضـاء غـير باب الرجوع إلى السلاطين، وأنهمـا صـنفان. وفي روايـة عمـر بن حنظلة حيث نهى عن التحاكم إلى السـلاطين والقضـاة أشـار إلى كلا الصنفين، غاية الأمر أنه هنا إنما عين القاضي فقـط، بينمـا في رواية عمر بن حنظلة عين الحاكم المنفذ والقاضي كلاهما.

4 ـ أن الإمام الصادق جعل منصب القضاء في حياته للفقهـاء ـ وفقاً لهذه الرواية ـ بينما جعل لهم منصب القضاء والرئاسة وفقاً لرواية عمر بن حنظلة.

5 ـــ لا يمكن لأحـــد أن يقـــول بـــاعتزال الفقهـــاء عن هـــذه المناصب بموت الإمام؛ ففي انظمة الدنيا جميعا لا تلغي المناصب والمراكز العسكرية والتنظيمية بمجـرد وفـاة رئيس الجمهوريـة أو السلطان، أو تبديل الأوضاع وتغيير النظام.

6 ـ بناء على ما سبق؛ فإن مناصب العلمـاء باقيـة مسـتمرة، وكذلك مقام الرئاسة والقضاء الذي عيَّنـه الائمـة لفقهـاء الإسـلام، فهو مستمر وبـاق؛ فالإمـام يعـرف أنـه في حكومـات الـدنيا تبقى

المناصب مستمرة حتى لو مات الرئيس؛ فلو كان يريد سلب حـق الرئاسة والقضـاء من الفقهـاء بعـد وفاتـه لكـان يجب أن يعلن أن ذلك المنصب للفقهـاء إنمـا كـان فـترة حياتـه فحسـب، وأنهم بعـد رحيله معزولون؛ فظهر إذن أن الفقهاء منصوبون من قبـل الإمـام لمنصـب الحكومـة والقضـاء، وأن هـذا المنصـب لهم بـاق دائمـاً، واحتمال كون الإمـام المتـأخر قـد نقض هـذا الحكم، وعـزلهم عن ذلك المنصب، احتمـال باطـل. إذ عنـدما ينهى الإمـام عن الرجـوع إلى سلاطين الجور وقضاتهم، ويقول أن الرجـوع اليهم رجـوع إلى الطاغوت، ويتمسك بالآية الشريفة الـتي تـأمر بـالكفر بالطـاغوت، ومن ثمَّ ينصب (الفقهاء) قضاة وحكامـاً للنـاس، فلـو ألغي الإمـام المتأخر هذا الحكم، ولم ينصب حاكماً وقاضياً آخر، فما هو تكليـف المسـلمين؟ ولمن يجب عليهم الرجـوع في الاختلافـات والمنازعات؟ هل يرجعون إلى الفساق والظلمة، والذي هو رجـوع إلى الطاغوت، ومخالف لأمر اللـه؟ أم يبقـون دون مرجـع وملجـأ، وتعمّ الفوضى؟ وليفعل كل امرئ ما يريد من اكل حـق، أو سـرقة أو سواها؟

الرواية الثالثة:

ما ورد في الحديث المعروف المتفق على روايته عند السـنة والشيعة، وهو قوله ﷺ في فضل العلماء وطلبة العلم: (من سـلك طريقـاً يطلب فيـه علمـا، سـلك اللـه بـه طريقـا إلى الجنـة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به. وإنه يستغفر لطـالب العلم من في السـماء ومن في الارض، حـتى الحـوت في البحـر. وفضل العالم على العابـد كفضـل القمـر على سـائر النجـوم ليلـة البـدر، وإن العلمـاء ورثـة الأنبيـاء، إن الأنبيـاء لم يورِّثـوا دينـارا ولا درهما، ولكن ورَّثوا العلم. فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر)[1]

والحديث ـ كما يذكر الخميني ـ له دلالـة واضـحة على [ولايـة الفقيه]، ولذلك استدل به الـنراقي لإثبـات ولايـة الفقيه[2]، ومحـل الشاهد منه ـ كما يذكر ـ هو قوله ﷺ: (العلماء ورثة الأنبيـاء)، ومن

[1] () أصول الكافي، ج1، ص42، وقد روي الحـديث في المصـادر السـنية التاليـة: مسـند أحمد (5/196)، والدارمي (340)، وأبو داود (3641) ، وابن ماجة (223)

وجوه الاستدلال التي ذكرها(3):

1ـ أن المقصود من العلماء هم علماء الأمة، وليس الأئمة، إذ أن نمـط المنـاقب الـواردة للائمـة يختلـف عمـا ورد في الحـديث؛ فهـذه العبـارات من قبيـل: (إن الأنبيـاء انمـا أورثـوا أحـاديث من أحاديثهم، فمن أخذ منه أخذ وافر) لا تصح لتعريف الأئمة.

2 ــ أن الإشـكال الـذي يـذكر أن الأنبيـاء ــ على الـرغم من كونهم يتلقّون العلم بواسطة الوحي ـ إلا أن ذلك لا يقتضي الولايـة لهم على الناس والمؤمنين، غير صحيح ذلك أن (المـيزان في فهم الروايـات وظـواهر الالفـاظ هـو العـرف العـام والفهم المتعـارف للناس، لا ما تؤدي اليه التجزئة والتحليل العلمي، ونحن أيضـاً نتبـع فهم العرف. فلـو أراد الفقيـه أن يـدخل التـدقيق العلمي في فهم الروايات لتوقف في كثـير من المسـائل)، وبنـاء على ذلـك (يمكن القول بأن الأحكام التي تركها الرسول ﷺ بعد وفاتـه هي نـوع من الميراث ـ وان كانت لا تسمى ميراثا بحسـب الاصـطلاح ــ والـذين يأخذون هذه الأحكام هم ورثة النبي)

3 ـ أن الولاية والامارة من الأمور الاعتباريـة والعقلائيـة، وفي هذه الأمور يجب أن نرجـع إلى العقلاء لـنرى هـل يعتـبرون انتقـال الولاية والحكومـة من شـخص إلى شـخص آخـر وراثـة ام لا؟ فلـو سئل عقلاء الدنيا مثلا عمن قد ورث السلطة الفلانية، فهل يجيبون بـأن هـذا المنصـب لا يقبـل الوراثـة؟ أم يقولـون أن فلان مثلا هـو وريث العـرش والتـاج؟ وأساسـاً فـإن هـذه الجملـة [وريث التـاج والعرش]، من العبارات المعروفة. فلاشك في أن الولاية في نظر العقلاء قابلـة للانتقـال، كمثـل الإرث من الأمـوال الـتي تنتقـل من شخص إلى آخر.

4 ـ ومن يلاحـظ الآيـة الشـريفة ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ﴾ [الأحـزاب: 6]، والروايـة الـتي تقـول: (العلمـاء ورثـة

---

(2) عوائد الايام، 186.

(3) الحكومة الإسلامية، ص93.

الأنبياء) يلتفت إلى أن المراد هي نفس هذه الأمور الاعتبارية التي يرى قابلية انتقالها عقلا.

5 ـ بناءاً على هذا، لو كنّا نحن وجملة العلماء ورثة الأنبياء فقط، وصرفنا النظر عن صدر الرواية وذيلها، فالظاهر أن جميع شؤون النبي ﷺ القابلة للانتقال بعد وفاته ــ ومنها الامارة على الناس الثابتة للائمة من بعده ـ ثابتة للفقهاء أيضاً. ماعدا الشؤون التي تخرج بدليل آخر. ونحن نخرجها بمقدار ما يدل الدليل.

الرواية الرابعة:

وهي خطبة للامام الحسين في منى حول وظائف الفقيه ومسؤولياته، وأسباب جهاده وثورته الداخلية ضد الحكم الأموي، وقد اهتم بها الخميني كثيرا، وفصل في شرحها، وذكر في مقدمته لها أنه (يتحصل منها أمران مهمان: الأول: [ولاية الفقيه] والثاني: أنه يجب على الفقهاء أن يفضحوا الحكام الجائرين، ويوقظوا الناس من خلال جهادهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حتى تقوم الجماهير الواعية من خلال نهضتها الشاملة باسقاط الحكومة الجائرة، واقامة الحكومة الإسلامية)[1]

وسنذكر هنا الرواية بطولها، ثم نذكر بعض تعليقات الخميني عليها، فقد ورد فيها: (اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63]، وقال:﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: 78]، وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنّهم كانوا يرون من الظلَمة الّذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة ممّا يحذرون والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: 44]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة: 71]؛ فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن

---

[1] المرجع السابق، ص103.

المنكــر فريضــةً منــه لعلمــه بأنّهــا إذا أدّيت وأقيمت، اســتقامت الفرائض كلّها هيّنها وصعبها. وذلك أنّ الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكــر دعــاء إلى الإســلام مــع ردّ المظــالم، ومخالفــة الظــالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضـعها في حقّهـا.ثُمّ أنتم أيّتهـا العصـابة، عصـابة بـالعِلم مشـهورة، وبـالخير مـذكورة، وبالنصـيحة معروفـة، وباللـه في أنفس النـاس مُهابـة، يهابكم الشـريف، ويُكـرمكم الضـعيف، ويُـؤثركم من لا فضـل لكم عليــه، ولا يــد لكم عنــده، تشــفعون في الحــوائج إذا امتنعت من طلّابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامـة الأكـابر. أليس كلّ ذلك إنّما نلتموه بما يُرجى عنـدكم من القيـام بحـقّ اللـه، وإن كنتم عن أكثر حقّه تُقصِّرون؟ فاسـتخففتم بحـقّ الأمّـة، فأمّـا حـقّ الضعفاء فضيّعتم، وأمّا حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بــذلتم، ولا نفساً خاطرتم بها للّذي خلقها، ولا عشـيرة عـاديتم في ذات اللـه. أنتم تتمنّون على الله جنّته ومجاورة رسله وأمانـاً من عذابـه، لقـد خشيت عليكم أيّها المتمنّون على اللـه أن تحـلّ نقمـة من نقماتـه لأنّكم بلغتم من كرامة الله منزلةً فضّلتم بهـا، ومن يعـرف باللـه لا تُكرمون، وأنتم باللـه في عبـاده تُكرمـون. وقـد تـرون عهـود اللـه منقوضــة فلا تفزعــون، وأنتم لبعض ذمم آبــائكم تفزعــون، وذمّــة رســول اللــه ﷺ محقــورة، والعمي والبكم والــزمن في المــدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملـون، ولا من فيهـا تُعينـون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون. كلّ ذلك ممّا أمركم الله بــه من النهي والتنــاهي وأنتم عنــه غــافلون. وأنتم أعظم النــاس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلمـاء لـو كنتم تسـمعون. ذلـك بأنّ مجاري الأمور والأحكام على أيـدي العلمـاء باللـه الأمنـاء على حلاله وحرامه. فأنتم المسلوبون تلك المنزلـة، مـا سُـلبتم ذلـك إلّا بتفرّقكم عن الحقّ واختلافكم في السنّة بعد البيّنة الواضـحة. ولـو صبرتم على الأذى، وتحمّلتم المؤونة في ذات الله كانت أمور اللـه عليكم ترد وعنكم تصـدر وإليكم ترجـع ولكنّكم مكّنتم الظّلمـة من مــنزلتكم وأســلمتم أمــور اللــه في أيــديهم، يعملــون بالشــبهات ويسيرون في الشهوات. سـلّطهم على ذلـك فـراركم من المـوت وإعجــابكم بالحيــاة الّــتي هي مفــارقتكم، فأســلمتم الضــعفاء في أيـديهم، فمن بين مسـتعبد مقهـور وبين مستضـعَف على معيشـته

مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بـأهوائهم اقتداءً بالأشرار وجرأةً على الجبّار، في كـلّ بلـدٍ منهم على منـبره خطيب يصقع، فالأرض شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبّارٍ عنيـد وذي سـطوةٍ على الضعفة شديد مطاع لا يعرف المبدئ والمعيد، فيا عجبـاً ومـالي لا أعجب والأرض من غـاش غشـوم ومتصـدّق ظلـوم، وعامـل على المؤمنين بهم غير رحيم. فالله الحاكم فيما فيه تنازعنـا، والقاضـي بحكمه فيما شجر بيننا.. اللّهمّ إنّـك تعلم أنّـه لم يكن مـا كـان منّـا تنافساً في سلطان ولا التماسـاً من فُضـول الحطـام، ولكن لنُـري المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبـادك، ويُعمـل بفرائضـك وسـننك وأحكامـك. فـإن لم تنصـرونا وتُنصـفونا، قـوي الظلمـة عليكم وعملـوا في إطفـاء نـور نـبيّكم، وحسبنا الله وعليه توكّلنا وإليه أنبنا وإليه المصير)[1]

وسـأقتبس هنـا بعض مـا ذكـره الخميـني من اسـتدلالات بالحديث[2]:

1 ـ من البـديهي أن هـذا الـذم والتقـبيح الـذي ذكـره الإمـام الحسين لا يختص بعلماء اليهـود، ولا بعلمـاء النصـارى، بـل يشـمل علماء المجتمع الإسلامي أيضاً، وجميع علمـاء الـدين بشـكل عـام؛ وبنـاءاً عليـه، فعلمـاء الـدين الإسـلامي مشـمولون للـذم والتقـبيح الإلهي أيضاً فيما لو ظلوا سـاكتين أمـام سياسـة الظلمـة ونهجهم، وهذا الامر لا يخص السـلف والاجيـال الماضـية، بـل تتسـاوى فيـه الاجيال الماضية مع أجيال المستقبل.

2 ـ أن تساهل العلماء في وظائفهم ضـرره أكـثر من تقصـير الآخـرين في القيـام بنفس تلـك الوظـائف المشـتركة، إذ عنـدما يرتكب التاجر مخالفة ما، فـإن ضـررها يعـود عليـه، لكن إذا قصـر العلماء في وظائفهم، فسكتوا مثلا أمام الظلمة، فإن الضرر يعـود على الإسـلام. وإذا عملـوا بـوظيفتهم، وتكلمـوا حيث يجب أن

[1] تحف العقول، ص237..

[2] الحكومة الإسلامية، ص105، فما بعدها.

يتكلموا، فإن النفع سيعود على الإسلام أيضاً.

3 ـ لقد ذكر قول الاثم وأكل السحت مع أنــه يجب النهي عن جميع الأمور التي تخالف الشــرع، وذلـك من أجـل بيـان أن هـذين المنكــرين أخطــر من جميــع المنكــرات، ويجب أن يعمــل على إنكارهما ومحاربتهما بشكل أكثر جدية، إذ أنه أحيانا يكون لأقاويــل الأنظمة الظالمة ودعاياتهم ضـرر على الإسـلام والمسـلمين أكـثر من عملهم في سياســتهم، وغالبــا مــا يعرّضــون كرامــة واعتبــار الإســلام والمســلمين للهتــك؛ فاللــه تعــالى يؤاخــذهم على عــدم التصـدي لأقاويـل الباطـل، ودعايـات السـوء للظلمـة، وعلى عـدم تكذيبهم لمن يدعي أنه خليفة اللـه، وأن الأحكـام الإلهيـة هي تلـك التي يطبقها هو، والعدالة الإسلامية هي ما يقوله وينفذه مـع كونـه لا يخضع للعدالة أصلا.

4 ـ لو قام شخص ما بتفسير الأحكام بنحو لا يرضـي اللـه، أو بإحداث بدعة بذريعة أن العدل الإسـلامي يقتضـي ذلـك، أو بتنفيـذ أحكام مخالفة للإسـلام، فيجب على العلمـاء أن يبـدوا معارضـتهم له؛ فإذا لم يفعلوا، فإنهم ملعونون من الله تعالى، وهذا واضح من خلال الآيـة الـتي اسـتدل بهـا الإمـام الحسـين، وفي الحـديث: (إذا ظهرت البدع، فللعالم أن يظهـر علمـه، وإلا فعليـه لعنـة اللـه)[1]، فإبداء المعارضة، وبيان الأحكام والتعـاليم الإلهيـة المخالفـة للبـدع والظلم والمعاصي مفيد في حد ذاته، لأنه يؤدي إلى إطلاع النــاس على الفســاد الاجتمــاعي، ومظــالم الحكــام الخونـة والفســقة، أو الــذين لا دين لهم؛ فإبــداء المعارضــة من قبــل علمــاء الــدين في موارد كهذه هو نهي عن المنكر من قبل القادة الدينيين للمجتمــع، ويستتبع موجة من النهي عن المنكر، ونهضة معارضــة وناهيــة عن المنكر، يشارك فيها جميع أبناء الشعب المتدينين والغيورين.

5 ـ حاول الخميني أن يعيد صـياغة الخطبـة السـابقة، بشـكل يتناسب مع العصر، ومن ذلك قوله مخاطبا العلماء والمراجـع: (إذا لم تكونوا قادرين حاليا على منع بدع الحكام، وإزالة هذه المفاسد، فعلى الاقل لا تبقوا سـاكتين. إنهم يحـاربونكم، فضـجوا واصـرخوا

---

[1] () اصول الكافي، ج1، ص54.

واعترضوا، ولا تستسلموا للظلم. فالاستسلام للظلم أسوأ من الظلم. استنكروا واعترضوا واصرخوا، وانفوا اكاذيبهم، يجب عليكم أن تؤسسوا أجهزة اعلامية مقابل أجهزتهم، لتفضح وتنفي جميع أكاذيبهم، وتظهر للملأ أنهم يكذبون، وأن العدالة الإسلامية ليست ما يدّعون، ويجب أن تُعلَن هذه الأمور لينتبه الناس، ولا تجعل الاجيال القادمة سكوت هذه الجماعة حجة، وتحسب أن أعمال ومناهج الظلمة كانت مطابقة للشرع، وأن الدين الإسلامي المبين قد اقتضى أن يقوم بأكل السحت وسرقة اموال الشعب)[1]

وقال: (لقد أحرقوا المسجد الاقصى، ونحن نصرخ: دعوا المسجد الاقصى على حاله نصف المحترق هذا ولا تزيلوا آثار الجرم بينما نظام الشاه يفتتح الحسابات ويجمع المال من الناس باسم بناء المسجد الاقصى، ليتمكن من جني الفوائد، وملأ جيوبه عبر هذا السبيل، ومن خلال ذلك يزيل آثار جرم إسرائيل)[2]

وقال: (إن الاسباب الأساسية لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي هذه الأمور. بينما نحن قد جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن دائرة صغيرة وحصرنا ذلك في الموارد التي يترتب فيها الضرر على الفاعل للمنكر، أو التارك للمعروف، وقد غرس في أذهاننا أن المنكرات هي تلك الأمور التي نراها ونسمع بها بشكل يومي في حياتنا الاعتيادية فحسب، كسماع الموسيقى في الباصات، أو ارتكاب بعض المخالفات في المقاهي، أو تجاهر بعض الناس بالافطار، وأن هذه الأمور هي التي يجب أن ننهي عنها فقط، ولا نلتفت إلى تلك المنكرات الكبيرة، إلى أولئك الذين يقومون بضرب الإسلام معنوياً، وسحق حقوق الضعفاء وما شابه من الموارد التي يجب أن ينهى فيها عن المنكر. لو صير إلى الاعتراض بشكل جماعي على الظلمة، وعلى المخالفات التي يقومون بها، أو الجرائم التي يرتكبونها، ولو

1() الحكومة الإسلامية، ص107.

2() المرجع السابق، ص108.

أرسلت اليهم آلاف برقيات الاستنكار من جميع البلاد الإسلامية، فمن المتيقن أنهم سوف يتخلون عما يقومون به) [1]

وقال: (إني أستوضحكم الآن: هل الأمور التي ذكرها الإمام في هذا الحديث كانت خاصة بأصحابه المحيطين به، والذين يستمعون إلى كلامه؟ أليس خطاب [اعتبروا أيها الناس] موجَّهاً لنا؟ ألسنا مصداق الناس وجزءً منهم؟ ألا يجب أن نأخذ العبرة من هذا الخطاب؟ وكما ذكرت في أول البحث، فإن هذه المطالب ليست مختصة بجماعة معينة، وانما هي إعلان من الإمام إلى كل أمير ووزير وحاكم وفقيه، وإلى كل الدنيا، وجميع البشر. فوصاياه قرينة للقرآن ومثله، إذ وجوب اتباعها مستمرة إلى يوم القيامة. والآية التي استدل بها أيضاً لولا ينهاهم الربانيون وإن كانت خطاباً للربانيين والأحبار، لكن الخطاب موجَّه للجميع. ولقد ذمَّ الله تعالى الربانيين والأحبار، واستنكر عليهم لسكوتهم أمام ظلم الظلمة خوفاً أو طمعاً، مع كونهم قادرين على القيام بما يمنع الظلم من خلال المعارضة ورفع الصوت والكلام، فعلماء الإسلام أيضاً إذا سكتوا، ولم يقوموا بوجه الظالمين؛ فإنهم سوف يقعون محلاً لاستنكار الله عز وجل)[2]

هذه ــ باختصار ــ صورة عن القيمة الأولى من القيم التي يقوم عليها نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي قيمة [الحكومة الإلهية]، والتي استطاع فيها النظام الإيراني أن يتجاوز كل التطبيقات الخاطئة التي وقعت فيها جماعات الإسلامي السياسي، ووقعت فيها قبلها الأنظمة الثيوقراطية المستبدة التي مارستها الكنيسة.

ذلك أن النظام الإيراني استطاع أن يحافظ على قيم الحكومة الإلهية، والتي يتولاها الولي الفقيه، والمؤسسات

---

[1] () المرجع السابق، ص111.

[2] () المرجع السابق، ص113.

المختلفة، وفي نفس الوقت حافظ على إشراك الشعب في جميع قراراته عبر المؤسسات المختلفة، وهو ما لم يتوفر في أي نظام من النظم.

ونحن ـ كما عرضنا ـ هذه الصورة الجميلة لتلك المزاوجة التي حصلت في إيران بين الحكم الإسلامي بمبادئه وقيمه، في نفس الوقت الذي روعيت فيه كل القيم الجمهورية والديمقراطية، نتمنى أن تتخلى حركات الإسلام السياسي عن نظرتها السلبية لولاية الفقيه، وتنظر إليها من خلال ممارساتها الواقعية، وتأصيلها النظري، لا لتتبناها بمثل الصورة التي تبنتها بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإنما بالصورة التي تتناسب مع كل بلاد تريد أن تطبق الحاكمية الإلهية عليها، ذلك أنه يستحيل أن يطبق الحاكمية الإلهية من لم يكن عارفا بها، وفقيها فيها؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

الفصل الثاني

ولاية الفقيه.. وقيم الجمهورية

القيمة الثانية التي يتأسس عليها نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي [الجمهورية]، والقيم النابعة منها، وهي تشكل مع [الإسلام] اللقب الذي اختارته إيران لنفسها بعد انتصار ثورتها؛ فهي [جمهورية إسلامية]، وليست إمارة إسلامية، ولا مملكة إسلامية، ولا خلافة إسلامية، ولا إمبراطورية إسلامية.

وفَهم الجمع بين هاتين القيمتين الساميتين [الجمهورية]، و[الإسلامية] ييسر التعرف على سر الكثير من المواقف الإيرانية، والمؤسسات التي تحكمها؛ فكلها تنبع من هاتين القيمتين، من الشعب احتراما له ولقراراته، ومن الإسلام باعتباره الخيار الذي ناضل من أجله الشعب الإيراني، وأثبت تمسكه به رغم كل المحن التي أصابته بسببه.

بل إننا إذا رجعنا إلى الوراء، وبحثنا في السر الأكبر لنجاح الثورة الإيرانية نجده ينبع من اعتمادها على كلا القيمتين؛ فهي قد نهضت من أجل أن يسترد الشعب حريته وحقوقه التي صادرتها الأنظمة المستبدة بمعونة الاستكبار العالمي، واستعمل في ثورته الإسلام بدل الشيوعية أو الاشتراكية، أو غيرها من النظريات التي اعتمدها للأسف الكثير من الثوار العرب، ولهذا كان شعار الثورة الإسلامية في ذلك الحين الذي كانت الشعوب فيها ترزح بين الشرق أو الغرب هو (لا شرقية، ولا غربية.. إسلامية إسلامية)

وللأسف نجد الكثير من المغرضين ينتقدون الجمهورية الإسلامية الإيرانية في جمعها بين هاتين القيمتين، ذلك أنهم يتصورون استحالة تجمعهما، بل يتصورون أنهما قيمتان متناقضتان، وذلك نتيجة تأثرهم بالمدارس الغربية، واعتبارهم أن مراعاة أحكام الإسلام يتناقض مع مراعاة مطالب الجماهير.

ولهذا نجد قادة الثورة الإسلامية وفقهاءها ومفكريها يقدمون

الشـروحات الوافيـة، لكـون الحكم الإسـلامي لا يتنـاقض أبـدا مـع الحكم الجمهـوري، بـل يـذكرون أن الحكم الجمهـوري في البلاد الإسـلامية لا يتم إلا بمراعـاة الحكم الإسـلامي، لأنـه دين الشـعب، والشعب لا يمتنع من أن يُحكم بدينه.

ولا بأس أن نذكر هنا بعض النماذج من تلك الردود، باعتبارهـا أحسن جواب عن تلك الانتقادات المغرضة، والتي يصـدر معظمهـا للأسـف من بلاد لا تعـرف الجمهوريـة ولا الديمقراطيـة، بـل هي تعيش في ظلال الحكم الملكي الـذي يفتقـد لأدنى معـاني الحريـة والكرامة.

وأولها ما ذكره الولي الفقيـه المعاصـر السـيد علي لخـامنئي في بيان العلاقة بين قيم الجمهورية وقيم الإسلام، وذلك في لقــاء له مع أعضاء مجلس خبراء القيـادة بتـاريخ (14/ـ 3/2002)؛ فقـد قال في ذلك: (إنّ حقّ الله في الإسلام ليس منافسًا لحقّ النـاس، ولا في مقابله، جميع حقوق الناس، ومن جملتها حـقّ الشـعب في الانتخـاب، والـذي هـو حتمًـا في أمـر الحكومـة، ناشـئة من الحكم الإلهيّ، فقيمة جميع حقوق الشعب ناشئة عن حاكميّة الله وما أمر به الله تعالى، لذا، عُبّر في القرآن الكريم، في الموضـع الـذي يتمّ فيـه الاعتـداء على حقـوق النـاس والتعـرّض لهم، كمسـألة الربـا، بقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: 279] مـع أنّ هذا العمل هو اعتداءٌ على حقوق النّاس، لكنّ الحرب مع الله.. ذلك لأنّ ما يرتبط بالنـاس على اتّسـاعه، هـو تكليـفٌ إلهيّ، الحـقّ الذي جعله الله للناس، التكليف الـذي وضـعه اللـه على عـاتق من يتولّون أمور الناس يمكن القـول إنّ الجمهوريـة الإسـلاميّة ليسـت حبرًا على ورق، هي حقيقة، تعتمـد على رأي الشـعب حيث أمرنـا اللـه سـبحانه أن نـولي الأهميّـة لرأيـه واختيـاره وإرادتـه في هـذا المجال)[1]

وبنـاء على هـذا، يسـتنتج أن مفهـوم [الجمهوريـة الإسـلامية] يتحقق بمراعاة [الإسـلام] وتكالفيـه الشـرعية، ذلـك أن التكـاليف الشرعية الإسلامية تراعي مطالب الشعب، وتطالب بتنفيذها، ولـو

[1] تأسيس الحضارة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي (ص: 47).

لم يطلبها الشعب نفسه.. والحاكم المسلم هو الذي لا يتنتظر من الرعية أن تطالب بحقوقها، ولا أن يمن عليها بتقديمها، لأنه يفعل ذلك انطلاقا من واجباته الشرعية، يقول في ذلك: (وليست مشكلتنا في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة فقط، أن يسيء النّاس فهمنا، أو تتراجع ثقتهم بنا، مشكلتنا هي التكليف الشرعي أيضًا، ولو لم يفهم الناس؛ فإذا قمنا في مكان ما بعمل، أدّى إلى تضييع حقوق الناس، مع أنّ أحدًا لم يدرك أنّه تمّ التعرّض لحقوق الناس وكانت الدعايات صاخبة أيضًا، فإنّ مشكلة التكليف الشرعي تبقى تواجهنا في أقاصي الجسم العظيم للحكومة وفي طولها وعرضها ـ حيث الحكومة ليست محصورة ومتجلّية في شخص القائد - الجميع شركاء في هذه السيادة الشعبيّة الدينيّة، والوظائف الملقاة على عاتقهم من هذه الناحية، سواءٌ رئيس الجمهوريّة، أم رئيس سلطة من السلطات الثلاث، أم نوّاب المجلس، أم أيّ مسؤول في ناحية من النواحي ـ تكليف الجميع هو مراعاة حقوق الناس لله، هذان الاثنان، متساويان بعضهما مع بعضٍ ومتّحدان)[1]

وهكذا نرى الخميني يدعو كل حين إلى تصحيح التصورات نحو معنى [ولاية الفقيه]، وكونها لا تتناقض مع الجمهورية، بل هي تلبي مطالب الجمهور أحسن تلبية، لأنها تنبع من القيم التي يؤمن بها، لا من القيم الغريبة عنه، يقول في ذلك: (إن من يدعي أن مبدأ ولاية الفقيه يستلزم ديكتاتورية فلا ريب أنه جاهل بهذا المبدأ وأهميته وقدسيته، بل العكس هو الصحيح؛ فإن الحامي للحريات وفق المبادئ الإسلامية، والحامي لإرادة الشعب وحقوقه والمدافع عنه هو مبدأ ولاية الفقيه الذي يقوم بمهمة الإشراف على أمور البلد، حتى لا ينحرف أحد ممن يمكن أن يستلم مقدرات البلد، فهو الذي يمنع رئيس الجمهورية من أن ينحرف وأن يحكم بهواه، وهو الذي يمنع رئيس الوزراء من أن ينحرف ويحكم بهواه، وهكذا الكلام بالنسبة لأي مسؤول، كما أن مبدأ ولاية الفقيه يمنع الفقيه نفسه أن ينحرف وأن يحكم بهواه، ولا يحق له ذلك أصلاً، بل عليه أن يحكم وفق رأي الإسلام حسب اجتهاده، والمفروض أنه بذل جهده كله للوصول إلى هذا الرأي واستكشافه من خلال وسائل

[1] تأسيس الحضارة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي (ص: 46)

الإستنباط الممكنة له، كما أن عليه بذل الجهد في تمحيص الوقائع وتشخيصها حتى يطبق عليها حكمها الإلهي ويحكم على وفقه. والمفروض في الفقيه الولي العدالة والورع والكفاءة بل الأكفئية في تحقيق كل ذلك، كما أن المفروض أن في الأمة علماء وتقاة وثقاة ورعون يراقبون حركة الفقيه، بإمكانهم عزله إن انحرف وصار يحكم بهواه، وقد صان الدستور هذا الحق للخبراء وللأمة)[1]

وهو يذكر أنه لا وجه لاعتبار ولاية الفقيه حكما ديكتاتورياً، ذلك أن هذالنوع من الحكم يطلق على من يستند في حكمه إلى الرأي الشخصي بعيداً عن أي اعتبارات صحيحة، ثم يجبر الشعب على اتباعه، (وإنما يكون الحكم ديكتاتورياً إن كان الحكم وفق الهوى متاحاً للحاكم، وكان الحاكم قادراً على أن ينفذ جميع رغباته بدون أن يتجرأ أحد على معارضته)

وهو يذكر أن من أكبر الأدلة على عدم وجود أي صلة بين ولاية الفقيه، والحكم الديكتاتوري هو تصويت أغلبية الشعب في إيران على ولاية الفقيه، يقول في ذلك: (ليس من الديكتاتورية في شيء أن يكون النظام المعتمد في إيران قد أيده أكثرية الشعب بحيث تجاوزت نسبة التأييد التسعين في المائة دون ضغط أو إكراه؛ فالشعب بغالبيته العظمى أيد ولا يزال نظام الجمهورية الإسلامية المبني على مبدأ ولاية الفقيه كما نص عليه الدستور)[2]

ويذكر أن المعترضين هم الذين يريدون مصادرة رأي الجمهور، والحديث باسم الشعب؛ يقول في ذلك: (الديكتاتورية متجسدة في كلمات المعترضين، إذ يحاولون وهم القلة أن ينصبوا أنفسهم في موقع يحسبون أنفسهم أوصياء على الشعب والأمة، والحال أن الشعب لم يرض بذلك منهم بدليل أنه خالفهم. وهؤلاء عندما ينصبون أنفسهم في هذا الموقع يسعون لفرض رأيهم وإثارة جو نفسي وزعزعة ثقة الشعب والمسلمين بهذه

1() نقلا عن الفقيه والسلطة والأمة، مالك مصطفى وهبي العاملي (ص: 171)

2() نقلا عن الفقيه والسلطة والأمة، مالك مصطفى وهبي العاملي (ص: 171)

الجمهورية والثورة، وهذا نحو من أنحاء الديكتاتورية)[1]

ويذكر أن هـؤلاء الـذين يعترضـون على ولايـة الفقيـه، بحجـة تناقضها مع قيم الجمهورية، يعترضـون في الحقيقـة على الإسـلام وقيم الإســلام، وليس على الــولي الفقيـــه، ذلـــك أن (هـــؤلاء المعترضين لن يعترضوا بهذا الإعتراض لو كـانت الصـلاحيات كلهـا التي ثبت في الإسـلام أنهـا للفقيـه قـد أعطيت لإنسـان آخـر غـير فقيه، بل وغير مسلم، بل ربما سيمدحون الشخص والنظام حينئذ، ولكنهم يعيشون عقدة الإسلام ولا يتجرؤون على قول ذلك) [2]

هذه مقولات القائدين الكبيرين اللذين أتيح لهما تولي منصـب الولي الفقيه في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقد اقتصـرنا على هذه النماذج، وهي كافية لرد المعترضـين الـذين يصـورون كليهمـا بصورة الحاكم المستبد، وهو تصوير نـاتج عن الجهـل والكـبر، ولـو أنهم كلفوا أنفسهم بمطالعة مـا كتبـه كـل منهمـا، أوالتعـرف على مواقفه بنية صادقة لما تجرأوا على مثل ذلك التصوير الظالم.

ونحب أن نذكر ـ بهذه المناسبة ـ تنظـيرا مهمـا جـدا لمفهـوم الجمهورية، وعلاقته بالحكم الإسلامي والـولي الفقيـه، وذلـك عنـد فيلسـوف وفقيـه ومفكـر كبـير من قـادة الثـورة الإسـلامية، ومن المقربين جدا من الخميني، وهـو الشـهيد مرتضـى مطهـري، فقـد نظّر لهذه المسألة في مقابلة تلفزيونيـة هامـة أجـريت معـه قبـل إجــراء الاســتفتاء العــام على [نظــام الجمهوريــة الإســلامية] في إيــران، ثم طبعت ككتــاب مســتقل بعنــوان [قضــايا الجمهوريــة الإسلامية]، وقد تطرق فيها إلى مسائل مهمة جدا تتعلـق بالنظـام الإسلامي، وطبيعة الثورة ومستقبلها.

وقد كان أول سؤال طرح عليه فيها حول مفهـوم الجمهوريـة الإسلامية، والتناقض الذي قـد يحملـه الجمـع بين هـذين المعنـيين، وحتى نفهم جـواب مطهـري جيـدا، نـذكر نص السـؤال باعتبـاره لا

---

[1] المرجع السابق، ص172.

[2] المرجع السابق، ص172.

يـزال يطـرح إلى الآن، وبنـوع من الاسـتفزاز، وكـأن الإيرانـيين لم يجيبوا عليـه، مـع أنهم أجـابوا عليـه، وبتفصـيل كبـير، قبـل الثـورة وبعدها وفي كل حين، ولكن المغرضين للأسـف لا يقـرؤون، وإنمـا ينتقدون فقط.

ونص السؤال هو: (مفهوم (الجمهورية الإسلامية) يبدو غامضاً إلى حد كبير؛ فالجمهورية تعني إعطاء الشعب حق الحاكمية، بينما الصـفة الإسـلامية تقيـد هـذه الحاكميـة وتحـددها، ويبـدوا أيضـاً أن مفهوم الجمهورية الإسـلامية يتعـارض مـع المفـاهيم الديمقراطيـة ومفاهيم الجمهورية بمعناها المطلـق العـام، فهـل لكم أن تعطونـا صورة واضحة لنظام الجمهورية الإسلامية؟)[1]

وقـد أجـاب الشـيخ مرتضـى مطهـري على السـؤال إجابـات مفصلة نلخصها ببعض تصرف في النقاط التالية[2]:

1. مفهوم (الجمهوريـة الإسـلامية) واضـح لا يحتـاج إلى كثـير من الشرح، فالمفهوم مركب من كلمتين: كلمة (جمهورية) وكلمة (إسلامية)، وكلمـة الجمهوريـة: تعـني شـكل الحكومـة المقترحـة، وكلمة إسلامية: تحدد محتوى هذه الحكومة.

2 ـ أن السر في اختيار لقب [الجمهوريـة] لإيـران هـو تميـيز النظام الحاكم في إيران عن غيره من النظم التي حكمت العـالم؛ فمنها النظام الفردي الوراثي، كنظـام السـلطنة والنظـام الملكي، ومنها النظام الارستقراطي، كالنظم التي يحكم فيهـا الفلاسـفة أو الحكمـاء أو المتخصصـون أو الأشـراف، ومنهـا حكومـة المتنفـذين وأصـحاب رؤوس الأمـوال ودافعي الضـرائب، وغيرهـا من النظم والحكومات.

3 ـ أن [الجمهورية] تعني حكومة عامـة النـاس، أو الحكومـة التي يتمتع فيها جميع النـاس بحـق الانتخـاب دون تمـايز بينهم في الجنس أو اللـون أو العقيـدة، والشـرط الوحيـد في المنتخب هـو

[1] قضايا الجمهورية الإسلامية، مرتضى مطهري، ص: 2، فما بعدها.

[2] المرجع السابق، ص3.

البلوغ والنضوج العقلي لا غير .. إضافة إلى ذلك، فالهيئة الحاكمة المنتخبة تحكم لفترة معينة، وللشعب حق إبقائها أو تغييرها بعد انقضاء تلك الفترة .. وهذا الشكل من أنظمة الحكم هو (الجمهوري)، وهو الشكل المقترح لنظام الحكم في إيران.

4 ـ أن كلمة [إسلامية] تعني تحديد محتوى هذه الحكومة، ومحتوى هذا الشكل ـ أي أن المنتخب حينما يقول نعم للجمهورية الإسلامية، يقترح أن يكون نهج الحكومة على أصول وتعاليم إسلامية، والإسلام ـ كما هو واضح ــ مدرسة فكرية وأيديولوجية وأطروحة لتنظيم الحياة البشرية بجميع أبعادها وشؤونها.

5 ـ بناء على ما سبق؛ فإن (الجمهورية الإسلامية) تقوم على أساس نظام يتمتع فيه أفراد الشعب بحق الانتخاب وبحق تغيير الهيئة الحاكمة، وهذا هو شكل النظام .. أما المحتوى فإسلامي.

6 ـ أن الذين يجدون غموضاً وتناقضاً في كلمة (الجمهورية الإسلامية) قد اختلط عليهم الأمر، وخالوا أن ثمة تناقضاً بين حق السيادة وحق الالتزام بمدرسة فكرية عملية في الحياة، وهؤلاء ظنوا أن الإنسان الملتزم بخط فكري معين والمناضل من أجل تطبيق مبادئ هذا الخط في الحياة الاجتماعية، ليس بحرّ ولا ديمقراطي، ومن خلال هذه المعادلة الوهمية الخاطئة يستنتجون أن الديمقراطية سيتهددها الخطر، إن أضحى النظام إسلامياً وأضحت الجماهير تؤمن بالمبادئ الإسلامية وتطالب بتطبيقها.

7 ــ أن مفهوم الجمهورية لا يعفي الجماهير من التمسك بخط فكري معين والالتزام بمبادئ مدرسة معينة، ويطرح مطهري هنا أسئلة وجيهة على أولئك المعترضين، ويقول لهم فيها: (تُرى، هل تعني الديمقراطية أن يلتزم كل فرد بخط فكري خاص، أو أن يتخلى جميع الأفراد عن أي التزام بمدرسة فكرية؟!.. ترى، هل الإيمان بمبادئ قائمة على أساس العلم والمنطق والفلسفة، والتسليم لهذه المبادئ، يعارض الديمقراطية؟!)[1]

8 ـ أن الأكثرية الساحقة من الشعب الإيراني تؤمن إيمانا

---

[1] المرجع السابق، ص5.

راسخاً بمبادئ الإسلام، وليس في هذا الإيمان المطلق ذنب ولا عيب، لكن العيب أن تسلب هذه الأكثرية الساحقة، ومن الأقلية غير المؤمنة، حق النقد والمناقشة والاعتراض.

وفي جواب عن سؤال آخر لا يزال يطرح أيضا، وهو مهم جدا في فهم عدم التعارض بين النظام الجمهوري والنظام الإسلامي، وينص على كيفية الجمع بين حكم الشعب لنفسه، وتولي الفقيه لذلك الأمر، وقد أجاب عليه مطهري بقوله: (من أجل أن أجيب على ما تقول، لابد أن أذكر أن الشعب الإيراني نال في ثورته الدستورية حق سيادته، لكن هذا الشعب لم يكن يرى أي تعارض بين نيله هذا الحق، والتزامه بالإسلام فكراً وعقيدة وقانوناً ينظم جميع شؤون الحياة، ولهذا نص الدستور الإيراني، المدون عقب انتصار تلك الثورة، على ضرورة السير في إطار القوانين الإسلامية، وصرح بأن أي قانون يفقد اعتباره القانوني إذا كان معارضاً لقوانين الإسلام، كما نص الدستور الذي تمخضت عنه الثورة الدستورية الإيرانية على ضرورة وجود خمسة فقهاء في مجلس النواب للإشراف على القوانين، ولم يكن يخطر على بال رواد الثورة الدستورية أن التمسك بالإسلام والالتزام بالحدود والقوانين الإسلامية يعارض الروح الدستورية والروح الديمقراطية، كما أنهم لم يروا معارضة بين الإسلام وبين قدرة مجلس النواب على التقنين لأن القوانين كانت تُسن في إطار المبادئ الإسلامية، المهم أن يكون الشعب هو المنفذ للقانون الذي آمن به وقَبِله سواء كان الشعب هو الذي سن القانون، أو أن يكون قد سنه صاحب مدرسة فكرية أو منظر قانوني، أو أن يكون القانون الذي آمنت به الجماهير قد تلقته عن طريق الوحي الإلهي، ويتضح من هذا أن الصفة الإسلامية للجمهورية لا تتعارض مع سيادة الشعب أو مع الديمقراطية بشكل عام، والمبادئ الديمقراطية لا تتطلب بالضرورة ابتعاد المجتمع عن كل خط فكري ملتزم)[1]

ثم ذكر أن المشكلة التي يعاني منها المعترضون على نظام

---

(1) المرجع السابق، ص6.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية هو في كونه ينبع من الإسلام، أو يريد أن يطبق الإسلام في جميع شؤون الحياة، ولهذا لا نراهم يعترضون على الأيديولوجيات الأخرى، يقول في ذلك: (إننا نرى الأحزاب تنتمي إلى أيديولوجيات معينة، ولا تعتبر هذا الانتماء معارضاً لمبادئ الديمقراطية، لكن المسألة حينما تطرح على الصعيد الإسلامي، يثير بعضهم شكوكاً وتساؤلات حول إمكان انسجام المفهوم الإسلامي مع المفهوم الجمهوري)

ثم يذكر منبع هذا الاعتراض، وخلوه من الصدق والموضوعية؛ فيقول: (أعتقد أن هذه الشكوك والشبهات تطرح من لدن أفراد لا يزالون يؤمنون بديمقراطية القرن الثامن عشر التي تحدد حقوق الإنسان بإطار مسائل المعيشة والمأكل والمسكن والملبس وحرية انتخاب طريقة المعيشة المادية. هذه الديمقراطية التي تحذف من دائرة الحقوق الإنسانية مسائل الانتماء الفكري والالتزام المدرسي والتكامل الإنساني والتحرر من سلطة البيئة والغرائز)

ثم يبين الخصائص التي ميزت الثورة الإسلامية الإيرانية، والنظام الذي نبع منها، وكونها خصائص فريدة تصحح الكثير من المفاهيم السائدة؛ فقال: (لابد أن أشير إلى حقيقة واضحة كل الوضوح هي: أن الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني حددت في شعاراتها ومطالبها نوع النظام الذي تريده. لم يتجه كفاح الشعب الإيراني ضد التسلط السياسي والاستعمار الاقتصادي فحسب، بل اتجه أيضاً إلى مقارعة الثقافات والأيديولوجيات الغربية، إلى مقارعة التبعية للغرب تحت العناوين المغرية نظير الحرية والديمقراطية والاشتراكية والمدنية والتطور والتقدم وغيرها من العناوين الزائفة التي يلوح بها الاستعمار وعملاؤه في عالمنا.. إن الملايين من أبناء الشعب الإيراني حين طالبوا في مظاهراتهم الضخمة الصاخبة بإقامة الجمهورية الإسلامية، قد حددوا في الواقع الإطار الفكري لنظام الحكم الذي يريدونه.. الهوية الوطنية لأي شعب من الشعوب تتمثل في التراث الحضاري المتأصل في أعماق هذا الشعب، وهذه الهوية الوطنية تتمثل لدى جماهير الشعب الإيراني بالإسلام)

***

بعد هذه التصريحات الواضحة من قادة الثورة الإسلامية وفلاسفتها، والتي تبين مدى ارتباط ولاية الفقيه بكل قيم الجمهورية، بل تجاوزها لكل سلبياتها، نرى في الواقع الديني والإعلامي من يقف يقف موقفا سلبيا من [ولاية الفقيه]، وينشر في ذلك الدعايات المغرضة، التي لا تستند إلى أي أدلة واقعية موضوعية، بل تكتفي فقط بتصويرها بصورة ما حصل في الماضي، وخصوصا عند المسيحيين من تلك الحكومات الثيوقراطية[1] الاستبدادية، والتي ثارت عليها الشعوب بعد ذلك، وانتقلت بسببها إلى النظام العلماني، بل إلى الإلحاد نفسه.

ومن الأمثلة على تلك الدعايات المغرضة ما قاله بعض الخليجيين في مقال بعنوان [الثيوقراطية تعود من جديد][2] بعد أن قدم مقدمة في التعريف بالثيوقراطية: (بعدما تخلصت أوروبا وأنهت الحكم الثيوقراطي بكل أشكاله وأنواعه، تطل علينا إيران بنظام ثيوقراطي جديد ومقنن، [حيث] تعتبر إيران نموذجاً جديداً للحكم الثيوقراطي، من خلال مجلس الخبراء، الذي يقوم بتعيين رجل دين بمنصب القائد الأعلى للجمهورية، الذي يمتلك جميع الصلاحيات التشريعية والتنفيذية بيده ولا تنازعه أي سلطة أخرى في إيران! مثل خامنئي الآن الذي يعتبر أعلى سلطة دينية وسياسية بإيران. ويُطلق على هذا النوع من الحكم سلطة [ولاية الفقيه])

هذا نموذج يختصر الكثير من المقالات التي يواجه بها النظام الإيراني، ويعتبر من خلالها نظاما ثيوقراطيا واستبداديا، وأنه بذلك أسوأ الأنظمة الموجودة في الواقع حتى الأنظمة الملكية

1() الثيوقراطية: تعني حكم الكهنة أو الحكومة الدينية أو الحكم الديني، وهي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، حيث تكون الطبقة الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين الذين يعتبروا موجهين من قبل الإله أو يمتثلون لتعاليم سماوية، وتكون الحكومة هي الكهنوت الديني ذاته أوعلى الأقل يسود رأي الكهنوت عليه..

2() نشرته الخليج أون لاين بتاريخ: 28-10-2017، ولم تذكر اسم صاحب المقال.

والعسكرية كما يذكر صاحب المقال.

والدليل الأكبر الذي يستند إليه هؤلاء جميعا هو تلك الصلاحيات الكبيرة المعطاة للولي الفقيه، والتي بموجبها يستطيع أن يغير كل أجهزة الحكم وأركانه؛ فقد تصوروا أن إعطاء مثل هذه الصلاحيات يجعل من الولي الفقيه شخصا مستبدا لا يختلف عن سائر المستبدين[1] .

---

[1] نص الدستور الإيراني في المادة (110) على الصلاحيات والوظائف التي يتولاها الولي الفقيه، وهي:

1- تعيين السياسات العامة لنظام جمهورية ايرانالاسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام.

2- الاشراف على حسن اجراء السياسات العامة للبلاد.

3- اصدار الامر بالاستفتاء العام.

4- القيادة العامة للقوات المسلحة.

5- اعلان الحرب والسلم والنفير العام.

6- نصب وعزل وقبول استقالة كل من: [أ. فقهاء مجلس صيانةالدستور.. ب. أعلى مسؤول في السلطةالقضائية.. ج. رئيس مؤسسة الاذاعة والتلفزيون فيجمهورية ايران الاسلامية.. د. رئيس اركان القيادةالمشتركة.. هـ. القائد العام لقوات حرس الثورةالاسلامية.. و. القيادات العليا للقوات المسلحة وقوىالامن الداخلي]

7- حل الاختلافات وتنظيم العلائق بين السلطات الثلاث.

8- حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية من خلال مجمع تشخيص مصلحة النظام.

9- امضاء حكم تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب. أما بالنسبة لصلاحية المرشحين لرئاسة الجمهورية من حيث توفر الشروط المعيَّنة في هذا الدستور فيهم فيجب ان تنال قبل الانتخابات موافقة مجلس صيانةالدستور وفي الدورة الاولى تنال موافقة القيادة.

10- عزل رئيس الجمهورية مع ملاحظة مصالح البلاد، وذلك بعد صدور حكم المحكمة العليا بتخلفه عن وظائفه القانونية، او بعد رأي مجلس الشورى الاسلامي بعدم كفاءته السياسية ، على أساس من المادة التاسعةوالثمانين.

11- العفو او التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم في اطار الموازين الاسلامية بعد اقتراح رئيس السلطة القضائية. ويستطيع القائد ان يوكل شخصاً آخر اداء بعض وظائفه وصلاحياته.

وحتى نعالج هـذه المسـألة بهـدوء، وبعيـدا عن ذلـك الشـغب الـذي يثـيره الإعلام، ويثـيره معهم بعض الإسـلاميين التقـدميين أو السلفيين، نحاول هنا أن نطلـع على الكيفيـة الـتي تنفـذ بهـا ولايـة الفقيه في الجمهورية الإسلامية الإيرانيـة، سـواء من خلال واقعهـا السياسي، أو من خلال المصادر الفكرية التي تنظر لولاية الفقيـه، وتبين منهج تطبيقها.

وقبل أن نـذكر تفاصـيل ذلـك، نحب أن نـبين أن المشـكلة لا تكمن في الصلاحيات المعطاة لأي جهة، وإنما المشـكلة تكمن في تعامل تلك الجهة مع الصلاحيات الـتي أعطيت لهـا، وهـل تعـاملت معها بحكمة وأمانة وعلم أم لم تتعامل بذلك كله.

ذلك أنه لا يمكن لأي شخص أو مؤسسـة أن تنفـذ مشـروعها ما لم تعط الصلاحيات التي تسمح لها بتنفيذه، وقد أشـار إلى هـذا قوله تعالى عن يوسف عليـه السـلام: ﴿قَـالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَـزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِـنِينَ (56) ﴾ [يوسف: 55 - 57]

فيوسف عليه السلام كما تنص الآيات الكريمة قد أعطاه الله من العلم ما استطاع به أن يضع مشروعا لمواجهة المجاعـة الـتي ستحل بالمصريين، وقد أخبر عزيز مصر عن ذلك المشروع، ولكن بمـا أنـه لا يمكن تنفيـذه إلا لصـاحب الخـبرة الكافيـة، مـع الأمانـة والحفظ، فقد رأى يوسف عليه السلام أنه لا يمكن لأحد أن يــؤدي هـذا الـدور غـيره؛ فطلب إعطـاءه الصـلاحيات الكافيـة لأداء ذلـك الدور، والذي عبر عنه القرآن الكريم بالتمكين.

فالتمكين هو توفير الصلاحيات للحـاكم المسـلم الـذي يجمـع بين العلم والأمانة والأخلاق العالية، والتي تجعله يمارس دوره بكل حرية، لأنه لا يمكن لشخص أن يـؤدي دوره الإصـلاحي في الـوقت الذي تقيد فيه يده عما ترشده إليه حكمته.

وهكذا نرى أن الولي الفقيه ليس مطلق الصلاحيات فعلى سبيل المثال نجد أنـه لا يتمكن من تعيين رئيس الجمهوريـة بـدون انتخـاب شـعبي ، كمـا لا يمكنـه عزلـه بـدون صـدور حكم المحكمة العليا اورأي مجلس الشورى الاسلامي..

ولهذا أخبر القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام أنه أعطي الصلاحيات الكثيرة التي يمكنه من خلالها أن يؤدي دوره كحاكم مسلم، وقد قال تعالى مخاطبه له: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: 39]

وبناء على هذا؛ فلا حرج أن يعطى الفقيه الوارث للرسل عليهم السلام ما كان لهم من صلاحيات في إدارة البلاد، إذا ما كان لديه العلم الكافي بالدين والواقع، بالإضافة إلى الأخلاق العالية التي تجعله لا يقصد من أي حكم يصدره إلا المصلحة العامة، وخاصة إذا أضيف إلى ذلك كونه منتخبا من جهة الشعب، ويعمل تحت رقابته، وبمعونة الكثير من المستشارين في المجالات المختلفة، وهو فوق ذلك كله محاط بسياج الشريعة لا يحل له أن يخرج عنها، أو يتملص من أحكامها.

ففي هذه الحالة، لا يمكن اعتبار النظام نظاما استبداديا، لأن المستبد هو الجاهل صاحب المصالح الذي يفرض آراءه على الأمة التي لم تختره، ولم يتح لها أن تراقبه.

بالإضافة إلى ذلك؛ فإنه لا يمكن لأحد أن يؤدي واجبه ما لم يعط الصلاحيات الكافية التي تخول له أداء ذلك الواجب، كما أشار إلى ذلك الشيخ مصباح يزدي عند تبريره للصلاحيات المعطاة للولي الفقيه؛ فقال: (حينما يعيّنون لأحد واجباً فيلزم ـ والحال هذه أن يوفروا له ظروف أداء ذلك الواجب، ويمنحوه القدرة القانونية لأدائه، وهذا يعني منحه الصلاحيات المناسبة لواجباته.. فحين يجعلون الحكومة مسؤولة عن الحفاظ على أمن البلاد الداخلي مثلاً، فلابد أن يمنحوها مستلزمات الحفاظ على الأمن، وكذلك حين يوكلون إليها مهمة الدفاع عن حدود البلاد، فلابد أن تمتلك صلاحية العمل بما يلزم لحراسة الحدود، وإلا فإن تعيين المسؤولية دون منح الصلاحيات اللازمة عبث لا جدوى منه)[1]

وأشار إليه الشيخ جوادي آملي بقوله؛ عند الحديث عن صلاحيات الحاكم الإسلامي: (يمكننا من خلال ما ذكر حول وظائف

[1] () الحكومة الإسلامية و ولاية الفقيه، الشيخ مصباح يزدي (ص: 38).

الحاكم الإسلامي أن نتعرف على صلاحيات الحاكم في الإسلام. فعندما يتم تحديد الوظيفة للعامل لابد بشكل طبيعي وبالحد الأدنى، أن تؤمن ظروف القيام بها ويعطى السلطة القانونية لأدائها بالإضافة إلى الصلاحيات المتناسبة معها. كمثال، عندما يكون الحاكم الإسلامي مسؤولاً عن تأمين الأمن الداخلي للبلاد، ينبغي أن يحوز على كل ما من شأنه أن يحفظ الأمن، وهكذا في مورد الدفاع، وإلا لزم من ذلك اللغو والعبث)[1]

بالإضافة إلى ذلك نرى في الواقع تلك التقلبات الكثيرة التي تصيب الدول التي لا تمنح مسؤوليها الصلاحيات الكافية؛ وهو ما يجعلهم لا يفكرون تفكيرا استراتيجيا يؤمن للدولة تقدمها وتطورها، بقدر ما يفكرون في إرضاء أولئك الذين انتخبوهم، حتى لو كان في ذلك مفسدة لمصالح الدولة في مستقبلها أو مبادئها.

وقد عبر عن ذلك الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي بقوله: (إن نظرية ولاية الأمة على نفسها هي نظرية الانقلابات المتكثرة واللاإستقرار الاجتماعي، والتخلي عن الدين كشرع يحكمنا في كل صغيرة وكبيرة؛ فإننا إذا بنينا على ولاية الأمة على نفسها بدون ضوابط، وكان هذا حقها الحصري، تأتي مجموعة أسئلة لتثير مخاوف تجعل مصالح الأمة في معرض التسيب والزوال؛ فإنه لو لم يكن للفقيه ولاية يتمكن من خلالها من إلزام الأمة بسلوك الطريق الصحيح، ونقصد الإلزام الشرعي، فهذا يعرض الأمة للفساد ولتسلط المنحرفين عليها ويفسح المجال لظهور حكومات لا علاقة لها بالإسلام، وفي هذا تضييع للهدف المنشود من وراء تشكيل حكومة ترعى شؤون المسلمين.. ثم ما أسهل أن تسيطر قلة قليلة على الأكثرية من خلال الإعلام ونمط تثقيفي تربوي معين وقدرة مالية، فبدل أن تكون الولاية للأمة على نفسها، وهو الشعار البراق، نكون قد أعطينا الولاية لتلك الفئة القليلة على الأمة)[2]

---

[1] () الكلمة الطيبة (دروس في ولاية الفقيه) جوادي آملي (ص: 9)

[2] () الفقيه والسلطة والأمة مالك مصطفى وهبي العاملي (ص: 98)

وبناء على هذا أشار الخميني في مواضع كثيرة من كتبه وخطاباته إلى ضرورة إعطاء الولي الفقيه جميع الصلاحيات التي تتيح له أن يؤدي دوره في تحكيم الشريعة، لما لديه من مؤهلات وكفاءات تسمح له بذلك، ومن ذلك قوله في بعض رسائله: (لو كانت صلاحيات الحكومة محكومة بسقف الأحكام الفرعية الإلهية الكلية يصبح جعل الحكومة الإلهية والولاية المفوضة لنبي الإسلام ﷺ لغواً، وسيسبب ذلك ارتباكات على المستوى العملي لا يمكن لأحد أن يلتزم بها، كشق الشارع المستلزم أحياناً للتصرف في منزل أو في حريم منزل، فإن مقتضى الأحكام الفرعية الكلية هو عدم جواز هذا التصرف، ومثل نظام التجنيد الإجباري والبعث الإجباري إلى الجبهات، مع أن الأحكام الفرعية الكلية تقتضي عدم جواز ذلك إلا حين الوجوب العيني على كل مكلف. ومثل المنع من إدخال وإخراج العملات الصعبة، ومقتضى الأحكام الشرعية الكلية جواز ذلك. ومثل المنع من إدخال وإخارج أي سلعة ومنع الإحتكار عموماً، مع أن مقتضى الأحكام الشرعية حصر منع الإحتكار بالموارد الأربعة المعروفة. ومثل فرض الجمارك والضرائب بالخمس والزكاة ونحوهما مما أوجبه الشرع. ومثل المنع من الغلاء وتحديد الأسعار، والمنع من نشر المواد المخدرة ومنع الإدمان بأي نوع غير المسكرات، ومنع حمل الأسلحة مهما كان نوعها، ومئات من أمثلة ذلك التي تصبح بمقتضى ذلك التقييد خارجة عن صلاحية الحكومة)(3)

وبناء على هذا، وبناء على كون الولي الفقيه يمارس نفس الدور الذي مارسه النبي ﷺ في دولته التي أقامها بالمدينة المنورة، كان من الواجب إعطاؤه كل الصلاحيات التي تتيح له ذلك، كما يذكر الخميني ذلك بقوله: (فالذي يجب قوله هنا أن الحكومة شعبة من الولاية المطلقة لرسول الله ﷺ، وهي من الأحكام الأولية المقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصلاة والصوم والحج. فبمقدور الحاكم أن يهدم مسجداً أو منزلاً من أجل شق شارع، ويستطيع أن يعطل المساجد حين اللزوم، وأن

---

(3) نقلا عن : بحوث في ولاية الفقيه،سلسلة المعارف الإسلامية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط3، 2007م، ص55-59.

يهـدم مسـجداً يكـون ضـراراً إذا لم يمكن رفـع الضـرر بدونـه. والحكومة تستطيع من طرف واحد أن تلغي العقود الشرعية التي عقدتها مع الناس حين يكون العقد مخالفاً لمصالح البلد والإسـلام. ويمكنها المنع من أي أمر عبادي كان أو غير عبادي، إن كان تنفيذه على خلاف مصالح الإسلام. ويمكنها أن تمنع مؤقتاً من الحج الـذي هو من الفرائض الإلهية المهمة حين يكون حسـب تشخيصـها على خلاف صلاح البلد الإسلامي)[1]

وكل هذه الصلاحيات الـتي ذكرهـا الخميـني مقـررة في كتب الفقه للحاكم المسلم حتى لـو لم يكن فقيهـا، فكيـف بـه إذا كـان فقيها، وكان في نفس الـوقت مفوضـا من طـرف الشـعب نفسـه كما عبر عن ذلك الخميني بقوله ـ في بيـان يتعلـق ببعض شـؤون الدولة ـ: (بناء على الحق الشرعي، وعلى أسـاس الـرأي المعطى لي من الأكثرية الساحقة من شـعب إيـران، فـإني أعين من أجـل تحقيـق الأهـداف الإسـلامية مجلس شـورى باسـم شـورى الثـورة الإسلامية..)[2]

ومثل ذلك قوله عند تعيين حكومة بازركان: (إننا واستناداً إلى آراء عموم الناس التي ترون، ورأيتم أنهـا معنـا وقبلـوا بتوكيلنـا إن شئتم التعبير أو بولايتنا لذا فإني كحاكم عليهم عينت تلك الحكومة بما لي من الولاية من الشرع المقدس)[3]

بناء على هذا، نحاول أن نذكر هنا الإجراءات العملية التي يتم من خلالها تنفيذ ولايـة الفقيـه في الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة، وهي أحسن رد على كل تلك الشبه الـتي يطلقهـا المغرضـون من غـير أن يكلفـوا أنفسـهم بمطالعـة الدسـتور الإيـراني، ولا طريقـة الحكم في مؤسساتها المختلفة.

---

[1] المرجع السابق.

[2] صحيفة نور ج3، ص 105.

[3] صحيفة النور ج3 ص 224.

وقد رأينا أن تطبيق هذا النظام يستدعي توفر أربعة شـروط، كل شرط منها كفيل برد تلك الشبه، وبيـان مـدى مشـروعية هـذا النوع من الأنظمة وبعده عن كل الأشكال الاستبداد.

وهذه الشروط هي:

1 ـ توفر الكفاءة العلمية والأخلاقية في الولي الفقيه.

2 ـ توفر القابلية الشعبية للولي الفقيه.

3 ـ توفر المرجعية الشرعية والقانونية.

4 ـ توفر المؤسسات التشريعية والتنفيذيه.

وسنتناولها بالشرح في المباحث التالية:

أولا ــ الكفـاءة العلميـة والأخلاقيـة للـولي الفقيه:

وهـو مـا يجعـل قراراتـه أقـرب إلى الصـواب؛ فهـو لم يـرث الحكم كمـا هـو الحـال في الأنظمـة الملكيـة، ولم يصـل إليـه عن طريق انقلابات، كما هو الحال في الأنظمة العسكرية، وإنما تـولاه بناء على ما لديه من كفاءات علمية وأخلاقيته زكته لـدى العلمـاء، وعامـة الشـعب، وبـذلك تكـون تلـك الكفـاءة أكـبر حـاجز لـه عن الاستبداد والظلم.

وقد اهتم الفقهاء المؤيدون لولايـة الفقيـه ــ سـواء كـانوا من قادة الثورة الإسلامية أو من غيرهم، وسواء كانوا إيرانـيين أو غـير إيرانين[1] ـ بالمواصـفات المؤهلـة للـولي الفقيـه، والـتي تـتيح لـه

---

[1] يصر الكثيرون على اعتبار مسألة ولايـة الفقيـه مسـألة مرتبطـة بـالحوزات العلميـة المتواجـدة في إيـران فقـط، وأن سـائر الحـوزات ــ وخاصـة الحـوزة العلميـة في النجـف ـ تخالفها، وذلك غير صحيح؛ فالشيخ النراقي وهو كما ذكرنـا سـابقا من أشـهر من قـال بولايـة الفقيه العامة هو من حـوزة النجـف، ومثلـه الشـيخ النـائيني، والشـيخ محمـد رضـا المظفـر، والسيد عبد الاعلى السبزواري، والسيد محمد باقر الصدر، والشيخ محمـد اسـحاق الفيـاض، والشيخ بشير النجفي، والسيد كاظم الحائري، فكل هؤلاء تلاميذ حوزة النجف الاشـرف، وهم جميعاً يرون ولاية الفقيه العامة، والخميني نفسه أصدر كتابه (الحكومة الاسلامية) حينما كان في النجف، ففيها كان يدرّس ولاية الفقيه العامة.

القدرة على أداء دوره في التعامل مع الصلاحيات المتاحة له.

وهم ينصون على أنها ـ مع كثرتها وصعوبة اجتماعها في شخص واحد ـ ضرورية جدا، ولا يمكن أن توزع على أشخاص كثيرين، لأن ذلك سيضعف الدولة وقرارتها، كما نص على ذلك المرجع الديني الكبير كاظم الحائري[1] في كتابه [أساس الحكومة الإسلامية]، والذي ألفه قبل انتصار الثورة الإسلامية بقوله: (إن نفوذ الكلمة في الحكومات الوضعية ـ وحتى الانتخابية ـ لا يخلو من أن يكون بيد فرد واحد أو بيد أكثر من فرد كاثنين أو ثلاثة، وهكذا بقدر ما تنتخبه الأمة مثلاً؛ فإن كان بيد فرد واحد تمتع الحكم بالمركزية والقوة والسيطرة الكاملة، وهي مفيدة في تنظيم الدولة، لكنه قد يبتلى بالاستبداد والعمل على إغفال الأمة. وكلما اتسعت دائرة من بيدهم الأمر ابتعد الحكم بذاك المقدار عن معرضيته للوقوع في الاستبداد، في حين ضعف تمتعه بتلك الدرجة من القوة والسيطرة والتنظيم)[2]

وبناء على هذا، وحتى تستفيد الأمة من القوة والمركزية، وتتفادى الاستبداد والظلم، وضع الفقهاء السياسيون المؤمنون بولاية الفقيه معايير نظرية وعملية كثيرة أشار إليها الحائري بقوله: (أما الشكل الذي جاء به الاسلام .. وفق ما تنقح في بحثنا عن ولاية الفقيه، فهو شكل ثالث؛ إذ هو لم يجعل الولاية بيد شخص واحد مما يقرب النظام إلى الاستبداد، ولا بيد مجموع الفقهاء بأن يشغل كل واحد منهم جزءاً من منصب الولاية مما يؤدي إلى ضعف المركزية، بل جعلها بيد كل واحد من الفقهاء الجامعين للشرائط، فكل واحد منهم حاكم مستقل، إلا أنه إذا تقدم بعضهم للحكم والتنظيم لم يجز للآخرين شق صفوف

1() هو كاظم الحسيني الحائري (1938 - الآن) هو مرجع شيعي عراقي مُعاصر مقيمٌ بمدينة قم الإيرانية، وهو أحد أبرز تلاميذ محمد باقر الصدر، وكانت تربطه علاقة وطيدة بالمرجع محمد محمد صادق الصدر، ويُتناقل أن الصدر قد أوصى مقلديه بأن يتّبعوا ثلاثة مراجع من بعده كان الحائري أحدهم، والاثنان الآخران هما: محمد اليعقوبي، ومُحمّد إسحاق الفياض، وثلاثتهم يؤمنون بولاية الفقيه.

2() أساس الحكومة الإسلامية، كاظم الحائري (ص: 71).

المسلمين ويجب عليهم التسليم ما لم ينحـرف الأول، ولم يتـورط في أخطاء أشد من مفاسد شق الصفوف، وبهـذا الشـكل احتفـظ الاسـلام بمزايـا كلا الشـكلين من القـوة والسـيطرة الكاملـة من ناحيـة، لأن الفقهـاء الآخـرين لا يـبرزون الخلاف مـادام القـائمون بـالأمر غـير منحـرفين ولا متـورطين في أخطـاء أكـبر من مفاسـد المخالفة، ومن الابتعاد عن الاستبداد من ناحية أخرى، لأن الفقهـاء الآخـرين أيضـاً يتمتعـون بنفـوذ الكلمـة ويراقبـون الحـاكم الأول ويقولون كلمتهم لـو اقتضـت المصـلحة ذلـك، وكـان لابـد من هـذا الأسلوب مادام رئيس الدولة غير معصوم)[1]

ثم بين مدى أهمية هذا النـوع من الأنظمـة وضـرورته وكونـه يجمع بين قوة الدولة والحصانة من الاستبداد؛ فقال: (حينما يكـون هذا النظام مقترناً بحواجز الورع والتقوى والموضوعية من ناحيـة، وبمراقبـة الأمـة للفقهـاء ــ تلـك الأمـة العارفـة باشـتراط العدالـة والكفاءة فيهم والمتربية على تعاليم السـماء ــ من ناحيـة أخـرى، وبالمشورة مع ذوي الاختصـاص والخـبرة في كـل فن من الفنـون من ناحية ثالثة، فإنه سيشـكل خـير نظـام متصـور للحكم .. بعيـداً عن كل ألوان الاسـتبداد والظلم، يوجّـه النـاس نحـو الاقـتراب من رضا الله تبارك وتعالى، وهو الهدف الأقصى للاسـلام الـذي يسـعد المجتمع البشري في الدنيا والآخرة) [2]

ومثلــه ذكــر الشــيخ جــوادي آملي ـــ وهــو من الفلاســفة والمفكرين الإيرانيين الكبار ــ صـورا لولايـة الفقيـه، وبين ضـرورة كونها في شخص واحد، حفاظـا على قـوة الدولـة، واسـتنانا بسـنة الرسـل عليهم الصـلاة والسـلام وخلفـائهم؛ فقـال: (قـد تقـدّمت الإشارة إلى أنّ الحياة الإنسانية الاجتماعية لا تتحقق بدون النظـام والتشكيل، وهو قد يكون بالشورى، وقد يكون بالإمامة، بمعـنى أنّ الحاكم الذي يرجع إليه في حلّ المشاكل، وبِيَده أزمة أمور الملكة وتنفيذها.. هل هو شخص واحد جامع لجميع الشرائط، أم أشخاص

---

[1] المرجع السابق، ص72.

[2] المرجع السابق، ص72.

عديدون يتشاورون ويتبادلون وجهات النظر فيؤخذ بـالمُجمع عليـه أو المشـهور بينهم ـ لأنهم إمـا أن يتفقـوا على أمـر فهـو المُجمـع عليه، أو يختلفون فيه بالأكثر والأقل فهو المشهور لـديهم ـ ولكـل من المسلكين فوائـد ومزايـا، ولكن الأولى هـو الأول مهمـا أمكن؛ لِمَا جرت عليـه سـيرة الأنبيـاء حيث لم تعهـد نبـوة استشـارية، ولا رسالة بالشورى، بل إنّ تعدد الأنبياء في عصـرٍ مـا إن كـان يختص كل واحد منهم بقـوم وقطـر من الأرض، أو كـان بعض منهم تابعـاً لآخر نحو تبعية لوط لإبراهيم عليه السلام .. أو نحـو تبعيـة هـارون لموسـى عليـه السـلام وإن كـان شـريكاً في أمـره، ولكن لم يكن مساوياً له، بل كان وزيـراً وعضـداً لموسـى عليـه السـلام، وهكـذا جرت سمة الإمامة للأئمة حيث إنه لم تعهد إمامـة استشـارية، ولا خلافة وإمامة بالشورى)[1]

بناء على ما سبق ذكره؛ فقد حدد الدستور الإيراني الشـروط المؤهلة لأي شخص لتولي هذا المنصب الرفيع، وذلك في المادة (109) منه، والتي تنص على أن (الشروط اللازم توفرها في القائد وصفاته هي: 1- الكفاءة العلمية اللازمة للافتاءفي مختلـف أبـواب الفقه.. 2- العدالة والتقـوى اللازمتـان لقيادةالامـة الاسـلامية.. 3- الرؤية السياسية الصحيحة، والكفاءة الاجتماعية والادارية، والتدبير والشجاعة، والقدرة الكافيـة للقيـادة.. وعنـد تعـدد من تتـوفرفيهم الشرائط المذكورة يفضّل من كـان منهم حـائزاً على رؤيـة فقهيـة وسياسية أقوى منغيره)

وهي نفس الشروط الـتي ذكرهـا الخميـني في كتبـه وبياناتـه حول ولايـة الفقيـه، والـتي اختصـرها في قولـه ـ عنـد حديثـه عن خصائص الوليّ الفقيه ـ: (الفقيه صاحب العلم والعمل، ذو السيرة الإسلاميّة، والسياسـة الإسـلاميّة، وأن يكـون قـد أفـنى عمـره في الإسلام والمسائل الإسلاميّة)[2]

[1] العناصر الرئيسية للفكر السياسي الإسلامي، جوادي آملي (ص: 10)

[2] صحيفة نور، ج 5، ص 534.

ونص عليها في مواضع أخرى، فذكر أنه (شخص قد ثبت لدى الشعب أنّه ذو أخلاق ودين، وأنّه شخص وطنيّ وصاحب علم وعمل.. وهو الّذي ينتخبه الشعب، وهو الفقيه الّذي أمضى عمره في الإسلام وخدمته.. وهو الفقيه المطّلع على المعايير والذي يعيش الحياة الّتي يعيشها الناس العاديّون.. وهو المجتهد المؤيَّد من قبل مجلس الخبراء، والمدافع عن حيثيّة الإسلام في العالم .. وهو شخص وقف نفسه لخدمة الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة وكان في خدمة المحرومين والمستضعفين .. ويجب أن يُنتخب للقيادة أكثر الفقهاء لياقة ومعرفة والتزاماً)[1]

وهي شروط مبنية على أدلة عقلية ونقلية كثيرة، نص عليها قادة الثورة الإسلامية وفقهاؤها، ومنهم الخامنئ في كتابه [الحكومة في الإسلام]، بقوله: (إن المجتمع الذي يحمل أفراده إيماناً بالله، ينبغي أن تكون الحكومة القائمة فيه حكومة دينية إسلامية، تطبق التعاليم الإسلامية، وتنفذ الشريعة والأحكام الإسلامية في حياة الناس. وينبغي أن يكون على رأس تلك الحكومة شخص يتمتع بصفتين بارزتين وأساسيتين هما: أولاً: أن يكون الأعلم بالأحكام والشريعة والفقه الإسلامي، ثانياً: أن يتمتع بملكة ضبط النفس والسيطرة عليها من الوقوع في المعاصي وهو ما اصطُلح عليه عرفاً بـ [العدالة][2] .. هاتان السجيتان: من الضروري توفرهما في الشخص الذي يريد تطبيق الأحكام الإلهية والقوانين الإسلامية في المجتمع الإسلامي، وقد صرح دستور دولتنا بذلك بشكل واضح في باب [ولاية الفقيه])[3]

ثم بين مدى البداهة التي تدل على هذا؛ فقال: (أعتقد أننا

---

[1] () المرجع السابق في مواضع متفرقة منها: ج 6، ص 234، ج 18، ص 41 ، وغيرها.

[2] () عرف الخامنئي العدالة بأنها (ملكة نفسية وخصلة روحية تمكّن الإنسان من صيانة نفسه من ارتكاب الذنوب واقتراف الآثام، بيد أنها لا تعني العصمة، فالخطأ يمكن أن يصدر من الناس العاديين، ولكنها تعني عدم التعمد في ارتكاب المعصية أو الإصرار على مقاربة الذنب) [الحكومة في الإسلام (ص: 10)]

[3] () الحكومة في الإسلام (ص: 9).

لسنا بحاجة إلى دليل نقلي للبرهنة على [ولاية الفقيه]، على الرغم من أن الأدلة النقلية الروائية متوفرة في القرآن والحديث، وكلها تدلل على حكومة الفقهاء والعلماء الربانيين. بيد أننا لو لم يكن لدينا أي دليل نقلي على حكومة الخبراء بالدين في المجتمع الإسلامي، فإن العقل والأدلة المنطقية تشير إلى حقيقة أنه من أجل تطبيق الأحكام الإلهية، وتنفيذ القوانين الدينية في المجتمع ينبغي أن يتصدى لذلك أشخاص يمتلكون الأهلية، والكفاءة والصلاحية اللازمة، في هذا المضمار ممن لديهم إطلاع ومعرفة بالشؤون الدينية، وإذا كان المتصدي لذلك ـ مثلاً ـ شخص لا يؤمن أساساً بحكومة الدين فإنه لا يكون جاداً في تنفيذ الأحكام الإلهية فيما بين الناس، ولربما لا يرضى بها أساساً.. إن هذا يكفي للتدليل على هذه الحقيقة دون الحاجة إلى نقل ما ورد في الآيات والروايات، وخصوصاً إذا كان الطرف المخاطَب يحمل مثل هذا الاعتقاد بضرورة تطبيق الأحكام الإلهية والقوانين الإسلامية في المجتمع، ويرى أن هذا من مستلزمات الإيمان بالله وبالإسلام، إذ من البديهي للمجتمع الذي تُدار إدارته للأحكام والقوانين الإسلامية، أن يحكمه ويديره امرؤ مطّلع وعارف بهذه الأحكام)[1]

والتساؤل الوجيه الذي يثار بعد هذا هو عن كيفية التعرف على تلك الشروط ومدى توفرها في المتصدي لهذا المنصب الرفيع، خاصة مع وجود الكثير من المراجع والعلماء والفقهاء، وقد طرحت لتحقيق هذا الكثير من الصور.

منها اعتماد الطرق التي تثبت بها المرجعية، وعيب هذه الطرق ـ كما يذكر مالك مصطفى وهبي العاملي ـ هي كونها تحدد الفقيه الذي يجيب عن التساؤلات البسيطة للفرد والمجتمع، ولا يرقى لأن يجيب عن التساؤلات التي تحتاجها الأمة جميعا، يقول في ذلك: (نحن نعرف طرق التشخيص المتبعة في المرجعية وقد ذكرت في الكتب الفقهية وهي الطرق الثلاثة المعروفة: شهادة أهل الخبرة، والشياع المفيد للعلم، والمعرفة الشخصية بالشخص المتصدي للمرجعية، وهذه الطرق الثلاثة وإن أمكن اعتمادها في

---

[1] الحكومة في الإسلام (ص: 11).

باب المرجعية، لكن لا يمكن تبينها كلها في باب الولاية)[1]

أما سبب رفض الطريق الأول، وهو البينة المؤلفة من قول شاهدين من أهل الخبرة؛ فترجع ـ كما يذكر ـ إلى ثلاثة نواح، هي[2]:

1 ـ أن البينة ذات بعد فردي لا اجتماعي، ولذلك لا تشكل أساساً لمعرفة اجتماعية، إذ الذي يطلع عليها هو الفرد، وهذا لا يفيد بالنسبة للأمة.

2 ـ أنه سيفسح المجال لأن يكون جميع الفقهاء ولاة فعليين، إذ ما من فقيه متصد أو يريد التصدي إلا وسيجد من يشهد له بأهليته لذلك، بل ربما يأتي أناس يدعون أنهم أهل خبرة كما يحصل أحياناً في مجال التقليد، فتضيع الأمور على الناس وتتشابك، وربما نتنازع فيما بيننا وفي هذا تضييع لهدف تشكيل الحكومة الإسلامية.

3 ـ أنه ستظهر حالات التعارض في شهادات أهل الخبرة لتعيين الأفضل، لأن البينة التي تشهد على أفضلية فلان تنفي أفضلية غيره فيقع التعارض والتنافي بين البينات وتسقط تلك الشهادات عن الإعتبار.

أما الطريق الثاني، وهو المعرفة الشخصية، فهذا ـ كما يذكر العاملي ـ (ينفع صاحب المعرفة فقط دون غيره، ويستحيل عادة أن يملك جميع أفراد الأمة الخبرة الشخصية الكافية لمعرفة أهلية الشخص للولاية) [3]

أما الطريق الثالث، وهو [الشياع المفيد للعلم أو الإطمئنان]؛ فهو مع أهميته وعقلانيته إلا أن المشكلة فيه هو صعوبة التحقق

---

[1]() الفقيه والسلطة والأمة، مالك مصطفى وهبي العاملي (ص: 68).

[2]() المرجع السابق، (ص: 69)

[3]() المرجع السابق، (ص: 69)

من مدى صدق ذلك الشياع.

وقد تبنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية هذا الطريق، بعد توفير الشروط المناسبة التي تؤمن صدق الشياع، وكونه مفيدا حقيقة لليقين العلمي، وذلك عبر (تشكيل مجلس حاشد من أهل الخبرة العدول، وبالتالي يمكن من خلال إيكال الأمر إلى هؤلاء تحصيل العلم أو الإطمئنان بكفاءة الشخص المعين للولاية، أو بأفضليته إن كنا نبحث عن الأفضل.. ومع تحصيل العلم أو الإطمئنان من قول أهل الخبرة بالأفضلية لا يضر حينئذ أي قول معارض، لأن قول هذا المعارض هو في أحسن الحالات لن يفيد أكثر من الإحتمال الضعيف الذي لا يعتني به عقلائياً)[1]

وميزة هذا المجلس ـ وهو ما يسمى في إيران [مجلس الخبراء] ـ هو كونه مجلسا منتخبا من طرف الشعب، وبذلك يكون للشعب، ولو بطريق غير مباشر، دورا في تحديد الولي الفقيه، وهذا له دور كبير في تشخيص من توفرت فيهم الكفاءة العلمية والخلقية لهذا المنصب الرفيع، ذلك أن هذا الانتخاب يستدعي أن يكون الفقيه صاحب سمعة طيبة، وأخلاق عالية، وقدرات على فهم المجتمع، وبذلك يُعزل عن هذا المنصب الرفيع كل من لم تتوفر فيه هذه الشروط الأساسية.

وقد بين العاملي مزايا هذه الطريقة، وإن كانت لم تستعمل في التاريخ الإسلامي إلا بعد الثورة الإسلامية الإيرانية؛ فقال: (وهذا الذي قلناه يقتضي أنه لا يكفي أن يكون الشخص المطروح للولاية غائباً عن علم الناس وخبرائهم، كما لا يكفي أن يكون معروفاً عند القلة القليلة منهم، بل لابد من أن تعترف معظم الأمة به وقبولها لقيادته، وذلك إما من خلال معرفتها التامة به، أو من خلال شهادة كثيرين من أهل الخبرة المرضي عنهم من قبل الأمة بكفاءته وأهليته، أو من خلال تعينه من بين الفقهاء بذلك) [2]

---

[1] المرجع السابق، (ص: 70)

[2] المرجع السابق، (ص: 67)

وبهـذا اسـتطاع هـذا النظـام أن يحتمي من أكـبر أسـباب الاسـتبداد والتسـلط، وهـو تصـدي الظلمـة والمسـتكبرين لتـولي المناصـب الرفيعـة، والتمتـع بالصـلاحيات العاليـة الـتي تجعلهم يمارسون طغيانهم على المجتمع.

ذلك أن المجتمع ـ بحسـب هـذه الطريقـة ـ هـو الـذي يحـدد خبراءه وفقهاءه الذين لا تتوفر فيهم القدرات العلمية فقط، وإنمـا يتوفر معها الكثير من التقـوى والعدالـة والأخلاق العاليـة، ذلـك أن المرء مهما حاول أن يخفي أخلاقه، فستظهر لا محالة في سلوكه، ومع المختلطين به.

ثانيا ـ القابلية الشعبية للولي الفقيه:

وهذا ما يطلـق عليـه في الاصـطلاح الشـرعي [البيعـة]؛ فهي تعبر عن قابلية المجتمع لنظام الحكم، وللفقيه الذي يتولاهم، وهـو بذلك يمارس دوره وفق تلك القابلية، ولا يفرض نفسه عليهم.

ومع أن نظام ولاية الفقيـه ـ كمـا عرفنـا في المبحث الأول ـ يستند إلى الشرعية الدينية، باعتبار الفقيه نائبا عن الرسل والأئمة في إدارة شؤون الأمة، إلا أننا نجد للبعد الشعبي فيهـا محلا كبـيرا، ذلك أن الولي الفقيه نفسه ـ كما ذكرنا سابقا ـ لا يمكن أن يُرشـح لهذا المنصب إلا بعد أن تتوفر له القابلية الشعبية، وبعدها تتوفر له قابلية النخبة في مجلس الخبراء.

وقد صرح الخميني قبل انتصار الثورة وبعدها بأن الغرض من الثورة هو أن يملك الشعب زمام أمره بيده، ويستقل في قراراته، ولا يفرض عليه أي شيء خارج إرادتـه، ومن ذلـك قولـه في حـوار أجرته معه صحيفة [فاينانشل تايمز] البريطانية، قبل انتصار الثورة الإسلامية: (من الحقوق البديهيّة لأيّ شعب أن يمتلك زمام ومصير تعيين شكل ونوع حكومته)[1]

وعندما سئل عن المقصود من [الجمهوريّـة الإسـلاميّة] قـال: (ماهيّـة حكومـة الجمهوريّـة الإسـلاميّة أنّهـا الّـتي تتشـكّل طبـق

[1] الوصيّة الإلهيّة السياسيّة، ص 42..

الشروط الّتي وضعها الإسلام للحكومة معتمدة على آراء عموم الشعب، وتتعهّد إجراء الأحكام الإسلاميّة)[1]

وقال في محل آخر: (نحن نتّبع رأي الشعب. ونحن نتّبع كلّ ما يريده الشعب. ونحن لا يحقّ لنا، ولم يجز الله تعالى والرسول ﷺ لنا، أنْ نجبر مسلماً على شيء ما)[2]

وهكذا نجد للشعب وقابليته محلا كبيرا في خطاباته، حيث يصرح فيها بأمثال هذه العبارات: (المعيار رأي الشعب)، أو (أعيِّن الحكومة بما منحني الشعب من قبول)[3]

بل إنه يصرح بأن الولي الفقيه نفسه هو نتيجة عملية لقرار الشعب وخياره، حيث يقول: (الفقيه الّذي ينصبه الشعب للقيادة)[4]، ويقول: (يجب العمل على انتخاب أكثر الفقهاء لياقة وعلماً والتزاماً للقيادة)، ويقول في وصيته: (ووصيّتي إلى الشعب الشريف أن يكونوا حاضرين في جميع الانتخابات... أو انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة، وأن يكون منتخبوهم وفق الضوابط الّتي تجب مراعاتها، مثلاً لينتبهوا إلى أنّه إذا حصل تسامح في انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة أو القائد.... فمن المحتمل جدّاً أن تلحق بالإسلام والبلد خسائر لا تعوّض)[5]

وقال فيها مخاطباً رئيس مجلس الخبراء: (إذا انتخب الشعب مجلس الخبراء الّذي يقوم باختيار مجتهد عادل للقيادة، فعندما يقومون بتعيين شخص لهذه المهمّة فهو بالضرورة محلّ قبول

1() شهرية كتاب ماه، 30 فروردين 1378 هـ ش، ص11.

2() شهريّة كتاب ماه، 30 فروردين 1378هـ ش، ص 11.

3() 12 /11/1357 هـ ش..

4() الإمام الخمينيّ، صحيفة نور، ج2، ص434.

5() الوصيّة الإلهيّة السياسيّة، ص51،.

الشعب، وسيصبح الوليّ منتخباً من الشعب وحكمه نافذاً)[1]

ويـبين أن كـل المكتسـبات الـتي حصـلت عليهـا الجمهوريـة الإسلامية هي نتيجـة لتضـحيات الشـعب، ولـذلك يجب أن يحافـظ عليه عبر مراقبته لكـل مـا يحصـل في الواقـع، يقـول في وصـيته: (أما وصيتي إلى الشعب الإيراني العزيز فهي أن (تقـدروا) النعمـة الـتي كسـبتموها بجهـادكم العظيم وبـدماء شـبابكم الرشـيدين، قدّروها حق قدرها كأعز الأمور إليكم، وحافظوا عليها واحرسـوها، وابذلوا الجهد في سـبيلها فهي نعمـة عظيمـة إلهيـة وأمانـة كبـيرة ربانيـة. ولا تهـابوا المشـاكل الـتي تـواجهكم في هـذا الصـراط المستقيم.. وشاركوا حكومة الجمهورية الإسلامية بكل مشـاعركم في مشاكلها واسـعوا لحلهـا، واعتـبروا الحكومـة والمجلس جـزءاً منكم، وحافظوا عليها محافظتكم على محبوب عزيز)[2]

وهكــذا راح يوصــي مؤسســات الحكــوم برعايــة الشــعب والاهتمام به وتلبية حاجاته؛ فيقـول: (وأوصـي المجلس والحكومـة والمسؤولين أن يقدروا هذا الشعب حق قـدره. وأن لا يـألوا جهـداً في خدمته وخاصة المستضعفين والمحرومين والمظلـومين منهم، فهؤلاء ضياء أعيننـا وأوليـاء نعمتنـا جميعـاً، والجمهوريـة الإسـلامية عطيتهم وتحققها كان بفضل تضـحياتهم، وبقاؤهـا رهين خـدماتهم. اعتبروا أنفسكم من الجماهير والجماهير منكم، واسعوا دائمــاً إلى إدانة الحكومات الطاغوتيـة، (فحكامهـا) غـزاة نـاهبون متوحشـون ومتعنتـون وفـارغون، (هـذه الإدانـة) طبعـاً (يجب أن تتم) بأعمـال إنسانية تليق بحكومة إسلامية)[3]

وهكذا نرى القائد الحـالي للجمهوريـة الإسـلامية السـيد علي الخامنئي يذكر في كتبه وخطبه القابلية الشـعبية، وكونهـا الحصـن

---

[1] صحيفة نور، ج21، ص129.

[2] وصية الامام (ص: 31).

[3] المرجع السابق، ص32.

الأكبر الذي يعتمد عليه نظام ولاية الفقيه؛ فهو نظام ولد من أحضان المجتمع، ولم يفرض عليه من جهة خارجية، ومن ذلك قوله في كتابه [الحكومة في الإسلام] عند بيانه لصلاحيات الولي الفقيه، وانسجامها مع المطالب الشعبية: (إن إشراف الولي الفقيه على جميع المراكز الأساسية والمرافق الحساسة في المجتمع الإسلامي، أمر ضروري، وقد استجاب دستورنا لهذه الضرورة ولبّاها؛ فإن الولي الفقيه يمارس بالفعل إشرافه ــ كما ورد في دستور الجمهورية الإسلامية ـ على جميع المراكز الحيوية والحساسة في هذا المجتمع، وله حضور فاعل ومؤثر فيها، وهذا أمر ليس بحاجة إلى دليل وبرهان، بل العجيب هو ما قد يطرحه بعض الأشخاص مما يعدّونه دليلاً على رفض ولاية الفقيه ودحضها)[1]

ثم بين أسباب تلك القابلية الشعبية التي توفرت في الإيرانيين، فجعلتهم ينتخبون على ولاية الفقيه بنسبة عالية جدا؛ فقال: (وطبعاً إذا كان ثمة مجتمع ليس لديه أدنى اهتمام بالقيم الإلهية والمعايير الدينية، فإنه يرضى أن يكون على رأسه امرؤ يفتقد إلى أي من الأخلاق الإنسانية، وأن يكون الحاكم فيه شخص محترف للفن ـ مثلاً ـ أو ثري ذو أموال طائلة، ليقوم بتسيير عجلة الأمور فيه، أما المجتمع الملتزم بالقيم الإلهية، والقائم على اعتناق عقيدة التوحيد، والنبوة والشريعة الإلهية، فإنه لا يرى بداً من القبول بأن يكون على رأسه شخص عالم بالشريعة الإسلامية والتعاليم الإلهية، وتتجسد فيه الأخلاق الفاضلة، وتتجلى فيه الخصال الحميدة، ولا يقترف الذنوب ولا يرتكب المعاصي، ولا يقع عمداً في الخطأ والاشتباه، غير جائر ولا ظالم ولا طامع في شيء من الحطام لنفسه، بل يتحرق للآخرين ويفضل إقرار القيم الإلهية على القضايا الشخصية والأمور الذاتية والمصالح الفئوية)[2]

ومن خلال هذه النصوص والتصريحات، والتي سنرى الكثير

---

[1] الحكومة في الإسلام، السيد علي الخامنئي (ص: 11).

[2] المرجع السابق، ص11.

من تطبيقاتها في الفصل الثاني من هذا الكتاب، يتبين لنا مدى بعد النظام الإيراني عن الاستبداد، ذلك أن المستبد لا يعترف بشعبه، ولا يراعي له حرمة، ولا يهتم بقابليته، ولا برفضه، لأنه يعتبر نفسه وصيا عليه، لا ابنا من أبنائه، على خلاف ما نراه في الواقع السياسي الإيراني، والذي يتلاحم فيه الشعب ومسؤوليه تلاحما شديدا، وهو ما أعجز قوى الاستكبار العالمي عن مواجهته، ذلك أنه يستحيل الانتصار على شعب يؤمن بنظامه، بل يقدسه.

ثالثا ــ توفر المرجعية الشرعية والقانونية للدولة:

من أهم ما يُرد به على دعوى الاستبداد المرتبط بولاية الفقيه كون الفقيه نفسه خاضعا في تصرفاته ومواقفه وحكمه، بل حتى في حياته الشخصية لما يمليه عليه وصفه الذي بموجبه أعطي تلك الصلاحيات، وهو وصف [الفقه]؛ فلو أنه تخلى عنه لحظة واحدة، ولو في حياته الشخصية، فارتكب كبيرة من الكبائر التي تخرجه من العدالة، لكان لمجلس الخبراء المنتخب شعبيا عزله كما ينص على ذلك الدستور الإيراني.

ولذلك كان من الصعب وصف من هذا حاله بالمستبد، وكيف يكون مستبدا، وهو يعمل بنفس القانون الذي يحكم به شعبه، بل هو يلزم نفسه بأن يكون أكثر التزاما منهم به، لأنه لم يحظ بفرصة التولي عليهم إلا بعد ذلك التمحيص الطويل الذي رشحه لأن يزكيه لا عامة الشعب فقط، وإنما يزكيه معهم الفقهاء والعلماء والمفكرون والنخبة المثقفة.

ولهذا عندما نطالع بيانات وخطب ومواقف قادة الثورة الإسلامية نجد هذه المعاني تتردد كل حين، ليذكروا الشعب بأن القانون هو الحَكَم الذي يخضع له الجميع، وكيف لا يخضعون له، وهو مستمد من شريعة الله تعالى؟

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الخميني عند حديثه عن مدى التزام رسول الله ﷺ بالقانون، باعتباره أول ولي فقيه في الأمة، وباعتباره المرجع الأول لجميع الفقهاء؛ فقد قال في ذلك:

(القـانون هـو الّـذي يحكم في الإسـلام. والرسـول الأكـرم ﷺ لم يتخلّف أبداً عن القانون الإلهيّ، فهو تابع له، والله سـبحانه وتعـالى يقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْـهُ بِـالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: 44 - 46])[1]

ويقول في موضع آخر: (في باب أخلاق رسـول اللـه ﷺ ذُكـر أنّـه لم يطلب شـيئاً لنفسـه أو يـردّ مظلمـة عنهـا، فـإذا مـا هُتكت محارم الله تعالى، فإنّه كان يغضب لله تبارك وتعالى)[2]

وبناء على ذلك يذكر أن جميع فقهاء الأمة، وأهل الحكم فيهـا ملزمـون بتطـبيق القـوانين الإلهيـة، التزامـا حرفيـا اسـتنانا بسـنة رسـول اللـه ﷺ، يقـول في ذلـك: (إنّ حكم اللـه وقـانون الإسـلام يجري على جميع الأفراد في الحكومة الإسلاميّة، فهو يشمل جميع الأفراد من الرسول الأكـرم ﷺ إلى خلفائـه عليهم السـلام وسـائر أفراد المسلمين بدون استثناء)[3]

وبناء على ذلك أيضا؛ فإن القانون ـ كما يذكر الخميـني ــ هـو السـلطان الأكـبر الـذي يحكم الأمـة، والـذي على جميـع الشـعب طاعته والخضوع له، ابتداء من قائـده، وانتهـاء بجميـع مؤسسـاته، يقـول في ذلـك: (إنّ حكومـة الإسـلام هي حكومـة القـانون، هي حاكميّة القوانين الإلهيّة من القرآن والسنّة، والدولة تابعة للقـانون أيضاً، فنفس النبيّ ﷺ تابع للقـانون، وكـذلك نفس أمـير المؤمـنين كان تابعاً للقانون أيضاً، فما كانوا ليتخلّفوا عن القانون طرفة عين أبداً، وما كانوا يستطيعون ذلك لو أرادوا)[4]

ويقول في خطاب له بعد انتصار الثـورة الإسـلامية: (الإسـلام

1() صحيفة الإمام، ج 10، ص 310 و 311.

2() شرح حديث جنود العقل والجهل، ص 244.

3() الحكومة الإسلامية، ص 44 ـ 45..

4() صحيفة الإمام، ج 11، ص 22.

دين القانون، حتى النبي ﷺ لم يكن باستطاعته أن يخالف.. إنه حكم القانون ولا حكم لغير القانون الإلهي، لا الفقيه ولا غير الفقيه، الجميع تحت القانون، إنهم مجرون للقانون ومنفّذون، الفقيه وغير الفقيه كلهم مجرون للقانون، الفقيه ناظر على هؤلاء الذين يجرون القانون حتى لا يخالفوا القانون، لا أنه يريد هو أن يحكم.. يريد أن يمنع تحول الحكام الذين يفترض بهم أن يطبقوا القانون ـ إلى طواغيت)[1]

ولهذا كان يدعو كل حين للتعجيل بسن القوانين التي تحكم البلاد، لأن الدولة القوية العادلة هي دولة القانون، يقول في خطاب وجهه لأساتذة وموظفي جامعة شيراز في أوائل أيام انتصار الثورة الإسلامية: (كلنا نعرف مواطن الخلل، إلا أن لذلك وقته، حاجتنا الأساسية الآن تدوين الدستور والاستفتاء عليه.. كل هذا الخلل القائم (في المرافق المختلفة) يجب أن يعالج، إلا أن وقت العلاج يحين عندما نستقر عندنا حكومة (دائمة).. ويمكننا أن نقول للعالم: هذا بلدنا، هذا نظامنا، هذا قانوننا، وهذا رئيس جمهوريتنا، هذا مجلسنا، ليعترف الناس وتعترف الدنيا بأننا نظام بكل معنى الكلمة، عندها ننصرف إلى هذه الجزئيات)[2]

ويقول في خطاب آخر: (أنتم تعلمون أننا نمر بمرحلة حساسة تستدعي اجتياز الاستحقاقات التي نواجهها، وهي الخطوات الأولية التي هي عبارة عن الدستور ومجلس الخبراء، ومجلس النواب ورئيس الجمهورية، وكل ما هو أساس في بناء الدولة، هذه هي الاستحقاقات ويجب أن يتحد الجميع لإنجاز ذلك. في مثل هذا الموقع الحساس يحاول الأعداء أن يحولوا دون اجتياز هذه المراحل، ولهذا رأيتم أنهم لجأوا إلى التشويش في الاستفتاء على شكل الجمهورية، ويحاولون ذلك الآن ليمنعوا تحقيق الأهداف الإسلامية)[3]

---

[1] المرجع السابق، ج10، ص48 .

[2] المرجع السابق، ج8 ، ص78 .

بالإضافة إلى هذا؛ فقد ضرب الخميني من نفسه أحسن مثال عن الخضوع والامتثال التام للقوانين التي تسن في البلاد، ومن الأمثلة على ذلك قوله في خطاب له لابنه أحمد: (جاءني مبعوث من قبل السيد كلبايكاني، وقال: إن سماحته أكد على الحذر من معارضة مسألة الملكية التي تم طرحها في مجلس الخبراء، للإسلام وتعاليمه، كي لا تثير الاعتراض، وطلب الاتصال بالسيد بهشتي، فتول أنت الاتصال وأكد لهم ضرورة الحذر من حصول أية مخالفة للشرع حتى لا تلقى معارضة)[1]

ومن الأمثلة على ذلك أيضا، قوله في رسالة له متحدثا عن ابنه أحمد وممتلكاته: (إني أعلن أنه ليس لأحمد في أي بنك داخلي أو خارجي أو أي مؤسسة أي سهم أو مبلغ، وأنه لا يملك في أي مكان ما في الخارج أو الداخل أي أرض زراعية كانت أو غير ذلك، ولا يملك أي مبنى أو ما شابه ذلك. وإذا تبين من بعدي أنه يملك أيا من ذلك في الداخل أو الخارج، فأنه على الحكومة آنذاك أن تصادرها منه بإجازة فقيه ذلك الزمان، وأن تحاكمه. والمؤمل هو أن يراعي مسؤولو الجمهورية الإسلامية دوما الضوابط، وأن يحترزوا من العلاقات)[2]

وعلى دربه سار خليفته الولي الفقيه المعاصر السيد علي الخامنئي الذي نراه لا يدع مناسبة إلا ويتحدث فيها عن كون القوانين هي الحاكمة في البلاد لا أهواء المسؤولين، ومن ذلك قوله في مراسم تنفيذ حكم رئاسة جمهوريّة الرئيس خاتمي (2/8/2001): (في النظام الإسلاميّ - أي سيادة الشعب الدينيّة - الشعب ينتخب، يتّخذ القرارات، ويتولّى إدارة أمور البلاد من خلال منتخبيه، لكنّ هذه الإرادة وهذا الانتخاب والاختيار هي في ظلّ

3() المرجع السابق، ج8 ص102.

1() المرجع السابق، ج 9، ص: 255.

2() نص الرسالة كاملة في موقع: دار الولاية للثقافة والإعلام.

الهداية الإلهيّة، ولا تسير أبدًا خارج طريق الصلاح والفلاح، ولا تتنكّب أبدًا عن الصراط المستقيم، المسألة الأساسيّة، في سيادة الشعب الدينيّة، هي، أنّها هديّة الثورة الإسلاميّة للشعب الإيراني، هذه التجربة الجديدة والحديثة العهد، لكن يمكن التأمّل فيها ومتابعتها ومحاكاتها، لكلّ الذين تتوق قلوبهم للفضائل وللمجتمع الإنسانيّ الطاهر والنزيه، ويعانون من الرذائل الأخلاقية وانتشار قبائح الأخلاق البشريّة)[1]

ويقول في خطابه لأعضاء مجلس خبراء القيادة (14/ 3/2002): (إنّه لخطأ كبير أن نخلط ونمزج اليوم بين سيادة الشعب الدينيّة، بهذه الفلسفة العميقة ورعاية حقّ الشعب، وبين ما هو موجود في الغرب. هذه هي السيادة الشعبيّة الحقيقيّة، والشارع المقدّس، طبق الموازين الفقهيّة التي بين أيدينا.. ذلك لأنّ الأصل هو عدم سلطة أحد على أحد، عندما يريد إنسان أن يتدخّل في شؤون الناس الآخرين، ينبغي لهذه المؤهّلات أن تكون موجودة حتماً. تشخيص هذه المؤهّلات - أيضًا وطبق نهجٍ عقلائيّ ومحطّ ثقة يقع على عاتق الأشخاص الذين لهم القدرة على ذلك، والشعب في نظام الجمهوريّة الإسلاميّة يعلن عن هذا الطريق اختياره وبيعته. إنّ مشاركة الشعب واختياره بواسطة الأشخاص، الذين يعرفون هذه المؤهّلات ولديهم القدرة على تشخيصها في الشخص، والذين هم مسؤولون عن الإشراف عليها، ومراقبة وجودها وبقائها، والذين يعرفون ما يجري- هي من أرقى الوظائف الموجودة)[2]

وهكذا نجد جميع القادة والمفكرين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية يعتبرون القانون المستمد من الشريعة الإسلامية هو الحكم الأعلى في البلاد، ولا يجوز لأحد تجاوزه، ابتداء من الولي الفقيه نفسه، بل يذكرون أن دور الولي الفقيه هو مراقبة تطبيق القانون في الواقع، ولذلك تكون مسؤوليته في تطبيقه مضاعفة،

---

[1] تأسيس الحضارة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي (ص: 43)

[2] المرجع السابق، (ص: 44)

بل هو أولى الناس بتطبيقه.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ جوادي آملي في كتابه [ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة] في معرض جوابه عن سؤال حول معنى [الجمهورية الإسلامية]:(لقد حدد الإسلام علاقته بالجمهور أو الجمهورية أولاً، وحدد ارتباط الجمهور بالدولة ومصادر الثروة وكيفية التوزيع وطريقة تنظيم العلاقات داخليا ودوليا ... ثانياً، وتتمثل علاقة الإسلام بالجمهور بأنه وليهم لا وكيلهم، فالمستشار والمعاون والمضارب والمساقي والمزارع والضمين والمحامي سواء كان حقوقيا أو ماليا، وجميع الأشخاص الذين يحيون في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، مسؤولين كانوا أم غير مسؤولين، القائد منهم وأعضاء مجلس الخبراء ورئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى وغيرهم إنما يخضعون لولاية الإسلام لا غير، وبالطبع فإنّ الشخصية الاعتبارية للقائد الإسلامي ـ الفقاهة والعدالة ـ ليس سوى الإسلام، فالقائد شأنه كشأن سائر أبناء الأمة تابع محض للشخصية الاعتبارية أي القوانين الإسلامية، ويتضح من خلال بيان كيفية ارتباط الجمهور بالإسلام أن ارتباط الجماهير بالأحكام الإلهية ارتباط ولائي، وليس توكيلا وما شابه ذلك، والموارد التي حددها الإسلام كحقوق أو واجبات أو صلاحيات أو تكاليف للجمهور إنما يصادق عليها وتنفذ في ضوء دراسة من قبل خبراء الأمة ــ مباشرة أو غير مباشرة ــ والرؤية الفقهية للفقهاء تحت إشراف الفقيه الجامع لشرائط القيادة، وكذلك في ضوء وجهة النظر الحقوقية للحقوقيين المتخصصين والملتزمين وبالأشراف الآنف الذكر))[1]

ويقول في كتابه [الكلمة الطيبة: دروس في ولاية الفقيه] في بيان أنواع الحكومات وعلاقتها بالاستبداد: (يمكن تقسيم الحكومات إلى ثلاثة أنواع: أولها، الحكومة الاستبدادية المبنية على أساس السيطرة والقوة، حكومة الأقوى الذي يمسك زمام الأمور بكل قدرة ممكنة، كما كان مثل فرعون.. الثانية حكومة الناس على الناس (حكومة الشعب): وتقوم هذه الحكومة على أساس

---

[1] ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة جوادي آملي (ص: 56).

رأي الأكثرية، وهدفها تأمين حاجات الناس، مثل الحكومات التي يصطلح عليها بالديمقراطية التي تنتشر في عالم اليوم، ويكون المعيار للمصلحة والفساد والجمال والقبح والحق والباطل والخير والشر مبنياً على رأي الأكثرية.. وثالثها الحكومة الإلهية، وهذا النوع من الحكومات ليس حقاً للحاكم الذي يظفر بالقوة والسلطة، ولا حقاً للناس بحيث تكون خاضعة لقوانينهم، بل هي حق لله الذي هو رب العالمين، أما حدود فعالية هذا النوع من الحكومات فإنها تشمل، بالإضافة إلى الأمور الاجتماعية، الأخلاق والعقائد. فهي تقدم لهم البرنامج الواضح على مستوى العقيدة وتقرر لهم القوانين والقواعد على مستوى الأخلاق والسلوك. لهذا، فإن حق السلطة في الحكومة الإسلامية ينحصر بالله، وجميع المؤمنين في هذا الدين متساوون، وعليهم جميعاً رعاية القانون والأمر الإلهي. وبتفويض أمورهم ومصيرهم إلى الله في جميع الأحوال، فإنهم يقبلون بسلطة الحاكم والولي المعين من قبل الله. ومن هنا، ففي مثل هذه الحكومة لا يوجد فرق بين الحاكم الذي يكون نبياً أو إماماً أو مجتهداً عادلاً وبين أفراد المجتمع ـ سواء من ناحية شمولية الفتوى أو القانون أو من حيث القيادة والولاية ـ وهذا ما يختلف عن سائر الحكومات الأخرى. فإن الحاكم وجميع أبناء الشعب ملزمون برعاية الأحكام الإلهية والحكومية)[1]

ويضرب مثالا على ذلك بقول الإمام علي: (أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها)[2]

ونحب أن نرد هنا باختصار على شبهة يوردها الكثير من المغرضين، وهي كون الدستور الإيراني ينص على أن المذهب الرسمي في إيران هو المذهب الجعفري الاثنا عشري، ويبنون على ذلك بأنهم لا يستمدون قوانينهم من الفقه الإسلامي

---

[1]() الكلمة الطيبة (دروس في ولاية الفقيه) جوادي آملي (ص: 12).

[2]() نهج البلاغة، 2/90.

المتداول لدى المذاهب السنية، وإنما يطبقون دينا آخر غير الإسلام، ويبنون عليه كذلك كون إيران دولة طائفية وأن دعواتها للوحدة الإسلامية لا تنسجم مع اعتبارها للمذهب الجعفري مذهبا رسميا.

والذين يطرحون هذه الشبهة، لا يعرفون المذهب الجعفري، ولا الأصول التي يعتمد عليها، ولا الفروع التي نشأت عنها، ولو أنهم طالعوها من كتب الفقه القديمة والحديثة لعرفوا أن هذا المذهب، وخاصة في شؤون الحياة المختلفة، لا يختلف كثيرا عن سائر المذاهب، بل هو يتفق معها في أكثر الفروع، بالإضافة إلى أنه يمنح مساحة كبيرة للاجتهاد المبني على القواعد الشرعية، والذي لا يخالف النصوص القطعية من الكتاب والسنة.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا نرى كل دولة من دول العالم الإسلامي تعتمد مذهبا رسميا، مع كونها قد يكون فيها مذاهب أخرى، ومن الأمثلة على ذلك، أن السعودية ـ عبر هيئاتها الدينية الرسمية ـ تتبنى المذهب الحنبلي بل السلفي المغالي، مع وجود شيعة كثيرين فيها.

وهكذا نرى الجزائر وليبيا تعتبران المذهب المالكي مذهبا رسميا على أساسه تحدد الكثير من الوظائف والفتاوى، مع وجود الإباضية فيها، ولكنها مع احترامها لها، تعتبرها أقلية، ذلك أن المذهب الرسمي يعتمد على الأغلبية، لا على الأقلية.

ولهذا؛ فإن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وحتى يحدد الإطار المرجعي لحاكمية الشريعة، ذكر المذهب الجعفري باعتباره مذهب الغالبية العظمى من سكان إيران، وهو مذهب لا يختلف عن سائر المذاهب الإسلامية، لأنه يعتمد القرآن الكريم والسنة المطهرة، بل يرى ضعف كل اجتهاد أو رواية تخالف القرآن الكريم والسنة القطعية.

وهذا لا يعني تحقيره لسائر المذاهب الإسلامية، بل هو يحترمها، بل يطبق أحكامها الخاصة بها في المدن التي تكون فيها، وهي أحكام لا تعدو بعض الفروع البسيطة المرتبطة بالأحوال

الشخصية.

ولهذا لا نرى في قادة الثورة الإسلامية، أو المنظرين لولاية الفقيه أي نبرة طائفية، بل هم يتحدثون عن الإسلام، ويعتبرون المسلمين جميعا إخوة، ولا يفرقون بينهم على أساس مذاهبهم.

ومن الأمثلة على ذلك قول الخميني في بعض خطاباته الموجهة لأهل السنة: (إنني دائماً في خطاباتي وكتاباتي كنت أؤكد على أمرين، الأول أنه في الإسلام ليس هناك وجود للعرق والتعصب واللغة، فالإسلام للجميع ولمصلحة الجميع، ونحن إخوة بحكم القرآن والإسلام، فالأكراد والأتراك والبلوش إخوة، ويجب أن نعيش مع بعضنا بوئام، فقد قطعنا يد الأعداء عن بلادنا.. وما أريد التأكيد عليه هو أن لا يظن الإخوة السنة أن في الإسلام فرق بيننا وبينهم، فكما أنه هناك أربعة مذاهب سنية وهم أخوة مع بعضهم البعض، فإن هناك مذهب خامس، وليس هناك أية عداوة بيننا، فالجميع إخوة ومسلمون، الجميع أتباع القرآن والرسول الأكرم ﷺ أما ما يثار هنا وهناك فإنه من نسج العناصر الفاسدة المتبقية من النظام البائد وعملاء الأجانب الذين يثيرون أمثال هذه الفتن لمصلحة أسيادهم، وعليكم أيها الأخوة أن تنتبهوا إلى هذا الموضوع. ولا يخفى إنهم بذلك يسعون للحؤول دون أداء الإسلام لدوره، فهم لا يهدفون الى بث الفرقة بين الأكراد والفرس، وإنما يعارضون الإسلام، ومن واجب المسلمين جميعاً أن يقفوا في وجههم ويحبطوا مخططاتهم)[1]

ويقول مخاطبا لهم: (الإسلام هو وحده الذي يحرص على مصالح الشعب، ومن يؤمن بالإسلام هم وحدهم الذين يعملون لأجلكم، فالقرآن مربي الجميع وللجميع ويجب علينا أن نكون معا تحت ظلال القرآن، وتأكدوا أن دعايات هؤلاء المخربين مغرضة وقد رأيتم كيف بدأوا بإحداث الفوضى والخراب وجيشنا جاء لكي يتصدى لهم .. فكل هذه المناطق إسلامية وإيرانية وجميعنا ايرانيون ومسلمون وتابعون للقرآن)[2]

---

(1) صحيفة الإمام، ج 9، ص: 286.

رابعـــا ـــ تـــوفر المؤسســـات التشـــريعية والتنفيذيه:

من أهم الممــيزات الــتي لا يمكن لأحــد من المغرضــين أو غــيرهم تجاهلهــا أو غض الطــرف عنهــا في النظــام الحــاكم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ما يســمى بالمؤسســات، فهي دولــة ذات مؤسسات كثـيرة، والقـرار فيهـا يخضـع للمعالجـة في محـال مختلفة، منها ما يرتبط بموقف الشعب، ومنها مـا يرتبـط بموقـف الشريعة، ومنها ما يرتبط بالواقع المحلي والعالمي.

وهكذا لا تصدر القرارات إلا بعـد تمحيصـها ودراسـتها دراسـة متأنية من جميع النـواحي العلميـة والشـرعية والواقعيـة، وهـو مـا تطلبه الشريعة الإسلامية التي تأمر بالاستعانة بـالخبراء في جميـع المجالات، كما قال تعـالى: ﴿فَاسْـأَلْ بِـهِ خَبِـيرًا ﴾ [الفرقـان: 59]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَـةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَـوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيـظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْــرِ فَـــإِذَا عَـــزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَـــوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]

ولهذا، فإن الولي الفقيه، الـذي يسـتن بسـنة رسـول اللـه ﷺ في توليه لهـذه الوظيفـة، يسـتن بـه أيضـا في جميـع مسـتلزماتها وصفاتها والأخلاق التي ترتبط بها.

وهـذا المعـنى لا نجـده في أي نظـام آخـر، سـواء كـان من الأنظمــة الاســتبدادية كالأنظمــة الملكيــة أو العســكرية أو حــتى الأنظمـة الـتي تسـمي نفسـها أنظمـة ديمقراطيـة، ذلـك أن تلـك الأنظمة حتى لو راعت مطالب الشعب في قراراتها إلا أنهـا قـد لا تــراعي المطــالب الأخلاقيــة والمبــادئ الإنســانية، على عكس الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي ترى تلـك المبـادئ حاكمـة على الشعب جميعا حكاما ومحكومين.

ولهذا نراها لا تتيح لأي كان لأن يرشــح نفســه في الانتخابـات المختلفة، إلا بعد أن يمر على المؤسسات التي تـدرس شخصـيته،

---

(2) المرجع السابق.

وتبحث في مدى كفاءته وقدراته حتى لا يتسلل لتلك المناصب الرفيعة من لا يكون كفؤا لها، على عكس الأنظمة الديمقراطية التي تتيح للمهرجين والممثلين لأن يرشحوا أنفسهم، وينالوا المناصب الرفيعة، لا بسبب قدراتهم وكفاءاتهم، وإنما بسبب تلك الشهرة التي نالوها.

ولهذا أيضا نرى في الجمهورية الإسلامية بسطاء الناس، وأبناء الأحياء الفقيرة يصعدون إلى أعلى المناصب، وعبر انتخابات شعبية، لأنه لا توجد شركات أو مؤسسات مالية تتحكم في الانتخابات، مثلما هو حاصل في الغرب، وإنما تشرف عليها مؤسسات علمية ودينية وشعبية، ليس لها من هم سوى مراقبة مدى كفاءة ونزاهة المترشحين.

وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ جوادي آملي عند رده على تهمة الاستبداد في ظل ولاية الفقيه، مبينا جذورها التاريخية؛ فقال: (إن ما يطرح تحت عنوان الاستبداد الديني، له جذور من الناحية التاريخية في الفكر الليبرالي، حيث يتهم الفقهاء بالاستبداد الديني في إجراء الأحكام الإلهية والضغط دون أي تسامح في ذلك، ومنشأ هذا الاتهام يعود إلى الاستبداد الديني الذى مارسته الكنيسة الأوربية في القرون الوسطى.. فعندما يقوم المتغربون بمطالعة تاريخ تلك الحقبة يقومون بمقارنة غير عادلة بين ما حدث في الغرب وما يطرح تحت عنوان ولاية الفقيه، يريدون بذلك أن يشيروا إلى أن ولاية الفقيه تشبه الاستبداد الديني الذي حدث في الغرب على يد الكنيسة) [1]

وانطلاقا من هذا يذكر أن هناك فرقا كبيرا بين كلا النظامين: نظام ولاية الفقيه الذي تمارسه إيران في الوقت الحالي، والمبني على المؤسسات المختلفة، ونظام الكنيسة الذي كان يمارس في العصور الوسطى، والذي لم تكن تمثله أي مؤسسات سوى مؤسسة الكنيسة؛ فيقول: (لكن الحقيقة هي أن ولاية الفقيه تعنى ولاية العارف بالإسلام والعادل والتقي، ومثل هذا الحاكم يجب عليه أن يستشير أهل الخبرة، ولا يتناسب الاستبداد مع العدالة،

[1] () المرجع السابق، (ص: 14).

أما لو اتجه الفقيه الحاكم نحو الاستبداد فإنه سيعزل تلقائياً، وحيث إن خبراء الأمة يشرفون على أدائه، فإنهم يعلنون عزله عندما يجدون أنه يستبد ولم يعد يمتلك صفة العدالة. فحكومة الولي الفقيه ليس فيها جهة الاستبداد والتسلط، بل هي حكومة القرآن والسنة) [1]

وهنا يورد الكثير من المغرضين شبهاتهم حول علاقة بعض المؤسسات بالولي الفقيه، وينكرون عليها كون الولي الفقيه هو الذي يحدد بعض أعضائها، ومن الأمثلة على ذلك [مجلس صيانة الدستور]، وهو من الهيئات التنظيمية الرئيسية في إيران، والتي تلقى انتقادات كبيرة من المغرضين لأن وظيفتها الإشراف على عمل مجلس الشورى الإسلامي، حيث أن جميع قوانين البارلمان يجب أن تحصل أولا على موافقة هذا المجلس قبل اعتمادها.

فهم ينكرون أصل هذا المجلس، وينكرون كذلك كونه يتكون من اثني عشر عضواً، ستة أعضاء منهم من الفقهاء والخبراء في القانون الإسلامي، ويتم تعيينهم مباشرة من قبل الولي الفقيه، والستة الباقون من المحامين ذوي الخبرة، ويتم ترشيحهم من قبل رئيس السلطة القضائية، ويتم التصويت عليهم من قبل أعضاء مجلس الشورى الإسلامي.

وللرد على هؤلاء المغرضين نذكر أنه يمكننا أن نعتبر أولئك الأعضاء الستة الذين رشحهم الولي الفقيه في هذه المؤسسة، أو غيرهم من الأعضاء في المؤسسات الأخرى، مرشحين من طرف الشعب نفسه، ذلك أن للشعب نوعين من الانتخابات:

أولها: انتخاب على الدستور ونوع القوانين التي تحكم البلاد، وقد حصل في إيران على نسبة عالية من الموافقة الشعبية، مع كونه يعرّف بكل هذه المؤسسات، ويبين طريقة عملها، وبذلك يكون الشعب الإيراني قد أتاح للولي الفقيه كل السلطات التي تسمح له بتطبيق الشريعة الإسلامية، أو مراقبة تطبيقها في الواقع.

---

[1] () المرجع السابق، (ص: 14).

ثانيها: انتخاب مباشر على الأعضاء، والذي أتيحت له الكثير من المؤسسات في النظام الإيراني، فرئيس الجمهورية والبرلمان والمجالس البلدية وغيرها كلها مؤسسات ينتخب عليها الشعب مباشرة، بل حتى المؤسسة التي يخرج منها الولي الفقيه، مؤسسة منتخبة من طرف الشعب.

وبذلك يكون للشعب دوره ورأيه في كل ما يحصل في المؤسسات المختلفة إما عن طريق الانتخاب المباشر لأعضاء تلك المؤسسات، أو عبر الانتخاب غير المباشر، والمرتبط بالمبادئ والقيم والقوانين التي تحكم البلاد.

وهذا يوجد نظير له في الكثير من الدول الديمقراطية، والتي لا تعطي الحرية الكافية للأعضاء المنتخبين في تقرير ما يشاءون، بل تضع دونهم الحوائل التي تحمي قراراتهم من أن تسيء للسياسة الاستراتيجية التي تعتمدها البلاد.

وبذلك يمكن اعتبار مجلس صيانة الدستور في النظام الإيراني مشابها لحد كبير لبعض المؤسسات الضامنة للدستور في الكثير من الدول الديمقراطية، حيث نجد فيها ما يسمى بالمحكمة الدستورية، أو المجلس الدستوري، والذي لا يختلف في وظيفته كثيرا عن مجلس صيانة الدستور الإيراني.

وقد أشار الشيخ جوادي آملي إلى هذا المعنى في ردوده على ربط ولاية الفقيه بالاستبداد؛ فقال: (في الأنظمة الدينية، تكون حرية الناس في تعيين مصيرهم بيدهم واختيارهم ضمن إطار الدين، أي أن الناس يرسمون مصيرهم على أساس الدين أو المذهب الذي اختاروه. وكمثال على ذلك ما جاء في الأصل الثاني من دستور جمهورية الصين الشعبية أن [الحزب الشيوعي الصيني هو نواة القيادة لكل الشعب الصيني]، أي أن النظام الحاكم يجب أن يعمل وفق الموازين الاشتراكية، وهذا التحديد قد حصل من جانب الناس بانتخابهم المسبق للنظام الاشتراكي، وفي النظام الجمهوري الإسلامي أيضاً، قبل الشعب من خلال اختياره المسبق للجمهورية الإسلامية، تحت عنوان مظهر الحاكمية الإلهية

ومصداق الحكومة الإسلامية)[1]

وردا على سؤال يقول: (يحصل الفقيه الجامع للشرائط على الولايـة من دون أن يكـون لـرأي النـاس دخـل فى تعيينـه، إذاً، فلا اعتنـاء بـرأي الشـعب في انتخـاب الـولي الفقيـه)، أجـاب الشـيخ جوادي آملي بقوله: (يتم إعمـال رأي الشـعب من طـريقين: الأول بصورة مباشرة حيث ينتخب الشعب شخصاً بصورة مباشـرة مثـل رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى، والطريق الآخر بصورة غير مباشرة، حيث يوكل الشعب أشخاصاً يقومون باختيار شـخص لهذه المسؤولية، ولاشك أن الوكلاء هنـا يعـبرون عن رأي الشـعب الذي انتخبهم، مثل اختيـار الـوزراء بـاقتراح من رئيس الجمهوريـة الذي انتخبه الشعب، حيث يقوم مجلس النـواب بالموافقـة عليهم، كونه يمثل رأي الشعب)[2]

وبين دور الشعب في اختيار الولي الفقيه نفسه؛ فقـال: (أمـا في مورد قيادة المجتمع الإسلامي وطبقاً للتـدبير الـذي طـرح في الدستور يوجد طريقان: الأول: من خلال الإقبـال الحاسـم لأكثريـة الشعب على فقيه عادل وجامع للشرائط، حيث يصبح الأخير قائداً للمجتمع الإسلامي، كما حـدث مـع قائـد الثـورة العظيم ومؤسـس الجمهوريـة الإسـلامية في إيـران؛ فقـد شـاركت الأمـة في تعـيين القائد بشكل مباشر، والثاني: عبر الخبراء الذين ينتخبهم الشـعب، حيث يختار هؤلاء من بين الحائزين على الشرائط قائدا، ففي هذه الصورة أيضاً، قام الشعب بالانتخاب، ولكن بطريقة غـير مباشـرة، وفي كلا الحالين يمكن الجمع بين ولاية الفقيه وحاكمية الشـعب))[3]

ومن الميزات المهمة الـتي نجـدها في المؤسسـات الإيرانيـة

---

[1] المرجع السابق، (ص: 14).

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

ذلك الفصل بين السلطات؛ فكل مؤسسة تمارس دورها بكل حرية، وفي نفس الوقت تشعر أن هناك رقابة عليها حتى لا تخرج عن الدستور وقوانين البلاد، وبذلك تشعر بأنها مع حريتها المتاحة لها مسؤولة عن المبادئ والقيم التي تحكم الدولة.

وقد أشار الخميني إلى هذا المعنى في خطاب مفصلي قال فيه: (عندما يؤدي كل فريق عمله ولا يتدخل في عمل غيره، ينتظم أمر الدولة فتصبح دولة يمكن أن تتقدم، أما إذا أصبح كل فريق يتدخل في عمل الآخر، فلا يستطيع أحد أن يؤدي مهمته.. هذا تكليف شرعي للجميع، للحرس، للشرطة، للجيش، للدرك، للمجلس، لرئيس الجمهورية.. الجميع مكلفون شرعاً، يجب أن يلتزم كل بوظيفته التي حددها القانون..لقد حدد القانون لكلٍ وظيفته، فإذا تجاوز أحد القانون وأراد التدخل في مجال عمل غيره فقد خالف الشرع.. ليلتزم رئيس الجمهورية بما حدده له القانون ولينفذه بطريقة جيدة.. كذلك المجلس، لا يتدخل المجلس في مجال عمل السلطة التنفيذية أو السلطة القضائية.. إذا أراد أن يتدخل في مجال عمل الآخر فلن تُبنى دولة)[1]

ومن الميزات المهمة التي نجدها في المؤسسات الإيرانية أيضا عدم تدخل المؤسسات العسكرية في الشؤون السياسية، ولهذا لا نجد أي انقلابات عسكرية في إيران على عكس الكثير من الدول حتى المتطورة منها.

وقد دعا الخميني في خطاب تاريخي له إلى عدم دخول الجيش في الصراعات السياسية، فقال: (على قادة الجيش وجميع القوات المسلحة حفظ هذه القوات من التدخُّل في السياسة، إن تدخل الجيش في السياسة مساوٍ لزوال حيثية الجيش.. الأمور السياسية في الجيش أشد فتكاً من الهيرويين.. كيف يقضي الهيرويين على الإنسان، كذلك هي الأمور السياسية تقضي على روحية الجيش ورؤيته)[2]

1() صحيفة الإمام، ج12 ص261 ..

2() المرجع السابق، ج15 ص1 ـ 9 ..

ويبين سبب ذلك، فيقول: (الجندي الذي يتدخل في الأمور السياسية يفقد جنديته، الجندي الذي ينصبّ تفكيره على أمور من قبيل من تقدم ومن تأخر، ماذا سيجري هنا.. وماذا هناك.. الفريق الفلاني كيف سيتصرف، والفريق الفلاني كيف؟ لا يعود أهلاً لاسم الجندية.. إنه شخص سياسي اغتصب قبعة الجندية)[1]

وهكذا يخاطب قيادات الحرس الثوري بقوله: (المهم أن لا توجد في الحرس حالة تلحق الضرر بروحية أفراد الحرس .. يجب أن تحولوا دون دخول الجهات السياسية إلى الحرس، فإن دخول الجهات السياسية إلى الحرس يعني زوال الجهات العسكرية .. أوصوا الحرس دائماً أن يعتبر كل منهم نفسه دائماً محارباً في خدمة الناس)[2]

ويقول في خطاب آخر مخاطبا لهم: (لا يجوز لأفراد الحرس الدخول في التحزبات، فيصبح هذا مؤيداً لهذا، وذاك مؤيداً لذاك.. ما علاقتكم أنتم بما يجري في المجلس، وقد بلغني أن الحديث كان يدور في الحرس حول الانتخابات.. الانتخابات تبحث في محلها.. ما علاقة الحرس حتى يوجد الاختلاف بينهم.. هذا ليس جائزاً للحرس، ليس جائزاً للجيش. إن هذا يمنع الحرس عن القيام بواجبه الذي هو في عهدته) [3]

ويقول مخاطبا مسؤولي وزارة الأمن: (الأمر الآخر الذي يحظى بالأهمية هو أن جميع الأشخاص في هذه الوزارة يجب أن لا يكون لهم انتماء إلى أي حزب ومجموعة.. الارتباط بالمجاميع يستتبع الارتباط الفكري والعلمي، وهذا يتنافى مع عملكم يجب أن تكونوا جميعاً حياديين، حياديين، أن تزاولوا عملكم بمعزل عن العداوة والصداقة والمعرفة وعدم المعرفة .. يحب أن يكون أفراد

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق، ج18 ص62 .

[3] المرجع السابق، ج19 ص26..

الأمن مستقلين نزيهين ومتقين) [4]

(4) المرجع السابق، ج19 ص177..

الفصل الثالث

ولاية الفقيه.. والحرية المنضبطة

تعتبر الحرية القيمة الكبرى التي ناضلت من أجلها كل الشعوب لتخرج من قيود الطواغيت والمستبدين، وتسترد ممتلكاتها من مغتصبيها، وتمارس حياتها بعيدا عن كل الضغوط، ولهذا كانت شعارا أساسيا في كل الثورات ابتداء من الثورة الفرنسية إلى الآن.

بل لو درسنا التاريخ جيدا لوجدنا أن كل الدعوات الإصلاحية في التاريخ ترتبط بالدعوة للتحرر والانعتاق من نير الظلمة والمستبدين، لتنعم الشعوب، مجتمعات وأفرادا، بحقوقها بعيدا عن كل القيود.

وهكذا كانت الحرية شعارا في الثورة الإيرانية، لم يحمله الشيوعيون أو الاشتراكيون، أو الليبراليون فقط، بل حمله معهم وقبلهم الإسلاميون، وخصوصا الذين تحولوا بعد ذلك إلى قادة للثورة الإسلامية.

ولهذا نجد في الخطابات الكثيرة التي ألقاها الخميني أو غيره من قادة الثورة حديثا كثيرا عن الحرية والانعتاق من نير الشاه وظلمه واغتصابه لحقوق الشعب، وتلاعبه بثروته.

ومن الأمثلة على ذلك الخطاب التاريخي الذي يسمى [خطاب الإنتصار]، والذي ألقاه الخميني بتاريخ 1/ـ 4/1979 م، بمناسبة إعلان نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، ومما جاء فيه مما يتعلق بالحرية، وكونها من المطالب التي تحقق بسبب الثورة الإسلامية: (على أي حال فإننا فزنا والحمد لله في هذا الاستفتاء، وقد ظهر بطلان ما كتب في الصحف الأجنبية، وقد أدلى شعبنا برأيه مائة في المائة تقريباً لصالح الجمهورية الإسلامية، وعلى الشعب أن يطبق هذه الجمهورية الإسلامية بعد اليوم.. يجب أن تتغير جميع الأمور في إيران في ظل الجمهورية

لإسلامية، فالجامعات يجب أن تتغير، وتتبدل الجامعات العميلة إلى جامعات مستقلة.. وثقافتنا يجب أن تتبدل، وتحل الثقافة المستقلة محل الثقافة الاستعمارية.. وزارة العدل يجب أن تتغير؛ فالقضاء الغربي لا بد أن يتحول إلى القضاء الإسلامي.. اقتصادنا يجب أن يتغير، فالاقتصاد العميل يجب أن يتحول إلى اقتصاد مستقل.. وجميع الأشياء التي كانت في حكومة الطاغوت، وكانت قد طبقت استجابة لأوامر الأجانب في هذا البلد الضعيف، هذه الأشياء يجب أن تنقلب رأساً على عقب بعد أن استقرت الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية)[1]

فهذا النص يبين مفهوم الحرية لدى قادة الثورة الإسلامية، وهو مفهوم ينطلق من الهوية الإيرانية ذات البعد الإسلامي؛ فهو يدعو كل المراكز والمؤسسات التي كانت خاضعة للسيطرة والفكر الغربي إلى تعديل وجهتها لتنسجم مع الإسلام، ومع مطامح الشعب والقيم التي يؤمن بها.

وهذا على عكس ما يريده المغرضون الذين يتصورون أن إبعاد الشعب عن هويته وتحقيق متطلبات غرائزه هي الحرية، مع كونها ـ كما يذكر قادة الثورة الإسلامية ـ ليست سوى مصايد لإفساد الشعوب وإلهائها عن المطالبة بحقوقها.

ولهذا ينتقد الخميني تلك الرؤية الغربية للحرية، ويعتبرها من التدليس الذي يحتالون به على الشعوب للسيطرة عليها، يقول في ذلك: (إن أحكام الجمهورية الإسلامية التقدمية تسبق جميع الأحكام في سائر العقائد والطبقات.. نحن نرى إن دعاة الديمقراطية يتكلمون عن ديمقراطيتهم إلا أن ممارستهم للديمقراطية تختلف في الشرق عما في الغرب، ففي الشرق يواجه شعبهم ديكتاتورية كبيرة وفي الغرب كذلك، ونحن نرى أن بعض الأشخاص يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان، ولكننا رأينا أن جمعيات حقوق الإنسان لم تتكلم كلمة واحدة خلال هذه الخمسين سنة التي سيطرت فيها حكومة بهلوي الغاصبة، ومن ثم حكومة

---

[1] انظر: نص الخطاب كاملا في: خطاب الانتصار [خطابات وكلمات الخميني التي ألقيت في المناسبات السنوية لذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران]، ص 24

ابنه حيث سرق جميع أموال الشعب، ونرى خلال هذه السنوات الخمسين كيف قضى شبابنا في السجون وكم من شباب قد تم نشر أرجلهم بالمنشار وحرقوهم بواسطة المقلاة وقد مكثوا في السجن وتحت التعذيب حتى الأيام الأخيرة لما قبل الثورة. لقد مضى جلاوزة الشاه السابق عليهم ولم نر دعاة حقوق الإنسان طوال هذه المدة يتكلمون كلمة واحدة أو يستنكرون هذه الحوادث، لقد رأينا الرئيس الأمريكي كيف يساند الشاه السابق الظالم الشقي، ويؤيد هذا الجلاد الذي بعثر جميع ما نملك أدراج الرياح ولم نر دعاة حقوق البشر يستنكرون ذلك على الرئيس الأمريكي، ولكن الآن وقد سقط هؤلاء الجلادون في مصيدة الشعب ويريد الشعب أن ينتقم منهم، تعالت منهم صرخات [وا إنسانيتاه!!] أنا لا أقول شيئاً سوى إن هؤلاء عملاء للجلادين .. هؤلاء عملاء للقوى الكبرى، وإنهم لا يعملون لحقوق البشر)[1]

ولهذا، فإنه يدعو الشعب الإيراني للمحافظة على حريته، وألا يترك المجال لأي مستبد أن يحكمه ويتسلط عليه، يقول في الخطاب السابق: (على الناس أن يصلحوا أنفسهم، وعلى الظالمين الذين كانوا قد ظلموا الضعفاء ألا يظلموا بعد اليوم، الطبقات المختلفة يجب أن لا تظلم الطبقات التي دونها، يجب أن تعطى حقوق الفقراء والمساكين. كل هذه الأعمال يجب أن تطبق في الجمهورية الإسلامية، وعلى الشعب ـ في ظل الجمهورية الإسلامية ـ أن يساند الحكومة التي هي في خدمة الشعب. وإذا رأى الشعب خلافاً من الحكومة فعليه أن يوقفها عند حدها، وإذا رأى الشعب حكومة جائرة تريد أن تظلمه، فيجب عليه أن يقدم الشكوى ضدها، وعلى المحاكم أن تقيم العدالة وإن لم تفعل فعلى الشعب أن يقيم العدل ويحطم أفواههم، ليس في الجمهورية الإسلامية ظلم ولا إجحاف. الطبقة الغنية لا تستطيع أن تظلم الطبقة الفقيرة ولا أن تستثمرها، ولا تستطيع أن تأمر العمال بأداء أعمال كثيرة مقابل أجر زهيد. يجب أن نضع الحلول الإسلامية لكل القضايا ويجب أن تطبق هذه الحلول حتى يشعر المستضعفون بالراحة والقوة، فالمستكبر لا بد له أن يتواضع

---

[1]() المرجع السابق، ص21.

ويشعر مع الضعفاء، ولا بد للمستضعف أن يصبح قوياً وعلى الجميع أن يعيشوا الأخوة في هذا البلد) [1]

ويصف في نفس الخطاب كل الشعارات التي يحاول الغرب أن يظهر بها، وبسببها يهاجم إيران، بكونها شعارات جوفاء كاذبة، ويعتبر أن الحرية والديمقراطية وغيرها من قيم الجمهورية لم تتحقق فيها، وإنما تحققت في إيران، يقول في ذلك: (نحن لا نخشى أن يتكلموا في الغرب ضدنا، وأن يعترض علينا الذين يدعون إنهم يرعون حقوق الإنسان، يجب أن نعاملهم على أساس ميزان العدل وسوف نفهمهم ما معنى الديمقراطية، فالديمقراطية الغربية فاسدة، والديمقراطية الشرقية فاسدة أيضاً، والديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الإسلامية، وإذا وفقنا فسوف نثبت للشرق والغرب بعدئذٍ أن ديمقراطيتنا هي الديمقراطية، لا الديمقراطية التي عندهم والتي تدافع عن الرأسماليين الكبار، ولا التي عند أولئك المدافعين عن القوى الكبرى وقد جعلوا الناس كلهم في كبتٍ شديد.. لا يوجد اضطهاد في الإسلام، والحرية في الإسلام لجميع الطبقات للمرأة والرجل، للأبيض والأسود وللجميع.. إن حكومة العدل تقاوم الخلاف وتجازي المخالفين، وسوف لن يكن بعد اليوم بوليس سري أو التعذيب الذي كان يقوم به البوليس السري (السافاك)، لا تستطيع الشرطة أن تفرض علينا وعلى الشعب قولاً بعد اليوم. الحكومة لا تستطيع الإجحاف في حق الشعب. الدولة في ظل الحكومة الإسلامية خادمة للشعب ويجب عليها أن تكون في خدمة الشعب وإذا رأى الشعب ظلماً حتى من رئيس الوزراء فعليه أن يشكوه إلى المحاكم وعلى المحاكم أن تطلبه وأن ترى نتيجة عمله إذا ثبتت عليه جريمة. لا يوجد اليوم فرق بين رئيس الوزراء وغيره) [2]

هذا نموذج عن مدى اهتمام قادة الثورة الإسلامية بالدعوة

---

[1] المرجع السابق، ص24.

[2] المرجع السابق، ص27.

للحرية، واعتبار انتصار الثورة الإسلامية مكسبا عظيمـا تحقـق من خلاله هذا الحق الطبيعي، ويتجلى من خلالـه التفريـق بين معنـيين للحرية:

1 ـ المعنى الإيجابي: وهو يتفق في كثـير من مناحيـه مـع المفهوم الغربي الذي انطلقت منه الثورات ضد الأنظمـة العبوديـة والإقطاعيـة في العصـور الوسـطى، والـذي (ترسـخ بعـد انتصـار الثورات التي ألغت الإقطاع وأقامت الأنظمة الجمهوريـة، واسـتمر حـتى صـار يحمـل دلالـة تعـادل صـيغة تقريـر المصـير الفـردي والجماعي)[1]

2 ـ المعنى السلبي: وهو المعنى الـذي أشـار إليـه كـاظم الحائري ـ وهو من المراجع المنظـرين والمؤيـدين لولايـة الفقيـه ـ عنـد تفريقـه بين المفهـومين الغـربي والإسـلامي للحريـة؛ فقـال: (هذه الكلمة [الحرية] بمفهومها الغربي تستبطن انحرافات كثـيرة عن الخط الاسلامي الصحيح؛ فالحرية الاقتصادية تشير إلى النظام الرأسمالي الاقتصادي، بينما الاسـلام لـه نظـام اقتصـادي مسـتقل عن كل من النظامين الرأسمالي والاشـتراكي.. والحريـة الفرديـة ترمز إلى السماح للفرد بأي تصرف يحلو لـه مـا لم يـزاحم حريـة الآخـرين، أمـا عنـد الاسـلام فلا حريـة الا في اطـار الحـدود الـتي تفرضها السماء على تصرفات الانسان.. والحرية الفكرية لا مجال لها في العقائد عند الاسلام الا بمعنى أن العقيدة يستحيل حصولها بالاكراه، ولكن يجب على الإنسان التفتيش عن الأصـول العقائديـة الصحيحة ولا تترك له الحرية في الاهتمام بذلك وعدمـه، ولـو أدى فكره إلى عقيدة تخالف الاسلام لا تـترك لـه الحريـة في الإضـلال ويحرم عن الحقوق الخاصة بالمسلمين)[2]

بناء على هذا، سنحاول هنا أن نـذكر كلا المعنـيين في الرؤيـة السياسية الإيرانية من خلال تصريحات قـادة الثـورة الإسـلامية، أو المنظرين لسياستها.

[1] انظر: الديمقراطية ونقادها، روبرت دال، ترجمة نمير عباس مظفر، ص 517..

[2] اساس الحكومة الإسلامية كاظم الحائري (ص: 92).

أولا ـ المفهوم الإيجابي للحرية:

يـتردد كثـيرا مصـطلح الحريـة بمعناهـا الإيجـابي في كتابـات وخطابات قادة الثورة الإسلامية؛ فهم يعتـبرون أن ثـورتهم لم تكن تهـدف سـوى لتحقيـق الحريـة الحقيقيـة، والتخلص من الاسـتبداد والظلم وكل أشكال الهيمنة التي كانت تهدف لا إلى سـرقة ثـروة الإيرانيين فقط، وإنما سلب شخصيتهم ومقوماتها أيضا.

وسنذكر هنا باختصار نصوصـا وتصـريحات من هـؤلاء القـادة، تدل على مدى اتساع مجال الحرية المتاحة في ظل ولاية الفقيـه، مقارنة بما كان متاحا في عهـد الشـاه، أو في الكثـير من الأنظمـة التي تزعم لنفسها أنها أنظمة ديمقراطية، ونتبعها بما عليه الواقــع الإيراني.

1 ـ الحرية الفكرية:

وأول مـا تعنيـه ـــ حسـبما يصـرح بـه القـادة والمفكـرون الإيرانيون ـ التخلص من تلك التبعية الـتي كـانت في عهـد الشـاه، والـذي أراد أن يفـرض أفكـار المـدارس الغربيـة على المجتمـع الإيراني، لتصبح العلمانية والمادية واللادينية هي الأفكـار السـائدة، والتي بموجبها يصبح الشعب خاضعا لكل أنواع السخرة الغربية.

ولهذا يعتبر الخميني الاسـتقلال الفكـري أول اسـتقلال ينبغي توفره لتتحقـق الحريـة بمفهومهـا الصـحيح، يقـول في ذلـك: (أوّل شـرط لتحقيـق الاسـتقلال هـو الاسـتقلال الفكـري والعقلي)[1]، ويقول: (إذا تمكّنـا من إنهـاء التبعيّـة الفكريـة، فإنّنـا سـنتمكن من إنهاء سائر أنواع التبعيّة)[2]

وهو يعتبر أن سبب تلك التبعية والعبودية للأفكار الغربية نـاتج من عدم الثقة بالنفس وبهوية الأمة ودينها، يقول في ذلك: (مـا لم ندرك أنّ لنا نحن أيضـاً شخصـيتنا. أنّ المسـلمين لهم شخصـيتهم،

---

[1] () الكلمات القصار، ص 150.

[2] () المرجع السابق، ص147.

وأنّهم مجموعة أيضاً، ويمكنهم أن يفعلوا شيئاً مـا. وإذا لم تتحقـق لدينا الإرادة على أمرٍ ما، فإنّنا لن نتمكن من تحقيقه، وإذا لم ننتبه من غفلتنا، فإنّ تلك الإرادة لن تتحقق) [1]

ويقول: (علينا أن نقنع أنفسنا بأنّنا بشر أيضا، وأنّنا موجـودون في هذه الدنيا أيضاً، وأن الشرق مكان أيضاً، وأن الغرب هـو ليس كلّ الأرض) [2]

ويقول: (ما دامت أيدينا ممدودة نحـو الشـرق والغـرب فنحن تابعون، فإذا أردنا أن نكون مستقلين غير تابعين لأحد، وجب علينـا أوّلاً: أن ندرك أنّ لنا شخصيتنا، وأنّنا نستطيع أن نفعل شيئا) [3]

أما الشيخ مرتضى مطهري، فقد فصل الحـديث عن الحريـة الفكريـة في كتـاب خـاص أجـاب بـه على كـل الشـبهات المثـارة حولها، وقد ذكر فيه المدى الذي يعطيه الإسلام للعقل حـتى يصـل إلى الحقـائق، ولـذلك كـان من الضـرورات الكـبرى إتاحـة الحريـة الكاملة له حتى يصل إلى الحقـائق من غـير أن يكـره عليهـا، وقـد قـال في ذلـك: (هنـاك جملـة قضـايا لا تبلـغ النضـج الاجتمـاعيّ المطلوب إلّا بترك الإنسان حرّا فيها، ومنهـا النضـج الفكـريّ، لكيلا يعترض تقدّمه أيّ مـانع أو حـاجز يحـول دون تنميـة قابليّاتـه الّـتي ينشـدها لتحقيـق سـعادته، وبمـا أنّ الفكـر هـو من أهمّ مـا ينبغي تنميتـه لـدى الإنسـان، والتنميـة بحاجـة إلى الحريّـة كمـا تقـدّم، فالإنسان بحاجة إلى الحريّة في الفكر، لذا تعتبر حريّـة الفكـر من حريّات الإنسان الاجتماعيّة، وتـدخل في صـميم شـؤونه الحياتيّـة.. وعليـه فـإنّ الفكـرَ والتفكـيرَ عمـل ضـروريّ وواجب، بـل هـو من

---

[1] المرجع السابق، ص148.

[2] المرجع السابق، ص145.

[3] المرجع السابق، ص147.

مستلزمات الحياة البشريّة حيث لا تستقيم بدونه)[1]

وهو يذكر أن هذه الحرية متاحة حتى في مسائل الـدين، لأنـه لا يمكن لأي كان أن يقتنع بالحقائق الدينية ما لم تكن لديه الحريـة الكاملـة في التعامـل معهـا، يقـول في ذلـك: (وكـذلك الكلام في مسألة الدِّين، فإنّ الإنسان لا يمكن أن ينضـج في القضـايا الدينيّـة ما لم يُعـطَ الحريّـة الفكريّـة، أمّـا منـع النـاس من التفكـير خشـية الوقوع في الخطأ فيعدّ خطأ فاحش، حيث يؤدّي إلى عـدم النضـج في قضاياهم الدينيّة والتقدّم فيها)[2]

وعن سؤال حول موقف الإسلام من الحرية الفكريـة، أجـاب بقوله: (إنّ الإسـلام لم يكتـفِ بمنح حريّـة التفكـير، بـل جعلـه من الواجبات والعبادات) [3]

واستدل لذلك بمـا ورد (من الآيـات القرآنيّـة الّـتي تحثّ على التفكّر، بحيث لا نجد في أيّ كتاب دينيّ أو غير دينيّ هذا القدر من دعوة الناس إلى التفكـير في شـتّى المجـالات)، بالإضـافة إلى أن (الإسلام لا يقبل الإيمان بأصول العقائد تقليداً، بـل يطـالب النـاس بالتحقيق في أصول الدِّين، فهـو يـرى للنـاس حريّـة فكريّـة تكـون الأسـاس لقبـول الإيمـان بوحدانيّـة اللـه والنبـوّة والمعـاد، وسـائر الأصول الاعتقاديّة مسائل يجب التفكّر فيها والوصول إلى حقائقها من خلال الجهد العلميّ) [4]

ويــذكر من الأدلـة على الحريــة الفكريــة في الإســلام ذلــك التســاهل الــذي ورد في النصــوص في التعامــل مــع الوســاوس والشبهات، وقد طرح هنـا شـبهة تثـار في هـذا المجـال، وهي (إذا

1() الحرية الفكرية، الشيخ مرتضى مطهري (ص: 9).

2() المرجع السابق، ص 10.

3() المرجع السابق، ص 11.

4() المرجع السابق، ص 12.

كان التفكير يؤدّي إلى حصول وسوسات وشبهات في الذهن، فهل يحــقّ للشــخص الّــذي يخطــر في ذهنــه شــبهة أن ينقلهــا إلى الآخرين؟)[1]

وقد أجاب عليها بقوله: (لا يعتبر الإنسان مذنباً، ولا يعـذّب مـا دامت الوساوس والشكوك في القلب، وقد تطرّقت روايات كثيرة إلى مسألةِ ما لـو طـرأ على الـذهن بسـبب هـذا التفكـير شـبهات وشـكوك ووسوسـة.. وعلى الإنســان إن كـان في حالـة تحقيـق وبحث، أن يرجع إذا شكّ إلى نبيّه وإلى تعاليم الإسلام، حيث يعتـبر هذا الأمر ضروريّاً للوصول إلى الحقائق، وعليه لا بدّ أن نسلّم بأنه يحقّ لأيّ شخص حصلت لديه شبهة أن ينقلها إلى الآخـرين بهـدف حلّها، وهذا حقّ طبيعيّ له، ويجب حلّ شبهته) [2]

وهــو يعتب على الـذين يشـكون لأجـل الشـك، أو يقومــون بالتشــكيك من غــير أن يبــذلوا أي جهــد في البحث عمــا يزيــل شكوكهم، ويعتبر هؤلاء من الذين يمارسون هذا النـوع من الحريـة بطريقة خاطئة، خاصة لو ضموا إلى شكهم تشـكيك عـوام النـاس ممن ليس لهم قدرة على البحث والنظر، يقول في ذلك: (نعم، لو بقي الإنسـان في حالـة الشـكّ وبقي في مكانـه فهـذا هـو الهلاك وشكّ الكسـالى، وكـذلك الأمـر لمن أصـبح عنـده التشـكيك هـدفاً يحاول بواسطته التشويه والتشنيع على تعـاليم ومفـاهيم الإسـلام، كما نرى ذلك في كلّ عصـر من العصـور، حيث تظهـر طائفـة من الشكّاكين الّذين ينشرون الشبهات بين عامّة الناس) [3]

ومع عتبـه الشـديد على هـؤلاء إلا أنـه يعتـبر أن لهم دورا في توضيح الحقائق وجلائها، يقول في ذلك: (هنـاك وجـه آخـر لظهـور الشكّاكين الّذين يلقون محاضرات ويكتبون مقـالات ضـدّ الإسـلام،

---

[1] () المرجع السابق، ص 13.

[2] () المرجع السابق، ص 14.

[3] () المرجع السابق، ص 15.

فإنّهم يؤدّون إلى جلاء وجه الإسلام أكثر، حيث يتصدّى العلماء لهم بما يؤول لصالح الإسلام .. وهذا ما حصل فعلاً حينما كتبت بعض الكتب والمقالات ضدّ الإسلام، ما أدّى إلى قيام العلماء بشرح مسائل كانت غامضة لفترة من الزمن) [1]

وقد رد مطهري على من يريدون أن يستعملوا الحرية الفكرية وسيلة لبث الشبهات والشكوك، أو الدعوة إلى الوثنيات والخرافات، ويعتبرون الوقوف في وجه هذا الغزو قمعا فكريا، بأن ذلك نوع من المغالطة، يقول في ذلك: (قد يُقال، وبناءً على قاعدة أنّ فكر الإنسان حرّ وعقله كذلك، أنّ عقيدته لا بدّ أن تكون حرّة، ولذا فالوثنيّ مثلاً حرّ في عقيدته، وهذه مغالطة موجودة في العالم حاليّاً، وهي بدعواها منح الحريّة للفكر فإنّها في الواقع تقيّد الفكر)[2]

وقد رد على هذه المغالطة بأن هناك مسلكين في ميزان احترام اعتقاد الإنسان[3]:

أولهما: أن نعتبر الإنسان حرّاً ومختاراً، فنحترم كلّ ما يعتقد به ولو كنّا نرفض ما اختاره، أو كنّا نعلم بأنّه كَذِبٌ وخرافة، بل حتّى لو ترتّب عليه مستلزمات باطلة وفاسدة.

ثانيهما: أن يكون احترامنا له بتوجيهه نحو الرقيّ والتكامل والسعادة.

وهو يرى أن (ترك الإنسان يختار العقائد الفاسدة، كأن يختار الوثنيّ عبادة الوثن، هو تقييد لفكر الناس، واحترام هذا القيد هو عدم احترام لقابليّته الإنسانيّة ولاعتباره الإنسانيّ في مجال التفكير، في المقابل فإنّ المسلك الثاني هو الّذي ينهض بالإنسان

1() المرجع السابق، ص 15.

2() المرجع السابق، ص 22.

3() المرجع السابق، ص 22.

ويوصله إلى رقيّه المنشود، والنتيجة أنّه لا بدّ من فكّ هذا القيد ليكون فكرُه حرّاً، وعليه فمن الخطأ على الصعيد الإنسانيّ احترام المرتكز العقائديّ لشعب يريد تقييد الإنسان) [1]

وهو يستدل لهذا بما ورد في سيرة الأنبياء عليهم السلام، (فالنبيّ إبراهيم عليه السلام مثلاً قام بتحطيم أوثان قومه الّتي كانوا يعتقدون بها ويعبدونها وترك الوثن الكبير، فشكّل هذا الأمر صدمة لهم جعلتهم يرجعون إلى أنفسهم وفطرتهم ويتأمّلون في عقيدتهم، حيث إنّ هذه الأصنام غير قادرة على الدفاع عن أنفسها، وكبيرهم عاجز عن هذا التحطيم، ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ولذا فإنّ ما مقام به إبراهيم عليه السلام هو عمل إنسانيّ لأنّه حرّر فكرهم من قيد العقيدة الفاسدة) [2]

ومثله موسى عليه السلام، (فقد كان عمله إنسانيّاً في حرقه لعجل السامريّ)

وهكذا حصل في (البعثة المباركة للنبيّ الخاتم ﷺ، حيث نجد أنّه قد قام بمحاربة العقيدة الوثنيّة سنين طويلة كي يحرّر فكرهم، وتقدّم بذلك بهم نحو الرقيّ والتكامل، وفكّ قيودهم العقائديّة ووضع ﴿ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: 157]

وبناء على هذا قنن الدستور الإيراني للأديان المسموح لها بممارسة شعائرها، حتى لا يدع الفرصة للعابثين من أمثال عبدة الشيطان وغيرهم من التسلل إلى المجتمع بحجة حرية العقيدة والتفكير.

ومن تلك الديانات التي لا يسمح لها في إيران بممارسة شعائرها وطقوسها [الديانة البهائية]، وقد كان ذلك سببا لإنكار المغرضين، مع أنهم لا يعلمون أن هذه الديانة ليس مسموحا لها

[1] المرجع السابق، ص 22.

[2] المرجع السابق، ص 24.

بممارسة شعائرها في أكثر الدول العربية[1]، ما عدا الإمارات والبحرين بسبب علاقتهما الوثيقة مع أمريكا وإسرائيل.

والسبب الذي جعل إيران تتخذ منها ذلك الموقف السلبي علاقتها مع الشاه، وتأييدها له، بالإضافة إلى موقفها المؤيد للكيان الصهيوني، وكونها فوق ذلك فرقة من الفرق المنحرفة عن الإسلام، بل كونها نتيجة لصناعة المخابرات الأجنية، يقول الخميني ـ قبل انتصار الثورة الإسلامية ـ مبينا خطرها: (ولكن مَنْ هم المستشارون اليوم؟ إسرائيل! المستشارون الاسرائيليون! اليهود! لقد أُرسل ألفان من البهائيين كما اعترفوا هم أنفسهم بذلك في صحيفة (دنيا)؛ فلا يأتي غداً أحد النكرات (الشاه) ويقول بأن ذلك مجرد اشاعة، إذ ورد في صحيفة (دنيا): أنهم ألفا اسرائيلي، أعني البهائيين، طبعاً هم لم يذكروا اسم (البهائية)، بل قالوا: (عدد من اتباع بعض المذاهب (أسموها مذهباً) أرسل ألفي نسمة ـ ويقال: إنهم خمسة آلاف ـ من البهائيين باحترام تام بعد أن مُنح كل واحد منهم خمس مئة دولار من اموال الشعب المسلم، وأُعطي كل واحد حسماً في قيمة تذكرة االسفر بمقدار الف ومئتي تومان .. لمَ كل ذلك؟ ليذهبوا الى لندن للمشاركة في اجتماع معاد للاسلام يعقد هناك!)[2]

ويقول عنهم مبينا دورهم في حكومة الشاه، وعلاقتهم به: (لينتبه الإخوة إلى أن الخطر المحدق بالإسلام اليوم لا يقل عن خطر بني أمية، إن الجهاز الحاكم العميل لاسرائيل قد فوض جميع السلطات لهذه الفرقة الضالة المضلة في الجيش، الثقافة، الإعلام وسائر الوزارات الحساسة. عليكم أن تنبهوا الأمة لخطر إسرائيل وعملائها إلى جانب المصائب التي طالت الإسلام ومراكز الفقه والشريعة وحماتها.. أعربوا عن مقتكم لإرسال العناصر

---

[1] من الأمثلة على ذلك أن الحكومة المصرية لا تعترف بشرعية الديانة البهائية، وقد جردت الديانة من الاعتراف في العام 1960 و منذ ذلك الوقت أغلقت جميع المؤسسات البهائية، و منعت جميع أنشطتهم الاجتماعية. و قد قضت محكمة ابتدائية بأن الدستور المصري لا يضمن حرية الاعتقاد للبهائيين.

[2] صحيفة الإمام، ج 1، ص: 210.

الخائنة التي تعقد الاجتماعات المناوئة للإسلام والأمة في لندن، واعلموا أن الصمت في هذه الأيام لا يعني سوى تأييد الجهاز الحاكم وإعانة أعداء الإسلام، اتقوا الله واخشوا نقمته، إنكم مسؤولون عما يحدث للعلماء (إذا ظهرت البدع فللعالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله)[1]

2 ـ حرية الرأي:

وهي ــ في نظر قادة الثورة الإسلامية والمنظرين لولاية الفقيه ـ حرية متاحة وإيجابية، لأنها تسهم في تحريك الأفكار في المجتمع، وتصحح ما يقع فيه من أخطاء، بالإضافة إلى رعاية التنوع الموجود في أفراده.

وإيران ـ في ظل ولاية الفقيه ــ من أكثر الدول الإسلامية اهتماما بالتنوع في مختلف مجالاته؛ فهي تحتضن الكثير من المدارس الفكرية والفقهية والعقدية والفلسفية، بل لها جامعات خاصة بذلك، ولا تمر بمكتبة من مكتباتها إلا وتجد فيه كل جديد من الكتب، ومن كل المدارس الإسلامية وغير الإسلامية، كما ذكرنا ذلك في الجزء السابق من هذه السلسلة.

وهكذا نرى في صحفها ومجلاتها تنوعا كبيرا في الطرح، ونرى فيها انتقادات صريحة وقوية للواقع والمسؤولين، من غير أن يُقمع أصحاب الآراء، ولا أن تصادر الصحف والمجلات التي يبثون فيها آراءهم.

وقد صرح كل قادة الثورة الإسلامية بوجوب إتاحة هذا النوع من الحرية، حتى تتلاقح الأفكار، وتصحح الأخطاء، ويراعى التنوع.

ومن الأمثلة على ذلك قول الخميني: (إن هذه الحرية التي يتمتع بها أبناء شعبنا من النساء والرجال والكتّاب والعناصر الاخرى، هي من النوع الذي يصب في منفعة أبناء الشعب. فأنتم أحرار في التعبير عن أفكاركم وآرائكم، وفي انتقاد الحكومة.. انتقدوا كل مَنْ خطا خطوة منحرفة.. اذهبوا ودافعوا عن شعبكم..

---

[1] الإمام الخامنئي.. السيرة والمسيرة (ص: 249).

إنكم أحرار في فعل كل ما من شأنه خدمة الإنسان.. كل هذا مسموح فيه.. إن الذي حاربه الإسلام ولن يسمح به، هو القمار الذي يقود أبناء الشعب إلى التيه والضياع، والخمر الذي يضيّع الشعب، وأنواع البغاء والفحشاء الذي راج في عهد ذلك المجرم (محمد رضا بهلوي)، وعملوا على توفير مستلزماته. هذه الأمور هي التي حرّمها الاسلام وحاربها)[1]

بل إن الخميني يفتح مجال الحرية حتى لأصحاب الفلسفات المادية أنفسهم؛ فهو يقول: (إن الماركسيين احرار في بيان عقائدهم في المجتمع الذي نفكر بإقامته، لأننا واثقون أن الاسلام يلبي حاجات الناس، وإن إيماننا واعتقادنا قادران على مواجهة عقيدتهم، وقد طرحت الفلسفة الاسلامية منذ البداية موضوع أولئك الذين ينكرون وجود الخالق، إننا لم نسلب حريتهم أبدا، ولم ننل منها؛ فالكل حر في بيان عقيدته، لكنه ليس حرا في التآمر)[2]

وبهذه العبارة يلخص الخميني الموقف من حرية الرأي [فالكل حر في بيان عقيدته، لكنه ليس حرا في التآمر]

فالقوانين الإيرانية تسمح بحرية الرأي، ولكنها لا تسمح أبدا للمتآمرين الذين لهم صلات بجهات أجنبية تريد أن تقوض أمن البلاد، يقول الخميني محذرا: (إننا ومنذ اليوم الأول الذي تحققت فيه ثورتنا كانت جميع الحريات موجودة في ايران؛ فنحن سمحنا لجميع الفئات، ولم نمنع أحدا، لكن المؤامرات بدأت عندما وجدوا انفسهم أحراراً، إذ بدأت الأقلام بالتآمر لحرف مسيرة الشعب، وهؤلاء كانوا نفس الأشخاص المرتزقة عند الملك السابق أو مرتزقة أمريكا وأمثالها، وأرادوا من خلال ذلك حرف نهضتنا، وتمكنا بعد خمسة أشهر من إعطاء الفرصة للجميع من العثور على المتآمرين، طلبنا من تلك الاقلام المتآمرة، والتي كانت تريد

[1] () من حديث في جمع من المعلمات والطالبات في مشهد، بتاريخ 30/9/1979، نقلا عن: الحرية في فكر الإمام الخميني (ص: 34)

[2] () منهجية الثورة الاسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص 370..

عـودة الأجنـبي للتسـلط علينـا مـرة أخـرى أن تكـف عن عملهـا، وقدمناها للمحاكم لـنرى من هم هـؤلاء، ووجـدنا بعـد التحقيـق أن أكثرهم كانوا مرتزقة لإسرائيل، وكانوا أبواقا لأمريكـا لكن بصـورة أخرى، وإن من حق الشعب أن يمنـع الـذين يريـدون التـآمر عليـه وحرفه وإعادة الأمور السابقة، وإلا فإن شعبنا يؤيد الحريـة، ويؤيـد كل أنواع الحرية إلا أنه لا يؤيد التآمر ولا يؤيد الفساد)[1]

وكمثـال على ذلـك أنـه سـئل في مقابلـة صـحفية عن إغلاق النظام لبعض صحف المعارضة، وهي صـحيفة (آينـدكان)؛ فأجـاب بقوله: (إن صحيفة (آيندكان) كانت على ارتباط مع أعـدائنا، كـانت تتآمر ضدنا وعلى علاقة بالصـهاينة. تأخـذ التوجيهـات منهم وتكتب ضد مصالح البلد. ولا يمكن التساهل مع الصحف التي تتآمر ضـدنا، وقد قمنا بإغلاقها كي تكـون عـبرة لغيرهـا. وقـد اكتشـف القضـاء الخيانات التي تقوم بها هـذه الصـحف، وكيـف أنهـا كـانت تسـتلهم توجهــاتهم من الشــاه ومن الأجهــزة الصــهيونية. وقــد تم ايقــاف نشـاطها مؤقتـاً ليتم التحقيـق في ذلـك. هـذا ليس خلافـاً للحريـة. وإنما هو تصدي للتآمر ومثل هذا يحصل في مختلف انحاء العــالم)[2]

وهكذا يقيد الخميني الحرية دائما بكونها لا تتسـبب في ضـرر الآخرين، كما عبر عن ذلك بقوله: (جميع أبنـاء الشـعب أحـرار في الأفعال السليمة، في الذهاب إلى الجامعـة، وفي أي عمـل سـليم تمارسونه.. ولكن إذا ما أراد أحد أن يرتكب عملاً مخالفا للعفة، أو يلحق ضـرراً بمصـالح الشـعب، أو يسـي ء إلى السـيادة الوطنيـة، فإننا سنقف في وجهه، وإن موقفنا هذا يدل على الرقي)[3]

وهكذا نرى الخـامنئ يصـرح كـل حين بضـرورة توفـير حريـة

---

[1] () المرجع السابق، ص 370..

[2] () صحيفة الإمام: 10/74.

[3] () من لقاء مع صحيفة اطلاعات، بتاريخ 23/1/ 1979، نقلا عن الحرية في فكر الإمام الخميني (ص: 20).

الرأي، وخاصة للصحافة، حتى تؤدي أغراضها، وتساهم في خدمة المجتمع، يقول في ذلك: (إن مهمة الصحافة غاية تتطلب وسيلة لبلوغها، وتلك الوسيلة هي الحريّة، فحريّة الصحافة يجب أن تكون وسيلة لأداء مهمّة الصحافة لا أن تصبح مهمّة الصحافة ضحيّة لحريّة مطلقة متحلّلة)[1]

ويقول: (نحن أول من رفع شعار هذه الحريّات (حريّة الصحافة والاصدارات...)، ولا زلنا والحمد للّٰه على موقفنا منها حتى يومنا هذا، غير أنّنا نعارض حريّة المعاصي والحريّات الهدّامة)[2]

وهكذا يتحفظ ـ مثل الخميني ـ على تلك الحرية التي تريد أن تنشر الفساد في المجتمع، فالحرية تنتهي عند إضرارها بالآخرين، يقول في ذلك: (ليست القضيّة قضيّة مقصّ الرقابة، بل علينا أن لا نغذّي عقل وفؤاد الشاب بما يجرفه نحو الخطيئة والفساد، فهذا يختلف عن منح الحريّة للعقل من أجل الاختيار في قضيّة ما)[3]

وينبه إلى مسألة مهمة جدا يقوم بها المغرضون، وهي أنهم يسمحون لأنفسهم بنقد كل شيء، في نفس الوقت الذي يعتبرون فيه الردود الموجهة على انتقاداتهم مصادرة للرأي، يقول: (يأمل العدو في أن تكتب الأقلام الموالية للاستكبار كلّ ما يحلو لها ولا يرّد عليها أصحاب الأقلام الموالون للنظام الإسلاميّ والخطّ الإسلاميّ ولو ردّوا عليهم سيقولون إنّ الحريّة معدومة)[4]

وهكذا يحدد الخامنئي الموقف من كل الآراء التي تدعو إلى انحراف المجتمع عن دينه وأخلاقه، ويعتبر معارضة ذلك شيئا

---

(1) الكلمات القصار، ص216.

(2) المرجع السابق، ص216.

(3) المرجع السابق، ص216.

(4) المرجع السابق، ص216.

طبيعيا، يقول في ذلك: (من الطبيعي أنّنا نعـارض بعض الحريّـات، وهـل يشـكّك أحـد في أننـا نـرفض حريّـة الجنس ونعـارض حريّـة اقتراف الذنوب؟!)، ويقول: (لا تخشوا الضجيج ولا الـدعايات الـتي تتهمكم بمناهضـة الحريّـة)، ويقـول: (لـو منحتم أوسـع الحريّـات وحـافظتم على مبـادئكم، سـيتهمونكم أيضـاً بمناهضـة الحريّـة)، ويقول: (إنّ وجود مثل هذا الجوّ تثير فيـه الصـحافة عـدم الارتيـاح عند مسؤولينا الكبار الذين يمتلكون السيف والقلم معاً، هـو دليـل واضح على الحريّة الـتي تتمتّـع بهـا الصـحافة في بلادنـا)، ويقـول: (ينبغي عدم التشـبيه بين الحريـة في نظـام الجمهوريّـة الإسـلاميّة وحريّة الغرب بما تعنيه من اطلاق عنان السلطويّين والأثرياء ومن تحلّل في سلوكيّات البشر وأفعالهم)، ويقـول: (الحريّـة الإسـلاميّة تنطوي على حريّة اجتماعيّة ومعنويّة وفرديّة لهـا قيودهـا وإدراكهـا وهـديها ومفهومهـا الإسـلاميّ)، ويقـول: (لا تسـمحوا لحفنـة من المتشدّقين باسم الحريّة بإشاعة المنكرات والفحشاء والتحلّل في المجتمع)، ويقول: (لا يستطيع أحد انكـار مناصـرتي لحريّـة الفكـر وحريّة القلم وحريّة البيان ونشر مختلف أنـواع المعـارف في هـذا البلد) [1]

وبناء على هذا نرى رقابة شديدة في إيـران على مـا يبث في الإنـترنت وخصوصـا على شـبكات التواصـل الاجتمـاعي باعتبارهـا أصبحت وسيلة للحرب الناعمة، بالإضافة إلى كونهـا وسـيلة لنشـر الأفكار المضللة، والانحرافات الأخلاقية.

وقد حـاول المختصـون الإيرانيـون أن يـوفروا البـدائل لـذلك، حتى يتمكن الشعب من الاستفادة من هذه الوسـائل، ويتجنب في نفس الوقت مضارها، ومن الأمثلة على جهودهم في هـذا المجـال إنشـاؤهم لمواقـع للتواصـل الاجتمـاعي بديلـة عن تلـك المواقـع المعروفة.

ومن أمثلتهـا مـا ذكرتـه وسـائل الإعلام تحت عنـوان [إيـران تنشئ موقعا لتبادل مقاطع الفيديو بـدلا من اليوتيـوب المحظـور]، جاء فيه: (قامت إيران بالإعلان عن إطلاقها لمنصه محليـة جديـده

[1] المرجع السابق، ص216.

على شبكة الإنترنت تحمل اسم [مهر] خاصة بتبادل مقاطع الفيديو، حيث جاء هذا الإعلان عبر موقع مؤسسة الإذاعة والتليفزيون الإيرانية «IRIB» على لسان نائب رئيس الإذاعة)[1]

ثم ذكرت صاحبة المقال سبب ذلك، فقالت: (ومن المعروف بأن إيران تحجب العديد من خدمات جوجل، على رأسها موقع اليوتيوب.. ومواقع الأخبار الأجنبية، والشبكات الإجتماعية كالفيس بوك وتويتر بسبب احتواها على مواد تتعارض مع القيم الأخلاقية وتشكيلها مصدرًا للانحطاط الثقافي بحسب المزاعم الإيرانية.. وتعليقا على هذا الخبر أعلن نائب رئيس مؤسسة الإذاعة والتليفزيون الإيرانية أنه من الآن فصاعدا سيستطيع الايرانيين تحميل مقاطع الفيديو الإسلامية والثقافية والرسوم المتحركة فقط على هذا الموقع المحلي)

والمشروع الأكبر من ذلك ما ورد في المقال عن أن (إيران أعلنت في شهر سبتمبر الماضي أنها تعتزم تحويل مواطنيها إلى شبكة محلية لخدمات الإنترنت فى خطوة وصفها مسؤولون بأنها محاولة لتحسين الأمن الإلكترونى)

وللأسف بدل أن يلقى هذا ترحيبا من الدول العربية، وخصوصا الخليجية منها، نجدهم يشنون الحملة الإعلامية الشديدة عليها، ويعتبرون أن ذلك يتنافى مع الحرية، ولست أدري أي حرية يقصدون، وهم يرون تلك الحرب الناعمة التي تشن عليها منذ انتصرت ثورتها، ولولا حنكة رجال أمنها بمختلف أصنافهم لحصل لها ما حصل للدولة العربية التي اخترقت بهذه الوسائل فيما يسمى بالحراك العربي.

مع العلم أن مثل هذا الموقف لم تتخذه إيران لوحدها، بل نجد دولا كبرى تتخذه حرصا على أمنها القومي، ومن الأمثلة على ذلك الصين التي حجبت فيس بوك وتويتر منذ 2009 وإلى الآن، حيث أنه (على إثر مصادمات وأحداث عنف شهدتها البلاد، اتخذت

1() إيران تنشئ موقعا لتبادل مقاطع الفيديو بدلا من اليوتيوب المحظور، إيمان الزبيدي، 10 ديسمبر 2012.

الحكومة الصينية قرارًا بغلق مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر ويوتيوب وبلوجر إضافة إلى مواقع أخرى، وكانت المصادمات قد اندلعت بين مسلمي الإيغور والشرطة في مدينة أورمتشي التي تقع شمال غرب الصين كما حجبت السلطات موقع أمازون، بسبب بيع الموقع لكتاب ممنوع من النشر في الصين يتحدث عن الثورات، حيث إنه إذا ما ضغط شخص على وصلة الكتاب من الصين،فإن الموقع يحجب بالكامل لمدة 15 دقيقة على الأقل)[1]

3 ـ الحرية السياسية:

وهي من الحريات المتاحة في إيران، حيث نجد أحزاب موالاة، وأحزاب معارضة، وانتخابات بمختلف أنواعها، وكل أنواع الممارسات السياسية، ونجد معها نأيا للجيش وكل قوى الأمن عن التدخل في السياسة، تقيدا بالتعليمات التي نص عليها قادة الثورة الإسلامية.

ولكن هذه الحرية مضبوطة أيضا بما ضُبطت به سائر الحريات؛ حتى تتناسب مع الشريعة الإسلامية؛ فلذلك لا يسمح في إيران لأحزاب تريد أن تخالف الشريعة، أو تعمل على تقويض النظام الذي يدعو إلى تحقيقها في الواقع.

وهذا ـ وإن لقي إنكارا كبيرا من طرف المغرضين ــ إلا أن واقع أكثر دول العالم تطورا ينسجم معه، وأولها أمريكا، كما سنرى، ولهذا قبل الخميني بلقب [الجمهورية] بعد الانتصار، ولم يقبل بلقب [الديمقراطية]

ولمعرفة سر ذلك نقتبس نصا من مقال هدف صاحبه إلى تشويه مفهوم الحرية السياسية في إيران، واعتبارها مجرد دعاية لا حقيقة لها، وهو نص نجد أمثاله يردد كثيرا في وسائل الإعلام، ويُقصد منه التشويه، ولكنا عندما نقرؤه بتمعن، وبعيدا عن الرؤية الغربية والعاطفية لمثل هذه القضايا سنرى الأمر مختلفا تماما،

---

(1) أشهر 15 دولة مارست الحجب الكلي أو المؤقت لمواقع التواصل الاجتماعي، محمد فتحى، 4 يونيو,2014، موقع ساسة..

ذلك أنه في الحقيقة مدح في قالب ذم.

والمقال بعنوان [كيف نجح الخميني وفشل العرب؟]، وقد قال في مقدمته: (بعد نجاح الثورة مباشرة استمر الخميني بتنفيذ أهدافه النهائية، وقبيل الدخول في جدل حول إعادة إنشاء مؤسسات الدولة ما بعد الثورة، أراد الخميني أن يحسم أمرًا كان في منتهى الأهمية بالنسبة إليه، وهو اسم الدولة الجديدة، وذلك من أجل القطع تمامًا مع الماضي البهلوي، ليس فقط في بنية الدولة بل في مسماها أيضًا، احتدم الجدال بين رفقاء الثورة حول اسم الدولة الجديدة، وتراوحت الاقتراحات بين [جمهورية إيران الديمقراطية] و[الجمهورية الإيرانية]، و[الجمهوية الديمقراطية الإسلامية]، إلا أن الخميني رفضها كلها وأصر على [الجمهورية الإسلامية] فقط، حيث أخضع اقتراحه لاستفتاء شعبي حصل على غالبية مطلقة من قبل الشعب الإيراني ليحسم بذلك المسمى، ولينطلق من بعد ذلك لاستكمال باقي الخطوات) [1]

ومع أن المعلومات التي ذكرها صحيحة، لكن تفسير الكاتب لذلك كان مجافيا للصواب؛ فقد نظر إلى الأمر من زاوية صورية، ولم ينظر إلى المعنى الذي جعل الخميني يرفض وصف الديمقراطية، ويقتصر على وصف الجمهورية؛ فقد قال في تعليل ذلك: (تجدر الإشارة إلى أن رفض الخميني لإدراج كلمة [الديمقراطية] في اسم الدولة يعود إلى اعتقاده بأن الديمقراطية منتج غربي ومن يتمسك بها؛ فكأنه يتمسك باستمرار التأثير الغربي على الشؤون الإيرانية الداخلية، وقد تمشى ذلك بشكل واضح مع المنطلقات العامة لفلسفة الخميني السياسية، فقد أراد أن يقدم نموذجًا جديدًا للنظام السياسي بعيدًا عن الثنائية السياسية التي كانت تحكم العالم آنذاك والمتمثلة بالرأسمالية الغربية والاشتراكية الشرقية، ومن هنا كان الشعار الذي رفعه الثوريون الإيرانيون إبان الثورة: [لا شرقية ولا غربية.. بل حكومة إسلامية])[2]

(1) كيف نجح الخميني وفشل العرب؟، نبيل عودة، موقع ن بوست.

وهذا غير صحيح تماما؛ فالخميني صرح في محال كثيرة بأن الديمقراطية بمفهومها الصحيح لا تتنافى مع الإسلام، فقد قال: (الإسلام دين سام، وديمقراطي بمعنى الكلمة)[1]، وقال: (إنّ ديمقراطية الإسلام أكمل من ديمقراطية الغرب)[2]، وقال: (الديمقراطية مندرجة في الإسلام، والناس أحرار في الاسلام في بيان عقائدهم أو في اعمالهم ما لم تكن ثمة مؤامرة في الموضوع ولم يطرحوا مسائل تجر الجيل.. الى الانحراف) [3]

لكن مقصد الخميني من ذلك هو الحفاظ على هوية الدولة، حتى لا تتمكن قوى الاستكبار العالمي من العودة من جديد إلى حكم إيران تحت ظل الحكم الديمقراطي المطلق البعيد عن كل القيم، بخلاف وصف الجمهورية الذي يضمن المشاركة الشعبية، وفي نفس الوقت يضمن القيم والمبادئ التي تقوم عليها الدولة، والتي تنطلق من هوية الشعب.

وحتى نفهم هذا المعنى جيدا، لابد أن نفهم الفرق بين مصطلحي [الجمهورية]، و[الديمقراطية]، حيث أن الديمقراطية ـ بمفهومها الغربي ـ تعني الحرية بمفهومها الواسع، والذي يعني ـ حسب تعريفاتهم لها ـ (الانطلاق بلا قيد، والتحرر من كل ضابط، والتخلص من كل رقابة، حتى ولو كانت تلك الرقابة نابعة من ذاته هو، من ضميره، فلتحطم وليحطم معها الضمير إن احتاج الأمر، حتى لا يقف شيء في وجه استمتاعه بالحياة، وحتى لاتفسد عليه نشوة اللذة، ومعنى هذا ترك الإنسان وشأنه يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، وهكذا بدون قيود ولا ضوابط، ولا رقابة، وعلى المجتمع أن يسّلم بذلك الحق، وعلى الحكومة أن تحافظ على تلك الحرية

---

(2) المرجع السابق.

(1) الكلمات القصار، ص 145..

(2) المرجع السابق، ص142.

(3) منهجية الثورة الاسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص 359..

وتحميها، فلا دين يحكم النفـوس، ويكبح جماحهـا، ولا أخلاق تهـذب طباعها، وتوقظ مشاعرها، وتثير فيها روح النخوة والغـيرة والإبـاء، ولا مثل، ولا فضائل، تقاس على أساسها الأعمـال خيرهـا وشـرها، ولا حياء يمنع ارتكاب الشطط، والمجاهرة بالمنكر[1].

على خلاف مفهــوم الجمهوريــة، والــذي يعــني الاعــتراف بالمبادئ والقيم التي تقوم عليها الدولـة، والـتي لا يجـوز لأحـد أي كان تجاوزها، حتى لو كانت أغلبية الشعب نفسها.

ولنفهم هـذا جيـدا نحتـاج إلى التعـرف على أكـبر حـزبين في أمريكا: الحزب الديمقراطي، والحزب الجمهوري، والفـرق بينهمـا، حيث نجـد الـديمقراطيين ليبرالـيين في فلسـفتهم، يـرون أن دور الحكومة هو إدارة شـؤون الاقتصـاد، وإتاحـة الكثـير من الحريـات، بخلاف الجمهـوريين المحـافظين في فلسـفتهم، والـذين يـرون أن دور الحكومة هـو إدارة المؤسسـة الأخلاقيـة، ومن هـذا المنطلـق يتعين عليها ضمان معاقبة الناس في حال ارتكابهم أعمـالا تتنـافى مع الأخلاق، مثـل تعـاطيهم المخـدرات، وأن يلـتزم النـاس بـالنهج الصـحيح في زيجـاتهم عن طريـق تحـريم زواج المثلـيين، خلافـا للديمقراطيين الذين يؤيدون هذا النوع من الزواج.

والحــزب الجمهـوري يميـل إلى التـدين على عكس الحــزب الديمقراطي، وفي مقـال بعنـوان [أمريكـا والجمهوريـون والخلـط بين السياسـة والـدين] ذكـر صـاحبه أنـه قبـل أن يلحـق النـاخبون الأمريكيـون الهزيمـة بـالحزب الجمهـوري في انتخابـات التجديـد النصـفي للكـونغرس، حـذر السـناتور الجمهـوري جـون دانفـورث، سفير واشنطن السابق في الأمم المتحدة ومبعوث الرئيس بـوش السابق إلى السودان في كتاب جديد بعنـوان [الـدّين والسياسـة]، من أن الحزب الجمهوري تحوّل إلى حزب ديني لليمين المسـيحي المحافظ، وقال دنفورث: (إن الشـعب الأمـريكي يتعـرّض للفرقـة والانقسام بسبب تركيز الحزب على قضايا خلافيـة تتعلـق بالقيّــم الدينية)

---

[1] انظر: مفهوم الحرية، علي فقيهي، ص5 – 6..

ومع أن السناتور دانفورث جمع في حياته بين أنه كـان قسّـا بالكنيسة الأسقفية البروتستانتية، وبين عمله في السياسـة كعضـو في مجلس الشيوخ عن ولاية ميسوري لمدة 18 عاما، إلا أنـه إنـه تعرّض في كتابه للفرقة التي أحدثها المـزج بين السياسـة والـدّين على يـد الحـزب الجمهـوري، حيث اتسـعت الهـوة في أمريكـا بين اليمين واليسـار، وبين المحـافظين والليبرالـيين، وبين المؤمـنين والمُـلحدين، بعد أن تحول الحزب الجمهوري، كما يقول في كتابه، إلى ذراع سياســي للمتطّــرفين من المســيحيين المحـــافظين اليمينـيين، الـذين سـيطروا على توجّــهات الحـزب، اسـتنادا إلى اعتقادهم بأن برنامجهم يُـسانده الله.

ودعا السـناتور المتقاعـد إلى الابتعـاد عن القضـايا الخلافيـة، التي فرّقت الأمريكيين في جدل مُـحتدم حول الإجْــهاض والخلايـا الجذعية وزواج المثليين، وعرض الرموز الدّينية في الأماكن العامة وحق المريض الميئوس من شفائه في إنهاء حياته [1] .

هذا بالنسبة لأكبر حزبين أمريكـيين، أمـا السياسـة الأمريكيـة العامـة، فهي تعتمـد النظـام الجمهـوري، لا الـديمقراطي، ويتجلى ذلـك من خلال القسـم الـذي يقـول: (أتعهد بـالولاء لعلم الولايـات المتحدة الأمريكيـة، وللجمهوريـة، أمة واحـدة بعد اللـه، غـير قابلة للتقسيم، بالحرية والعدل للجميع)[2]

ومن الأدلة على هذا التوجه، أن القوانين التي يسنها الأغلبيــة قد ترفض بسبب مخالفتها لقيم الجمهورية، ومن الأمثلة على ذلك قوانين [جيم كرو][3]، والتي تنادي بالفصل العنصري، فقد اعتبرت غير دستورية، وتم إلغائها.

---

[1] أمريكا والجمهوريون والخلط بين السياسة والدين، محمد ماضـي – واشـنطن، 19 نوفمبر، 2006 ، موقع سويسرا بعشر لغات..

[2] انظر: ما الفرق بين الديمقراطية والجمهورية؟، محمد علاء عيسى، موقـع ساسـة، 23 سبتمبر، 2014.

[3] وهي مجموعة قوانين فصل عنصري تم تفعيلها من 1876 حتى 1965).

وفي قضـــية شـــهيرة عـــام 1954 بين المجلس التعليمي والسود؛ ألغت المحكمة العليا بالولايات المتحـدة مـدارس الفصـل العنصري التي ترعاها الدولة بعد أن اعتبرت ذلك غير دستوري.

وفي حالات معاصرة، تم رفع قضية عام 2010 ضد مشــروع قانون إصـلاح نظـام الرعايـة الصـحية بالمحكمـة العليـا بالولايـات المتحدة لأنها كانت تجبر الأفراد على شـراء التـأمين الصـحي، مـع أنه تم تمريره من الأغلبية، ولكن المنتقدين ادعـوا أن هـذا يخـالف حرية الأفـراد بإجبـارهم على الـدخول في التجـارة، وهي السـلطة التي لا تملكها الحكومة في هذه الجمهورية.

وفي ولاية كاليفورنيـا طـالبت أغلبيـة المصـوتين بجعـل زواج متشابهي الجنس قانونيـا؛ وحينهـا قـال الناقـدون للقـانون أن هـذا يخالف حرية الأفـراد من المثلـيين والمثليـات، وأنـه ليس من حـق الأغلبية فعل ذلك في الجمهورية.

وهكذا نرى أن المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية تقرر مدى دستورية القوانين، ولـديها سـلطة إلغـاء القـوانين الـتي تعتقد أنها غير دستورية، وفي ذلك إثبـات على أن سـيادة القـانون ودستور الولايات المتحدة أعلى سـلطة من رغبـة الأغلبيـة في أي وقت، وذلك ما يدعم كونها جمهورية.

ومع التفاوت الشديد بين الرؤية السياسية الأمريكية والرؤيــة الإيرانية إلا أن هـذا المثـال يقـرب بينهمـا من جهـات كثـيرة، ربمـا يمكن حصرها في جانبين:

الجانب الأول: السياسة العامة للدولة:

حيث أن النظام الإيراني ـ مع احترامه للأغلبية ـ إلا أنه ـ مثـل النظام الأمريكي ـ لا يقر بكل القوانين التي تصـدرها، بـل يمررهـا على المجالس التي تراقب مدى شرعيتها ابتداء من مجلس صيانة الدستور وغيرها.

وقــد أشــار إلى هــذا المعــنى الأصــل الرابــع من [القــانون الأساسي]، والـذي ينص على أنـه (يجب ان تقـوم جميـع القـوانين

والمقـــررات المدنيـــة، الجزائيـــة، الماليـــة، الاقتصـــادية، الإداريـــة، الثقافيـة، العسـكرية، والسياسـية وغيرهـا على أسـاس المـوازين الإسلامية، وهـذا الأصـل يكـون حاكمـا على عمـوم أو إطلاق كافـة أصول القانون الأساسي وسائر القوانين والمقررات، وتقـع مهمـة تشخيص هذا الأمـر على فقهـاء مجلس صـيانة الدسـتور، ويشـمل هذا الأصل القائد أيضاً، فهو ليس فعالا لما يشاء، لما يتمتع بـــه من صـلاحيات قانونيـة وفقهيـة واسـعة فبإمكانـه العمـل كيفمـا يشـاء وإصدار أي قانون، فإذا ما حاول القائد ــ لا سـمح اللـه ــ الخـروج عن حدود القوانين الإسلامية، فهو يفقد شـروط القيـادة، وتسـقط ولايته أيضاً، وفي ضوء هذا الأصل يفقد قانونه الاعتبار أيضاً)[1]

وأهمية هذا الجانب ـ كما أشرنا سابقا ــ هي في قـوة الدولـة وثباتها على مبادئها، لأنها لو ترك الأمـر للأغلبيـة الشـعبية من دون قيود؛ فإنه يمكن أن يتسرب إلى مجالس الشـورى من ليسـت لـه الأهليـة، ثم ينجح فيهـا بفعـل الـدعم الخـارجي أو الإعلامي الـذي يتلقاه، ثم تكون له القدرة بعد ذلك على تغيير قوانين الدولـة، بـل تغيير نظامها جميعا.

وقد أشـار إلى هـذا المعـنى مالـك مصـطفى وهـبي العـاملي بقوله: (إن نظرية ولاية الأمة على نفسها ــ أي الحريـة السياسـية المطلقة ـ هي نظرية الإنقلابات المتكثرة واللااستقرار الاجتماعي، والتخلي عن الدين كشرع يحكمنا في كل صغيرة وكبيرة. فإننـا إذا بنينا على ولاية الأمة على نفسـها بـدون ضـوابط وكـان هـذا حقهـا الحصري، تأتي مجموعة أسئلة لتثير مخاوف تجعـل مصـالح الأمـة في معرض التسيب والزوال. فإنه لو لم يكن للفقيـه ولايـة يتمكن من خلالها من إلزام الأمة بسلوك الطريق الصحيح، ونقصد الإلزام الشرعي، فهذا يعـرض الأمـة للفسـاد ولتسـلط المنحـرفين عليهـا ويفسح المجال لظهور حكومات لا علاقـة لهـا بالإسـلام. وفي هـذا تضـييع للهـدف المنشـود من وراء تشـكيل حكومـة تـرعى شـؤون المسلمين)[2]

---

[1] انظر: ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة جوادي آملي (ص: 54)

ثم بين مدى يسر ذلك وسهولته على المندسين؛ فقال: (ما أسهل أن تسيطر قلة قليلة على الأكثرية من خلال الإعلام ونمط تثقيفي تربوي معين وقدرة مالية، فبدل أن تكون الولاية للأمة على نفسها، وهو الشعار البراق، نكون قد أعطينا الولاية لتلك الفئة القليلة على الأمة، ولذا ترى كل الضغط المنحرف متجه نحو إلغاء فكرة ولاية الفقيه من نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، والذي يتمظهر بمظاهر متعددة والتي منها المطالبة بإلغاء كل ما يشكل ضمانة للأمة من عدم الوقوع في الإنحراف، كإلغاء مجلس صيانة الدستور والتخفيف من شروط الدخول في مجلس الخبراء ونحو ذلك لكي يسهل لهم فيما بعد الوصول بحكام غير فقهاء بل وغير عدول يتحكمون بالأمة ومصيرها)[1]

وأشار الشيخ تقي مصباح يزدي إلى أن هذا التقييد لرأي الأغلبية هو الممارس في كل الدول القوية المستقرة، فكلها تمارس نظام [ولاية الفقيه] بطريقتها الخاصة، يقول في ذلك: (وهذا أمر لا يختص بالدين وحده، بل نجدنماذج كثيرة منه في كل المذاهب غير الدينية وفي كل الأنظمة القانونية، فلنفترض مثلاً أن شعباً يحترم دستور بلاده احتراماً كبيراً وقد أقرّه بكل ما أوتي من قوة، لكن هذا الشعب نراه يختلف أحياناً في فهم نص مادة من هذا الدستور، وهنا نراه يعين مرجعاً لتفسير الدستور فيرجع إليه مثل مجلس الشورى أو مجلس الشيوخ أو مجلس الخبراءأو مجلس صيانة الدستور، وهكذا نجد في كل بلد مرجعاً يؤخذ برأيه في تفسير الدستور، ثم إن هناك خلافاً يحدث بين المفسرين أنفسهم، فنراهم في النهاية يأخذون جميعاً برأي واحد، ويطبقونه، ولا حيلة غير ذلك، إذ حين لا يمكن التوصل إلى معنى النص ينبغي الرجوع إلى خبير أكثر بصيرة ومعرفة من غيره والوثوق بكلامه)[2]

2() الفقيه والسلطة والأمة، مالك مصطفى وهبي العاملي (ص: 98).

1() المرجع السابق، ص99.

2() الحكومة الإسلامية و ولاية الفقيه يزدي (ص: 17).

وقد أشار إلى هذا المعنى قبل هؤلاء جميعا محمد باقر الصدر في رسالته [لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في ايران]، والتي كانت مرجعا أساسيا أثناء تدوين الدستور الإيراني أول مرة، فقد قال في مقدمتها: (في حالات عدم وجود موقف حاسم للشريعة من تحريم أو إيجاب، يكون للسلطة التشريعية التي تمثل الأمة أن تسن من القوانين ما تراه صالحاً، على أن لا يتعارض مع الدستور، وتسمى مجالات هذه القوانين بمنطقة الفراغ، وتشمل هذه المنطقة كل الحالات التي تركت الشريعة فيها للمكلف اختيار اتخاذ الموقف، فإن من حق السلطة التشريعية أن تفرض عليه موقفاً معيناً وفقاً لما تقدره من المصالح العامة، على أن لا يتعارض مع الدستور)[1]

ويذكر نوع الحرية السياسية التي تمارس في هذه المنطقة، وكونها حرية مسؤولة؛ فيقول: (إن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية قد أسندت ممارساتها إلى الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق في ممارسة هاتين السلطتين بالطريقة التي يعينها الدستور، وهذا الحق حق استخلاف ورعاية مستمد من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى، وبهذا ترتفع الأمة وهي تمارس السلطة إلى قمة شعورها بالمسؤولية لأنها تدرك بأنها تتصرف بوصفها خليفة لله في الأرض فحتى الأمة ليست هي صاحبة السلطان، وإنما هي المسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى عن حمل الأمانة وأدائها)[2]

الجانب الثاني: التيارات السياسية في إيران:

حيث نجدها تشبه إلى حد بعيد تلك الأحزاب الكبرى التي تتشكل منها التيارات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي تنقسم إلى قسمين كبيرين[3]:

---

[1] لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في ايران باقر الصدر (ص: 3).

[2] المرجع السابق.

[3] انظر مقالا بعنوان: ما هي أهم التيارات السياسية الفاعلة في إيران؟، عبد الرحمن

التيار الأصولي(المحافظ): ويلتزم أصحابه بولاية الفقيـة المطلقة، ويطالبون بتدخل أكبر للفقهاء في السياسـة، ويقـاومون بشدة أي تيارات أخري اصلاحية أو تقدمية، ويضم هذا التيار الكثير من الأحزاب السياسية، مثل [حزب الجمهورية الإسلامي] و[حزب المؤتلفة الإسلامي[، ويتخذ هذا التيـار موقفـاً مناهضـاً من الولايـات المتحدة، ويؤمن بوجود مؤامرة عالمية لاسقاط الثورة الإسلامية.

التيار الإصلاحي: ويلتزم بولاية الفقيه، إلا أنـه ينـادي بـدور أقل للفقهاء في النظام السياسي.

وكلا الحزبين يمارس دوره بكل حرية، وينشر المقـالات الـتي تعترض على الحزب الآخر، أو تعترض على الحكومـة ومؤسسـاتها المختلفة من غير أن يكون في ذلك أي قمع أو اعتقـال لأي منتقـد أو معارض.

ومثلما ذكرنا السابق؛ فإن الحريـة السياسـية لهـذه الأحـزاب مكفولـة بشـرط حفاظهـا على قيم الجمهوريـة الإسـلامية، وأولهـا ولاية الفقيه، باعتبارها خيارا شعبيا، وافـق عليـه الشـعب بالأغلبيـة الساحقة القريبـة من الإجمـاع، أمـا الأحـزاب الـتي لا تحـترم هـذه القيم؛ فإنه لا يسمح لها بالعمل.

وقـد سـئل الخميـني عن سـر إيقـاف (حـزب تـودة، وحـزب فدائيان، ومنظمة مجاهدي خلق)؛ فأجـاب بقولـه: (الاحـزاب ايضـاً كانت بهذا النحو، والتي لم تلجأ الى التـآمر فهي تمـارس نشـاطها بحرية تامة)

وعن سؤال حول دور الأحزاب اليسارية في الثورة، وأنها بعد انتصار الثورة الإسلامية حرموا من العمـل السياسـي، وهي شـبهة يثيرها المغرضون كثيرا، أجاب بقولـه: (ليس صـحيحاً أنهم ناضـلوا وتعـذبوا جـراء هـذا النضـال، إن أبنـاء الشـعب هم الـذين عـانوا وتحملوا الآلام. إن عـدداً كبـيراً من هـؤلاء كـان خـارج البلـد، والآن جاؤوا لقطف ثمار الثورة دون عناء. كما أن فئة أخرى منهم كـانت متخفية داخل الجحور أو في البيوت، وبعد ان ثار الشـعب وتحمـل

ناصر، 12 ماي، 2014، ساسة بوست.

الآلام وقدم الدماء وأنجز كل شيء، جاء هؤلاء، وبدأوا يستحوذون على الغنائم، ومع ذلك هم أحرار ولم يتصدّ لهم أحد)[1]

والخميني يصر دائما في كل لقاءاته الصحفية بعد انتصار الثورة الإسلامية، على كون الإسلاميين هم الذين مارسوا الثورة، وهم الذين قدموا التضحيات، وأن الشعب الإيراني لم يكن لينهض لو لو تكن الثورة إسلامية، وقد أجاب الخميني في المقابلة السابقة عن السر في تهميش اليساريين، فقال: (لم يكن أي دور لهؤلاء في ثورتنا هذه، بل كانوا من المعارضين لنا. وإن هذه الأحزاب الاربعة التي تعمل الآن ضدنا، كانت لها توجهات خاصة ولازالت مصرّة على نهجها. نهضتنا نهضة اسلامية، وكان اليساريون يعارضونها، حتى أن معارضتهم لها أشد من معارضة الشاه. كما أنهم متواطئون ويريدون إعادة الأمور الى سابق عهدها. وفي تصوري أن اليساريين مزيفون وهم ليسوا يساريين حقيقيين، بل هؤلاء من صنع أميركا. بناء على ذلك فهم ليسوا كما تتصورين، ولم يكن لهم مساهمة في نهضتنا. لم يضطلع هؤلاء بأي دور في ثورتنا، وإذا ما كان لديهم تحرك ما فهو بدافع تحقيق أهدافهم ولا علاقة له بنهضتنا. لا علاقة لثورتنا باليساريين، واليساريون لم يقدموا أية خدمة لثورتنا. بل إن كل ما قاموا به هو إعاقة تحركنا والوقوف ضدنا)[2]

وهنا سألته الصحفية هذا السؤال المحرج، والذي لا يزال يردد: (هل يمكن أن توضحوا لنا بأن هذا الشعب ناضل من أجل الحرية أو من اجل الإسلام؟)، وأجابها الخميني بصراحته المعهودة قائلا: (إن هذا الشعب ناضل من أجل الإسلام. بيد أن الإسلام يشمل كل تلك المفاهيم التي يتصور العالم بأنه هو الذي أبدعها وأطلق عليها لفظ الديمقراطية.. الإسلام لديه كل هذه الافكار وإن شعبنا ناضل من أجل تحقيقها) [3]

1() صحيفة الإمام، ج10، ص: 72.

2() المرجع السابق، ج10، ص: 72.

وعن سؤال حول سر تشطيب كلمة الديمقراطية، والإبقاء (الجمهورية الإسلامية)، أجاب بقوله: (ثمة عدة قضايا بهذا الشأن. القضية الأولى هي إيجاد مثل هذا الوهم لدى الكثيرين من أن الإسلام يفتقر إلى مثل هذه المفاهيم، لذا يجب استعارتها، ومثل هذا محزن بالنسبة لنا، لأننا نؤمن بأن الإسلام لديه من التعاليم ما يفوق هذه المفاهيم، وهو يشتمل على كل شيء. هذا الأمر بالنسبة لنا مزعج ومؤلم جداً أن تجد من يفكر بهذا النحو، هذا أولًا، وثانياً: إن مصطلح الديمقراطية التي هي عندكم مهمة جداً، لا يوجد لها مفهوم واضح. أرسطو عرّفها بشكل، والسوفييت عرّفوها بشكل آخر، والرأسماليون بنحو ثالث، ونحن في دستورنا لا نستطيع أن ندخل لفظاً مبهماً كل واحد يفهمه مثلما يحب، نحن وضعنا الإسلام مكان الديمقراطية، لأن الإسلام يوضح ويبين ما هو الحد الوسط، وهو لا يخشى شيئاً. ولكن هؤلاء الذين يجهلون الإسلام، الاجانب الذين ليس لهم شأن بالإسلام، ومن في الداخل الذين لا يفقهون الإسلام، يتطلعون الى أمور مبهمة من هذا القبيل) [4]

بعد هذه التصريحات من الخميني، نذكر هنا شهادة عيان من رجل موضوعي مختص بالشأن الإيراني، وهو د.حبيب فياض، والذي ذكر شهاداته في مقال له بعنوان [الحرية في الجمهورية الإسلامية]، وقد بين فيها المدى الذي وصلت إليه الحرية السياسية في إيران، وعبر عن تجربته عن ذلك؛ فقال: (في هذا المجال أود أن أروي حادثة حصلت أمامي في جامعة طهران، فقد اختلف أحد الطلاب مع أحد الأساتذة، وقال الطالب لأستاذه: (الفرق بين ما قبل الثورة وما بعدها أنه كان عندنا شاه بتاج، الآن عندنا شاه بعمامة)، ولم يعتقله أحد، بل لم يتعرض له أحد، رغم أنه تعرض لأصل النظام، ومؤخراً هاشمي رفسنجاني وهو أحد أعمدة النظام، تعرض لحملة قاسية جداً من الانتقادات، ولم يلجأ إلا إلى القنوات القانونية من أجل رد الحملات التي تعرض لها،

3() المرجع السابق، ج10، ص: 73.

4() المرجع السابق، ج10، ص: 74.

ففي إيران حرية تعبير وحرية معتقد، والشاهد أن إبراهيم يزدي الذي لا يؤمن بنظام الجمهورية الإسلامية وصاحب التوجهات القومية ظاهراً والعلمانية باطناً، يمارس حريته السياسية وعنده حركة سياسية في طهران ولم يتعرض له أحد على مدى 25 سنة. ولكن متى تنكمش الحرية في إيران؟ عندما يتم الخوض في مسألتين، إما مسألة الدم وإما مسألة تهديد أركان النظام)[1]

ويبين الحدود أو الخطوط الحمراء التي تقف عندها الحرية؛ فيذكر ثلاثة أمور لا بدّ من التمييز بينها في هذا الشأن، وهي[2]:

أولاً: التمييز بين ما هو أخلاقي وما هو قانوني؛ فالبعد القانوني إلزامي، أما البعد الأخلاقي فهو التزامي واختياري يقوم على الحرية؛ فعندما لا يتجاوز الشخص إشارة المرور الحمراء فجراً، حين لا يوجد شرطي ولا أحد يفرض مخالفة مرور، يكون الأمر أخلاقيا، ومتعلقا بالحرية الشخصية، و(هذا العامل موجود بقوة في إيران، صحيح أن هناك تداخلاً بين ما هو تشريعي قانوني وما هو أخلاقي، لكن العامل الأخلاقي النابع من إرادة حرة في الالتزام الديني، يؤدي إلى بلورة مفهوم من الحرية يختلف إلى حدٍ كبير عما هو سائد في الدول الغربية. فكما هو معلوم، إذا انقطعت الكهرباء لخمس دقائق في مجتمع من المجتمعات الغربية فإنه يتحول إلى غابة) [3]

ثانياً: التمييز بين المجتمع والدولة، فالمجتمع الإيراني مسلم ملتزم قبل النظام الحالي، وهو الذي ساهم في صناعة النظام الحالي، (ففي إيران كل المظاهر الإسلامية التي نراها حالياً كانت موجودة حتى قبل نظام الشاه، وبالتالي الدولة هي انبثاق عن حركة مجتمع يتبنى الدين الإسلامي والقيم الإسلامية.. وهذا يعني

1() المقال موجود في كتاب بعنوان: الحرية قراءة في مرتكزاتها الإسلامية ، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ص 164.

2() المرجع السابق، ص166 .

3() المرجع السابق، ص166 .

أن المجتمع هو الذي يصنع الدولة الإسلامية تماماً كما مجتمع المؤمنين قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة. هذا أعلى درجات الحرية، لأنني أسعى إلى تحقيق مسألة وأبذل الغالي والرخيص من أجل تحقيقها وبالتالي هنا القرار ملكنا والاختيار عندنا، وكذلك الجهد والمساعي الحثيثة من أجل الوصول إلى المطلوب) [1]

ثالثا ـ التمييز بين الالتزام والإلزام، فالالتزام حالة طوعيّة وتتجلى بشكل جماعي، (وهذا ذروة الحرية لأنه لا أحد يُلزمني، بل أنا أُلزم نفسي بهذا الخط وهذا الخيار وهذه الدولة. في حين حالة الإلزام هي عبارة عن فرض وقهر، وفي إيران لو لم يكن هناك حرية لدى الناس للالتزام بخيار الدولة الإسلامية، بالتأكيد لما كان هناك من إمكانية لاستمرار هذا النظام، يعني عندما يقرر الشعب الإيراني أن يكون حراً ومتحرراً من الدولة الإسلامية، لن يكون هناك دولة إسلامية) [2]

ثانيا ـ المفهوم السلبي للحرية:

وهو المفهوم الذي عبر عنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36][16]، وهي الآية التي لا تضع أي خيار أو حرية أمام المؤمن بالله ورسوله تجاه أي تشريع أو حكم.

وعبر عن الآثار الخطيرة لهذا النوع من الحرية قوله ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسلفها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم هلكوا وهلك الناس جميعهم وإن منعوهم نجو ونجى

---

[1] () المرجع السابق، ص166 .

[2] () المرجع السابق، ص167 .

الناس جميعاً)[1]

فهذا الحديث يشير إلى أن الحرية لها حدود ترتبط بـالآخرين، ولذلك تتوقف حرية الإنسان عند تعرضها للآخر بأي نـوع من أنـواع الأذى.

وبنـاء على هـذا نـرى قـادة الثـورة الإسـلامية يعقبـون على أحاديثهم عن الحرية وضرورتها بالدعوة إلى الحـذر عن السـلبيات والعـواقب السـيئة الـتي قـد تنجـر عنهـا، والـتي تنشـأ من سـوء استعمالها، أو استعمالها في غير المواضع المرتبطـة بهـا، ذلـك أن الحريـة في الإسـلام تقـترن بالمسـؤولية، وتنـأى عن الفوضـى، وتراعي حقوق الآخرين.

وقد عـبر الخميـني عن هـذا المعـنى عنـد حديثـه عن حقـوق المرأة، والضوابط التي تحكم هـذه الحقـوق، بقولـه: (إن الإسـلام يأخذ ينظر الاعتبار حقوق النساء، مثلما يهتم بحقوق الرجـال، وقـد اعتنى بالنساء أكثر من اعتنائه بالرجال، فلهن الحرية في ممارسة نشاطاتهن وبكامل إرادتهن، وفي انتخاب العمـل، لكن ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن في الشـرق ثمـة محـدوديات للرجـال أيضـاً، وهي لمصلحة الرجال أنفسهم، فالإسـلام يحـرم ممارسـة الأفعـال التي فيها مفسـدة للرجـال كالقمـار وتنـاول الخمـور والمخـدرات، لأنها مقرونة بالمفاسد، فهناك محدوديات للجميع، شرعية وإلهيــة، محدوديات لمصلحة المجتمع نفسـه، ذلـك أن الإسـلام لا يمنـع من الأشياء التي ينتفع منها المجتمع)[2]

وذكر المساوئ الكثيرة المنجـرة وراء تـرك العنـان للحريـات من غـير ضـوابط ولا قـوانين ولا مراقبـة؛ فقـال: (عنـدما تقـرؤون الصحف فإنكم كثيرا مـا تشـاهدون فيهـا أن هـذا يسـيء إلى ذاك، وذاك يسـي ء إلى هـذا، والآن بعـد تحـرر الأقلام فهـل يصـح أن

---

[1] رواه البخاري، 8 /399..

[2] من حديث في أوساط طبقـات الشـعب المختلفـة بتـاريخ 29/ـ 3/1979، انظـر: المرأة في فكر الإمام الخميني (ص: 26).

يتحدث كل إنسان بما يشاء تجاه الآخرين، أو أن يتصرف كل واحد مع الآخـر بحيث تـدب الفوضـى في البلاد، وتخـرج من النظـام؟ .. هل هذا هو معنى الحرية؟ .. وهل أن الحرية في تلك البلدان الـتي تريد نهبنـا هي على هـذه الشـاكلة؟ .. لـو كـانت هكـذا لمـا حصـل الانسـجام، ولمـا تطـورت، إنهم يريـدون من خلال كلمـة [الحريـة] الـتي يلقونهـا في عقـول الشـباب أن يفرضـوا سـلطتهم عليكم ويسـلبوا حـريتكم، إنهم يـدركون مـا يفعلـون، يقولـون: أنتم قمتم بثـورة فـأنتم الآن أحـرار، أنت تحـدث بمـا تشـاء عن ذاك، وذاك يتحدث عنك بما يشاء، وهذا يسخر قلمه ضدك، وأنت تسخر قلمك ضد الآخرين، إنهم يدركون ما يفعلون، ويريـدون من خلال الحريـة أن يسلبوا حريتكم.. أي أن يوجدوا عندكم الحريـة غـير الصـحيحة، ويسلبوا منكم الحرية الحقيقية)[1]

وهو يقصد بالحرية الحقيقيـة المفهـوم العرفـاني لهـا، والـذي يعني سيطرة العقـل على الهـوى، وتحكم الـروح في النفس، كمـا عـبر عن ذلـك الشـيخ مرتضـى مطهـري عنـد ذكـره لقصـة بشـر الحافي مع الإمام موسى الكاظم، والتي عبر عنها تعبيرا جميلا في كتابه [الهجرة والجهاد]؛ فقال: (في عصر الإمام الكـاظم كـان في بغداد رجل معروف يقال له بشر، وكـان ممن يشـار إليـه بالبنـان، وحدث يوماً أن كان الإمام الكاظم ماراً من أمام بيت بشر، فاتفق أن فتحت جارية باب الدار لإلقـاء بعض الفضـلات، وحين رمت بهـا في الطريق سألها الإمام قائلاً: يا جارية هل صـاحب الـدار حـر أم عبد؟! فأجابته الجارية وهي مستغربة من سؤاله هذا، وبشر رجـل معروف بين الناس، وقالت: بل هو حر، فقال الإمام: (صـدقت لـو كان عبداً لخاف من مولاه)[2]

ثم ذكر كيف أثرت تلـك الكلمـة في بشـر عنـدما أخبرتـه بهـا الجارية، وأنه ذهب إلى منزل الإمـام، فتـاب على يـده واعتـذر، ثم حكى مطهري بلسان حاله قوله: (سيدي أريد من هذه السـاعة أن

---

[1] () منهجية الثورة الإسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص 371.

[2] () الهجرة والجهاد مطهري (ص: 2).

أصبح عبداً، ولكن عبداً لله، لا أريد هذه الحرية المذلة التي تأسر الإنسانية فيّ، وتطلق العنان للشهوة الحيوانية، لا أريد حرية السعي وراء الجاه والمنصب، لا أريد حرية الخوض في مستنقع الذنوب وأغدو أسيراً لها، لا أريد أن تُؤسر فيّ الفطرة السليمة والعقل السليم، من هذه الساعة أريد أن أصبح عبداً لله ولله وحده، حراً تجاه غيره)

وانطلاقا من هذا دعا قادة الثورة الإسلامية إلى إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي مارسها الإمام موسى الكاظم كما مارسها سائر الأئمة، بل هي شريعة من شرائع الله الكبرى، التي لا تقوم بها الجهات الرسمية فقط، بل يقوم بها جميع المسلمين؛ فالشعب جميعا مكلف بمراقبة سلوكات بعضه بعضا، والنهي عن أي منكر لا يتناسب مع الشريعة.

وقد ذكر الخميني ذلك عند انتقاده للمفهوم الغربي للحرية، والذي لا يتناسب مع الفطرة السليمة، كما لا يتناسب مع المجتمع الإيراني المحافظ؛ فقال: (لنعلم جميعا أن الحرية على الطراز الغربي تؤدي إلى تدمير الشبان فتيات وفتية، وهي مدانة بنظر الإسلام والعقل، ومحرم تلك الدعاية والمقالات والخطابات والكتب والصحافة المنافية للإسلام والعفة العامة ومصالح البلاد، وواجب علينا جميعا، وعلى المسلمين كافة منعها، ويجب منع المدمر من الحريات، والجميع مسؤولون للتصدي بحزم لما يحرم في الشرع، وما يعرقل مسيرة الشعب والبلد الإسلامي، ويتنافى وكرامة الجمهورية الإسلامية، الجميع مسؤولون، وإذا ما شاهد الناس وشبان حزب الله أيا من تلك الموارد فليراجعوا الأجهزة المختصة، وإذا ما قصرت هذه فهم بأنفسهم مكلفون بمنع ذلك، وكان الله تعالى بعون الجميع)[1]

وقال: (كما أن كل فرد مطالب بإصلاح نفسه، فإنه مطالب أيضاً بإصلاح الآخرين)[2]

---

[1] () منهجية الثورة الاسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص 360 ..359.

وهو ينقل لهم ما ورد في النصوص المقدسة من ذلك، ومنهـا قولـه ﷺ: (لا يـزال النـاس بخـير مـا أمـروا بـالمعروف ونهـوا عن المنكــر وتعــاونوا على الــبر، فــإذا لم يفعلــوا ذلــك نــزعت منهم البركـات وسـلط بعضـهم على بعضـهم، ولم يكن لهم ناصـر في الأرض ولا في السماء)[1]

فهـذه الروايـة تشـير إلى (الارتبـاط الغيـبي بين المعاصـي والمشـاكل الدنيويـة.. فالمشـاكل الاقتصـادية والفتن بين النـاس بالإضافة إلى أسبابها الطبيعية لها ارتباط بالنهي عن المنكـر، وهي نوع من العقاب الإلهي لترك هذه الفريضة)[2]

وينقل لهم أيضا ما روي عن الإمام الحسين، وأسـباب ثورتـه، وقوله: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالمـاً ولا مفسـداً، وإنمـا خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي)[3]

ويسـتنتج من هـذه النصـوص وغيرهـا أن (الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كافة أبناء الشعب)[4]

ويقول مخاطبا شعبه داعيا إلى المبادرة في مواجهـة المنكـر قبل أن يستشري: (إذا لم تقفوا بوجه الفسـاد منـذ بدايـة ظهـوره فليس من المستبعد أن نعود إلى ما كنا عليه في السابق)[5]

2() الكلمات القصار . ص245..

1() وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج 11، ص 399..

2() إصلاح المجتمع في فكر الإمام الخمينيّ، (ص: 13)

3() بحار الأنوار، المجلسي، ج 44، ص 329..

4() الكلمات القصار، ص105..

5() المرجع السابق.

بل إنه يدعو إلى التعامل بشدة مع من يحارب المجتمع بنشر قيم الفساد فيه، ويقول عنه، وعن حكمه الشرعي: (إن من يعمل على إفساد المجتمع ولا يرعوي عن ذلك إنما هو غدة سرطانية يجب فصلها عن المجتمع)[1]

ولهذا لا نستغرب من تلك الأحكام المشددة التي يواجه بها القضاء الإيراني المروجين للمخدرات والمتاجرين بها، أو أولئك العابثين بالأمن العام، والتي لقيت نقدا كبيرا من المغرضين الذين راحوا يرحمون المجرمين حفاظا على حقوق الإنسان، ويتركون الضحايا[2] .

وهكذا نجد الولي الفقيه الحالي السيد علي الخامنئي يصرح كل حين بوجوب قيام الشعب جميعا بالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبلاغ السلطات المسؤولة في حال الحاجة إلى ذلك.

ومن أمثلة ذلك قوله[3]: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف عام، ولا يوجد خطاب يفوق في شدّته وحزمه خطاب الأمر بالمعروف)، وقوله: (الأمر بالمعروف ليس ضرباً من الفضول، بل هو نوع من التعاون والرقابة العامّة على نشر الخير وتقويض الشر والفساد)، وقوله: (عندما يشيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أوساط المجتمع، فإن ذلك سيؤدّي إلى أن تعتبر الخطيئة في نظر الناس خطيئة إلى الأبد)، وقوله: (إذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفشّت في المجتمع الأفعال المنكرة، إذ ذاك ستمهّد الأرضيّة إلى أن يمسك الأراذل بزمام

---

(1) الكلمات القصار، ص104..

(2) انظر مقالا بعنوان: على إيران إلغاء الإعدامات المتعلقة بالمخدرات، بتاريخ 20 يوليو 2017، ففيه: قالت [هيومن رايتس ووتش] اليوم إن على الحكومة الإيرانية إلغاء جميع عمليات الإعدام المتصلة بجرائم المخدرات..

(3) انظر هذه المقولات مع المناسبات التي قيلت فيها في: الكلمات القصار، الخامنئي، ص123..

الأمـور)، وقولـه: (على الشـعب أن يطـالب المسـؤولين بالعمـل الصالح، وليس ذلك عن طريـق الـدعوة والرجـاء، بـل عن طريـق الأمـر)، وقولـه: (لا يتحـدّد النهي عن المنكـر بـالردع عن الـذنوب الشخصيّة، بل هـو معشـار العشـر منـه)، وقولـه: (هنـاك منكـرات شـائعة على صـعيد المجتمـع ينبغي النهي عنهـا من قبيـل إهـدار الثروات العامّة والحياتيّة)، وقوله: (القول بجواز النهي عن المنكـر باللسان ووجوبه هو واجب الجميع ولا يسقط في ظلّ أيّ ظـرف)، وقوله: (النظام الإسلامي هـو نظـام الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بهما واجب حتميّ على الجميع)، وقوله: (لا ينحصـر المـأمورون بـالمعروف والمنهيّـون عن المنكـر في طبقـة العـوام فحسـب، بـل ربّمـا كـانوا من الخـواصّ أيضـاً)، وقولـه: (إيّـاكم أن تتوجّهـوا إلى شـخص من النخبـة بالرجـاء، بـل عليكم أن تنهـوه، قائلين: لا تفعل هذا الشي ء، فالحالة الاسـتعلائيّة لا بـدّ من تمثّلهـا في الأمر والنهي)، وقولـه: (الجميـع مخـاطبون بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر حـتى لـو كـان الشـخص أكـثر أهميّـة)، وقولـه: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر إحـدى الواجبـات، ولا يتحمّـل محاباة وخجلاً)

وغيرها من المقـولات الكثـيرة، والـتي تحمـل معـاني سـامية ترتبط بالإصلاح الاجتماعي، بل بكل أنواع الإصلاح، ذلك أن الهيئات الرسمية وحدها لا يمكن أن تقوم بكل شيء، أو تراقب كل شيء.

ولهـذا اسـتطاع الإيرانيـون بمشـاركتهم لحكـومتهم ونظـامهم إحباط كل المؤامرات والفتن التي دبر لها الأعـداء، ذلـك أن الـذي بادر بمواجهة المتآمرين هم الشعب نفسـه قبـل أن تتـدخل قـوات الأمن.

انطلاقـا من هـذا سـنذكر هنـا باختصـار نمـوذجين من نمـاذج الحرية السلبية الـتي واجههـا النظـام الإيـراني لمنافاتهـا الشـريعة الإسلامية، وقـد لاقت تلـك المواجهـة الكثـير من النقـد من طـرف المغرضين.

1 ـ المظاهر الغربية ومواجهتها:

استعمل النظام الإيـراني البائـد كـل الوسـائل لنشـر مظـاهر الحياة الغربية في اللباس وأنماط المعيشـة المختلفـة، متـأثرا في ذلك بما عليه الحال في تركيا، ذلك أنـه بعـد تنصـيب الشـاه (رضـا بهلوي) في عـام 1926م، حـاول أن يتقـرب من مصـطفى كمـال أتـاتورك، وأن يقيم علاقـات جديـدة معـه، وكـان متـأثرا بـه تـأثرا شـديدا، ولـذلك اسـتعمل كـل الوسـائل لتحويـل إيـران إلى نفس النمط الذي تحـولت إليـه تركيـا الحديثـة، ولـولا مواجهـة العلمـاء، وتأثيرهم في الشعب الإيراني لتم له الكثير مما أراد.

ومن تلـك المظـاهر الـتي حـرص على الـدعوة إليهـا إدخـال التقاليد الغربية في اللباس والحفلات وجميع شؤون الحياة، ولذلك كره الشـعب الإيـراني ــ بحكم تدينـه أولا، وبحكم كراهيتـه للشـاه واستبداده ثانيـا ــ تلـك المظـاهر، وراح يتعلـق بالعلمـاء والمراجـع الرافضين لذلك.

ولهذا؛ فإن الدعوة لمواجهة التغريب ومظـاهره المختلفـة لم تلق أي ردود سلبية من طرف الشعب الإيراني، بل إنه نفسه بـادر للدعوة إلى مواجهتها، وخاصة بعدما تشبع بتلك الخطب والبيانــات الكثيرة التي كان يلقيها قادة الثورة الإسلامية، وخصوصا الخميــني الـذي لم يكن يـدع مناسـبة إلا وينكـر فيـه على مظـاهر التغـريب والسفور والانحراف التي ينشرها الشاه، عبر القوانين التي يضعها كل حين.

وقد عبر الخميني عن ذلك الدور المشبوه الذي قام به الشاه لنشر المظاهر السلبية للتغـريب بحجـة التمـدن والتحضـر؛ فقـال: (في عهد هذا النظام (بهلوي) الـذي كـانت تتعـالى فيـه الصـيحات (النسـاء حـرات، الرجـال أحـرار) مـاذا كـانت نشـاطات المـرأة؟ النشاط الذي شاهدناه من النساء هو قيـام مجموعـة من النسـوة بالذهاب إلى قبر رضا خان بذلك الوضع المخزي لتقـديم شـكرهن لأنه حررهن، أما كيف حررهن وماذا فعل؟ فإنهن لا يفكـرن بهـذا.. لا يفكـرن بأنـه أرادهن أحـرارا مـع الرجـال من دون أي ضـوابط أخلاقية.. لتشـارك النسـوة في تلـك المجـالس الـتي كـانت تقـام، وتظهر أمام أعين الرجال غير النزيهة بذلك الوضـع.. إنهم يريـدون

حرية الفحشاء بكل أنواعها)[1]

ويذكر الخميني أنه في الوقت الذي كان يسمح فيه بهذا النوع من الحرية، كان الاستبداد والقمع ساريا في كل شؤون الحياة؛ يقول في ذلك متسائلا: (.. أي امرأة تمكنت أن تتحدث عن قضايا الساعة، وأي رجل استطاع أن يكتب كلمة واحدة عن المشاكل التي يعاني منها شعبنا بسبب تدخل الأجانب وعملائهم الداخليين؟.. وأي مطبوعة من مطبوعاتنا كانت حرة؟ ومتى كان المذياع والتلفاز حرا؟ ومتى كان الناس والشبان وطلاب الجامعات وطلبة العلوم الدينية أحراراً؟)[2]

ويجيب عن هذه التساؤلات بقوله: (إن الحرية الواقعية المفيدة لمجتمعنا كانت مسلوبة تماما خلال هذه الخمسين سنة التي شاهدت فيها مختلف القضايا؛ فالنسوة لم يملكن الحرية لممارسة النشاط الاجتماعي أو التحدث عن المصائب التي يعانيها الشعب، والويلات التي لحقت به من الشرق والغرب، ولم يسمح لهن بالتحدث ولا بكلمة واحدة عن مصائب الشعب من الحكومات العميلة وما أصاب الشعب بسببه) [3]

وفي نفس الوقت الذي اهتم فيه الشاه بإشاعة المظاهر الغربية، لم يهتم بتطوير بلاده في النواحي التي كان عليها أن يستفيدها من الغرب، يقول في خطاب له عند بيانه لآثار الشاه السلبية على المجتمع الإيراني: (إن هذا الشاه جعل ثقافتنا متخلفة بحيث لايحصل شباننا على العلم التام والكافي هنا ويمسون بعد مدة من الدراسة مع كل ما يرافقها من صعوبات وضغوط يمسون مضطرين للسفر إلى خارج البلاد لإكمال دراساتهم.. إننا نملك دراسات جامعية منذ خمسين عاما أو أكثر،

---

[1] منهجية الثورة الإسلامية، مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، ص 362 ..361

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

ونملك جامعة منذ أكثر من ثلاثين عاما، ولكن ولأنهم خانونا، فإن هذه الجامعة لم تتطور ولم تحقق لأبنائها بلوغا أنسانيا. لقد قضى هذا الشخص على جميع أبنائنا وعلى طاقاتنا البشرية)[1]

وفي المقابل يذكر الخميني أن هذا الشاه الذي لم يهتم بالتطوير العلمي لبلده راح يهتم بمظاهر الابتذال المتنافية مع الشعب الإيراني، يقول: (لقد أقام هذا الشخص- ونتيجة لعبوديته للآخرين- بإنشاء مراكز الفحشاء، فبرامجه التلفزيونية ليست سوى فحشاء، وبرامجه الإذاعية في أغلبها فحشاء، وجميع المراكز التي أجازوا فتحها هي مراكز للفحشاء يعضد بعضها بعضا، فمراكز بيع الخمور أكثر من مراكز بيع الكتب، ومراكز الفساد الأخرى تنتشر الى ما شاء الله)[2]

ثم بين أنه لا ينتقد السينما ولا الفنون، ولا التطور، وإنما ينتقد استخدامها لإشاعة الفحشاء، يقول: (نحن لا نعارض دور العرض السينمائي، ولكننا نعارض مراكز الفحشاء، نحن لا نعارض الإذاعة ولكن نعارض الفحشاء، نحن لا نعارض التلفزيون بل نعارض ما يقومون به خدمة للاجانب وللإبقاء على ابنائنا متخلفين، ولتدمير طاقاتنا البشرية.. متى عارضنا التجديد؟ متى عارضنا مراكز التطور؟ .. إن السينما احد مظاهر التحضر التي ينبغي توظيفها لخدمة الناس ولتربيتهم، لكن وكما تعلمون فانها قد دفعت ابنائنا نحو الضياع، وكذا هو حال سائر هذه المراكز. لذا فاننا نعارضها، وهؤلاء قد خانوا بلادنا بهذه الطريقة) [3]

وهو يذكر أن ذلك التمجيد الذي حصلت عليه إيران في عهد الشاه من طرف القوى الغربية لم يكن بسبب مراعاته للحريات، أو حقوق الإنسان، وإنما بسبب تلك المصالح التي ينالونها منه،

---

[1] () صحيفة الإمام، ج 6 ، ص 23.

[2] () المرجع السابق، ج 6 ، ص 24.

[3] () المرجع السابق، ج 6 ، ص 23.

والتي تضر بالشعب الإيراني، يقول: (أما نفطنا فقد أعطوه إلى الآخرين بالكامل.. أعطوه لأمريكا وغير أمريكا. وماذا اخذوا في المقابل من أمريكا؟ أخذوا منها أسلحة ومعدات لإقامة قواعد لها؟ فنحن أعطيناهم النفط وأقمنا لهم قواعد في أراضينا، وتمكنت أمريكا بهذه الحيلة التي ساهم فيها هذا المخلوق (الشاه) من الاستحواذ على نفطنا وتشييد قواعد لها بثمنه، فقد صدرت امريكا إلينا اسلحة لا يمكن لجيشنا الاستفادة منها إلا بمساعدة المستشارين والخبراء الأمريكان)[1]

وهكذا يذكر الخامنئي ذلك التغريب السلبي الذي قامت به أسرة الشاه طيلة حكمها لإيران؛ فقال: (حين آل الأمر إلى أُسرة بهلوي ارتكبوا من الفعال ما هو أسوأ بكثير مما ارتكب في العهد القاجاري؛ فأسرة بهلوي ضربت على قواعد الثقافة الذاتية الخاصة للشعب وزلزلت أركانها، وأنشبت أظافر التخريب فيها، حتى حلت الثقافة المستوردة بدلاً من الثقافة الخاصة، ونفذت في أغلب مرافق حياتنا وشؤونها)[2]

وضرب أمثلة على ذلك؛ فقال: (كان شعبنا ملتزماً طوال قرون الحضارة الإسلامية، برعاية الآداب في طبيعة العلاقة بين المرأة والرجل، وهذا لا يعني عدم وقوع حالات من الخطأ والمعصية؛ فالخطأ موجود في كلّ العصور وفي مختلف المجالات، وسيبقى أفراد البشر عرضه للخطأ أبداً. ولكن ثمَّ فرق بين الخطأ، وبين أن يتحوّل الخطأ إلى عرف عام في المجتمع وعلى صعيد الشعب، لقد كانت مجالس الأشراف وبلاطات الملوك والأمراء ومن يقع على شاكلتهم، هي وحدها التي تشهد مجالس اللذة والطرب والفحشاء، حيث تمضي الليالي الحمراء حتى الصباح بهذه الخطايا، قد سعى الأوروبيون ـ الذين لا تغلق باراتهم طوال الليل والنهار ـ أن يدفعوا مجتمعنا صوب هذه العادات المشؤومة

1() المرجع السابق ، ج 6، ص: 22.

2() الثورة الإسلامية والغزو الثقافي (ص: 4).

الفاسدة)[1]

بل إن الأمر وصل به ـ كما يذكر الخامنئي ـ إلى درجة الدعوة إلى تغيير اللباس الوطني المحافظ للإيرانين، واستبداله بالزي الغربي، يقول: (لكم أن تلاحظوا الآن مقدار الفضيحة التي تنطوي عليها ممارسة ملك قام باستبدال الزي الوطني لشعبه مرَّة واحدة دفعةً! إذا ذهبتم إلى أقصى نقاط الدنيا، كالهند مثلاً تجدون أن الشعوب لها زيَّها الوطني وهي تفتخر به، ولا تشعر بالخجل أو العار منه، ولكن هؤلاء غيّروا الزي الوطني ومنعوه مرة واحدة، لماذا؟ زعموا أن الإنسان لا يكون عالماً مع هذا الزي! في حين نجد أن أبرز العلماء الإيرانيين، الذي لا زالت آثاره تدرس في أوروبا، عاش بهذه الثقافة وأمضى حياته بهذا الزي، ترى ما هو تأثير الزي؟ وما هو الكلام الذي يجافي المنطق ويبعث على السخرية؟.. لقد استبدلوا الزي الوطني ومنعوا ارتداء الحجاب. وقالوا إنّ المرأة لا تستطيع أن تتحوّل إلى عالمة مع الحجاب (العباءة) ولا يمكن أن يكون لها مشاركة في الفعاليات الاجتماعية! أتوجه إلى هؤلاء بسؤال: إلى أي مدى استطعن النساء أن يشاركن في الفعاليات الاجتماعية بمنع الحجاب وتحريم العباءة؟ هل سمح عهد رضاخان وابنه للمرأة أن تشارك في الفعاليات الاجتماعية؟ في عهد حرم الرجل من ممارسة الفعالية الاجتماعية كما حرمت من ذلك المرأة أيضاً)[2]

ثم بين أن التحضر والرقي لا يرتبط بتلك المظاهر الغربية، بل يرتبط بتوفير البيئة المناسبة للتطور والرقي، يقول: (لقد استطاعت المرأة في إيران أن تلج ميدان العمل الاجتماعي وتحوّل البلد بإرادته القوية، حيث جرّت الرجل إلى الساحة وراءها، حينما ارتدت الحجاب ووضعت العباءة على رأسها.. ثم ما تأثير الزي والحجاب في عدم فعالية المرأة أو الرجل؟ المهم هو القلب الذي ينطوي عليه هذا الرجل وتلك المرأة.. والمهم هو

1() المرجع السابق، ص5.

2() الثورة الإسلامية والغزو الثقافي (ص: 6).

كيف يفكر؟ وما هو قدر إيمانهما، وما هي طبيعة الروحية التي ينطوي كل منهما عليها، وطبيعة الدافع الذي يسوقهما لممارسة الفعالية الاجتماعية والنشاط العلمي؟)[1]

ثم يعقب متأسفا على هذا الموقف الذي نشأ عن التبعية للغرب والشعور بالنقص: (لقد وضع رضاخان ـ هذا الطاغية الأمي المتجبر ـ نفسه أُلعوبة بيد الأعداء؛ فغيّر الزي الوطني واستبدل الكثير من الآداب والسنن السائدة بين الشعب، ومنع مزاولة الفعل الديني، وزوى بالدين جانباً، مارس جميع هذه الفعال بالقوة ـ كما تعلمون جميعاً ـ وتحوّل إلى شخصية محبوبة لدى الغرب، لم يكن محبوباً من قبل الرأي العام في الغرب، أو أبناء الشعوب الغربية، وإنما أضحى محبوباً من قبل السلطويين والساسة الغربيين)[2]

انطلاقا من هذا الموقف شرعت القوانين بعد انتصار الثورة الإسلامية، لتواجه كافة أشكال التغريب ومظاهرها السلبية، وقد لقي ذلك انتقادا كبيرا من أولئك الذين كانوا يمجدون الشاه، ويعتبرونه مراعيا لحقوق الإنسان، مع أنه نهب ثروات البلاد، ولم يجلب لها إلا الفساد وكل مظاهر الانحراف.

ومن تلك القوانين التي لقيت انتقادا كبيرا، بل جُند الإعلام بمختلف وسائله لتشويه إيران بسببها موقفها من اللباس، سواء كان لباس الرجل أو المرأة، والذي وضعت قوانين ترتبط به، لتجعله محافظا على أحكام الشريعة، مع أن الشاه نفسه ومعه أتاتورك وضعا القوانين الداعية للسفور والمحرمة للحجاب، ومع ذلك لم ينالا من الإنكار ما نالته إيران في عهد الولي الفقيه.

ولو أن الإنكار كان من الغرب وحده لما تعجبنا، ذلك أن الغرب براغماتي وصاحب مصالح، وهو يعطي ما يشاء من الأوصاف لمن يشاء من الدول؛ لكن المشكلة أن يكون الإنكار من

---

[1] الثورة الإسلامية والغزو الثقافي (ص: 7).

[2] المرجع السابق.

الدول العربية، ذات المجتمعات المحافظة؛ فقد راحت مصر ودول الخليج خصوصا تنكر على تلك القوانين الإيرانية المرتبطة باللباس، بل راحت تدعو الشعب الإيراني للتمرد عليها، واستعملوا في ذلك كل أنواع الأكاذيب.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مقال بعنوان [ممنوعات على نساء إيران: الرقص والنرجيلة والدراجات وأشياء أخرى] جاء فيه: (منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979، فُرضت قيود عدة على المواطنين عموماً، والنساء خصوصاً، في البلاد، إذ أُجبرن على الالتزام بقواعد اللباس، ومُنعن من الاختلاط بالرجال، بالإضافة إلى ممنوعات أخرى تركزت على الفنون مثل الرقص والموسيقى الغربية ومشاهدة العروض الرياضية) [1]

ثم يفصل في بعض الممنوعات على المرأة الإيرانية، ومنها ـ كما يذكر ـ الرقص؛ يقول في ذلك: (منذ عام 1979، حُظرت معظم أنواع الفنون، نتيجة قيود وأحكام المحافظين، وبينها الاستماع إلى الموسيقى الغربية والرقص، ما أنتج نوعاً من الحرب الثقافية بين السلطات الإيرانية وشبابها، إذ اعتقلت السلطات الإيرانية أخيراً 4 شبان وشابتين، واتهمتهم بتعليم الرقص الغربي، وبينها الـ [زومبا]، والسعي إلى [تغيير نمط الحياة] و[الترويج لخلع الحجاب]، وفقاً لأحد قادة الحرس الثوري الإيراني، ورقص سبعة أشخاص (شبان وشابات) على أنغام أغنية غربية شهيرة في 2014، ونشروا مقطعاً مصوراً على مواقع التواصل الاجتماعي لكن السلطات الإيرانية اعتقلتهم، وفرضت عليهم أحكاماً بالسجن و91 جلدة، ما أدى إلى إثارة الرأي العام العالمي، فأوقف الحكم مقابل اعتذارهم عبر التلفزيون الوطني الإيراني، وبعد أشهر عدة، رقصت شابة إيرانية على متن قطار في العاصمة طهران، وصورها الركاب، وانتشرت مقاطع الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي في إيران، لكن السلطات لم تستطع تحديد هويتها)[2]

---

(1) ممنوعات على نساء إيران: الرقص والنرجيلة والدراجات وأشياء أخرى، موقع (العربي الجديد)، 10 أغسطس 2017.

هذا مجرد مثال انتقيناه من الكثير من المقالات الإخبارية باعتباره أكثرها لطفا، في مقابل مقالات إخبارية تصدر كل يوم، لتشوه الموقف الإيراني من المحاولات التي يقوم بها الغرب في إطار الحرب الناعمة لصرف الإيرانيين عن دينهم وعن نظامهم وفقهائهم.

وقد كان في إمكان هؤلاء الذين يرغبون فيما شاءوا من اللباس أو الغناء أو الرقص أو النرجيلة أن يمارسوه في بيوتهم من غير أن يتدخل أحد لاعتقالهم أو مواجهتهم، ولكن الغرض ليس هو التمتع بتلك المظاهر، وإنما الغرض هو مواجهة القيم التي تبناها المجتمع عبر توليه للولي الفقيه، والقوانين التي يصدرها.

ولهذا تصر الكثير من القنوات العربية ووسائل الإعلام على القيام بحملة إشهار مجانية لأولئك الأفراد المحدودين الذين يتمردون على القوانين، ويصورون أن هؤلاء هم كافة الشعب الإيراني، وأن الشعب الإيراني ضاق بتلك القوانين التي تحد من حريته.

وللرد على هذه المغالطة نحب أن نذكر هنا الموقف الشرعي، بل العقلي والفطري من هذا الأمر، وهو أن اللباس مع كونه حقا شخصيا للإنسان لا يجوز التدخل فيه، لكنه إذا أثار فتنة في المجتمع، أو ساهم في إفساده والإضرار به؛ فإنه حينها يخرج عن كونه حرية شخصية، بل يتحول إلى قضية مرتبطة بالمجتمع، وحينها توضع القوانين التي تضبط ذلك، والتي نراها في قوانين العالم جميعا.

ولا يقال هنا بأن على أفراد المجتمع أن يغضوا أبصارهم، لأن ذلك مستحيل؛ فالمجتمع يحوي جميع أصناف الناس، المتدينين وغيرهم، وفيه المراهقون والمنحرفون، ولا يصح أن يتحمل المجتمع جميعا وزر امرأة ظهر لها أن تخرج سافرة بين الناس لتفتنهم.

ولو طبقنا هذا الأمر لأجزنا لمن يشاء أن يروج المخدرات

---

(2) المرجع السابق.

والخمور وغيرها أن يفعل ذلك، ثم نطالب المجتمع بأن يتورع عن الشراء، أو أجزنا لمن شاء أن يضع شاشة في الشارع، ويضع فيها ما يشاء له هواه من الانحرافات، ونطالب المجتمع بأن يغلق عينيه وأذنيه إذا مر عليها.. وهذا لم يقل به أحد.

ولهذا؛ فإن القادة الإيرانيين لم ينظروا إلى اللباس وغيره من المظاهر باعتبارها حريات شخصية، وإنما نظروا إليها باعتبارها اختراقا يحاول الغرب من خلاله أن يتسلل للمجتمع لإفساده، وتيسير السيطرة عليه.

وقد أشار إلى هذا المعنى الخميني في حوار له مع مذيعة لإحدى القنوات حينها ـ وكانت كبيرة السن ـ حيث قالت له: (هل يعقل ان تخفي نفسها وراء هذا التشادور [العباءة السوداء] المرأة التي شاركت في الثورة، وقتلت وعذبت وناضلت ودخلت السجون؟)

فأجابها بقوله: (أولًا إن المرأة مخيرة في ارتداء التشادور وقد اختارته بصورة طوعية، ولا يحق لك أن تسلبيهن هذا الاختيار، نحن إذا ما طلبنا من النساء الراغبات في ارتداء التشادور أو الحجاب الإسلامي النزول إلى الشوارع، فسوف تخرج ثلاثة وثلاثون مليوناً من خمسة وثلاثين مليون امرأة، فهل يحق لك الوقوف بوجههن؟ أي استبداد هذا الذي تنسبينه الى النساء؟ .. ثانياً نحن لا نحدد حجاباً بعينه، كما أن النساء اللواتي من عمرك، لا توجد أية حساسية بشأن حجابهن، ولكننا نتصدى للفتيات الشابات اللواتي يستخدمن المكياج المفرط ويخرجن الى الشوارع متبرجات حيث يلاحقهن أفواج الشباب)[1]

وتمنينا لو أن هؤلاء الذين ينكرون على إيران التزامها بهذه المظاهر الدينية المحافظة، طبقوا ما ذكره الخميني، ولاحظوا أعداد الذين يطالبون بحقوقهم في التبرج والسفور، وقارنوها بعدد الذين يرتدون الحجاب من تلقاء أنفسهم، لخففوا من غلوائهم وتشددهم، وعلموا أنهم يقفون في وجه شعب كامل من أجل

---

[1] () صحيفة الإمام، ج10، ص: 79.

حفنة محدودة.

ولو أنهم أضافوا إلى تلك المقارنة زيارة الجامعات والمدارس والسينما والمسرح والمؤسسات الرياضيةوكل المحال لوجدوا للمرأة حضورا قويا لا يضاهيه أي حضور في كل تلك الدول التي لا هم لها إلا تشويه إيران.

2 ـ الانحلال الأخلاقي ومواجهته:

بناء على ما ذكرنا في الفصل الأول من أن الحكومة الإلهية تختلف في وظائفها عن الحكومة الوضعية والعلمانية، ذلك أن هدف الأخيرة قاصر على رعاية حاجات المجتمع المادية، وعلى توفير رغباته الدنيوية، بينما الحكومة الإلهية، والتي مثلها الرسل وخلفاؤهم؛ لا تهتم بذلك فقط، وإنما تهتم قبله وبعده ببناء المجتمع الصالح، وتوفير كل ما يخدم هذا البناء، والوقوف في وجه كل ما يعترضه، كما قال تعالى في تعداد وظائف رسول الله ﷺ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]

فالتزكية، وهي ترقية الإنسان وتربيته الإيمانية والروحية والأخلاقية من مهمات رسول الله ﷺ، والتي يذكر قادة الثورة الإسلامية في إيران أن على الولي الفقيه أن يتولاها باعتباره نائبا عن رسول الله ﷺ، وعن الأئمة في هذه الوظيفة.

ومن بين الوسائل التي تستعمل للتزكية ــ حسبما ورد في النصوص المقدسة ـ الحدود والتعزيرات التي يستعملها الحاكم المسلم ليحفظ المجتمع من تسرب أدوات الفساد إليه، ذلك أن فردا واحدا أو أفرادا معدودين من المنحرفين يمكنهم إذا أعطيت لهم الحرية الكافية الخالية من أي ردع أن يفسدوا مجتمعا كاملا، ولذلك ورد في الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)

وقد نص القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى عند بيان حد الفاحشة: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، فقد ربط الله تعالى بين عقوبة الزناة مع أمره بحضور جماهير الناس للعقوبة، حتى يكون ذلك وازعا تربويا لهم، بالإضافة لوسائل أخرى سنعرفها إن شاء الله في الفصل الخاص بالقيم التربوية من هذا الكتاب.

وهكذا أخبر القرآن الكريم أن القصاص حياة، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179]، ذلك أن إقامة القصاص على فرد واحد يحمي المجتمع من سريان مثل هذه الظاهرة فيه، وبذلك يحيا المجتمع جميعا بحمايته من أمثال هذه الجرائم.

بناء على هذا، كانت المقارنة في مجال الحريات وحقوق الإنسان بين النظام العلماني الذي تتبناه أكثر دول العالم والنظام الإيراني مقارنة خاطئة؛ فالفلسفة التي يقوم عليها كلا النظامين مختلفة تماما.

وليس في ذلك أي إجحاف أو ظلم بحق الشعب الإيراني، لأنه هو من ارتضى هذا النظام، وهو من طالب حكامه بأن ينفذوه، وهو الذي ظل منذ ما يقارب أربعين سنة ينتخب مسؤوليه، ويخرج في كل المظاهرات والمسيرات التي تؤكد ولاءه المطلق لنظامه ومسؤوليه.

ولذلك؛ فإن الدعايات المغرضة التي تنتقد قوانين العقوبات الإيرانية أو تقارن بينها وبين النظم العلمانية دعايات قد تقبل في المجتمعات غير المسلمة، لكن المسلم الحريص على دينه العارف بربه، لا يمكنه أن يرفضها، أو ينتقدها، لأنها قوانين شرعية، ومنطلقة من الأحكام الفقهية، بالإضافة إلى دورها الكبير في مواجهة الجريمة والانحلال، وهي مع مقومات تربوية أخرى سنراها في محلها تشكل ركنا أساسيا في الإصلاح الاجتماعي.

وقبل أن نسرد ما ذكره قادة الثورة الإسلامية في الرد على تلك الشبهات والاعتراضات التي يبثها الإعلام المغرض، بما فيهم بعض الإسلاميين، أو كثير منهم، نذكر هنا مقارنة أجرتها بعض

الصحف بين بعض الممارسات التي يعتبرها القانون الإيرني جرائم يعاقب عليها بأشد العقوبات في نفس الوقت الذي لا يقاضى فيه مرتكبها حسب القوانين الأمريكية، وكأنه في رأي صاحب المقال أمريكا أكثر سماحة وعدلا من إيران.

وعنوان المقال [ثمان جرائم تستوجب الإعدام فى إيران والبراءة في أمريكا][1]، ومما ورد فيه: (نفذت إيران حوالى 700 حكم بالإعدام فى 2015، على جرائم لا تدخلك حتى السجن فى الولايات المتحدة، حسبما ذكر موقع فوكاتيف الأمريكي، ورأى الموقع أن إيران تنفذ أحكام الإعدام هذا العام بوتيرة قياسية، حيث تم إعدام حوالى 694 شخصًا منذ شهر يناير الماضى وتتوقع منظمة العفو الدولية أن العدد سيزيد عن ألف بنهاية العام، وقال الموقع إن القانون الإيرانى يفرض عقوبة الإعدام على مجموعة جرائم، لا تفرض حتى عقوبة الحبس على الأشخاص فى الولايات المتحدة من بينها تهريب المخدرات والعلاقات الجنسية الشاذة.. وأشار الموقع إلى أن بعض الجرائم يتم توقيع العقوبة على مرتكبيها بعد الانتهاك الرابع، من ضمن ذلك الزنا والدخول فى علاقات جنسية شاذة ويعاقب الطرفان فى تلك الحالات بعقوبة الإعدام)

وقد نشر الموقع جدولا تفصيليا يقارن بين 14جريمة وعقوباتها فى كل من إيران والولايات المتحدة من بينها ثمانى لا تعتبرها أمريكا جرائم يعاقب عليها القانون، بحسب بيانات الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان.

وحسبما ذكر الموقع، هذه هي الممارسات التي يتأسف الكثيرون على اعتبارها جرائم في القانون الإيراني القاسي حسبما يصورون، بينما لا يعاقب عليها القانون الأمريكي الرحيم:

1. زنا المحارم: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (سجن حتى 15 عاما)

---

[1] ثمان جرائم تستوجب الإعدام فى إيران والبراءة في أمريكا، دنيا الوطن ــ رام الله ، 25/07/2015.

2. اغتصاب: إيران (إعدام).الولايات المتحدة (من 5 - 15 عاما سجن)

3. شخص متزوج يمارس الرذيلة مع غير متزوج: إيران (إعدام).الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

4. ممارسة الرذيلة مع زوجة الأب: إيران (إعدام).الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

5. غير مسلم يمارس الرذيلة مع مسلمة: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

6. علاقات الشذوذ الجنسى: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

7. التآمر لإسقاط الحكومة: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

8. تسهيل مهمة الجماعات المعارضة للحكومة: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

9. اغتيال متعمد للقادة السياسيين: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

10. سب النبى ﷺ: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (لا تعتبر جريمة)

11. القتل العمد: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (إعدام)

12. تهريب المخدرات: إيران (إعدام). الولايات المتحدة (5 سنوات سجن)

وهكذا نجد موقعا آخر، وهو الموقع الرسمي لمنظمة العفو الدولية، يذكر اعتراض جماعات حقوق الإنسان على القوانين الإيرانية المرتبطة بالخمر، فقد ورد فيه هذا الخبر: (قالت منظمة العفو الدولية إنه يتعين عدم إعدام رجلين وجِدا مذنبين بتعاطي الكحول للمرة الثالثة، وهو محظور بمقتضى قانون العقوبات

الإيراني؛ فقد أعلن رئيس الهيئة القضائية في شمال شرق إقليم خراسان رضوي، السيد حسن شريعتي، أن السلطات تقوم بالتحضيرات لتنفيذ حكمي الإعدام اللذين أقرتهما المحكمة العليا في طهران، وقد نفذ بحق الرجلين، اللذين لم تتم تسميتهما، حكم بالجلد 80 جلدة لكل منهما عقب إدانتين سابقتين بشرب الكحول، وتنص المادة 179 من قانون العقوبات الإيراني على عقوبة الإعدام الإلزامية لمن يدانون للمرة الثالثة بشرب الكحول، واحتفظت صيغة منقحة من قانون العقوبات، لم تصبح نافذة بعد، بأشد العقوبات قسوة هذه لمن تتكرر إدانتهم بالجرم) [1]

وجاء في الموقع أن [آن هاريسن] صرحت حول هذا الأمر بقولها: (نناهض عقوبة الإعدام في جميع الأحوال، بيد أن شرب الكحول لا يمكن أن يصنَّف منطقياً بأنه من الجرائم الأشد خطورة، التي تشكل الحد الأدنى للمعايير الدولية التي تجيز عقوبة الإعدام بالنسبة للدول التي ما زالت تطبق العقوبة.. ومن المؤسف أن السلطات الإيرانية لم تستفد من عملية المراجعة الأخيرة لقانون العقوبات كي تجعله يتماشى مع التزاماتها الوطنية حيال حقوق الإنسان وتلغي عقوبتي الجلد والإعدام لمن يتعاطون الكحول)[2]

وهكذا تأسفت هذه المنظمة وغيرها، والتي كانت تغض الطرف عن جرائم الشاه، على المتاجرين بالمخدرات، والذين تحكم القوانين الإيرانية عليهم بالإعدام؛ فقد ورد في الموقع: (كثيراً ما تفرض إيران حكم الإعدام على الجرائم المتعلقة بالمخدرات، ولا سيما على المتّجرين بكميات تزيد على حد معين من المخدرات المختلفة أو العقاقير غير القانونية. وتستمر هذه الطريقة في معالجة المشكلة رغم عدم وجود أدلة واضحة على أن عقوبة الإعدام قد شكلت عامل ردع فعال ضد الجرائم

---

(1) إيران: ينبغي تخفيف أحكام الإعدام الصادرة بحق متعاطي الكحول، منظمة العفو الدولية، 29 حزيران / يونيو 2012، موقع منظمة العفو الدولية..

(2) المرجع السابق.

المتعلقة بالمخدرات، وتأتي إيران في المرتبة الثانية بعد الصين من حيث أعداد أحكام الإعدام التي تنفذ سنوياً، وقد نفذ العديد من أحكام الإعدام الصادرة في 2011، والتي وصل عددها إلى أكثر من 600، حسبما يعتقد، خلف ستار من السرية. وتصدر الأغلبية العظمى من أحكام الإعدام في البلاد على مرتكبي جرائم تتعلق بالمخدرات)

واختتمت آن هاريسن تصريحها بقولها: (يتعين على إيران وقف فرض عقوبة الإعدام على مرتكبي جرائم المخدرات وتعاطي الكحول المزعومة، كخطوة أولى نحو الإلغاء التام لهذه العقوبة)

وهكذا نجد موقعا آخر يدافع عن العقوبات التي تسلطها القوانين الإيرانيين على [الوشم]، ففي مقال بعنوان [تطاردهم شرطة الأخلاق وتعاقبهم أشد العقوبات.. أين يحصل الشباب الإيراني على وشومهم رغم تحريمها؟][1] جاء فيه: (الترويج للوشوم ليس أمراً يسيراً في هذا البلد المشهور بشرطته المخصصة للأخلاق، ويقوم عادةً بذلك من خلال عدة حسابات على الشبكات الاجتماعية. ولكنَّ العاقبة قد تكون وخيمة؛ إذ يروي تجربة شخصية مريرة، قائلاً: (في أحد الأيام، وجدت شرطة الأخلاق تقتحم الاستوديو الخاص بي، واقتادوني إلى قسم الشرطة كأنني قاتل أو سارق، ثم تم اتهامي بتهمة مزاولة عمل منافٍ للآداب العامة وتعاليم الجمهورية الإسلامية، وتم الحكم علي بالسجن 10 أشهر)

وهكذا نجد كل حين المواقع الإخبارية تتأسف للعقوبات المشددة التي وردت في قانون العقوبات الاسلامي الإيراني، والمتعلقة بالمحاربة، وتشمل كل من يمارس العنف في المجتمع سواء لغاية السرقة أو غيرها، والتي نصت عليها [المادة 190]، والتي تذكر أن (حدّ المحاربة والفساد في الأرض، أحد الأحكام الأربعة التالية 1ـ القتل، 2ـ الاعدام، 3ـ قطع اليد اليمنى والرجل

---

[1] تطاردهم شرطة الأخلاق وتعاقبهم أشد العقوبات.. أين يحصل الشباب الإيراني على وشومهم رغم تحريمها؟، شيماء محمد ، عربي بوست، 13/04/2018.

اليسرى، 4. النفي من البلـد)، وتضـيف [المـادة 191] أن (اختيـار أي من الحدود الاربعة المذكورة، هو من صلاحيات القاضي، سـواء أكان المحارب قد قتـل أو جـرح احـداً أو سـلب مالـه أم لم يفعـل ذلــك)، وجــاء في [المــادة 195]: (إذا تم صــلب المجــرم؛ فيجب إبقاؤه ثلاثة أيـام على الصـليب من دون أن يمـوت، ولايجـوز أكـثر من ثلاثة أيام، وإذا مات حينها يمكن إنزاله من الصليب)

مـع أن هـذه العقوبـات منصـوص عليهـا في القـرآن الكـريم بصيغة قطعية لا تحتمل أي تأويـل؛ فقـد قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَـا جَـزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَـادًا أَنْ يُقَتَّلُـوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْـدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَـوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائـدة: 33]

وقد كان لتطبيق هـذا القـانون، أثـره الكبـير في إحلال الأمن في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مقارنة بـالكثير من الـدول حـتى المتقدمة منها، ولكن مع ذلك نرى المغرضين يدافعون عن الجلاد، وينسون الضحية، وهو ليس ذلك الفرد الـذي تعـرض للأذى فقـط، وإنما المجتمع جميعا.

ونحب أن نذكر هنا بأن الكثير من عقوبات الإعـدام الـتي نص عليهـا القـانون الإيـراني مرتبطـة بتكـرار الجريمـة، فقـد ورد في [المادة 179] من قانون العقوبات: (من كرّر شرب الخمر وأجري عليه الحد في كل مّرة، يكون جزاؤه الاعدام في المرّة الثالثة)

وورد في [المــادة 90]: (إذا زنى رجــل أو زنت أمــراة عــدة مرات وأجري عليهم الحد بعد كل مرّة، يقتل في المرّة الرابعة)

وورد في [المادة 157]: إذا قذف امرئ الأخرين لعدّة مرات، وأجري عليه الحد بعد كل مرة، يقتل في المرّة الرابعة)

وورد في [المــادة 201] بعــد بيــان حــدّ الســرقة في المــرة الأولى والثانية والثالثة: (جزاء السرقة في المرة الرابعة الإعــدام، حتى إذا حدثت السرقة داخل السجن)

وسبب ذلك إضافة إلى ما ورد في الأحكام الفقهية حول المسألة، هو أن تكرار الجريمة يدل على تمرد صاحبها على القانون، ونرى مثل هذا في القوانين الغربية؛ فقد ورد في بعض المواقع أن الحكومة الفيدرالية الأمريكية وأكثر من 25 ولاية، نص قانونها على أنه إذا ارتكبت جريمة من نوع واحد لثلاث مرات، فعاد صاحبها، وارتكبها بعد أن عوقبت عليها، يعتبر بعد المرة الثالثة متمرداً (Outlaw)، فتسلب منه كافة حقوقه، ويخسر حماية القانون، وتسمى الأحكام الصادرة ضد مثل هؤلاء المجرمين Mandatory Sentencing، أي الأحكام الثابتة التي لا تقبل التخفيف والتغيير والعفو، وهي السجن المؤبد بدون عفو أو تخفيف العقوبة، وتصدر مثل هذه الاحكام ضد السياقة في حال السكر، وارتكاب جريمة بسلاح خطر، وبيع المخدرات. وقد سلب القانون الصلاحيات التقليدية التي كان يتمتع بها القضاة في اتخاذ القرارات بشأن هؤلاء المجرمين[1].

بعد هذا العرض الموجز للمواقف المنتقدة لقوانين العقوبات الإيرانية، والمرتبطة بالاستعمال السيء للحرية، نذكر هنا جوابا مفصلا للخميني يخاطب به جمعيات حقوق الإنسان، وهو بعنوان [خيانة وتآمر أدعياء حقوق الإنسان وإهمال المستضعفين]، وقد ألقاه على أعضاء هيئة التجار الإيرانيين في البدايات الأولى لانتصار الثورة الإسلامية[2].

وقد بدأ جوابه ببيان السبب في تلك الحملة الشديدة من أدعياء حقوق الإنسان على الدولة الإيرانية الفتية في نفس الوقت الذي يسكتون فيه على جرائم الشاه، بل على جرائم دول الاستكبار العالمي؛ يقول: (من الطبيعي أن أولئك الذين يرون مصالحهم قد تعرضت للخطر، أو مصالح أربابهم سوف يعترضون على هذه الثورة، ويسعون لإخماد هذه النهضة بختلف الوسائل،

---

(1) انظر مقالا بعنوان: الجرائم الموجبة لعقوبة الاعدام في القانون الايراني وقانون العقوبات الاسلامي.

(2) انظر: صحيفة الإمام، ج7، ص: 230، فما بعدها.

فتارة بذريعة حقوق الإنسان والاعتراض على الإعدامات التي حصلت في إيران، ويعتبرونها من مصاديق العنف.. إنهم لم يكونوا في إيران حتى يشاهدوا ماذا جرى على إيران طوال أكثر من خمسين عاما، وماذا جرى على شبابنا مؤخراً، ومع ذلك فهم مطلعون.. إنهم يعلمون ماذا فعل الشاه السابق والأسبق في إيران، وما هي الخيانات التي ارتكبها هذان الرجلان في إيران.. وهم لم ينطقوا بكلمة أو اشارة إلى حقوق الإنسان.. إنهم لا يأتون بذكر لحادث الخامس عشر من خرداد، لقد قتلوا حسب ما نقلوا قرابة 15000 شخص.. إن أنصار حقوق الإنسان هؤلاء كأنهم لا يعتبرون هذا لعدد بشراً، أو يرونهم بشرا ولكنهم لايجعلون لهم حقوقاً .. إذا كان هؤلاء بشراً ولهم حقوق، وكان هؤلاء 60000 أو أكثر الذين قتلوا في إيران خلال الأشهر الأخيرة وهم من أفضل شبابنا ومن جميع الفئات، إذا كانت لهم حقوق فإنهم حتى لم يسألوهم ما هذه الأعمال! إننا لم نسمع صوتهم يعترضون)[1]

ثم بين أن ما نصت عليه قوانين الجمهورية الإسلامية من عقوبة المفسدين والظالمين، هو تطبيق لحقوق الإنسان، ورعاية لها، يقول في ذلك: (إننا نقوم بهذا العمل من أجل حقوق الإنسان، وإن هذه الجمعية التي علا صوتها تطالب بحقوق الإنسان، هم أجراء الاستعمار، فأصل هذه الجمعيات التي أُسست في أمريكا، أو في أماكن أخرى تحت عنوان جمعية حقوق الإنسان، جمعية كذا وكذا، وجدت أساساً لتضييع حقوق الإنسان) [2]

ويقارن بين تلك المواقف التي تدافع عن المجرمين باسم حقوق الإنسان، وفي الوقت تسكت عن إصدار بيانات التشجيب عن الضحايا الذين قتلهم أولئك المجرمون، ويضرب المثل على ذلك بقتل الشيخ مرتضى مطهري، فيقول: (هؤلاء الذين قتلوا الشيخ مطهري، الذي لم يؤذ حتى نملة، إنني أعرف هذا الرجل منذ ما يقرب عشرين عاماً، إنسان بتلك الإنسانية وبتلك السلامة،

---

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 230.

[2] المرجع السابق، ج7، ص: 230.

بذلك الأدب، لماذا قتلوه؟ ما هو ذنب مطهري؟ هل قتل أحداً؟ ماذا فعل؟ أليس هو إنساناً؟! ألم يكن فيلسوفاً وعالماً وفقيهاً، ألم يكن بشراً؟! يقتلون هذا الإنسان بهذا الشكل دون أن يكون له أي ذنب.. إن لديهم الآن قائمة بأسماء الذين يريدون قتلهم. يتصورون أنه بقتل مطهري وأمثال مطهري، سينحبوا لهيب هذه النهضة، وتضيع ثانية حقوق شعبنا، بل أن أدعياء حقوق الإنسان لم يكتبوا حتى كلمة واحدة بخصوص مقتل الشهيد مطهري. ولم يتحدثوا بشيء، إننا لم نسمعهم يتكلمون بشيء، أليس هذا إنساناً؟! لم يعترضوا، لم يتكلموا، لم يستنكروا هذه الجريمة، هل يجهلون ذلك؟ فلماذا إذاً لم ينتقدوا الجماعة التي قامت بذلك؟.. إننا إذا عثرنا الآن على قاتل الشيخ مطهري وعاقبناه، وحكمنا عليه بالقصاص، سيرتفع صوتهم اعتراضاً على ذلك بأنه عنف! أليس هذا عنفاً أن يقتل إنسان دون ذنب؟)[1]

ثم يبين المفارقة العجيبة التي يقع فيها أدعياء حقوق الإنسان حين يسكتون عن مقتل عالم وفيلسوف ومصلح في نفس الوقت الذي يدافعون فيه عن المجرمين، يقول: (نعم، أحياناً يكون الإنسان قد فعل شيئاً، ولكن هذا الإنسان لم يكن لديه عمل غير التعلم والتعليم كان إنساناً محترماً أعرفه منذ قرابة عشرين عاماً ومطلع على أوضاعه وأحواله، وأعرفه بأنه لم يؤذ أحداً. شخص قد أجهد نفسه من أجل هذا الشعب، كان كاتباً، فيلسوفاً، مفكراً. هل يستحق القتل حتى قتلوه؟ أين هي جمعية حقوق الإنسان، لماذا لم تصدر منهم أية كلمة؟ إننا لو عثرنا الآن على القاتل وقتلناه، ستبدأ أقلام (حقوق الإنسان) بالكتابة والدعاية ووصف ذلك بالعنف، وأنه يوجد في إيران عنف. ولا يراعون حقوق الإنسان. أي أناس؟ إنني لا أدري أية تربية تربى عليها هؤلاء، وأية حيوانات هم هؤلاء؟!)[2]

ثم يبين أن العلة التي جعلتهم يقفون هذه المواقف

1() المرجع السابق: ج7 ، ص 235..

2() المرجع السابق: ج7 ، ص 235..

المتناقضة هي نوع التفكير الذي يفكرون به، والفلسفة التي ينطلقون منها، وهي فلسفة مادية، تجعل كل همها منصبا نحو حرب الدين ومواجهته، وتستعمل لذلك كل الذرائع، يقول: (هذا هو وضع العالم المادي، وهذا هو وضع أدعياء حقوق الإنسان الماديين. هذا هو وضع العالم المادي، حيث لا يلاحظ أبناؤه إلّا منافعهم المادية ومنافع أربابهم، وكأنهم غير مطلعين على أي شيء، يغضون أنظارهم عن كل شيء، فإذا رأوا مصالحهم تتعرض للخطر علا صوتهم، وهذه خصوصية التربية المادية، وهذا هو واقع الحكومات القائمة حالياً) [1]

وفي مقابل ذلك يبين خصوصية موقف الإسلام من حقوق الإنسان، ومدى صدقها وعمقها وموضوعيتها وعقلانيتها؛ فيقول: (خصوصية التربية الإسلامية تتمثل في المعنوية، فلا يصح سجن أحد بدون ذنب، لا يصح نفيه، لا يصح ولا يصح.. الحقوق الإنسانية الإسلامية هي هذه، لا يجوز الظلم، ولا يجوز إضاعة حق المظلوم أيضاً. فلا يجوز ظلم أحد، ولا يجوز غض الطرف عن ظلم الآخرين والقول بأن الظلم قد وقع وانتهى وتم الأمر) [2]

وكمثال على هذا يبين الفرق بين المعاملة التي كان يقوم بها الشاه مع السجناء، والظلم والتعذيب الذي كان يحيق بهم، مقارنة بحالهم بعد الثورة الإسلامية، تطبيقا للشريعة الإسلامية؛ فقال: (لقد أوصينا أن يتم التعامل حتى مع هؤلاء الاشخاص الذين قاموا بذلك التعذيب وقتلوا الناس بنحو لا توجه لهم حتى كلمة سيئة واحدة في السجون، لقد أعلنت هذا، وأصدرت بياناً حوله.. ففي ظل الحكومة الإسلامية لا يحق للسجانين أن يتركوا السجناء جائعين، لا يحق لهم أن يصفعوه على وجهه، لا يحق لهم أن يعذبوه، لا يحق لهم أن يشتموه، إنما حقه أن يحاكموه، ويعاقبوه بسبب جرمه، وبقدر جرمه ليس أكثر من ذلك، هذا هو واقع السجون في ظل الجمهورية الإسلامية التي تضم أمثال هؤلاء

1() المرجع السابق: ج7 ، ص 236..

2() المرجع السابق: ج7 ، ص 236..

الجلادين الذين لو كان أحدنا قد ابتلي ووقع في أيديهم سابقاً كانوا يتعاملون معه بذلك الشكل الفظيع، إن هـؤلاء الجلادين موجـودون الآن في سجوننا، وقد جاءوا من الخارج وشاهدوا السـجون وقـالوا بأنها مطابقة للمقاييس الحضارية)[1]

وانطلاقا من هذه كله يصـور الغـرض من الحـدود والعقوبـات الشرعية، وأن تطبيقها يحقق مصالح كثيرة، باعتبارهـا من وسـائل تربية المجتمع، وتهذيب سلوكه، يقول: (الحدود الإلهيـة هي لتربيـة المجتمـع، لا من أجـل الانتقـام فالقاتـل إذا لم يقتـل، فـإن القتـل سيكثر ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَـاصِ حَيَـاةٌ يَـاأُولِي الْأَلْبَـابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ﴾ [البقرة: 179]، إننا إذا أغلقنا بـاب القصـاص، ولم نعـاقب القاتـل، فإن القتل سيكثر حينئذ، وتختل حياة الناس، فكـل من شـاء يقتـل من شاء، فالقصاص هو لضمان حيـاة النـاس، إنـه تربيـة لمصـلحة المجتمع) [2]

وهكذا يـذكر بـأن تطـبيق الحـدود الشـرعية يحمي المجتمـع، ويسـاهم في تنظيفـه من كـل العناصـر الضـارة، كمـا يسـاهم في تهـذيب سـلوكه، وتحقـق كـل متطلبـات الأمن الـتي لا يمكن قيـام المجتمعـات من دونهـا، يقـول: (إن الحـدود الإلهيـة هي لمصـلحة المجتمع؛ فلو أن الفعل الفلاني الـذي قُـرّر لـه في الشـرع عقوبـة معينة لم تجعل له تلك العقوبة، فإنه سيكثر وقوعه؛ فالذي يــذهب ويفعـل مـا يشـاء مـع زوجـة شـخص ولم يعـاقب على ذلـك فـإن الفحشاء ستزيد. يجب منع شيوع الفحشاء) [3]

وقارن بين العقوبات كما قررها الإسلام، وبين العقوبات التي وضــعتها القــوانين الوضــعية؛ فقــال: (إنهم يأخــذون اللصــوص ويودعونهم السجون، وهناك يتعلمون السرقة! يقولون بأنه قــد تم

1() المرجع السابق، ج7، ص: 233.

2() المرجع السابق، ج7، ص: 235.

3() المرجع السابق، ج7، ص: 236.

فتح درس لتعليم كيفية سرقة الجيوب والأسلوب الأمثل لذلك؟ إنهم لو أخذوا أربعة من اللصوص وعاقبوهم، طبقاً للموازين، فإن السرقة ستنتهي في إيران، ويقضى عليها في العالم. فلو أقيم الحد على أربعة لصوص بالشكل الذي أمر به الشرع وهو الذي لا يرضى بظلم حيوان فضلًا عن الإنسان حيث أمر بإقامة الحد على من يسرق. وما ذلك إلا لأنه يحافظ على المصلحة الإنسانية، وحفظ حقوق الإنسان)[1]

وهكذا الأمر بالنسبة لعقوبة من يتاجرون في المخدرات أو بيع الأسلحة، وغيرها من الآفات الاجتماعية، والذين يعاقبهم القانون الإيراني بالإعدام، يقول: (ثمة مشكلة أخرى تتمثل بالمهربين، وبائعي المخدرات، ومهربي الأسلحة. وهذا أيضاً مرض وبلاء أصيب به هذا الشعب. إن هؤلاء يعتبرون خونة من الدرجة الأولى لهذا البلد. إن المتاجرة بالأفيون وتوزيعه بين الناس، جلب الهروئين وتوزيعه بين شبابنا، سوف يقضي على شعبنا. ليلتفت هؤلاء إلى هذا الأمر ويتخلوا عنه قبل أن يأتيهم العذاب الإلهي، قبل أن يضربهم السوط الإلهي. إنها جناية، تقود شبابنا الشرفاء إلى الهلاك، هذا إفساد للأجيال. وهل أغلقت أبواب العيش حتى يلجأ الإنسان إلى بيع الهروئين؟ ليعمل عملًا آخر! اذهب واعمل عملًا آخر!)[2]

هذا نموذج من أجوبة الخميني عن تلك الطروحات التي تشوه الموقف الإيراني من حقوق الإنسان، والعجيب كما ذكرنا، أن تصدر من المسلمين، ومن كثير من الإسلاميين الذين يدعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ولست أدري كيف يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية مع التخلي عن مثل هذه الأحكام، التي تعتبر جزءا أساسيا لا يمكن إصلاح المجتمع من دون القيام به، حتى لو وقف العالم كله ضده.

ذلك أن العالم الذي يجيز الاستعمار وقتل الملايين، بل يثني

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 236.

[2] المرجع السابق، ج7، ص: 237.

على حقوق الإنسان في دول الاستكبار العالمي لا يصح أن يستمع أحد لإنكاره وشجبه، وهذا ما فعله الخميني الذي لم يستسلم لكـل تلك التنديدات والتشجيبات مراعـاة لمنصـبه الفقهي الـذي انتخبـه على أساسه الشعب الإيراني.

الفصل الرابع

ولاية الفقيه.. والأخوة الإنسانية

من القيم الكـبرى الـتي قـامت عليهـا الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية ـ بحسب ما نص عليه قادتها ودستورها، ودل عليه واقعهـا ـ قيمة [الأخوة]، سواء الأخوة الداخية مع جميـع الأعـراق والأديـان والمذاهب، أو الأخوة الخارجية مع جميع شعوب العـالم، وخصوصـا المستضعفين منهم.

ومن النصوص الدستورية الدالة على ذلك ما ورد في المــادة التاسعة عشـرة من الدسـتور الإيـراني، والـتي تنص على مـا يلي: (يتمتـع أفـراد الشـعب الإيـراني من أي قوميـة أو عشـيرة كـانوا، بالمساواة في الحقوق، ولا يعتبر اللون والعنصر أو اللغة وما شابه ذلك سببا للامتياز)

ومثلها المادة الثامنة والأربعون، والتي تنص على مــا يلي: (لا يجــوز التميــيز بين مختلــف المحافظــات والمنــاطق في مجــال استغلال المصادر الطبيعية للثروة والموارد الوطنية العامة وتنظيم وتقسـيم النشـاط الاقتصـادي في مختلـف المحافظـات ومنـاطق البلاد، بحيث يوظــف في كــل منطقــة رأس المــال والإمكانــات الضرورية في حدود حاجاتها واستعدادها للنمو)

هذا فيما يخص الأخوة الداخلية، أمـا الخارجيـة، فتنص المـادة الرابعة والخمسون بعد المئـة على هـذه الأخـوة كمـا يلي: (تعتـبر الجمهوريــة الإســلامية الإيرانيــة ســعادة الإنســان في المجتمــع البشري كله قضية مقدسة لها، وتعتبر الاستقلال والحرية، وإقامــة حكومة الحق والعدل حقاً لجميـع النـاس في أرجـاء العـالم كافـة، وعليـه فـإن الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة تقـوم بـدعم النضـال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم، وفي الــوقت نفســه لا تتــدخل في الشــؤون الداخليــة للشــعوب الأخرى)

وتنص المـادة الخامسـة والخمسـون بعـد المئـة على بعض مقتضـيات هـذه الأخـوة كمـا يلي: (تسـتطيع حكومـة الجمهوريـة الإسلامية الإيرانية منح حق اللجـوء السياسـي إلى الـذين يطلبـون ذلـك باسـتثناء الـذين يُعتـبرون وفقـاً للقـوانين الإيرانيـة مجـرمين وخونة)

أما قادتها ومفكروها وسياسيوها؛ فتصريحاتهم في ذلك كثيرة جـدا، سـنرى بعض نماذجهـا في هـذا المبحث، ومنهـا مـا ورد في مقابلـة للخميـني حـول [وضـع الأقليـات في الحكومـة الإسـلامية] أجراها معه مراسلون أفارقـة وآسـيويون وغـيرهم في 27 محـرم 1400 هــ، فممـا جـاء فيهـا: (تـارة نطلـق كلمـة الأقليـات على الأقليات الدينية في إيران، وهؤلاء مشتركون مـع سـائر الإيرانـيين في كل شيء، ويُمنحون حقـوقهم حسـب القـانون، وهم يعيشـون في رفـاه ودعـة وحريـة في الحكومـة الإسـلامية. وتـارة يُـراد بهـا القوميـات الموجـودة في إيـران كـالكرد واللُـر والـترك والفـرس والبلوش وامثال ذلك، وأنا لا أرغب في أن أُسـمِّي هـؤلاء أقليـات، لأنه قد يفهم من ذلك فصـلٌ بين الأخـوة، ومثـل هـذا الفصـل غـير مطروح في الإسـلام إطلاقـاً، فلا فـارق بين اثـنين من المسـلمين يتكلّمان بلغتين. مسلم عربي ومسلم أعجمي)[1]

وذكـر أن التفريـق بين المسـلمين على هـذا الأسـاس ليس القصد منه رعاية حقوق من يسـمون الأقليـات، وإنمـا يقصـد منـه تفريق المسلمين وتشتيتهم وصدع وحدتهم، يقـول: (من المحتمـل جـدّاً أن يكـون أسـاس هـذه الأمـور الأيـدي الـتي لا تريـد للبلـدان الإسلامية أن تتحد بعضها مع بعض. يثيرون قضـية العـرب والعجم، وقضية الكرد والعرب والفـرس داخـل البلـدان. يثـيرون في بلـدنا قضية الكرد والعرب واللر والتركمن والبلوش وأمثال ذلك، يثيرهـا معارضونا وهم أصحاب دراسات جمّة لبلداننا، لقد توصّـلوا إلى أن الإسلام إذا طُبِّق كما هو، وتحقق كلّ ما يدعو إليـه فسـوف تعـزل كل هذه القوى الموجودة في العالم، وستقع أكبر القوى في أيـدي المسلمين وهم الاكثر عدداً والاكثر خيرات، ولذلك يريدون التفريق

---

[1] صحيفة الإمام: ج11 ، ص 243.

على نطاق واسع بين عرب هذه الناحية وترك تلك الناحية، وفرس هذه الناحية. ولهذا يثيرون النزعات القومية خلافاً لمنطق الإسـلام مثل: نحن إيرانيون ونحن ترك، وما إلى ذلك. ومرادهم أن لا يكون الإسلام ومنطقه هاهنا، وأن يمزّقوا قوميات الإسلام) [1]

ثم بين سبب هذه الظاهرة وعلاقتها بنظام الشـاه، ومنافاتهـا التامة مع الشريعة الإسلامية؛ فقال: (الأصـل والقاعـدة في إيـران هي أن لا تطرح قضية الأقليات كـالكرد أو الـترك، ولا يقـال: هـذه أقلية وتلك اقلية، إنما هم أكثرية، فهـل تـراهم منفصـلون بعضـهم عن بعض؟ أليست إخوتهم الإسلامية واحدة؟ يجب أن أُذكِّرَ بنقطة أخرى، وهي أن ما يُطرح من أَنّ الكرد يقولون: أعطـوا كردسـتان حقها. ولنفترض أن البلوش يقولـون أيضـاً أعطـوا البلـوش حقِّهم، وهكذا، هذا سببه أن الحكومة الـتي حكمت إيـران كـانت ظالمـة. ولأن هذه الحكومات كانت في الغالب أو دائماً من شريحة واحـدة هم الفرس مثلًا، لذلك لم يعطوا الكرد مـا يحتاجونـه، أو أعطـوهم القليل. كما لم يعطوا البلوش حاجتهم أو أعطوها منقوصة، وكذلك البختياريون وسائر الأقوام. كانت تلـك أنظمـةً غـير إسـلامية. كـان النظام الشاهنشاهي نظاماً طاغوتياً غير إسـلامي، ولـذلك ظهـرت هذه الخلافات والتمييزات داخل البلد مع الأسف) [2]

وبين موقف الحكومة الإسلامية من هـذه التفرقـة العنصـرية؛

فقال: (لو كانت الحكومة إسلامية كما أرادها اللـه تبـارك وتعـالى، وكـانت الأحـوال السـائدة إسـلامية، وكـذلك وضـع القـائمين على الحكومة، وكيفية الحكومة كما قرّرها الإسـلام، ومثلمـا كـان الأمـر في صـدر الإسـلام تنظـر الحكومـة نظـرة واحـدة لكـل الافـراد، والقانون يطبق على الجميع بشـكل واحـد.. إذا ظهـرت مثـل هـذه الحكومة الإسلامية التي في آمالنا وطموحاتنا، وفي آمـال الإسـلام وآمال ائمة الإسلام وخلفاء الإسلام منذ البداية، فأنا واثـق أن هـذه الأقوال حول حقي وحقك ستزول لأنهم جميعـاً على منـوال واحـد

1() المرجع السابق: ج11 ، ص 243.

2() المرجع السابق: ج11 ، ص 244.

لهم حق واحد. ليس من حق الحاكم وولي أمر الزمان أن يعتني بمنطقة أكثر من منطقة أخرى. ليس من حقه إعمار جانب من البلد أكثر من جانب آخر. ليس من حقه حتى أن يرجّح مكاناً على مكان كأن يمد فيه الشوارع والاسفلت مثلًا. إذا انبثقت مثل هذه الحكومة التي هي مطمحنا، فلا أظن الكرد ولا الترك ولا الفرس ولا العرب ولا غيرهم سيطرحون هذه الأمور. لقد اثيرت هذه الأمور لأن الحكومات لم تكن إسلامية، وكانت مجحفة. حينما لا يكون فرق بين طهران وباوة، ولا بين اصفهان وتركمن ولا يكون فرق في أماكن التركمن من حيث الحكومة والقضاء وتطبيق القوانين وتنفيذ البرامج، يزول داعي القول بأن المكان في أيدينا أو أيديهم)[1]

وبين المواقف العملية التي ستنتهجها الحكومة الإيرانية لتطبق هذه المعاني، وهو ما حصل بالفعل؛ فقال: (حتى لا يتصور السادة أن المفروض هو أن تفعل الحكومة المركزية كل ما تريده، تفعل كل ما تريده مع شريحة، نحن ننوي أن نحيل شؤون كل منطقة وكل مكان لأهالي ذلك المكان، للذين يعينون هناك، ليباشروا هم شؤون الإعمار وشؤون الزراعة وشؤون البلدية مثلًا وتعيين بعض المسؤلين الفرعيين، وأنا اقول هذا للجميع، طالما لم تنبثق الحكومة الإسلامية بالشكل الذي نريده، انتم ترغبون ونحن نُقدّم. ولكن اعلموا انه اذا انبثقت الحكومة الإسلامية يوماً، سيقول حتى الكرد أنفسهم ليأتِ أيَّاً كان. وسيقول الفرس ليحكم كائناً من كان. وسيقول العرب هذا أيضاً. سيقول الجميع هذا. هل كانت مثل هذه الأمور مطروحةً أصلًا في صدر الإسلام بأن يعين الناس في منطقة معينة لأنفسهم شخصاً ما؟ لم يكن مثل هذا، لأنه لم يكن ثمة اجحاف. لم يكن الحاكم إذا حكم يفرّق بين منطقة وأخرى، إلّا إذا وقع الانحراف) [2]

وهكذا ذكر في خطاب تاريخي له بمناسبة إعلان النظام

1() المرجع السابق: ج11 ، ص 244.

2() المرجع السابق: ج11 ، ص 244.

الجمهوري الإسـلامي في إيـران الموافـق 1/ـ 4/1979 م؛ والـذي اهتم فيه كثيرا بهذه القيمة، ومن ذلـك قولـه: (لا بـد من أن أقـول لجميـع طبقـات الشـعب: لا يوجـد في الإسـلام تميـيز بين الأغنيـاء وغـير الأغنيـاء، ولا بين الـبيض والسـود، ولا يوجـد امتيـاز أبـداً بين السنة والشيعة، والعرب والعجم والأتراك وغير الأتراك، لقد جعـل القــرآن الكــريم العدالــة والتقــوى ميزانــاً، فالامتيــاز لمن يملــك التقوى .. الامتياز لمن يملـك النفس الطيبـة، ولا يوجـد امتيـاز في الماديات، ولا ميزة في الـثروات، يجب أن تـزال هـذه الامتيـازات؛ فالناس كلهم سواسية وحقـوق كـل الطبقـات تمنح لهـا، فـالجميع متساوون مع البعض، والأقليات الدينية تراعي حقـوقهم، فالإسـلام يكن لهم الاحترام .. الإسلام يكن الاحترام لكل الطبقات)

ومنها قوله في ذكـر بعض النمـاذج التفصـيلية حـول الأعـراق الـتي ينتظم منهـا المجتمـع الإيـراني: (الأكـراد وسـائر الطبقـات الموجـودة مـع لغـاتهم المختلفـة، كلهم إخواننـا ونحن معهم وإنهم معنا وكلنا شعب واحد ولنا دين واحد. وبالنسبة إلى بعض العناصـر المفسدة الذين يذهبون إلى مناطق مختلفـة من إيـران ويقومـون هناك بالدعايات السيئة ويحرضون الناس المساكين على الفوضى وقتل الإخوة، إني آمل من الناس أنفسهم أن ينتبهـوا ولا يسـمحوا لهؤلاء الخونة بالقيام بمثل هذه الأعمال فنحن جميعاً إخوة)

وذكر عن موقفه من أهل السنة وغيرهم: (نحن إخـوان لأهـل السنة، ويجب أن نلاحظ حقوق الجميع. نحن جميعـاً متسـاوون في الحقوق والقانون الذي سوف يصادق عليه الشعب فيما بعـد، وقـد لوحظ فيه حقوق جميع الطبقات وحقوق الأقليات الدينية والنسـاء وسـائر الفئـات ولا يوجـد فـرق بين فئـة وأخـرى في الإسـلام إلا بالتقوى والاتكال على الله. ونحن نرجو أن يوفقنـا اللـه تعـالى مـا دمنـا حـتى الآن قـد أوصـلنا الأمـر إلى هنـا وأعلنـا الجمهوريـة الإسلامية)

ومع كل هذا، ومع كون الواقع الإيراني قبل الثـورة الإسـلامية كان ممتلئا بالعنصرية، ويفرق بين الأعراق والمذاهب والأديان، بـل كان يحلم بإعادة الإمبراطورية الفارسية، ويريـد أن يقصـي الـدين

ليحل بدله القومية، ولذلك استعمل كل الوسائل لبعث التراث القديم، وجعل رمز الدولة الأسد والشمس باعتبارهما يشيران للدولتين الأكمينية والساسانية.

ومع كل هذا، ومع كون إيران في ثوبها الإسلامي ضحت بمكاسب مادية ومعنوية كثيرة في سبيل الحفاظ على هذه القيمة إلا أننا نجد المتربصين من قوى الاستكبار العالمي، وأذنابهم من الدول العربية، بل وأتباعهم من الذين يسمون أنفسهم إسلاميين، يستعملون كل الوسائل لتشويه هذه القيمة، وتحريض جميع الإثنيات الموجودة في إيران لتتمرد على الولي الفقيه، وعلى الحكومة، وعلى كل مؤسسات الدولة.

وقد استعملوا لذلك كل أنواع الحيل، بل صرحوا بأنهم لا يمكنوا أن يتغلبوا على إيران، ويسقطوا نظامها إلا بالتلاعب بالإثنيات الموجودة فيها.

وللأسف، رأيت من الدعاة لهذا المنهج في مواجهة الخطر الإيراني ـ كما يذكر ـ دعاة إسلاميون يرون أنه لا يمكن أن يتحقق النصر على إيران إلا بتحريض العرقيات والطوائف الدينية والمذهبية فيها، وهم يعلمون أن ذلك حرام، بل هو سنة اليهود الذين استعملوا هذه الوسيلة في عهد النبوة ليحدثوا الصراع بين المسلمين في الدولة الفتية الجديدة.

ومن الأمثلة على ذلك الداعية والمفكر الكويتي الدكتور عبد الله النفيسي، والذي لا يدع مناسبة إلا ويحذر فيها من الخطر الإيراني، ويوصي معها بتحريض الإثنيات الموجودة فيها لتطالب بالانقسام، بل إنه دعا إلى تموين مليشيات للقيام بهذا العمل، فقد صرح لصحيفة المرصد داعيا دول مجلس التعاون الخليجي إلى مواجهة ما يسميه [الغطرسة الإيرانية] بإشراك شعوبها في الدفاع عن أوطانهم.

وأوضح في تدوينات له عبر مواقع التواصل الاجتماعي أن هناك طريقتين لتأسيس الميلشيات، إما عبر التجنيد الإجباري، أو عن طريق تشكيل ميليشيات تطوعية يتم نشرها عبر الحدود.

وهكـذا نجـد الكثـير من الـدعاة للأسـف ينسـون القضـية الفلسطينية، ليتحـدثوا عن قضـية جديـدة مبتدعـة اسـمها القضـية الأحوازية، ومن الغـريب أنهم في غمـرة حـديثهم عنهـا ينسـون أن أكثرية الأحواز شيعة لا سنة.

وقد نبههم إلى هذا الخطأ بعضهم في مقال بعنوان [يتحدثون عن سنة إيران.. دون علم!]، ومما ورد فيـه: (على هـامش زيـارة الرئيس الايراني محمود أحمدي نجاد مـؤخرا للقـاهرة خـرج علينـا نفـر من الكتـاب ومحللي الفضـائيات ومعهم أيضـا رجـال دين من الأزهريين والسلفيين ليعترضوا على ما يلاقيه [السنة في الأحـواز] من مظـالم وانتهاكـات لأبسـط حقـوقهم، ولـو أن هـؤلاء تنـاولوا مظالم سنة ايران بصفة عامة دون تحديد مكـانهم لمـا كـان هنـاك داع لكتابة هذا المقال، ذلك أن تشديدهم على سنة الأحواز تحديدا كطرف يتعرض للظلم يكشـف عن قصـور فاضـح لـديهم في فهم الأوضاع والسياسات والتقسيمات الديموغرافية في إيـران. وهـذا، بطبيعة الحال، نـاجم عن خلـو جامعاتنـا وكلياتنـا من مراكـز بحثيـة متخصصة بالشأن الايـراني، مقابـل العديـد من المراكـز الفارسـية المتبحـرة في كـل مـا لـه علاقـة بالأوضـاع والشـؤون الخليجيـة والعربيـة السياسـية منهـا والاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة والعسكرية) [1]

ثم بين موضع الخطأ الذي يدل على الجهل المطبق، بل على الحقد الدفين: (.. فـالأحواز وإن كـان أكثريـة سـكانها من العـرب، فـإن غـالبيتهم من الشـيعة وليس السـنة، وهم يتكلمـون اللهجـة الأحوازية الشبيهة باللهجة العراقية، وبالتالي فـإن سـنة الأحـواز لا يشكلون سوى أقليـة، شـأنهم في ذلـك شـأن الأقليـة السـنية في كرمانشاه، ولارستان، والمدن المركزية الكبرى)

وهكذا راح يصحح لهم الكثير من الأخطاء الـتي يقعـون فيهـا، بذكر المناطق التي يتواجد فيها أهل السنة، وإن كان هو الآخر قـد وقع فيما وقع فيه غيره من الأخطاء، ذلك أنـه راح يـذكر التهميش الذي يعانيه أهـل السـنة ومعانـاتهم الماديـة دون أن يكلـف نفسـه

---

[1] يتحدثون عن سنة إيران.. دون علم، عبد الله المدني، موقع الإسلاميون.

بمعرفة معاناة غيرهم من الشيعة، والذين يوجد بينهم الفقراء كما يوجدون في سائر المناطق.

وقد رد الخميني على هذه الشبهات التي تثار بانتقاء بعض مظاهر الفقر الموجودة في تلك المناطق، والحكم عليها لا انطلاقا من أسبابها الحقيقية، وهي الحصار، والحروب، ونحوها، وإنما انطلاقا من كون هذه المناطق بالذات مهمشة مرات كثيرة في خطبه وكتبه ولقاءاته.

ومنها ما ذكره في حديث له في بدايات انتصار الثورة الإسلامية حول الدور الهام للإذاعة والتلفزيون في مواجهة المؤامرات التي تواجهها الدولة الفتية؛ فقد جاء فيه: (لقد عانينا في الفترة الأخيرة ومازلنا من مشكلة كردستان ومن وجود بعض المنحرفين والمفسدين هناك، وهؤلاء هم من الخونة العملاء والساعين إلى إثارة الفوضى والإضطربات في هذه المحافظة، وفي الحقيقة إن هؤلاء يهدفون للقضاء على الأكراد وعلى الاتراك والفرس أيضاً. لقد ذكرنا من قبل ومراراً لجميع الأخوة الأكراد الذين حضروا إلى هنا، وللأخوة البلوش أيضاً، أن الإسلام لا يعترف بهذه التقسيمات والتصنيفات، بل يعتمد على مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، ولا يعترف بعرب وعجم وكرد بل عمل الإنسان وتقواه هو الأساس والمعيار، فالله سبحانه وتعالى لم يفرّق بين طائفة وأخرى بل أنزل على الجميع نعمه وطالبهم بالعمل والسعي ولم يفرق في ذلك بين العرب والترك والعجم، وهذا رسول الله ﷺ مع أنه عربي، ولكنه يقول بصراحة أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي فكلكم من آدم. وكما يولي الإسلام هذا الأمر أهمية فإن الجمهورية الإسلامية تهدف إلى وضع هذا الامر في طليعة أولوياتها، ولكن المهمة صعبة لشراسة الإعلام المعاكس)[1]

ثم ذكر بعض الأساليب التي استعملها الإعلام المغرض في ذلك الوقت، وهي نفس الأساليب التي تستعمل الآن، وبتركيز أشد؛ فقال: (إنهم يبلّغون ضدنا داخل البلاد وخارجها، وبأشكال

---

[1] () صحيفة الإمام، ج 10، ص: 213.

وصور مختلفة؛ ففي خارج البلاد يصوروننا كنظام دكتاتوري مثل هتلر أو أكثر فظاعة، وأن فلاناً أمر ببتر أثداء النساء، وفي داخل البلاد ككردستان مثلًا يشيعون الدعايات المغرضة ضدنا، وللأسف الشديد فإن الكثير من السذّج يصدقونهم ويتأثرون بمزاعمهم هذه)[1]

ثم ذكر موقفه وموقف قادة الثورة الإسلامية من الأكراد الإيرانيين؛ فقال: (إن أهلنا في كردستان هم أخوة لنا وأعزاء علينا. إنهم يهاجمون أهلنا في كردستان ويقتلون أخوتنا. وفيما تسارع القوات الحكومية للدفاع عن كردستان وعدم السماح للمفسدين القادمين من الخارج أفواجاً أفواجاً والذين يرسلون المال والعتاد والمبلغين والجواسيس لإشعال المنطقة، وقتل أخوتنا الأكراد، فإن هؤلاء المفسدين يحاولون خداع السذج بأن القوات الحكومية عازمة على قتل الأكراد! ولكنهم أنفسهم يقومون بذلك ويقتلون إخوتنا الأكراد. وفي المشافي أيضاً أثاروا سلسلة من الفضائح، كما أنهم وجّهوا إليّ اتهامات مختلفة! فيوم أمس أحضروا لي بياناً يحمل توقيع (ميليشيا فدائيي خلق) يكيلون فيه سيلًا من الاتهامات وينسبون الكثير من الفضائح إلى الجمهورية الإسلامية) [2]

ثم رد على تلك الدعايات التي تصور التهميش المرتبط بالأكراد وغيرهم، ودور النظام البائد في ذلك؛ فقال: (لقد أشرت إلى هذه النقطة كثيراً وهي أن الأخوة في كردستان مثلًا غير مطلعين على الأوضاع في المناطق الأخرى ويظنون أن كردستان وحدها التي تعاني من الحرمان ونقص الخدمات، والشي ء نفسه بالنسبة لأهالي بختياري حيث يظنون بأنهم من أكثر المناطق معاناة وتخلفاً، وهكذا أهالي بلوجستان يفكرون بالطريقة نفسها، لأن هؤلاء جميعاً مطلعون على الأوضاع في مناطقهم فحسب. فمن يذهب إلى كردستان سيرى بأم عينه عدم توفر أي نوع من

1() المرجع السابق، ج 10، ص: 213.

2() المرجع السابق، ج 10، ص: 214.

الخــــدمات، فلا مستشـــفيات ولا طــــرق معبــــدة ولا مــــدارس، وبلوجستان كذلك تعاني من نفس المشاكل، وإن السـبب في كـل ذلـك يكمن في الـدعايات الإعلاميـة الـتي يمارسـها البعض والـتي تدفع أهـالي كـل منطقـة للظن بـأنهم وحـدهم الـذين يعـانون وأن أهالي المناطق الأخرى ينعمون برفاهية ورخـاء، وبعـد عودتنـا إلى إيران ولقاءنا مندوبين عن الكثير من مناطق البلاد، أخبرتهم بـإنهم على حق لأنهم يرون شيئاً ويسمعون شيئاً آخر. فلقد مارس نظام الشاه سياسة اعلامية موجهة تهدف إلى اعتبار ايران بلد الحضارة الكـبرى وبوابـة التحضـر وهـذا مـا صـدقه الكثـيرون واعتـبروا أن مناطقهم وحدها التي تعاني بينما تتمتع المناطق الأخـرى بخـدمات وافرة، وبما أن البلد بلد الحضارة الكـبرى، فبقيـة المنـاطق حتمـاً تمتلك هذه الحضارة التي يتكلم عنها النظام ماعـدا منطقتنـا نحن. ولكن لـو أمعنّـا النظـر جيـداً لوجـدنا أن الحرمـان والتخلـف كـان منتشراً في كل بقعة من البلاد) [1]

ثم ضـرب لهم مثـالا على ذلـك بالوضـع المعيشـي لسـكان العاصمة طهران؛ فقال: (اذهبـوا إليهـا وقـارنوا بين الأوضـاع الـتي يعيش فيهـا سـكان المنـاطق النائيـة في طهـران والأوضـاع في كردسـتان وبلوجسـتان، سـتجدون أن هـؤلاء الـذين يعيشـون في طهران أسوأ حالًا وأشد فاقة، وقد عـرض التلفـاز مـؤخراً مشـاهد للحفر والكهوف التي يقطنهـا هـؤلاء! وصـوراً من حيـاتهم اليوميـة المدقعة في الفقر والحرمان، ولا بد من القول إن الظـروف الـتي يعيشها هـؤلاء هي اسـوأ حـالًا من كردسـتان وبلوجسـتان. لقـد تم التخطيط والبرمجة لكـل هـذا التخلـف والحرمـان والوقـوف أمـام تنمية البلاد وتطورها ونهب ثرواتنـا وممتلكاتنـا ليعيش الشـعب في بؤس وفقر وحرمان) [2]

ثم بين أن الوضع في جميع المناطق الإيرانية واحد، وأنه وليد لسياسات الشاه الذي وهب كل ممتلكات البلاد لأمريكـا والغـرب؛

---

[1]() المرجع السابق، ج 10، ص: 215.

[2]() المرجع السابق، ج 10، ص: 215.

فقـال: (لا تظنـوا أن المنـاطق الـتي تعيشـون فيهـا هي وحـدها المحرومـة، بـل جميـع المنـاطق على درجـة واحـدة من الفقـر والحرمـان وجميعكم محقـون بـأن منـاطقكم محرومـة. لقـد كـان البعض يخبرني عن الحالة المأساوية التي يعيشها سكان المنـاطق النائية في طهران منذ أن كنت في النجف ولمست ذلك أيضـاً من خلال المشاهد التي بثهـا التلفـاز.. إن كـل هـذا البـؤس والحرمـان الذي ترونه جاء نتيجة لمخططات مدروسة وأهداف خبيثة) [1]

ثم بين الهدف الأكبر الذي يسعى له هؤلاء المحرضـون، وهـو ليس المطالبـة بحقـوق الأعـراق والمـذاهب والأديـان، وإنمـا هـو القضاء على الحكم الإسلامي الذي ارتضته إيران نظاما لها، يقـول في ذلـك: (واليـوم أيضـاً يهـدفون إلى عرقلـة تقـدم الثـورة ومنـع تحقيق الأهداف الإسلامية. فتارة يصوّرون للناس أن هـذا الإسـلام الـذي ترونـه هـو أسـوأ من النظـام السـابق بكثـير! وتـارة أخـرى يزعمون أن هؤلاء المعممين هم أكثر دكتاتورية من الآخـرين! وأن دكتاتور العمامة أسوأ من الدكتاتور الفلاني! أي دكتاتور! أنـا أيضـاً أعتم العمامـة فـأي واحـد منـا تقصـدون؟ وعن أي دكتاتوريـة تتحدثون؟ الجميع يرى اليـوم حجم هـذا الإعلام الموجـه والتشـويه الخطير لعقول الناس، لأن هـؤلاء قـد فقـدوا كـل شـي ء ولم يبـق أمامهم إلا دس سـمومهم هنـا وهنـاك لتشـويه صـورة الجمهوريـة الإسلامية والنيل من رجالاتها) [2]

بنـاء على هـذا، سـنحاول في هـذا المبحث النظـر في مـدى موضوعية هذه الشبهة، وبيان المدى الذي وصلت إليه قيمة الأخوة في نظام ولاية الفقيه، مقارنة بنظام الشاه، وغـيره من الأنظمـة، وذلك من خلال الموقف من الإثنيـات العرقيـة والدينيـة والمذهبيـة الموجودة في إيران، بالإضافة إلى الموقـف من الأخـوة الخارجيـة مع سائر الدول الإسلامية وغيرها.

---

[1] المرجع السابق، ج 10، ص: 216.

[2] المرجع السابق، ج 10، ص: 216.

أولا ــ ولايــة الفقيــه والتعامــل مــع الاختلاف العرقي:

بناء على ما تقتضيه المصادر الشرعية التي يعتمد عليها نظام [ولاية الفقيه] يذكر الدسـتور الإيـراني، وكـل المفكـرين والفقهـاء المؤمنين بهذا النظام أنه لا محل للاختلاف العرقي في التعامل مع الاثنيات الموجودة في إيران، بل إن الصـراع بينهم وبين القومـيين الذين كان يمثلهم الحكم البائد كـان شـديدا بسـبب الفـرق بين كلا الرؤيتين: الرؤية الدينية، والرؤية القومية.

ولــذلك بمجــرد أن انتصــرت الثــورة الإســلامية أزيلت كــل الشــعارات القوميــة، وحــل بــدلها شــعار الإســلام، باعتبــاره دين الأغلبية، وباعتباره كذلك يحمي جميع الاثنيات، ولا يفرق بينها.

بل إن الخميني يــدعو في خطاباتــه وبياناتــه وفتــاواه الكثــيرة إلى تعميم هذا التعامل مع جميع المسلمين، ويعتبر التفريــق بينهم على أساس أعراقهم ولغاتهم نوعا من الجاهلية الــتي أجج نيرانهــا أعداء الأمة ليفرقوا بينها.

ومن ذلك قولـه في خطـاب ألقـاه على جمـع من المسـلمين الباكستانيين قاموا بزيارته بعـد انتصـار الثـورة الإسـلامية [في 28 ذي الحجة 1400 هـ]: (منذ سنوات طويلة ونحن نسعى للمّ شمل المسلمين وتوحيـد كلمتهم، لأن جميـع المصـائب والمشـاكل الـتي يعانون منها، سببها التفرقـة الـتي يعيشـونها والـتي أوجـدتها أيـدي القوى الأجنبيـة الطامعـة بإسـتغلال بلاد المسـلمين ونهب ثـرواتهم الغنية، والساعية لإخضاعهم لسيطرتها. فقد سعى هــؤلاء جاهــدين لبث التفرقة بين المسـلمين، ومـا هـذا الكلام الـذي تبجح بـه هـذا الخبيث إلا تنفيذاً لمـا يريـدون. أن يضـع العـرب في كفـة، وجميـع المسلمين الآخرين في كفّـة أخـرى، فقـط العـرب مسـلمون، أمّـا الباكســتانيون، الإيرانيــون فليســوا بمســلمين، فقــط العــربي هــو المسلم الحقيقي! وعلى هؤلاء جميعاً- حسب بعض العبارات الــتي ذكرهـا في كلامـه- أن يقبلـوا بسـيادة العـربي عليهم، إن هـذا مـا يعارض الإسلام، إن هذا ما يعارض تعـاليم القـرآن، القـرآن يجعـل الميزان في الكرامة التقوى.. إن هذا ما كـانت تصـبو إليـه القـوى

الكـبرى، أن تفـرق بين القوميـات، أن تفصـل العـربي عن غـير العربي، فتضع العربي في جانب، والفارسي في جانب آخـر. حـتى أنهم يريدون أن يزرعوا الفرقة بين العرب أنفسـهم عـبر التفريـق بين طـوائفهم، وكـذلك الأمـر بالنسـبة للفـرس وغـيرهم من القوميات، ومحمّد رضا كان موظفاً لتنفيذ هذه المهمة في إيـران، وكـل من يعـزف على هـذه الأوتـار؛ وتـر القوميـة والطائفيـة هـو موظـفٌ لتنفيـذ مـآرب الأجـانب الشـريرة، والـتي تهـدف إلى بث التفرقة بين المسلمين)[1]

واعتـبر في خطابـه أن كـل الهـزائم الـتي لحقت بالمسـلمين سـببها ذلـك التميـيز العنصـري الـذي أفلح الأعـداء في اسـتثماره وتأجيج الصراع بسببه بين المسلمين، يقول: (إن المسألة المهمـة التي جعلت البلاد الاسلامية مغلوبة على أمرها وأبعـدتها عن ظلال القرآن الكريم هي مسألة التمييز العرقي: فهـذا من أصـل تـركي، ويجب أن يُصلِّي صلاته بالتركية، وهـذا من أصـل ايـراني ويجب أن تكون حروفه الهجائية كذا، وذلك من أصل عـربي، ويجب أن تحكم العروبـة وليس الاسـلام، ويجب أن يحكم الأصـل الآري وليس الاسلام متناسين ما يرتكز عليه المسـلمون جميعـاً! ويؤسـف على أنهم جرّدوا المسلمين من هذا المرتكز، ولا أدري الى أين سـيؤول الأمر؟! لعبة القومية هـذه هي الـتي جـاء الاسـلام وشـطب عليهـا بخط أحمر، ولم يفـرق بين الأسـود والأبيض، وبين الـترك والعجم، وبين العرب وغير العرب الا بـالتقوى والخـوف من اللـه، والتقـوى بمعناهـا الحقيقي: التقـوى السياسـية والماديـة والمعنويـة .. ليس هناك ترك وفرس، وعرب وعجم، فالمرتكز هو الإسلام)[2]

ويبين أن من أهداف الثورة الإسـلامية القضـاء على التفرقـة العرقية التي كان نظـام الشـاه يعتبرهـا هـدفا من أهدافـه، يقـول: (وأما قضية التفرقـة العرقيـة، فإنهـا رجعيـة، إن السـادة يعتبروننـا رجعـيين في حين أنهم يريـدون أن يعـودوا القهقـرى إلى الفين

1() صحيفة الإمام: ج 1 ، ص344 ..

2() المرجع السابق، ج 1 ، ص345 . .

وخمس مئة عام، فهل نحن رجعيون؟! لمـاذا يجب أن تَغفُـل البلاد الاسلامية عن هذه الأمور؟! لمـاذا يجب أن تواجـه البلاد الاسـلامية بعضها بعضاً؟ أولئـك أقـاموا تحالفـاً ثلاثيـاً مقابـل هـؤلاء، فليشـكل هؤلاء تحالفاً آخر مقابل أولئك. لمَ يتقاتـلُ المسـلمون؟ ومـا الـذي دفع المسلمين ليتحاربوا؟ أليست هي أيدي الاستعمار؟ فارفعوا يد الاستعمار عن البلاد الاسلامية، ثم شاهدوا أي صداقة تحصل، فـإنْ يحكمْ الدين الإسلامي تُحفـظ جميـع الثغـور ولا تعتـد حكومـة على أخرى، لأنّ الجميع مسلمون)[1]

وللأسف، فإن هذه الطروحات الممتلئة بالصدق، والتي تمثـل العقل والحكمة كما تمثـل الإسـلام المحمـدي الأصـيل وجـدت من يرفضها، ويشوه شخصية قائليها، في نفس الوقت الذي يُلمـع فيـه أولئك القوميون الذين قامت الثورة الإسلامية لمواجهتهم.

وقـد تـولى القيـام بهـذا الـدور القـذر طرفـان: أمـا أحـدهما؛ فمشبع بالفكر الغربي، وبالرؤية الغربية، ولكنـه مـع ذلـك متنـاقض مع نفسه؛ فهو يدعو القوميـات الإيرانيـة لأن تنتفض على نظامهـا، وتؤسس كيانات هشة ضـعيفة، يـدب الصـراع بينهـا كـل حين، في نفس الوقت الذي يرى فيه دول العـالم المتقـدم تمتلئ بالإثنيـات، وترى كمالها في ذلـك التنـوع، وتـرى أن المواطنـة هي الأصـل، لا العرق، ولا الطائفة.

أمــا الثــاني؛ فأولئــك الإســلاميون الــذين قــرأوا النصــوص المقدسة، وقرأوا معها المواقف الشرعية المتشددة من كل دعوة للعنصرية والعرقية، لكنهم يتجاهلونها جميعا، ويطلبون من الأعراق المختلفــة في إيــران أن تنتفض، بــل يطلبــون منهــا أن تشــكل ميليشيات لتقاوم النظام، وتحصل على استقلالها.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبـه بعضـهم تحت عنـوان [تركيبـة

---

[1]() المرجع السابق، ج 1 ، ص345 . .

الشعوب في إيران ما قبل التاريخ المعاصر][1]، والذي تحدث فيه عن التعدد في الأعراق الإيرانية، وتوزعها على مناطقه المختلفة من أزمنة قديمة، وعلاقة ذلك بدول الجوار، وعلاقته بالاقتصاد، حيث أن بعض المناطق غنية جدا، وأخرى فقيرة جدا، بحيث لو حدث الانفصال، سيحدث انقلاب عجيب للأعراق المختلفة، بل يحصل الصراع بينها وبين دول الجوار.

ولكن مع ذلك كله ظل مثل غيره مصرا على الدعوة للانفصال والمقاومة، لأن الغرض ليس تحقيق مصالح تلك الأعراق، وإنما الغرض انهيار النظام الإيراني، ولو على حساب تلك الشعوب.

وسنحلل هنا بعض ما قاله من معلومات، لنرى أن مجرد التأمل فيها وحدها كفيل بالرد عليه وعلى طروحات جميع القوميين ودعاة الانفصال، وذلك في النقاط التالية:

1 ـ قدم التركيبة السكانية للأعراق الموجودة في إيران:

كما هو معلوم؛ فإن تاريخ التركيبة السكانية للأعراق الموجودة في إيران يسبق الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يعني أن الثورة الإسلامية لم تقم بأي تغيير ديمغرافي كالذي قامت به أمريكا عندما أبادت السكان الأصليين، وأحلت أعراقا أخرى بدلهم، وإنما تعاملت مع الوضع بحسب ما وجد عليه في فترات تاريخية قديمة ليست مسؤولة عنها.

يقول في ذلك: (يعود شكل الدولة الايرانية المعاصرة إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وتحديدا الى العام 1501، وذلك مع تأسيس الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل الصفوي، وفي الحقيقة لم تكن الدولة في تلك الفترة قائمة على قومية بعينها، إنما كانت تتكون من أقاليم مختلفة ومجموعات عرقية غير متجانسة ومستقلة عن بعضها البعض وتعيش دون أي

---

[1] () تركيبة الشعوب في إيران ما قبل التاريخ المعاصر، د.كريم عبديان بنى سعيد، موقع الأحواز.

ارتباط عضوي.. بالإضافة الى الشعوب المختلفة التي كانت تعيش في هذه الواحة قبل الاسلام كانت هناك ديانات مختلفة مثل المانوية والمزدكية والميترائية والزرادشتية حيث بقت تعيش في هذه المنطقة حتى بعدالفتح الاسلامي وهزيمة الساسانين على يد المسلمين العرب في معركةالقادسية)[1]

2 ـ وحدة التركيبة السكانية وارتباطها بمصالحها:

ذكر الكاتب المعلومات التاريخية ــ بناء على المراجع التي يعتمدها ـ والتي تدل على أن هذه الأقوام والشعوب بمكوناتها العرقية واللغوية والدينية والثقافية كانت مجموعات غير متجانسة، ولم يكن بينها في أي مرحلة أي انسجام، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية السياسية إلى أن جاء دور الصفويين؛ فتوحدت هذه الشعوب تحت مظلة الدولة الصفوية.

ولست أدري أي عيب في هذا التوحد، بل المصالح فيه؛ فقوة الشعوب في وحدتها لا في تفرقها، وإن ذكر أن الدولة الصفوية كانت دولة ظالمة؛ فقد كان العثمانيون لا يقلون عنهم ظلما واستبدادا، وقد انتشروا في جميع البلاد الإسلامية، ومارسوا استبدادهم فيها، ومع ذلك نرى الإسلاميين خصوصا يشنون كثيرا على العثمانيين في نفس الوقت الذي يشنون فيه حملتهم على الصفويين، ويربطونهم بنظام ولاية الفقيه مع الفرق الشديد والواسع بين النظام الذي اعتمده الصفويون، والنظام الذي اعتمدته إيران بعد الثورة الإسلامية.

3 ـ الأوضاع المزرية للتركيبة السكانية قبل الثورة الإسلامية:

وهي من القضايا المهمة جدا، والتي يحاول المغرضون التكتم عليها، وقد ذكر الكاتب بعض تلك الأوضاع التي سبقت الثورة الإسلامية بالنسبة لتلك الشعوب، وهي أوضاع مزرية جدا، وممتلئة بالعنصرية.

---

(1) تركيبة الشعوب في إيران ما قبل التاريخ المعاصر، د.كريم عبديان بنى سعيد، موقع الأحواز.

وكـان الأصـل عنـد ذكـر مثـل هـذا أن يقـدم الثنـاء للثـورة الإسلامية لقضائها على تلك العنصرية، لكن نرى العكس من ذلـك، حيث يُثنى على الشاه العنصـري القـومي في نفس الـوقت الـذي يسـب فيـه الخميـني الـذي يـدعو إلى الأخـوة بين جميـع الأعـراق والشعوب.

يقول الكاتب: (بـدأ حكم الشـاه رضـا بهلـوي بتنفيـذ مشـروع القوميين الفـرس المتطـرفين بتبـني مشـروع الدولـة الأمـة، وهـو نسخة مشوهة لمشروع الدولة الأمة في أوروبـا في القـرن التاسـع عشر، حيث أنه خلق كيانا سياسيا جديدا وهوية جديدة لهذا الكيان، بعيدة كل البعـد عن الوضـع الـذي كـان قائمـا قبـل إنقلابـه، وكـان مشـروع الدولـة الأمـة الـذي تبنـاه البهلـوي متنـاقض تمامـا مـع المشروع الأروبي الـذي شـكلت الديمقراطيـة أساسـه، حيث قـام نظام الشاه على مجموعة من القرارات تضمنت تعديل بعض بنود الدستور الذي كان حصيلة الحركة الدسـتورية (ثـورة المشـروطة) وتعطيــل بعضــها الآخــر، وانتهى أمــده الى إفــراغ الدســتور من محتواها الأساسي وانحصرت مهمته في التصـديق على القـرارات التي يصدرها النظام تمهيداً لقيام دولـة مركزيـة قويـة قائمـة على الاستبداد)

وذكر أن النظام الشاهنشاهي وضع نظرية التعصـب القـومي والثقافي الإيراني الفارسي على (فرضية تاريخية خاطئـة، مفادهـا أن الحضـارة في الأراضـي الإيرانيـة هي من إبـداعات الآريين دون سـواهم، بالإضـافة إلى تأكيـدها على وحـدة الـدم والعـرق. وهـذه النظرية تستثني العرب والأتـراك في إيـران لأنهم غـير آريين، في حين تعتبر الأكراد والبلوش هم من الشعب الآري)

ونقــل عن أحــد اهتمــام الشــاه بــالتنظير للفكــر القــومي العنصـري، ونقـل عن أحـد منظريـه [محمـود أفشـار] حديثـه عن ضـرورة تبـني الفكـر القـومي الفارسـي، مقابـل الفكـر القـومي العربي، والفكر القومي التركي، حيث كتب قائلاً: (إننـا مضـطرون لتبني الفكر القومي المتشدد وأن يكون لنا إيـران موحـدة، وإلغـاء الوجود القومي للقوميات الإيرانية نهائياً)

وذكر أن وجود العرب في إقليم عربستان يشكل خطـراً على إيران، واقترح على رضا شاه وحكومته حلاً يتمثل باستئصال جذور اللغة العربية من إيران وإحـداث تغـيرات كـبرى على التقسـيمات الإداريـة، حـتى تتغـير حـدود عربسـتان كليـاً، بالإضـافة إلى تهجـير العرب إلى نقاط خارج عربستان وإسكانهم في مختلـف المنـاطق الإيرانية.

وذكر أن رضا شاه كان يتعاطف مع مثل وجهات النظر هــذه؛ لأنه كان متأثراً إلى حد كبير بالأفكار القومية الإيرانية التي طرحت في القرنين التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

وذكر أن ذلك كله أدى إلى معاداة لغـة القوميـات، وخصوصـا العربية التي أهملت إهمالا شديدا، بل ظهرت الدعوات إلى كتابتها بالحروب اللاتينية مثلما حصل مع اللغة التركية.

4 ــ اهتمــام النظــام الإســلام في إيــران باللغــة العربية:

أغفل الكاتب للأسف ذكر ذلك الاهتمام الكبير باللغـة العربيـة الذي أبداه جميع قـادة الثـورة الإسـلامية، بـل نص عليـه الدسـتور نفسه، لدرجة أن القوميين الفارسيين ـ بعد نجاح الثورة الإسـلامية ـ راحوا يتهمونها بكونها ثورة على الفارسية لصـالح العربيـة، وأنهـا بذلك تريد أن تستأصل المقومات الفارسية.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقال بعنوان [حضارة إيران الــتي تتآكل وتصبح عربية: شوارع طهـران تتكلم عـربي][1]، وهـو مقـال مهم جدا يقارن فيه كاتبه بين الوضع الذي كانت عليه العربية إبـان الشاه، والوضع الذي صارت إليه بعد نجاح الثـورة الإسـلامية، وقـد قال في مقدمتـه: (يعلن كثـيرون بلا تحفـظ أنّ إيـران تسـعى إلى إحياء امبراطورية فارس ونشر نفوذها على مناطق العالم العـربي خصوصا، وفي هذا الإعلان المجاني سوء فهم تـاريخي، بـل وجهـل شاسـع بحقيقـة الوضـع في جمهوريـة إيـران الإسـلامية، فـإيران

[1] حضـارة إيـران الـتي تتآكـل وتصـبح عربيـة: شـوارع طهـران تتكلم عـربي ، ملهم الملائكة، موقع العرب، 2/7/ 2016..

الإسلامية ستذوب في العالم العربي كما ذابت عشرات الأمم فيه تحت راية القرآن والإسلام)

وبين أسباب ذلك، فقال: (في اسمها الذي تُصرّ عليه دولة إيران، فقدت إيران (وتعني الكلمة أرض الآريين) ثلثي هويتها الفارسية وتحولت إلى مجرد جمهورية إسلامية أخرى؛ فحين قامت ثورة الشعب ضد شاه إيران الذي حرص على بناء مجد بهلوي يستلهم المجد الساساني القاجاري، أراد الشعب أن يغادر النظام الملكي إلى نظام جمهوري بأيّ ثمن، وما إن ركب الإسلاميون ظهر الثورة حتى سقط الشاه، ووجد الشعب والإسلاميون أنفسهم أمام فراغ سياسي، لا بد من سده، فولدت جمهورية ارتجالية سريعة، سماها روح الله الخميني بسرعة [جمهوري إسلامي] مستعيرا المصطلح العربي لملء الفراغ اللغوي في الفارسية التي لا توجد فيها كلمة تصف النظام الجمهوري إلا الكلمة العربية، فيما لا يجادل أحد أن كلمة [إسلامية] عربية، وهكذا بات ثلثا العنوان الرسمي للدولة عربيا (جمهوري إسلامي إيران)

ثم يذكر ـ متأسفا ـ أن الأمر لم يقتصر على اسم الجمهورية الإسلامية الذي تعرب، بل وصل إلى كل المحال، يقول: (قس على ذلك، فإن اللغة الرسمية التي سارت عليها الجمهورية الفتية في مؤسساتها الثورية الوليدة نحت في الغالب إلى الفضاء اللغوي العربي لسد الثغرات في اللغة الفارسية التي لم تعرف مؤسسات ودستور دولة جمهورية إسلامية من قبل ولم تصغ لها مفردات تناسبها، اختارت الجمهورية الإسلامية لنفسها دستورا أسماه المشرعون [قانون أساسي كشور]، وهكذا فإن ثلثي الوصف للدستور [قانون أساسي] عربي وما تبقى هي كلمة [كشور])

ويذكر المدى الذي وصل إليه استعمال اللغة العربية في المحافل الرسمية؛ فقال: (لست بصدد أن أؤسس هنا لبحث لغوي متخصص يرصد كل تحولات اللغة الفارسية وذوبانها عبر أربعة عقود من عمر الجمهورية الإسلامية في اللغة العربية إلى درجة

أنّ المصطلح الرسمي والسياسي الإيراني بات في خطابه الرسمي يتعامل بنحو 65 بالمئة بلغة ومصطلحات عربية، فهذا متروك لمراكز الأبحاث المتخصصة بالشأن الإيراني عبر العالم وهي كثيرة ولكنها مؤسسات غائبة في العالم العربي الذي ما فتئ ساسته يحذرون من التمدد الفارسي في الخليج وغيره!)

وبناء على هذا راح يذكر متأسفا الكثير من الأمثلة التي حولت الإيرانيين إلى اللغة العربية؛ فقال: (أريد أن أعرض بشكل سريع طيفا من التغيرات التي يتعامل بها الإيرانيون كل يوم، ومن خلالها فقدوا أغلب هوية اللغة الفارسية الجميلة الثرية بسبب حرص المؤسسة الإسلامية القائمة على السلطة على ترويج المصطلح الإسلامي والذي هو بالتأكيد مصطلح عربي ينتمي غالبا إلى القرون السادس والسابع والثامن ميلادية حيث ولدت الدولة الإسلامية وامتدت وتوسعت)

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده في من نصوص وردت في مدخل الدستور الإيراني بين من خلالها (أفول اللغة الفارسية وتآكلها منهزمة أمام المصطلح العربي الذي يغزو مؤسسات الدولة في الجمهورية الإسلامية حاملا معه بالطبع آثارا عربية لا يدركها الإيرانيون في حماسهم المنقطع النظير لنشر الجمهورية الإسلامية كما تصورها السيد الخميني ربيب الحوزة الشيعية العراقية في النجف)

ثم أورد هذا النص: (أصل 1: حكومت إيران جمهورى إسلامي است كه ملت إيران، بر اساس اعتقاد ديرينهاش به حكومت حق وعدل قرآن، در پى انقلاب إسلامي پيروزمند)، وبين المدى الذي وصل إليه استعمال اللغة العربية في أهم قانون رسمي في البلاد، مع أنه كان يمكن أن تستعمل كلمات فارسية بدل العربية.

ففي ذلك النص السابق نجد كلمات (حكومت، جمهوري، إسلامي، ملت (مله)، أساس، اعتقاد، حق، عدل، قرآني، انقلاب (وتعني بالفارسية الإسلامية ثورة) في هذا السطر ونصف السطر المكون من 21 كلمة، ظهرت 11 كلمة عربية.

وهكذا ذكر الأمثلة التي تبين أن الذي وضع الدستور كـان في إمكانـه أن يجـد مفـردات في الفارسـية لكنـه تركهـا واسـتعمل العربيـة، فكلمـة [أصل 1] العربية (لو شـاء المشـرّع الفارسي أن يسـتفيد من مفـردات لغتهم لاسـتخدم كلمة [رشـته] في هـذا المكان، لكنه لم يفعل.

وقد ذكر الكاتب تململ القوميين الفارسيين من ذلك التوجـه العربي الذي تميل إليه إيران في عهـدها الجديـد؛ فقـال: (التوجـه لأسـلمة المجتمـع يثـير حفيظـة الفـرس في إيـران على وجـه الخصوص، إذا يرون فيه سياسة تعريب تتبعها حكومة السادة وهم يقولون علنا في كل مكان: إذا كان الخميـني، والخـامنئي وخـاتمي من السادة، فهم هاشميو النسب، والهاشميون عرب قريشـيون لا شك فيهم، وهكـذا فحكامنـا هم من العـرب السـاعين إلى تعـريب إيران الفارسية)

وهكذا يذكر الكاتب متأسفا الحملة الشديدة الـتي قـامت بهـا الثورة الإسـلامية على الثقافـة الفارسـية؛ فيقـول: (إذا تأملنـا أثـر سياسة الأسلمة التي انتهجتهـا ومـاتزال الجمهوريـة الإسـلامية في إيران سنجد في المحصلة انحسارا حادا للحضارة الفارسية ولغتهـا وحتى مواريثها، ففي إيـران الإسـلامية لا يحبـذ المسـؤولون إحيـاء عيد نوروز وهـو الأسـاس الـذي تحـوم حولـه حضـارة فـارس ومن يحيط بها (طاجيكسـتان، أذربيجـان، كردسـتان بأقسـامها الأربعـة، أفغانستان، أجزاء من باكستان وغيرها)، ويحاولون جاهدين تحويله إلى عيد الربيع (بهار) وإضفاء ملامح إسلامية عليه تقصـي رمزيتـه وطقوسـه الزرادشـتية (النـار، والقفـز فـوق النـار، إحيـاء رسـم جهارشنبه سوري، وسفرة هفت سين الـتي أضـاف إليهـا إسـلاميو إيـران القـرآن، الاحتفـال لمـدة 13 يومـا بمـوجب الطقـوس الزرادشتية)

وذكـر كيـف غـيرت الثـورة الإسـلامية كـل العـادات والتقاليـد القديمـة لتصـبها بالصـبغة العربيـة الإسـلامية؛ فيقـول: (يسـعى الإسـلاميون في إيـران إلى نشـر الاحتفـال بمواليـد الأئمـة والمعصـومين (من آل الرسـول) لتحـل محـل أيـام نـوروز الثلاثـة

عشـر، وعيـد الشـتاء، كمـا يسـعون جاهـدين إلى تغيـير التقـويم الفارسي، إلى تقويمهم الجديد الـذي يسـمونه (هجـري شمسـي)، محاولين محو كل الكلمات الفارسية التي تثبّت هذا التقويم.

ومع كـل هـذا نـرى المغرضـين، وخصوصـا الإسـلاميين منهم، يتهمـون نظـام ولايـة الفقيـه بالعصـبية الفارسـية مـع كونـه يتلقى العداء من القوميين من الفرس بسبب ذلك الانصـهار الشـديد مـع اللغة العربية والإسلام، وكأنهم يريدون من إيـران الـتي كـانت في كل تاريخها تتكلم الفارسية، وتتعلم بها، أن تتحول فجـأة إلى دولـة عربية، وتجعل اللغة العربية لغتها الرسمية.

5 ــ اهتمــام الدســتور الإيــراني باللغــات المحليــة واللغة العربية:

أغفل الكاتب ـ مثل غيره ـ ذكر ما ورد في الدسـتور الإيـراني في تعاملـه مـع اللغـات المختلفـة، واحترامـه لهـا؛ ففي المـادة الخامسـة عشـرة: (اللغـة والكتابـة الرسـمية والمشـتركة، هي الفارسـية لشـعب إيـران، فيجب أن تكـون الوثـائق والمراسـلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهـذه اللغـة والكتابـة. ولكن يجـوز اسـتعمال اللغـات المحليـة والقوميـة الأخـرى في مجـال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية)

وهـذا مـا يفسـر حـديث الخميـني والخـامنئي في خطبهمـا ودروسهما بالفارسية مع إتقانهما الشديد للعربية؛ وهو ليس تعصبا ضد العربية كما يفهم المغرضون، وإنما هو مراعـاة لقـانون البلاد، الذي يراعي اللغة السائدة فيها.

وفي المادة السادسة عشـرة: (بمـا أن لغـة القـرآن والعلـوم والمعارف الإسلامية هي العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغـة بعـد المرحلـة الابتدائيـة حـتى نهايـة المرحلـة الثانويـة في جميـع الصـفوف والاختصاصـات الدراسية)، وبذلك يجعل الدستور الإيراني اللغة العربيـة لغـة ثانيـة وضرورية، وفي فترة كافية لإتقانها خصوصا مـع اختلاطهـا الشـديد

بالفارسية.

وهكذا نرى في سائر المواد اهتماما شديدا بكل ما يصبغ الدولة بالصبغة الإسلامية، وهي صبغة تجمع بين جميع القوميات الموجودة في إيران، وتوحد بينها، وفي ذلك ما يرد على أولئك الخصوم الذين يريدون تمزيقها لتعيش الفوضى والصراع الداخلي والخارجي مع جميع الدول المحيطة.

6 ـ موانع الانقسام لدى التركيبة السكانية:

وقد ذكرها بتفصيل، نراه كافيا للرد على هذه الشبهة، والرد على كل المغرضين، وسنذكر هنا باختصار ما ذكره عن بعض تلك الأعراق:

الأتراك الأذربايجانيين: ويذكر أنهم أكبر قومية في إيران، وأنهم يسيطرون على [البازار]، أي اقتصاد السوق، وأنهم نافذون في الجيش والحرس الثوري ومؤسسات الدولة، وهذه الامتيازات ترد على تلك الطروحات التي تصور إيران بالامبراطورية الفارسية، والعنصرية المرتبطة بها، وكيف يكون ذلك، وهو يقر بما لهذه القومية من امتيازات؟

لكنه يغفل عما ذكره، ويبين نقاط ضعف هذه القومية، والمتمثل حسب رأيه في (فقدانهم تنظيمات قومية قوية، وتشتت صفوفهم، وعدم وجود قيادة سياسية منسجمة لديهم، كما أنهم قياسا بالشعوب الإيرانية الأخرى يعيشون نوعا من الرفاه المعيشي والاقتصادي النسبي. وبما ان الكثير منهم يسيطر على اقتصاد السوق، فإن خوفهم من فقدان هذه الامتيازات تدفعهم إلى عدم التفكير او طرح مطلب الانفصال او الاستقلال أو حتى تقسيم السلطة والثروة)

وكأنه يريد من هؤلاء مع كل هذه الامتيازات أن يتمردوا، وينفصلوا ليشكلوا دولتهم الخاصة، وهو يحرضهم على ذلك، ويبين أن (النظام يحاول استمالتهم بشتى الطرق منها على سبيل المثال السماح لهم بتشكيل تكتل في مجلس الشورى (البرلمان) من قبل حوالي 100 نائبا من المناطق التركية في ايران)

وفوق كل هذا يذكر أن من الموانع التي تحول بينهم وبين الانفصال (خلافاتهم التاريخية مع الأكراد حول الحدود الادارية لاقليمي آذربيجان وكردستان، حيث يتنازع الطرفان حول بعض المناطق المختلطة بالكسان الاتراك والكراد أو بعض المدن والقرى ذات الاغلبية الكردية في حدود محافظات اقليم آذربيجان أو مناطق يقطنها الأتراك في مناطق تتبع اداريا لكردستان وتصاعد هذه الخلافات من شأنها أن تؤدي إلى حرب أهليه وبالتالي إضعاف الجبهة المعادية للنظام)

وبالتالي يمكننا أن نستبعد هذه القومية الكبيرة من كونها تهدد إيران بالتمزق والانفصال، ونستبعدها كذلك من القوميات المضطهدة حسبما يصور الإعلام المغرض.

الأكراد: وهم ـ كما يذكر ـ مع كونهم أصحاب تاريخ نضالي طويل، (بالإضافة إلى وجود انسجام تنظيمي وقيادة قوية نسبيا إلا أن الغالبية العظمى من الشعب الكردي ملتفة حول هذه الأحزاب التي لا يتجاوز عددها أصابع اليد، بالإضافة إلى أن قربهم العرقي واللغوي مع الفرس جعلهم يميلون إليهم، (حيث أن معظم مثقفي الشعبين يعتبرون أنفسهم من الآريين، ويضعون أنفسهم في مواجهة الشعوب الأخرى غير الآرية، خاصة العرب والأتراك. ومن هذه الناحية كان الفرس دائما يحاولون كسب الأكراد وبناء تحالفاتهم معهم على أساس خطاب تفوق العرق الآري على باقي شعوب المنطقة)

وبذلك أيضا يمكن استبعاد هذه التركيبة، التي لو فسح لها المجال، وانفصلت؛ فستحدث فتن كبرى في كل الدول المحيطة، والتي تحوي جميعا على العرق الكردي.

عرب الأهواز: وهم بالإضافة إلى كونهم شيعة، وهو ما يجعلهم قريبين جدا من النظام الإيراني، ومؤمنون بطروحاته، مثلهم مثل أكثر شيعة العالم، يوجد على أرضهم أكبر آبار النفط، والذي أصبح حائلا بينهم وبين المطالبة بالانفصال، لا منهم فقط، ولكن من الغرب نفسه؛ ذلك أن (الشركات النفطية الكبرى ولاعتبارات اقتصادية والحفاظ على إيران كسوق استهلاكية

فضلت التعامل مع حكومات مركزية قوية بعينها بـدلا من التعامـل مـع عـدد من الـدويلات، ولهـذا السـبب حـافظت الـدول الغربيـة وبشكل حازم على وحدة إيران وعدم تجزئتها، وقد حصل ذلك كله لاعتبـارات اقتصـادية بحتـة. من جهـة أخـرى، فـإن احتمـال عـدم الاستقرار والفوضى الأمنية بسبب الموقـع الجيواسـتراتيجي للبلـد ومن اجل الحافظ على مصـالح الاقتصـاد تعـارض هـذه الـدول أي دعوة لتفكيك ايران)

اللور والبختيارية: والذين يـرى الكـاتب أن نقـاط ضـعفهم تكمن في (شراء ذمم الكثـير منهم من قبـل النظـام الـذي منحهم امتيـازات ماديـة وسياسـية باعتبـارهم ينتمـون إلى العـراق الآري، ويستخدمهم في مخطط التغيـير الـديمغرافي في منطقـة الاهـواز حيث يقوم الجنرال محسن رضائي، أمين مجلس تشخيص مصلحة النظام والقائد السابق الثوري الإيراني والـذي ينتمي للبختيـاريين، بتهجير عدد كبير من اللور والبختياريين من مناطقهم وأسكنهم في وسط الإحياء والمدن العربية)

وهكذا يمكن أن نستبعد هـذه التركيبـة أيضـا، باعتبارهـا نـالت كل مـا تحتاجـه من امتيـازات بـإقرار الكـاتب نفسـه، وفـوق ذلـك ساهمت في تلاحم الشعب الإيراني واختلاط بعضه ببعض.

البلوش: وهو يذكر أن من أهم نقاط ضـعفهم تفـرقهم مثـل الأكراد في دول مختلفة كباكستان وأفغانستان، وانفصـالهم يـؤدي إلى صراع مرير مع تلـك الـدول، بالإضـافة إلى كـون العديـد منهم مـوظفين كبـارا، ورجـال أعمـال ومسـؤولين في عـدد من دول الخليج، وبذلك تنتفى حاجتهم وفقرهم واضطهادهم كما يزعم.

بالإضـافة إلى انتشـار الحركـات السـلفية والمتشـددة بينهم، وهو ـ كما يذكر ـ (ما أعطى النظام الايراني الحجج لشـن حـرب | إعلامية واسعة وقوية ضد نضال الشعب البلوشي)

التركمان: ومن نقاط ضعفهم وعدم قدرتهم على الاستقلال ـ كما يذكر ـ قلة عددهم بالنسبة للقوميات الأخـرى، بالإضـافة إلى أن (أرضــيهم الزراعيــة الخصــبة تمنحهم القــدرة على الاكتفــاء

الذاتي)، بالإضافة إلى كونهم (محاصرين بعدة محافظات فارسية بالإضافة الى فقدانهم للتجربة التنظيم السياسي السياسية)

وبهذا التفصيل الذي آثرنا أن نذكره لنثبت من خلاله أن مصلحة جميع الأعراق التي تتكون منها إيران في توحدها، بالإضافة إلى كونها جميعا تُحكم بنظام واحد، وقوانين واحدة، وليس هناك أي قوانين تميز جنسا عن جنس، أو منطقة عن منطقة.

وإن ظهر في أي منطقة من المناطق بعض مظاهر الحاجة والفقر؛ فذلك لا يعود للنظام بالدرجة الأولى، بل قد يعود لأهل المنطقة، وجدهم واجتهادهم وعملهم، كما نرى ذلك في كل مدن العالم التي تتفاوت بحسب نشاط أهلها، لا بحسب تقصير الدولة.

وقد ذكرنا سابقا ما أجاب به الخميني على من يتهمون النظام الإسلامي بالتقصير في حق الأكراد، وقوله: (لقد أشرت إلى هذه النقطة كثيراً وهي أن الأخوة في كردستان مثلًا غير مطلعين على الأوضاع في المناطق الأخرى ويظنون أن كردستان وحدها التي تعاني من الحرمان ونقص الخدمات، والشي ء نفسه بالنسبة لأهالي بختياري حيث يظنون بأنهم من أكثر المناطق معاناة وتخلفاً، وهكذا أهالي بلوجستان يفكرون بالطريقة نفسها، لأن هؤلاء جميعاً مطلعون على الأوضاع في مناطقهم فحسب. فمن يذهب إلى كردستان سيرى بأم عينه عدم توفر أي نوع من الخدمات، فلا مستشفيات ولا طرق معبدة ولا مدارس، وبلوجستان كذلك تعاني من نفس المشاكل، وإن السبب في كل ذلك يكمن في الدعايات الإعلامية التي يمارسها البعض والتي تدفع أهالي كل منطقة للظن بأنهم وحدهم الذين يعانون وأن أهالي المناطق الأخرى ينعمون برفاهية ورخاء) [1]

ثانيا ــ ولاية الفقيه والتعامل مع الاختلاف الديني:

---

[1] صحيفة الإمام، ج 10، ص: 215.

من الاختبارات التي اختبرت بها الثورة الإسلامية من أول أيام انتصارها إلى الآن الموقف من الأقليات الدينية، ذلك أن إيران تحوي كثيرا من الأقليات الدينية مثلما تحوي الكثير من الأقليات القومية والعرقية؛ فمن الأقليات الموجودة فيها المسيحيون ــ من الأشوريين، والكلدانيين، والأرمن ـ بالإضافة لليهود والزرادشتيين، والصابئة.

وقد أشار الخميني إلى هذا الموقف عندما كان في منفاه في باريس أمام جمع من الطلبة الجامعيين والإيرانيين المقيمين في الخارج؛ فقال: (إننا كثيراً ما نُسأل كيف ستتعاملون مع الأقليات الدينية إذا ما أقيم الحكم الإسلامي؟ وإن سر تكرار هذا السؤال هو كثرة ما لقن هؤلاء بأنه إذا ما اقيم الحكم الإسلامي فسيقتلون اليهود والنصارى والزرادشتيين دون تمييز وبشكل جماعي)[1]

ثم راح يفند هذه الشبهة بقوله: (متى وقعت مثل هذه المجازر في ظل الإسلام وفي بلد إسلامي لم تكن الاقليات الدينية في حالة حرب ضده؟! بل ومتى قتل في ظله احد منها؟! فمن هذه الاقلية الدينية كانت تلك المرأة اليهودية الذمية التي سلبوها خلخالها، ولما سمع امير المؤمنين (الامام علي) بالخبر، قال: (لو أن امرؤا مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً). لانه وقع في ظل حماية الإسلام، فهل هذا الإسلام ومثل هذا الحكم الإسلامي، يسيء إلى الاقليات الدينية؟!)[2]

ثم بين مصدر هذه الإشاعات؛ فقال: (هذه كلها دعايات يروج لها الشاه وانصاره عبر أبواقهم من أجل تشويه صورة الإسلام وحكومته وعلمائه في أذهان الناس، أو على الاقل في أذهان الاجانب خارج إيران من غير المسلمين واللادينيين، والإيحاء لهم بأن علماء الإسلام يريدون إقامة حكومة رجعية، رجعية إسلامية!)

1() صحيفة الإمام، ج4 ، ص 303 .

2() المرجع السابق، ج4 ، ص 303 .

وبين سبب إشاعة مثل هذه الشائعات؛ فقال: (إنهم يروجـون لهذه الأقوال وهذه الشعارات في الخارج، كي يزرعوا الخـوف من الحكم الإسلامي في نفوس بعض شـبابنا فيقعـوا - لا سـمح اللـه - في هـذا الخطـأ، ويخشـون إقامـة الحكم الإسـلامي لأنـه بـزعمهم سـيقفل الابـواب على النسـاء كي لا يخـرجن من الـبيت أبـداً، في حين أن نساء صدر الإسلام كن حاضرات في ميـادين القتـال وفي الحروب الإسلامية للقيـام بمهـام التمـريض وغـيره، وكنّ يتعرضـن للقتل. من قال يجب الحجـر على النسـاء؟ انهن حـرّات كالرجـال. ومن قال: ان الحكم الإسلامي يسيء معامله الاقليات الدينية؟)[2]

ثم بين محــال مخــاوفهم الحقيقيــة، والــتي يــذكرون تلــك الإشاعات للتستر عليها؛ فقال: (أجل، إن أحـد مخـاوفهم الحقيقـة هــو من إغلاق محــال لعب القمــار والبغــاء والملاهي الفاســدة، فالإسلام لا يسـمح ببقائهـا لأنهـا هي الـتي جـرت شـبابنا إلى هـذه الحالة البائسة، وإذا كـان أدعيـاء الثقافـة والتحـديث يؤيـدون بقـاء مراكز المفاسد هذه، فـإن الحكم الإسـلامي وحفاظـاً على كرامـة الشعب، يعارضها ويغلق أبوابها، ويعمل على تصـحيح توجهـات دور السينما اذ أنها تقوم بإفساد شبابنا وجرّهم إلى الفحشاء) [3]

ولهذا كان في لقاءاتـه مـع ممثلي الأقليـات الدينيـة يطمئنهم إلى أنــه لا فــرق بينهم في كــل حقــوقهم مــع جميــع المســلمين، ويــدعوهم إلى المســاهمة في خدمــة بلــدهم مثــل إخــوانهم من المسـلمين، ومن ذلـك مـا قالـه في لقـاء لـه مـع ممثلي [جمعيـة الزرادشت الإيرانيين] في بـدايات انتصـار الثـورة الإسـلامية، حيث قال: (أطمئن السادة من جميع الأقليات الدينية بأن الاسلام تعامل

1() المرجع السابق، ج4 ، ص 303 .

2() المرجع السابق، ج4 ، ص 303 .

3() المرجع السابق، ج4 ، ص 304 .

دوما مع الأقليات الدينية تعاملا إنسانيا وعادلا، وكانوا جميعا مرفهينن إنهم كسائر الأقليات جزء من شعبنا، ونحن وإياهم نعيش معا في هذه البلاد وسوف يتحقق الرفاه لنا جميعا ان شاء الله)[1]

وذكر الدعايات الإعلامية التي تحرض هذه الأقليات، وتحاول أن تشوه صورة الإسلام، وصورة الحكم الإسلامي؛ فقال: (الدعايات الإعلامية كثيرة، وهي ترتبط بأمور مختلفة، وقد رددناها في أحاديثنا، لكنهم يواصلون إثارتها في الصحف الحكومية المنتشرة داخل إيران أو المنتشرة هنا، أو في أماكن أخرى، ومن هذه الدعايات التي يروجونها في إعلامهم هي المتعلقة بالأقليات الدينية إذ يقولون: إن الحكومة الإسلامية- إذا أقيمت- ستفعل كذا وكذا باليهود والنصارى والزرادشت، وسترتكب المذابح الجماعية لهم وأمثال ذلك، وهذا ادعاء خاطئ جداً، فإذا أقيم الحكم الإسلامي- إن شاء الله- واستقرت حكومة عادلة- بمشيئة الله- سندعو حتى اليهود الإيرانيين المخدوعين الذين خرجوا من إيران، وذهبوا إلى اسرائيل بدافع من أوهام خدعوهم بها فوقعوا بأيدي اليهود والإسرائيليين القادمين من أميركا وغيرها فأنزلوا بهم الأذى وهم الآن في ضيق وعسر شديد، سندعوهم للعودة إلى وطنهم إيران، وستعاملهم الحكومة الإسلامية بأفصل صورة، لأن الإسلام لا يريد العسر لأحد من بني الإنسان، وأحكامه تحترم جميع الفئآت، وبالطبع ثمة حالات استثنائية فيه ترتبط بمثيري الفتن والمخربين الذين لا يوجد من يقر التسامح في التعامل معهم، أما أمثال اليهود وسائر أهل الكتاب من النصارى والمجوس فهم من أهل الذمة الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية برفاهية واحترام، فما يقال من إقامة الحكم الإسلامي تعني تعريضهم للأخطار دعايات إعلامية تحريفية، والهدف حفظ الملك وضرب هذه النهضة)[2]

وبناء على هذا الموقف المستمد من الشريعة الإسلامية نص

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 155.

[2] () المرجع السابق، ج5، ص: 180.

دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مواد كثيرة على كافة الحقوق التي تتعلق بهذه الأقليات، ومنها ما ورد في المادة الثالثة والعشرون، والتي تنص على أنه (يمنع محاسبة الناس على عقائدهم، ولا يجوز التعرض لأحد أو مؤاخذته لمجرد اعتناقه عقيدة معينة)

وتنص المادة الرابعة والعشرون على أن (الصحافة والمطبوعات حرة في بيان المواضيع ما لم تخل بالقواعد الإسلامية والحقوق العامة)

وتنص المادة السادسة والعشرون على أن (الأحزاب، والجمعيات، والهيئات السياسيّة، والاتحادات المهنية، والهيئات الإسلامية، والأقليات الدينية المعترف بها، تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال، والحرية، والوحدة الوطنية، والقيم الإسلامية، وأساس الجمهورية الإسلامية، كما أنه لا يمكن منع أي شخص من الاشتراك فيها، أو إجباره على الاشتراك في أحدها)

وتنص المادة المادة الرابعة والستون على الحقوق السياسية لهذه الأقليات الدينية، وهي تتناسب مع أعدادهم، حيث ذكرت أن (عدد نواب مجلس الشورى الإسلامي هو مئتان وسبعون نائباً وابتداءً من تاريخ الاستفتاء العام سنة 1368 هجرية شمسية (1989 ميلادية) وبعد كل عشر سنوات مع ملاحظة العوامل الإنسانية والسياسيّة والجغرافية وأمثالها يمكن إضافة عشرين نائباً كحد أعلى، وينتخب الزرادشت واليهود كل على حدة نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الآشوريون والكلدانيون معاً نائباً واحداً، وينتخب المسيحيون الأرمن في الجنوب والشمال كل على حدة نائباً واحداً)

انطلاقا من هذا سنذكر هنا باختصار الديانات الثلاث الكبرى التي تتكون منها الأقليات الدينية في إيران، وبيان واقعها الحقيقي الذي يحاول الإعلام المغرض تشويهه، وهي المسيحية، واليهودية، والزرادشتية.

وقبل ذلك ننقل هذا النص من مقال يبين الواقع الحقيقي

لتلك الأقليات، وهو من مصدر موثوق ومعايش، لا كأولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون، ولا ينقلون إلا ما تمليه عليهم أهواؤهم، وهو بعنوان [ما لا تعرفونه عن الحريات الدينية في إيران؟!][1]؛ فقد جاء فيه: (تمييع وتضييع الوجه الحقيقي لإيران، بات الشغل الشاغل للماكينات الإعلامية الغربية والعربية، ففي غياهب التسلح النووي والأقليات وغيرها من مفردات وجوقات إعلامية ما أنزل الله بها من سلطان، يخيّل للبعض أن إيران بما فيها وكل ما فيها ليست سوى صورة طبق الأصل، لكن خيال الإعلام وفبركاته يجافيا الواقع، واقع أثبتت فيه إيران على مدى الأربعين عاما منذ انتصار الثورة الاسلامية أن صورتها النقية ساطعة، وشمس حضارتها لا تحجبها غيوم حملات عابرة غايتها تشويه الصورة واختزالها، بهدف إخفاء التنوع الثقافي والحضاري في هذا البلد، والذي تجلى ويتجلى بالقيم والمثل العليا التي تنتهجها القيادة الإيرانية الحكيمة، سواء من خلال التعايش الاسلامي المسيحي النموذجي في زمن التكفير والاقصاء، أو حرية ممارسة الأقليات لشعائرها الدينية، أو من خلال عاصمتها طهران التي كانت وما تزال ملتقى الحوارات بين الأديان والمذاهب، أو لجهة دعم المستضعفين في العالم ضد الجور والظلم والمستمد من مبادئ الثورة التي حاربت ظلم الشاه ومن خلفه قوى الاستعمار والاستكبار، والمتجسد اليوم بمساندة إيران للمقاومة في لبنان وفلسطين ضد العدوان والاحتلال الصهيوني، او مساندة دول المنطقة ضد الإرهاب التكفيري) [2]

---

[1] ما لا تعرفونه عن الحريات الدينية في ايران؟! ، علي عوباني، موقع العهد، 10/02/2016.

[2] المرجع السابق.

ثم ذكـر موقـف النظـام الإيـراني بمؤسسـاته المختلفـة من الحريـات الدينيـة، والأديـان؛ فقـال: (احـترام المـذاهب والـديانات الأخرى ومعتقدات الأقليات في إيران من المقدسات والمسـلمات الوطنيـة، الـتي لا غبـار عليهـا، وانـدماج اتبـاع هـذه الـديانات في المجتمع الإيراني كامل لناحية ممارسـة كافـة حريـاتهم وحقـوقهم المدنيـة والسياسـية بلا تميـيز أو انتقـاص يجعلهم موضـع غبن أو تخوّف على وجودهم كما هو الحال في دول أخـرى، وضـمان هـذه الحريـات والحقـوق، والحفـاظ على خصوصـيات الأقليـات، ليس بالامر المستحدث في إيران، ولا هو منّة من أحد، ولا هم أهل ذمة في هذا البلد، بل هو مكرّس دستوريا وبشكل عصري وصريح، في طيات نصوص الدستور الإيراني مـا بعـد الثـورة، ولا يـزال مطبقـا حتى اليوم، بما يحويـه من مـواد خصصـت للحـديث عن الحريـات، تتماثـل الى حـد بعيـد مـع دسـاتير الـدول الغربيـة وشـرع حقـوق الانسان الدولية) [1]

ثم سـاق بعض النصـوص في الدسـتور الإيـراني، والمتضـمنة لحرية المعتقد، وعلق عليها بقولـه: (مـيزة هـذه الحريـات الدينيـة المنصوص عنها في الدستور الإيراني انها تضـمن التنـوع والحفـاظ على مكونات المجتمع الإيراني، الذي بينت آخـر احصـائية سـكانية رسمية إيرانية صادرة عن مركز الاحصاءات الإيـراني عـام 2011، أنه يتكون على الأساس الديني كالتالي: المسـلمون:74682938، المسيحيون:117704، الزرادشتيون:25271، اليهود:8756، بقيـة الاديـــان مثـــل الصـــائبة49101، وهـــذا التنـــوع في التركيبـــة الديموغرافية يعتـبر مصـدر غـنى لإيـران، على أكـثر من صـعيد، لا سـيما في ظـل انـدماج الأقليـات الدينيـة الكامـل في المجتمـع الإيـراني ومؤسسـات الدولـة، مـا دفـع كثـيرين ممن زارو إيـران للذهول حيال هذا التعايش والتكامل في النسيج الاجتمـاعي داخـل إيـران، وللتنويـه بهـذه المـيزة الإيرانيـة المتمثلـة بالحفـاظ على التركيبة الدينية المتنوعـة للمجتمـع، باعتبارهـا نقطـة قـوة لصـالح النظام الاسلامي في إيران، لا نظير لهـا في دول عربيـة وخليجيـة

---

(1) المرجع السابق.

مجاورة) [1]

1 ـ الأقلية المسيحية في إيـران ومظـاهر التعامـل المتسامح معها:

تتشكل التركيبة المسيحية في إيران، من عدة طوائف، ولكل منهـا حريتـه الكاملـة في أداء طقوسـه وشـعائره، بالإضـافة إلى حقوقه المادية والمعنوية، وحتى السياسية.

ومنها [**طائفة الأرمن**] الذين يتوزعـون جغرافيـا على ثلاث مناطق هي أصـفهان وأذربيجـان وطهـران، ومن مظـاهر التسـامح معهم، واعتبارهم مثل سائر المواطنين الإيرانيين كما يذكر صاحب المقـال السـابق أن (لـديهم حزبـا سياسـي (الطاشـناق)، ويمثلهم عضـوان في مجلس الشـورى الإسـلامي الإيـراني، وهم يعملـون بشـكل أساسـي في الصـناعة والتجـارة، من بينهم تجـار أغنيـاء. ويمارس الأرمن طقوسهم وتقاليـدهم الدينيـة بحريـة، ومـرجعيتهم هي المطرانيـة في إيـران، ولـديهم عشـرات الكنـائس، معظمهـا مسجل في فهرس الآثـار الإيـراني الوطـني، ولهم مدارسـهم (50 مدرسة ليس للمسلمين الحق بدخولها، أما الطلبة الأرمن فلا مانع من تسـجيلهم في مـدارس المسـلمين)، الـتي يـدرس فيهـا تـاريخ أرمينيا ولغتها، ولهم عطلاتهم الرسمية، ويمنحون أيـام الآحـاد إذنـا خاصا لثلاث ساعات لحضور القداس، كمـا لهم نـواديهم الرياضـية، وجمعياتهم ومراكزهم الثقافية (19 جمعية)[2]

ومنهـا [**طائفـة الأشـوريين**]، والـتي تتواجـد في طهـران وأرومية غرب إيران، وهي ـ كمـا يـذكر صـاحب المقـال السـابق ـ (مركز الثقل للديانة المسيحية، ولديهم عدد من الكنـائس (حـوالي 59 كنيسة في مدينة أروميـا فقـط، و6 في طهـران)، ويمارسـون نشاطهم السياسـي في البلاد، ولهم ممثـل خـاص بهم في مجلس الشـورى الإسـلامي، فضـلا عن مراكـز ثقافيـة واجتماعيـة (20)

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

وجمعيات (12) واتحادات مثل اتحاد الطلبة الجـامعيين الآشـوريين واتحاد الشبيبة الآشورية، ومـدارس أهمهـا مدرسـة مـريم للبنـات، ومدرسة بهنام للبنين)[1]

ومنهـا [طائفــة الكلــدان]، وتتواجــد في أورميــا وســلماس وطهـران، و(لـديهم 8 كهنـة، اثنـان من أصـل إيـراني و3 أتـوا من العراق، و2 من فرنسا وواحد ينتمي إلى كنيسة سيرو مالنكـار في الهند)[2]

ومنها [طائفة الكاثوليك]، و(لـديهم عـدد من الكنـائس تتـوزع بحسـب تنـوعهم (ثمـان كنـائس للارمن الكاثوليـك، ثمـان كنـائس للاشـوريين الكلـدانيين، 9 كنـائس للكاثوليـك اللاتين)، كمـا لـديهم جمعيات خاصـة، وهم يـديرون عـددا من المـدارس من بينهـا ثلاث مدارس تعلم فيها التعاليم الكاثوليكية)[3]

ومنهـا [طائفـة الإنجيلـيين]، و(لهـا سـبع كنـائس إنجيليـة في مقاطعة رزايه وحولها، في شمال غربي إيران)[4]

ومنهـا [طائفــة الأرثــوذكس]، و(يوجــد في إيــران كنيســتان ارثوذكســيتان، الكنيســة الارثوذكســية الروســية، والارثوذكســية اليونانيــة، والكنيســتان يعــود تاريخهمــا الى بدايــة هجــرة الــروس واليونــانيين الى إيــران، ولا تــزال الكنيســتان قــائمتين تمارســان نشاطاتهما الدينية حتى اليوم)[5]

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

(5) المرجع السابق.

والمسيحيون ـ كما تذكر المصادر الموثوقة ــ يعيشون مثل غيرهم من المسلمين، وبنفس الحقوق، ولهم فوق ذلك بين الإيرانين (مكانتهم الخاصة وحضورهم يتجلى في شتى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والقيادة الإيرانية سعت جاهدة على مدى سنوات طوال للحفاظ على هذا التواجد وصيانته، وإلى إشراكهم في السلطة والقرار، وهم قدموا بالمقابل للوطن الكثير وقدموا شهداء في الحرب المفروضة على إيران، في أنموذج راق يحتذى لقتال المسلم والمسيحي جنبًا الى جنب دفاعًا عن العرض والوطن، ولم تكن زيارة الامام الخامنئي الاخيرة (والتي سبقها زيارات مماثلة) في عيد الميلاد الذي مضى لعائلة شهيد مسيحي سوى أنموذج جلي لمدى الاحترام الذي تكنه القيادة الإيرانية للمسيحيين ليس في إيران فحسب بل في العالم كله، ولعل ذلك ما جعل الرئيس الإيراني حسن روحاني يضع زيارة الفاتيكان ولقاء البابا على رأس اولويات زيارته الاوروبية مؤخرًا) [1]

ومن يتابع القنوات الفضائية المعتدلة وغير المغرضة يسمع ويرى الكثير من المشاهد الدالة على ذلك التسامح، يقول صاحب المقال السابق: (مظاهر الحرية الدينية، تبرز على لسان زائري طهران، ومنهم رجال دين مسلمون ومسيحيون وإعلاميون، فيتحدثون عن نموذج التكامل والتآلف الديني في إيران، وكيف أنهم شاهدوا بأم العين في عيد الميلاد إيرانيين مسلمين يشاركون إخوتهم المسيحيين الاحتفال في مناسباتهم الدينية، ويتصورون قرب شجرة الميلاد، كما يتحدثون بوقار عن عشرات الكنائس في هذا البلد(24 كنيسة جنوب إيران وحدها منها كنيسة فانك في منطقة جلفا بمدينة أصفهان والتي تعتبر من أجمل الكنائس في إيران)، وكذلك عن تمثيل المسيحيين في البرلمان الإيراني بعدد من النواب، ومشاركة أبناء هذه الأقليات الدينية في ادارات الدولة ووظائفها بفعالية تامة) [2]

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

ولم تكتف القوانين الإيرانية بإتاحة حرية الاعتقاد والتعبد وبناء الكنائس فقط؛ بل أتاحت فوق ذلك (للمسيحيين الإيرانيين أن يكون لهم أحوال شخصية خاصة بهم، من هنا فإن القرار الفعلي في أمور الزواج والطلاق والإرث هو بيد الكنيسة المسيحية باختلاف طوائفها، كما أنهم يملكون محاكم دينية تهتم بأمورهم) [1]

ولتأكيد هذه المعلومات أنقل هنا تصريحات وشهادات لبعض الشخصيات الرسمية عن واقع المسيحيين في إيران، والحريات المتاح لهم.

وأبدؤها بالسفير الإيراني في لبنان [غضنفر ركن أبادي]، والذي صرح لجريدة النهار اللبنانية عن مدى التسامح الذي يلقاه المسيحيون في إيران، والرؤية العقدية والفقهية التي ينطلق منها؛ فقال: (لقد تبلورت الثورة الاسلامية الإيرانية على أسس إنسانية وأخلاقية، وإسلامية النظام تقتضي أن تقف الجمهورية الاسلامية الإيرانية إلى جانب الإنسان بما هو إنسان، وأن تنظر إلى الجميع نظرة واحدة. فاحترام الإنسان، بصرف النظر عن دينه وطائفته وقوميته، يشكل أصلا أساسيا في السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية الإيرانية، وهذا الاصل لا ينحصر داخل إيران، بل ان الجمهورية الاسلامية الإيرانية تعتمده كأصل عالمي، وعليه فان نظرة الجمهورية الاسلامية الإيرانية إلى البشر من أي دين وطائفة، هي نظرة متعادلة، وتتمايز هذه النظرة عندما يطرح بحث الحق والباطل والظالم والمظلوم والمعتدي والمعتدى عليه، في مثل هذه الحال فان الجمهورية تقوم بواجبها طبق الاصول الإنسانية والاخلاقية والاسلامية المذكورة، وتعتبر أن من واجبها ان تقف الى جانب الحق والمظلوم والمعتدى عليه، وفي مواجهة الباطل والظالم والمعتدي) [2]

1() المرجع السابق.

2() المسيحيون في إيران مكوّن أساسي للمجتمع، غضنفر ركن أبادي (السفير الإيراني في لبنان)، المصدر: النهار، موقع الجمل بما حمل..

وبعـد ذكـره للرؤيـة العقديـة الـتي تنطلـق منهـا الجمهوريـة الإسلامية في نظرتها للآخر راح يذكر الواقع المسيحي في إيــران، والحريات التي يتمتع بها، فقـال: (يوجـد في الجمهوريـة الاسـلامية الإيرانية حوالى ثلاث مئة الف مواطن مسيحي، تشمل الآشـوريين والكلدانيين والارمن والكاثوليك والبروتستانت والانجيليين، وأكثرية مســيحيي إيــران هم من الأرمن، والمســيحيون في الجمهوريــة الاسلامية الإيرانيـة، رغم انهم يعتـبرون أقليـة، لكنهم في الحقيقـة مكـون أساسـي في نسـيج المجتمـع الإيـراني، ويتمتعـون بالحريـة الكاملـة والحقـوق السياسـية والاجتماعيـة. ففي مجـال الشـؤون الاجتماعيـة يـدير المسـيحيون جميـع شـؤونهم المتعلقـة بـالزواج والطلاق والوصــية وتقســيم الارث طبــق الاحــوال الشخصــية المسيحية.. وفي مجال التعليم والثقافة توجد في إيـران أكـثر من 50 مدرسة خاصة مسيحية، ومن جملة النشاطات الـتي يمارسـها المسيحيون في إيـران: نشـر الصـحف والمجلات المتعـددة مثـل: ارارات، اراكس وغيرهــا، اضــافة الى طباعــة الانجيــل باللغــة الفارسية وغيرها. كما يوجد اكثر من 50 مركزا ثقافيا مسيحيا في طهران وحدها. اضافة الى وجود مجتمعات ثقافية ورياضـية باسـم ارارات ومراكــز عــدة لرعايــة كبــار الســن والايتــام الخاصــة بالمسيحيين، ويتمتع مسيحيو إيران بحرية اقامـة المراسـم الدينيـة والعبادية في شكل كامل. وللمسيحيين في طهران وبـاقي المـدن الإيرانية كنائس. وإحدى اقدم كنائس العالم موجودة في محافظـة آذربايجان الغربية في إيران، واسمها كنيسة قره، ويعتقـد ان هـذه الكنيسة هي مزار تاديوس أحد تلامـذة السـيد المسـيح وحوارييـه، وقد بنيت في القرن السابع الميلادي، وسجلت هذه الكنيسة العام 2008 في منظمة الاونيسكو كتراث ديني عالمي)[3]

وبالإضافة إلى هذا الواقع يرد على ما يروجه الإعلام المغرض من تجاهل الحقوق السياسـية والاجتماعيـة؛ فيقـول: (في المجـال السياســي أيضــا للمســيحيين دور فعــال، ففي مجلس الشــورى الاســلامي (البرلمــان) للمســيحيين ثلاثــة نــواب، للآشــوريين والكلدانيين نائب، وللارمن نائبـان، ودسـتور الجمهوريـة الاسـلامية

(3) المرجع السابق.

الإيرانيــة لحــظ موضــوع تزايــد عــدد الســكان ومنهم المجتمــع المسيحي في إيران، لذلك ورد في المادة 64 من الدستور زيــادة عدد نــواب المسـيحيين في المجلس أيضــا، تقــول المــادة 64 من الدســتور: (للآشــوريين والكلــدانيين نــائب في المجلس، ولأرمن الشمال والجنوب سويا نائبان، وعند زيادة تعداد أية أقلية مسيحية يضاف لنوابها نائب واحد في المجلس كل عشر سنوات وعن كــل 150 الــف نســمة)، ولمســيحيي إيــران نشــاطات واســعة في المجــالين الاجتمــاعي والسياســي، وكــان لهم دور اساســي في انتصار الثورة الاسلامية الإيرانية أيضــا، الى جــانب المســلمين في اسـقاط نظـام الشـاه الملكي الاسـتبدادي، كمـا كـان للمسـيحيين حضور فاعل في ثماني سـنوات من الحــرب العراقيــة المفروضــة على إيران، وقدموا للثورة الاسلامية الإيرانية أكثر من مئــة شــهيد خلال هذه الحرب) [1]

ويقارن بين الحرية السياسية للمسـيحيين في إيــران مقارنــة بالحرية السياسية المعطاة للمسلين في الدول الغربية؛ فيقــول: (98 في المئــة من ســكان الجمهوريــة الاســلامية الإيرانيــة هم من المســـلمين، ورغم أن المســـيحيين اقـــل من 2 في المئـــة إلا أن حصتهم في البرلمان أكثر بكثير، في حين أن الدول الغربيــة ورغم وجود 20 – 30 في المئـة من عـدد السـكان من المسـلمين في بعض تلــك الــدول، إلا أنهم لم يمنحــوا المســلمين أي نــائب في المجلس) [2]

هــذه الشـهادة أو التصـريح الأول، والـذي يعـبر عن الموقـف الرسمي الإيراني، ويصور الواقع بدقة، ويؤكده شهادات الكثير من رجـال الـدين المسـيحيين الـذين أجمعـوا على أن الحقـوق الـتي أعطاها النظـام الإيـراني للمسـيحيين لا يوجـد مثلهـا في أي دولـة إسلامية أخرى.

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

ومنهم أمين عام الاتحاد العالمي للأشوريين [يوناتن بت كليا]، والـذي صـرح أثنـاء مراسـم أقيمت بمناسـبة ذكـرى ميلاد السـيد المسيح عليه السلام في أروميه بشـمال غـرب إيـران بقولـه: (إن المسيحيين في إيران لايحتاجون إلى الوصي وشفقة دعـاة حقـوق الإنسان الكاذبين)[1]

وأشـاد بمواقـف قـادة الثـورة الإسـلامية تجـاه المسـيحيين؛ وقال: (إن لدينا قائدا يتفقد منزل شهيد مسيحي .. فـأي زعيم في العالم يقوم بمثل هذا الإجراء؟)، ونوه بأن (مفجر الثورة الاسلامية الامـام الخميـني أكـد بعـد انتصـار الثـورة الاسـلامية بـأن الشـعب الإيراني، شعب موحد وكلامه هـذا يـدل على اننـا نعيش في بلـد لا يمكن لأحد أن يفصلنا عنه، ونحن إيرانيون بكل مـا في الكلمـة من معني) [2]

وأشار الى وقوف المسؤولين ومراجـع الـدين في إيـران إلى جانب المسيحيين الإيرانـيين وتقـديم التهـاني لهم بمناسـبة ذكـرى ميلاد السـيد المسـيح عليـه السـلام، وقـال: (ليت دعـاة حقـوق الإنســان يــدركون هــذه الحقــائق)، كمــا أشــار إلى مشــاركة المسـيحيين في فـترة الـدفاع المقـدس، وقـال: (إن عـددا منهم استشـهدوا في تلـك الحـرب مؤكـدا أن المسـيحيين شـاركوا في الدفاع عن أرضهم)

ومثلـه يـذكر المطـران سـيبوه مـدى التسـامح الـذي يعيشـه المسـيحيون؛ فيقـول:(عنـد التطـرق إلى موضـوع حريـة الأقليـات الدينية في إيران أو في أي بلد آخـر ينبغي أن نمـيز بين مفهـومين لحرية الأديان كي لا نقع في الخطأ: الأول: هي حرية العبادة؛ وفي سياق حديثنا عن حرية العبادة نحن الأقليات الدينية في إيران لدينا أكثر من حرية في التعبير عن عقائدنا الدينيـة وممارسـة طقوسـنا المقدسة، ومن هـذا المنطلـق أقـول إن للأقليـات حريـة تامـة في

---

[1] () أمين عام الاتحاد العالمي للاشوريين:المسيحيون في إيـران لا يحتـاجون إلى شـفقة دعاة حقوق الإنسان، قناة العالم نقلا عن وكالة إرنا، الثلاثاء ٢٦ ديسمبر ٢٠١٧.

[2] () المرجع السابق.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك، أما المفهوم الثاني: يخص حرية التبشير بالنسبة للديانات التي تعتبر أقلية في هذا البلد والتي يخضع فيها المسيحيون إلى جانب أتباع الديانات السماوية الأخرى، للدستور الإيراني وما ينصه القانون المعتمد في البلاد وهو أمر محترم لدينا)[1]

ومثله يشهد زعيم طائفة الأرمن الأرثوذوكس في لبنان [آرام الأول كشيشيان] بعد اطلاعه على أحوال الأرمن في إيران، قائلاً: (إن المسيحيين لا يحظون بالحرية والاحترام في منطقة الشرق الأوسط مثلما يحظون بهما في إيران) [2]

ومثله يشهد صاحب كتاب (المسيحية في إيران) [سركيس أبو زيد] قائلا:(مع بداية الثورة الإسلامية خاف الكثيرون، ودفع البعض ثمن علاقاتهم بالشاه، لكن الآن الوضع مستتب، ويوجد ما يقارب المئة وخمسين ألف مسيحي يعيشون في إيران، ليس هناك من اضطهاد ولا إلغاء، للمسيحيين كنائس ومؤسسات وأندية ومدارس وجرائد ومجلات وجمعيات خيرية، يعلمون لغاتهم، لهم احترامهم المكرس في الدستور، ولديهم ثلاثة نواب، اثنان أرمن وواحد آشوري، ينضوون في الجيش، ولديهم قانون أحوال شخصية خاص بهم، زواج، طلاق وإرث، ويوجد في إيران أكثر من 50 مدرسة خاصة مسيحية،و أكثر من 50 مركزا ثقافيا مسيحيا في طهران وحدها، ويحق لهم طباعة الإنجيل باللغة الفارسية وغيرها)[3]

ومثله [روبيرت بيغلاريان]، وهو نائب إيراني أرمني، والذي سئل في برنامج حواري في قناة الميادين عن مدى اندماج المسيحيين في المجتمع الإيراني، ومع الناس، فقال: (أعتقد أن

1() المسيحيون في إيران، موقع السكينة، 6 أبريل، 2012..

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

عملية اندماج المسيحيين في المجتمع الإيراني قد مرّت تاريخياً بمراحل متعددة وظروف متفاوتة ولكنها كانت إيجابية وجيدة بشكل عام. ونرى أن المجتمع المسيحي، في الوقت الذي استطاع أن يحافظ فيه على هويته الثقافية واللغوية والأدبية وكذلك الدينية، نجح في إقامة علاقات اجتماعية واقتصادية مؤثرة مع المجتمع. مثلاً، عندما يطرح عليّ هذا السؤال أجيب بأننا نرى أدواراً للأرمن في كافة المجالات ومنها قيامهم بأدوار مهمة على الساحة السياسية خصوصاً منذ الثورة الدستورية وحتى الآن، وهذا يدل على أن الأرمن لم يتجاهلوا مصير وطنهم، بل رأوا أن هذا الوطن يشكّل جزءاً من هويتهم. فلو كانوا غير مبالين لما وجدناهم في مختلف المجالات ومنها السياسية أو أن نشاطهم كان ليقتصر على الحد الأدنى، في حين أننا نجدهم حاضرين في الرياضة والفنون وفي العلوم وفي مختلف المجالات الثقافية منها السينما والهندسة المعمارية، وهذا يدل على أنهم أوجدوا رابطاً مع المجتمع) [1]

وعن سؤال حول مدى حرية المسيحيين في إيران لأداء طقوسهم الدينية وشعائرهم وأعيادهم، أجاب النائب المسيحي بقوله: (بالنسبة إلى ممارسة الحريات الدينية فإنه، وفي ما يتعلق بالشعائر الدينية والتقاليد الدينية والأنشطة المقامة داخل الكنيسة أو بشكل فردي، لا يوجد محظورات من أي نوع، بطبيعة الحال، ونظراً للأصول الشرعية والقانونية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، فإن التبشير بالمسيحيّة ممنوع، ولكن أن يجري التعامل بسلبية مع أي من الآثار المسيحية، فلا وجود لشيء من هذا القبيل. وعلى سبيل المثال، لدينا كنائس في (أذربيجان) صنّفتها الأونسكو ضمن التراث العالمي وذلك بجهد ومساعدة النظام الحالي. وهذا النظام يعمل على حفظها وصيانتها كما الآثار الأخرى. وبالتالي، نحن نتمتع بحرّية تامة لإقامة الشعائر الدينية داخل الكنيسة وخارجها، أي داخل البيئة المسيحية)

وعن سؤال حول ما ورد في القوانين الإيرانية من إجبار

1() المسيحيون في إيران اندماج أم اضطهاد، قناة الميادين، حصة استضافت فيها زينب الصفار، روبيرت بيغلاريان - نائب إيراني (أرمني)، بتاريخ: 09 حزيران 2013 ..

النساء على ارتداء الحجاب، وعن شرب النبيذ المحرم على المسلمين، أجاب النائب المسيحي بقوله: (لا توجد موانع فيما يخص إقامة الشعائر الدينية أو الاحتفالات داخل الكنيسة أو حتى في الصالات الخاصة بنا، نعم هناك حساسية تجاه الكحول بشكل عام، لكنه أمر غير مرتبط بالشعائر بحد ذاتها، أما بالنسبة للحجاب الذي ذكرته، فإذا اعتبرناه شكلاً من أشكال القيود فإن نظرة المجتمع إليه كالتالي: المجتمع يعرّفه ضمن القوانين العامة للبلاد، وليس تضييقاً على الحرّيات الدينية أو منعاً لممارسة الشعائر كما أنه يجاري تقاليدنا أيضاً؛ فالمرأة أو الفتاة المسيحيّة عندما تريد دخول الكنيسة يجب أن تضع منديلاً على رأسها، وهذا من ضمن التقاليد التي ورثناها، ولا يمكن القول إنه أمر حديث جرى بعد انتصار الثورة. هذه هي الخصائص العامة) [1]

وعن سؤال حول الدور الذي يقوم به النائب المسيحي، وهل هو مرتبط بالمسيحيين فقط، أم لا أجاب بقوله: (بناء على المادة 86 من الدستور الإيراني، يعتبر النائب المنتخب نائباً عن كل الشعب وبالتالي، ورغم أننا نتخب من قبل المسيحيين وضمن صناديق اقتراع منفصلة إلاّ أننا عندما ندخل البرلمان ونؤدي القسم، نعتبر نواباً عن كل الشعب الإيراني، كما أن لدينا مراجعات من أناس مسلمين يراجعون مكاتبنا لحل مشكلاتهم، وفي داخل المجلس أيضاً، على صعيد التشريع والرقابة والمشاركة في اللجان، فإننا نبحث في مسائل البلد والقضايا العامة ككل وليس في القضايا المرتبطة بالشريحة المسيحية وحسب) [2]

وعن سؤال حول ما يتداول في بعض وسائل الإعلام من عمليات اضطهاد واعتقال لبعض الأشخاص وزجّهم في السجون وعن العقاب والتعذيب أجاب بقوله: (أنا أرفض مثل هذه الإتهامات التي توجه إلى الحكومة أو النظام.. وطبعاً بما أنني

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

إنسان مسيحي مؤمن بحريّـة المعتقـد وحقـوق الإنسـان، أدين أي نوع من أنواع السلوك السيىء مـع النـاس، هـذا رأيي الشخصـي، لكن أن نقــول أن المســيحي في إيــران مضــيق عليــه لمجــرد مسـيحيته، فهـذه تهمـة أرفضـها سـوى مـا كررتـه حـول النشـاط التبشيري وشددت عليه) [1]

هذه بعض الشهادات الدالة على مدى التسامح الـذي يعيشـه المسيحيون بطوائفهم المختلفة في إيران، تحت ظل ولاية الفقيه، وهناك الكثير من الوثائق المصورة التي تثبت ذلك.

وهي كلها تدل على المدى الذي يتعامل به فقهـاء المسـلمين مع المسيحيين، وكان الأجدر بوسائل الإعلام أن تعتبر هذا التسامح هو المقياس الذي يتعامل به الإسلام مـع الأديـان المختلفـة، لكنهـا للأسـف راحت تعتـبر مـا تقـوم بـه الحركـات المسـلحة كـداعش والقاعدة وغيرها هي المقياس، وتقوم بتعـتيم كبـير على التسـامح في إيران، لتسيء بذلك إلى الإسلام.

2 ــ الأقليـة اليهوديـة في إيـران ومظـاهر التعامـل المتسامح معها:

كما هو معلوم؛ فإن الأقلية اليهودية في إيران تعتبر من أقدم الأقليـات في العـالم؛ فهي موجـودة فيهـا ــ كمـا تـذكر المصـادر التاريخية ـ قبل أكـثر من ثلاثـة آلاف عـام، حيث وصـلوا إليهـا بعـد استيلاء الملك بخت نصر على القـدس، وقيامـه بسـبي الآلاف من اليهود ونقلهم إلى بلاد ما بين النهرين، ومن بابل إلى إيران.

وخلال فترة إقامة اليهـود في بابـل، قـدمت هـذه الجماعـات المساعدة للفرس الـذين احتلـوا العـراق في ذاك الـوقت، ونقلـوا لهم المعلومات المهمة عن الجيش والتحصينات، لتسـقط المدينـة عـام 539 قبـل الميلاد، ومقابـل مسـاعدتهم للفـرس سـمح لهم الملك كورش مؤسس الإمبراطورية الفارسـية، بالمغـادرة إلى أي مكان يريدونه، وجزء كبير منهم فضل البقاء في إيران.

---

[1] المرجع السابق.

ولذلك يعتبر اليهود إيران [أرض كـورش] الـذي حـررهم،وهم يعـتزون بهـذه الحادثـة، (الـتي تعـبر عن البقـاء ونجـاة اليهـود من المـوت في زمن الإمبراطوريـة الفارسـية، وغالبًـا مـا تسـرد هـذه الحكايـة خلال احتفـالاتهم تقديسًـا لهـذا الملـك الـذي جعـل بعض اليهود يرتبطون بإيران أكثر من ارتباطهم بإسرائيل)[1]

وبما أنه كان لليهـود علاقـة طيبـة بالشـاه، بحكم علاقتـه مـع أمريكا والكيان الصهيوني، وإقامتـه سـفارة لهـا في طهـران، فقـد كان ذلك مثـار رعب للجاليـة اليهوديـة، والـتي تصـورت أن الثـورة الإسـلامية سـتقوم بإبادتهـا، وعمـل الإعلام المغـرض عملـه في إشـاعة ذلـك، وإشـاعة المعـاملات السـيئة الـتي سـتلقاها جميـع الأقليات في ظل الحكم الإسلامي.

ولذلك نرى قادة الثورة الإسلامية يستثمرون كل مناسبة للرد على هذه الدعايات المغرضة، ومن ذلك قول الخميني في لقاء لـه مـع جمـع من أعضـاء الطائفـة اليهوديـة في إيـران عقب انتصـار الثورة الإسلامية: (عنـدما كنـا في بـاريس كـانت سـوق الـدعايات رائجة في مختلف المجالات، ومن جملة تلك الـدعايات كـان يقـال إذا انتصر المسـلمون في إيـران سـوف يوقعـون المجـازر بـاليهود والنصـارى لأن المسـلمين يخططـون لقتـل جميـع اليهـود، وقـد أوضحت مراراً في مقابلاتي التي أجريتها الحقيقة الـتي يـؤمن بهـا الإسلام، وقد أتاني ممثل الطائفة اليهودية وتحدثت معـه عن منهج الإسلام) [2]

وبعد حديث طويل عن حقيقة الإسلام، وعلاقته بالإنسان، راح يطمئنهم، بأنه لم يحدث أبدا وأن تعرضت الأقليات الدينية في ظل الحكم للإسلام، لأي ممارسـات عنـف، ثم راح ينفصـل بين موقـف الثـورة الإسـلامية من اليهـود في مقابـل موقفهـا من الصـهاينة؛ فيقول: (إننا نفصل بين اليهود وبين الصهاينة، فالصهيونية لا علاقـة

1() انظر مقالا بعنوان: كيف يعيش يهود إيران في ظل حكم الجمهورية الإسلامية؟، نور علوان، موقع نون بوست، 26 أغسطس 2017..

2() صحيفة الإمام، ج7، ص: 218.

لها باليهودية، لأن تعاليم موسى سلام الله عليه تعاليم إلهية، وقد ذكر القرآن الكريم موسى أكثر من بقية الأنبياء، كانت تعاليمه قيمة، وذكر القرآن تاريخ موسى وسيرته مع فرعون .. كان راعياً للغنم ولكن كان معه عالَمٌ من القوة والإرادة وقد نهض لمواجهة طغيان فرعون وقضى عليه، لقد كان الاعتماد على القدرة الإلهية والاهتمام بمصالح المستضعفين في مواجهة المستكبرين وعلى رأسهم فرعون والنهوض في وجه المستكرين، منهج موسى سلام الله عليه، وهذا المعنى مخالف تماماً للمشروع الصهيوني، إذ ارتبط الصهاينة بالمستكبرين، إنهم جواسيسهم وأجراء عندهم، ويعملون ضد المستضعفين، خلافاً لتعاليم حضرة موسى عليه السلام الذي اعتمد على هؤلاء الناس العاديين، مثل بقية الأنبياء من أبناء السوق والأحياء الشعبية، ونهض بهم ضد فرعون وجبروت فرعون، وكان المستضعفون هم الذين تصدوا للمستكبرين وأسقطوهم عن استكبارهم خلافاً لسلوك الصهاينة المرتبطون بالمستكبرين، ويعملون ضد المستضعفين)[1]

وهكذا راح يطنب في المقارنة بين اليهودية الحقيقة، والصهيونية التي استعملت اليهودية وسيلة للتغرير والخداع، يقول: (إن هذا التعداد من اليهود الذي خدع وجُمع من أقطار العالم في فلسطين، لعلهم الآن نادمون، إن من كان يهودياً ولا يريد أن يتبع غير تعاليم موسى السامية، لعلهم نادمون الآن لذهابهم إلى فلسطين، وذلك لأن من يذهب إلى هناك ويشاهد سلوك هؤلاء وكيف يقتلون الناس بلا مبرر باسم اليهودية، لا يمكن أن يقبل بذلك؛ فهذه الممارسات تتعارض مع تعاليم موسى عليه السلام، إننا نعلم أن حساب المجتمع اليهودي غير حساب الصهاينة، وإننا معارضون لهم ومعارضتنا نابعة من كونهم يعارضون جميع الأديان إنهم ليسوا يهوداً، بل هم أناس سياسيون يقومون بأعمالهم تحت غطاء اليهودية؛ فاليهود يكرهونهم، وجميع الناس يجب أن يكرهوهم) [2]

---

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 220.

[2] المرجع السابق، ج7، ص: 221.

وبعد هذه الأحاديث الدعوية التي أراد الخميني من خلالهـا أن يعـرفهم بعظمـة الإسـلام، وعلاقتـه بموسـى عليـه السـلام، راح يطمئنهم بأن الدولة الفتيـة لن تضـيع حقـوقهم، وسيعيشـون فيهـا مثل سائر المواطنين الإيرانـيين الـذين تجمعهم المواطنـة؛ يقـول: (وأما الطائفة اليهودية، وسائر الطوائف الموجودة في إيران؛ فهي من هذا الشعب، فإن الإسلام يتعامل معهم كمـا يتعامـل مـع بقيـة طوائف هذا الشعب، إن الإسلام لا يجيز الإجحـاف بحقهم أبـداً، ولا محاربتهم في معيشـتهم، فهـذا مخـالف لأصـل التربيـة الإسـلامية، مخالف لما يريده الله تبارك وتعالى من الرفاهيـة لجميـع النـاس.. إن الإسلام يتبع الأحكام الإلهية، فكما أن الله تبارك وتعالى يفـرض الاحترام لجميع طوائف الشعوب، كذلك الإسلام يفرض احترامهم. اطمئنوا لهذا، إنني قد ذكرت هذا حينما كنت في باريس للشـخص الذي جـاءني ممثلا عنهم، وقلت لـه بـأن الإسـلام لا يرضـى بإيـذاء أحد، الإسلام للجميع، وينشد السعادة للجميـع، فلا معـنى لمـا يثـار من أن المسلمين سيفعلون باليهود كذا وكذا. لقـد شـاهدتم كيـف انتصـر المسـلمون ومـع ذلـك لم يتعرضـوا لليهـود، ولم يتعرضـوا للزردشـتيين، لم يتعرضـوا لبقيـة الطوائـف، وقـد رأيتم ذلـك بـأعينكم ... هـل تعـرض أحـد ليهـودي بعـد انتصـارنا؟ هـل تعـرض لنصراني؟ هل تعرض لزردشتي؟ لم يكن هناك تعـرض في الـبين. وبعد هذا أيضاً عندما تقـام وتسـتقر الحكومـة الإسـلامية- إن شـاء الله- بالشكل الذي يريـده اللـه تبـارك وتعـالى، فسـوف تـرون أن الإسلام أفضـل من جميـع المنـاهج الأخـرى فيمـا يرتبـط بمراعـاة حقـوق جميـع فئـات الشـعب، وسـوف يعمـل بشـكل أفضـل من الجميع) [3]

وبعد ختام جلسـته معهم راح يرفـع يديـه بالـدعاء كعادتـه مـع المسـلمين، ويلقي عليهم تحيـة الإسـلام، ومن دعائـه المختلـط بخطابه لهم: (أسأل الله تبارك وتعالى أن يكون جميـع النـاس في رفاهيـة، وأن تتحقـق لهم السـعادة والهدايـة. هـداهم اللـه جميعـاً للصراط المستقيم، منَّ الله على الجميع بالسعادة.. واطمئنوا إنـه

---

(3) المرجع السابق، ج7، ص: 222.

لا يوجد ظلم في الجمهورية الإسلامية. إننا لا نَظلم ولا نُظلم، هـذا ما علمنا الإسلام: لا تَظلموا ولا تُظلموا، فبمقدار ما نستطيع لا نقع تحت الظلم، ولا نَظلم في أي وقت أبـداً، وفقكم اللـه تعـالى. احرصوا على مساهمتكم في هذه النهضة، كي يتسنى لهـا تحقيـق أهدافها. إن هذه النهضة نهضة انسانية لذا يجب على جميع النـاس تأييدها. منّ اللـه تعـالى عليكم بالسـعادة جميعـاً.. والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1]

وقد صـدّق الواقـع الإيـراني مـا ذكـره الخميـني، حيث عـاش اليهود كل هذه الفترة في اسـتقرار مثلهم مثـل سـائر المواطـنين الإيرانيين.

ومن الشـهادات الدالـة على ذلـك مـا ورد في تقريـر بعنـوان [قصة يهـود إيـران الـتي لا تصـدّق]، في موقـع يهـودي، جـاء فيـه: (وفي الحقيقة، تضـاءلت الجاليـة اليهوديـة في إيـران منـذ الثـورة الإسلامية الإيرانية، وقد هاجر نحو 70 ألـف يهـودي من إيـران إلى إسرائيل في أعقابها. إلا أنّ وضع الجالية اليهودية اليوم في إيـران يعتبر جيدا.. حتى أن هناك ممثلا دائم للجالية اليهوديـة في مجلس الشورى الإيراني.. ويعيش 80 مليون نسمة في إيران، ويقدّر عدد الجالية بنحو 20 ألف شـخص على الأكـثر، رغم ذلـك، لـديها مقعد في مجلس الشورى باعتبارها أقلية معترفا بها)[2]

ونقل الموقع بعض شهادات اليهود على ذلـك، ومنهـا شـهادة الناشطة الاجتماعية الإسرائيلية التي وُلدت وترعـرعت في إيـران، [أورلي نوي] التي ذكرت أنه (اليوم تتعامل السلطات الإيرانية مـع الجالية اليهودية من وجهة نظر معادية لإسرائيل جدا، ولكن ليست معادية للسامية)

ونقـل شـهادة ممثـل الطائفـة اليهوديـة في مجلس الشـورى الإسلامي الإيراني [سيامك مره صدق]، وهو بروفيسـور في الطب،

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 222.

[2] قصة يهود إيران التي لا تصدّق، يردين ليخترمان، موقع المصدر، 05 نوفمبر 2016.

وزوجته دكتورة في علم الوراثة، وذلـك في مقابلـة أجـريت معـه، ومما جاء فيها: (لدينا [يهود إيران] كُنس ومدارس ومقابر ومتـاجر جـزارة حلال ومطـاعم حلال. ويُسـمح لليهـود التعلم والتعليم في الأكاديمية الإيرانية أيضا)

وعندما سُئل عن هويته، وهل هي اليهودية أم الإيرانية، قـال: (أنا يهودي وإيراني. أصلّي بالعبرية، ولكنني أفكر بالفارسية)

وورد في تقرير صحفي آخر أجري مـع الطائفـة اليهوديـة في إيـران، وهـو بعنـوان: [كيـف يعيش يهـود إيـران في ظـل حكم الجمهورية الإسلامية؟]، جاء فيه: (لأكثر من 35 سـنة واليهـود في إيران يعيشون تحت ظل الأحكام الإسـلامية، وتبـدو هـذه المسـألة مشوقة لمعرفة كيف كانت أوضـاعهم وأحـوالهم في هـذه الفـترة وما حقوقهم وما العواقب التي يعيشونها داخل بلدهم الأم إيران؟)[1]

وقد نقل هذا التقرير بعض شـهادات رجـال الـدين من اليهـود الإيرانيين، ومنهم [روبرت خالدر]، وهـو أحـد أعضـاء مجلس إدارة المعبد اليهودي، الذي قـال: (الثـورة الإسـلامية عـام 1979 كـانت خطوة مهمة في حياة يهود إيران، لأن هذه الثـورة منحتنـا حقوقنـا الكاملة في ممارسة عقائـدنا وشـعائرنا، كمـا أنهـا جعلت الشـعب اليهودي في إيـران أكـثر تـدينًا وتمسًـكا بعقائـدهم بسـبب الحريـة الدينية والثقافية التي منحت لهم)[2]

ومنهـا شـهادة مسـؤولة إدارة مستشـفى خـيري في جنـوب طهران ـ يعتبر واحدا من أربع مستشفيات خيرية لليهود في العالم ـ [فـارنغيس حاسـيدم]، والـتي قـالت فيهـا: (عنـدما يـأتي مـريض للمعالجة فإننا نسأله بماذا يشعر ومـا الـذي يؤلمـه، ولا نسـأله مـا دينـه ومـا عقيدتـه، 95 بالمائـة من مرضـانا وطاقمنـا الطـبي غـير

---

[1] انظر مقالا بعنوان: كيف يعيش يهود إيران في ظل حكم الجمهورية الإسلامية؟، نور علوان، موقع نون بوست، 26 أغسطس 2017.

[2] المرجع السابق.

يهود) (3)

وذكرت أن هذا هذا المستشفى يعتمد بشكل أساسي على التبرعات التي يقدمها يهود إيران أو الخارج، لكن في السنوات الأخيرة قام الرئيس أحمدي نجاد بتقديم تمويل مادي لهذا المستشفى بمبلغ 32 ألف دولار أسترالي، (والذي اعتبر رسالة إيجابية جدًا من الحكومة لليهود والتي كان لها مكانة وأهمية معنوية عظيمة، هذا بحسب ما قاله المدير العام للمستشفى سياماك مورسيديغ)

ومن الأمثلة على حرية إبداء الرأي لليهود الإيرانيين موقفهم مما ذكره الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد من المحرقة اليهودية واعتباره إياها خرافة، مما أثار غضب الجالية اليهودية في إيران، وقد عبر ممثل اليهود في البرلمان الإيراني [موريس معتمد] في فيلم وثائقي عن يهود إيران، عن رأيه في ذلك قائلًا: (عندما نفى السيد نجاد حقيقة الهولوكوست في فترة استلامه الحكم، قمت أنا بإصدار تصريح معترضًا على خطابه، ولقد لقي هذا الاعتراض صدى كبيرا في دول العالم المختلفة، والتي زاد تعاطفها مع الشعب اليهودي الذي شعر بالإهانة بسبب وجهة نظر الرئيس)

وعندما سئل هذا النائب عن شعور المجتمع اليهودي في إيران بالتهديد بسبب هذا التصريح المعادي للسامية قال معتمد: (لحسن الحظ، لم نشعر بأي تهديد، فالسياسية العامة للحكومة الإيرانية لم تكن معادية للسامية)

وأشار إلى أن التميز الوحيد الذي يطبق ضدهم هو وجود قانون يذكر أنه في (حال اعتنق اليهود الدين الإسلامي؛ فإن أملاكه تورث للحكومة وليس لعائلته اليهودية إلا إذا أسلمت)

وهذا مبني طبعا على حكم فقهي تبنته الجمهورية الإسلامية، وهو في حقيقته في صالح اليهود، لأنه يجعلهم يمنعون أتباعهم من اعتناق الإسلام، ونتمنى أن يعيد فقهاء الجمهورية الإسلامية النظر

---

(3) المرجع السابق.

في هذا القانون، لأن هناك أقوالا أخرى في المسألة، بالإضافة إلى عدم وجود نص صريح في القرآن الكريم يمنع ذلك، ونجد نفس القول في كتب الفقه السني، بل تعتبره قولا راجحا.

3 ـ الأقلية الزرادشتية في إيران ومظاهر التعامل المتسامح معها:

تعتبر الديانة الزرادشتية، والتي يطلق عليها أيضا لقب [المجوسية] من الديانات الموجودة في إيران منذ القديم، وهي تنتسب لمؤسسها زرادشت، وتعتبر من أقدم الديانات الموحدة في العالم، وقد تأسست قبل 3500 سنة تقريبا.

وهي من الديانات التي وقع فيها الخلاف بين علماء المسلمين؛ فمنهم من يعتبرها من الديانات السماوية، وأن الزرادشتيين المجوس من أهل الكتاب، ولذلك يرون جواز الزواج منهم، وهو القول الذي انتصر له ابن حزم، وذكر الأدلة عليه، وذكر أنه مذهب الكثير من العلماء.

وقد كان لابن حزم من العلم بالملل والنحل ما يؤهله لمعرفة ذلك، وقد قال في الفصل: (أما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته) [1] ثم عقب على ذلك بقوله:(ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(فاطر:24)، وقال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾(النساء: 164)[2]

ثم بين أن الذي ينسب إليه المجوس من الأكذوبات باطل مفترى منهم، واستدل على ذلك بالتحريفات الواقعة في الديانات المختلفة،، ثم بين قاعدة جليلة في ذلك فقال:(وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها، وكانا

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل :1/90.

[2] المرجع السابق :1/90.

محظورين على من سواهما فالتبديل والتحريف مضمون فيهما، وكتاب المجوس وشريعتهم إنما كان طول مدة دولتهم عند المؤبذ، وعند ثلاثة وعشرين هربذا، لكل هربذ سفر قد أفرد به وحده لا يشاركه فيه غيره من الهرابذة ولا من غيرهم، ولا يباح بشيء من ذلك لأحد سواهم، ثم دخل فيه الخرم بإحراق الإسكندر لكتابهم أيام غلبته لدارا بن دارا، وهم مقرون بلا خلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم) [1]

ونفس ما دفع به ابن حزم عن زرادشت ما نسبه إليه المجوس ذكره غيره من العلماء، قال الباقلاني:(وكذلك الجواب عن المطالبة بصحة أعلام زرادشت إما أن نقول إنها في الأصل مأخوذة عن آحاد، لأن العلم بصدقهم غير واقع لنا، أو نقول إنه نبي صادق ظهرت على يده الأعلام، ودعا إلى نبوة نوح وإبراهيم، وإنما كذبت المجوس عليه في إضافة ما أضافته إليه من القول بالتثنية وقدم النور والظلام وحدوث الشيطان من فكرة وشكة شكها بعض أشخاص النور، وهو بمنزلة كذب النصارى على المسيح عليه السلام من دعائه إلى اعتقاد التثليث والاتحاد والاختلاط، وأن مريم ولدت مسيحا بلاهوته دون ناسوته وغير ذلك) [2]

وقد ذكر ابن حزم أن هذا القول ليس بدعة للمتأخرين، بل أن من السلف من قال بذلك، قال:(وممن قال أن المجوس أهل كتاب علي بن أبي طالب وحذيفة رضي الله عنهما، وسعيد بن المسيب وقتادة وأبو ثور وجمهور أصحاب أهل الظاهر، وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول في كتابنا المسمى الإيصال في كتاب الجهاد منه وفي كتاب الذبائح منه وفي كتاب النكاح

---

[1] المرجع السابق:1/90.

[2] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:203.

منـه) [1]، ثم قـال:(ويكفي من ذلـك صـحة أخـذ رسـول اللـه ﷺ الجزية منهم، وقد حـرم اللـه عـز وجـل في نص القـرآن في آخـر سورة نزلت منه وهي براءة أن تؤخذ الجزية من غير كتابي)

وأحببنا أن نشر إلى هذا للرد على تلك الإهانات الكبيرة الـتي يوجهھـا الإعلام المغــرض، والكثــير من الإســلاميين للديانـــة المجوسية، وينسبون الثـورة الإسـلامية إليهـا، ويـرون أنهـا امتـداد للمجوسية، وكلا الموقفين خاطئ، أما الأول؛ فالمجوسية لا تختلف عن الديانات السماوية، وهي ديانة توحيدية، والواجب احترامها.

وهي بالإضافة إلى ذلك لا تتواجـد في إيـران وحـدها، حسـبما يعتقد الكثـير، بـل هي تتواجـد في منـاطق كثـيرة، وقـد قـدر عـدد الزرادشــتيين في العــالم بين 124،000 إلى 190،000 نســمة حسب إحصاء عام 2004، وهم ينتشـرون في المنـاطق التاليـة: (69،601 زرادشتي في الهنـد حسـب إحصـاء 2001 يتكونـون من قوميتين وهما بارسـي وإيـراني، و5،000 زرادشـتي في باكسـتان يتركزون في مدينة كراتشي، وازداد عددهم في السنوات الأخـيرة بشكل كبير بعد هجرة الكثـير من زرادشـتي إيـران إلى باكسـتان، ومــا بين 18،000 إلى 25،000 زرداشــتي في قــارة أمريكــا الشمالية، و21،400 زرادشتي في إيران، حيث يتواجـدون بشـكل خاص في مدن يـزد وكردمـان إضـافة إلى العاصـمة طهـران كمـا يوجد لهم نـائب في البرلمـان الأيـراني وهـو من أصـول كرديـة، و 10،000 زرادشــتي في منــاطق آســيا الوســطى وخصوصــا في منطقــة بلخ الواقعــة في شــمال أفغانســتان، وفي جمهوريــة طاجيكستان، والتي كانت موطن الديانة المجوسية سـابقا، وتوجـد جالية كبيرة في أستراليا يقدر عددهم 3،500 وخصوصا في مدينة سـيدني، و40،000 نسـمة في شـمال سـوريا بمنطقـة تسـمى عفرين في مدينة حلبو أيضا في الشمال الشـرقي من سـوريا في مدين قامشلي وجوارها، وعدد كبير منهم في مـدن شـمال عـراق

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل :1/90.

وخاصة مدينة موصل وكلهم من الأكراد) [1]

وأما الثاني؛ فعجيب جدا، وقد رددنا عليه بتفصيل في الجزء الأول من هذه السلسلة، وقد أشار إليه الخميني في خطاباته متأسفا، ومن ذلك قوله عن دعاوى صدام حسين التي كان يطلقها، ويزعم فيها أن حربه على إيران هي حرب على المجوس: (ماذا نعمل مع مثل هذا الفاسد الذي يريد تدمير العراق وإيران كما يتصور؟ ولا ندري ماذا نعمل مع مثل هذا الرجل الذي يقول منذ البداية بأننا نريد مواجهة النظام الزرادشتي أو المجوس رغم أن الشعار الذي نرفعه هو شعار (الله اكبر)؟ .. إن كل العمارات الاسلامية الموجودة في العراق أو معظمها هي من صنع الإيرانيين، فكيف يحارب هذا الرجل إيران باسم محاربة الزرادشتية أو الفارسية؟ وهل يعتبر كون إيران فارسية منقصة؟ ويدعي انه يحارب الإيرانيين لانهم مجوس ثم علم ان الصفعة جاءته من الاسلام بشعار [الله اكبر]) [2]

بل إن من أهداف الثورة الإسلامية التي أعلنتها في كل محل الوقوف ضد تلك السياسات التي كان ينتهجها الشاه، ويريد من خلالها إعادة إيران إلى ما قبل الإسلام، وقد أشار الخميني إلى هذا في مواضع كثيرة من كتبه وخطبه، ومنها قوله: (هل يعلم هؤلاء الذين يتذرعون بالذرائع المختلفة، ويواصلون صمتهم بل يأمرون أحياناً بالصمت، ما هي التطورات التي ستحدث لاحقاً؟ هل قرأوا جريدة (اطلاعات) رقم 15575 التي نشرت ورقة شكر قدمها الزرادشتيون إلى الشاه جاء فيها: إن المجتمع الزرادشتي فيالعالم يرى من واجبه تقديم الشكر والعرفان للشاه وشعر بالمسؤولية لذلك، لأن أحداً لم يعمل من أجل إحياء وحفظ التاريخ والثقافة والدين الزرادشتي، ولم يقدم الدعم لهم، كما فعل الشاه، وذلك منذ أن هاجر الباريتون الأرض الإيرانية.. أعَلِمَ هؤلاء

1() انظر مقالا بعنوان: الديانة الزرادشتية، اعداد وتقديم : سيد مرتضى محمدي، القسم العربي، موقع تبيان.

2() صحيفة الإمام، ج16، ص: 368.

أن تغيير التاريخ الإسلامي إلى تاريخ المجوس كان إحياء للزرادشتية ومذهبها ومعابد نيرانها على حساب الإسلام؟ ألهم عِلم أنّه قال في لقاء خارج البلاد: (إنّه ليس للمذهب دور في حكومتي)؟ .. اليوم وبعد ممارسة الوان الكبت وسلب الحريات بأشكاله المختلفة وممارسة الضغوط التي لا تطاق، فإن إيران الواعية على اعتاب انفجار عظيم، وتمضي قدماً بخطى حثيثة)[1]

بعد هذا التوضيح الذي رأينا ضرورته، نذكر أن إيران تحت ظل ولاية الفقيه، تعاملت مع الزرادشتيين بنفس معاملتها مع سائر أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، وسمحت لهم بأداء شعائرهم وطقوسهم بكل حرية، بل سمحت لهم بأن يمثلهم نائب خاص بهم في مجلس الشورى.

وقد كان هذا الموقف مثار سخط لدى المغرضين، الذين لم ينظروا إلى هذا باعتباره خلقا إسلاميا، وهو من حقوق الإنسان التي جاء الإسلام بالدعوة لمراعاتها، بل رأوا فيه تأكيدا لما يطلقون عليه [مجوسية إيران]

وكمثال على هذا، ما ورد في مقال بعنوان [الزرادشتية في إيران: الأصل الثقافي والتوظيف السياسي]، والذي راح صاحبه يفسر كل تلك المواقف المتسامحة من الإيرانيين مع الزرادشتية باعتبارها إحياء لها؛ فمما جاء فيه قوله: (الظهور العلني لطائفة من أعضاء الكهنوت الزرادشتية في حديقة شرق إيران في حفل يسمى [ساد[بداية شهر فبراير الجاري، واستعدادهم لتنظيم عيد النوروز والاحتفال بمولد زرادشت، هي مظاهر متظافرة على الوجود العلني لأتباع الديانة الزرادشتية، وجود يثير مفارقة متصلة بدواعي تغاضي نظام سياسي ديني منغلق مثل النظام الإيراني عن تواصل وجود هذه الديانة القديمة، ويدفع إلى البحث في العوامل الكامنة وراء تواصل بقاء هذا المكون الديني في ظل

1() المرجع السابق، ج3، ص: 330.

نظام يقصي كل ما يختلف عن صياغته للدين والمذهب)[1]

ثم راح يـردد مـا يـذكره الإعلام المغـرض، ومـا يـردده معهم بعض الإسـلاميين الـذين ملأ الحقـد على إيـران قلـوبهم؛ فجعلهم يحولون الحق باطلا، والحسنة سـيئة، يقـول: (إيـران تحـرص على إعلاء قوميتها على الآخرين، وتتكئ على تاريخها وتبحث في ثنايــاه عما يفيد الأيديولوجيـة الحاكمـة، والفتح العـربي الإسـلامي لإيـران حــول المجتمــع الفارســي إلى مجتمــع مســلم وأحــال الديانــة الزرادشـــتية إلى مجوســـية إلا أن المجتمع الفارسي تشـــبث بفارسيته، بل أضـاف لها صـنوفا شـتى من العـداء للآخـر، وعنـدما قــرر إســماعيل الصــفوي، في القــرن الســادس عشــر، اعتمــاد المذهب الشيعي الإثني عشري مـذهبا رسـميا لدولتـه، فقـد تنكـر للأصل التـاريخي للإسـلام وانطلـق في سـعي محمـوم لاستئصـال الوجـود السـني في إيـران، وحـاول نشـر التشـيع الرسـمي بحـد السـيف. ثم جـاءت الثـورة الإيرانيـة عـام 1979 لتكـرس التصـور الصـفوي وتطـوره إلى ثـورة إسـلامية بمـذاق شـيعي سـعت إلى تصديره خـارج مجالها السياسي، وفي كـل هـذه المحطـات كـانت الزرادشـتية حاضـرة في المخيـال الشـعبي الإيـراني، بـل كـانت مستفيدة من هذا التعاقب، فبعد الفتح الإسلامي كانت الزرادشتية بالنسبة إلى الفرس (حتى من غير المؤمنين بهـا) تمثـل ضـربا من الانتمـاء إلى مرحلـة مـا قبـل العـرب، أي أنهـا كـانت إحالـة على الماضي الفارسي التليد بالنسبة إليهم، ذلـك أن العصـبية الإيرانيـة ولئن استوعبت الإسـلام إلا أنهـا واصـلت عنصـريتها تجـاه العـرب. تشبثت بالإسلام وحـاولت احتكـاره وفي ذات الـوقت كـانت تنظـر إلى الزرادشتية باعتبارها منهلا حضاريا يحق لها أن تفخر به)[2]

وهكــذا راح يــردد مثــل هــذا الهــراء، ويبــني الكثــير من الاسـتنتاجات الـتي لا تسـتند لأي معطيـات علميـة، ولـو أنـه كلـف

---

[1] () الزرادشتية في إيران: الأصـل الثقـافي والتوظيـف السياسـي، عبـدالجليل معـالي، موقع العرب، 17/2/2017.

[2] () المرجع السابق.

نفسه، وقرأ ما كتبه قادة الثورة الإسلامية، ومواقفهم لاحترم نفسه، ولما ردد أمثال هذه الدعاوى.

وهو يدعو في مقاله ـ مثل الكثير من الإسلاميين ـ النظام الإيراني إلى استئصال شأفة كل المجوس في إيران، وربما الذهاب إلى مواطنهم في البلاد الأخرى للقضاء عليهم، حتى يثبت أنه ليس مجوسيا، يقول في ذلك: (النظام القائم بعد الثورة الإيرانية مارس غض نظر واضح عن الديانة الزرادشتية، كان النظام الإيراني يحارب أصحاب البدع الدينية ويصدر أحكاما بالإعدام بتهمة محاربة الله وتهديد الأمن القومي الفارسي، وفي الوقت نفسه كانت الديانة الزرادشتية تحظى بممثل في مجلس النواب من منطلق الحريات الدينية، وكان النظام الإيراني بهذه الازدواجية يضرب عصافير عديدة بحجر واحد، فهو يقدم صورة للعالم على أنه متسامح مع الأديان والمذاهب، وهو يغازل المجتمع الإيراني بتصالحه مع ما تمثله الزرادشتية من إرث لدى عموم الشعب، وهو يقدم ما يثبت وفاءه للحظة إسماعيل الصفوي وعنصرية المجتمع الفارسي، أي أنه لا يلبس تهمة محاربة الله لكل ما يصدر عن الثقافة الفارسية)[1]

ويستنتج نتائج أخرى أكثر غرابة؛ فيقول: (الحضور المتزايد للديانة الزرادشتية القديمة في إيران، هو تعبير عن تداخل العوامل التاريخية والقومية والدينية والمذهبية والاجتماعية، والثابت أن العقل الإيراني توصل إلى صياغة متصور ثقافي مركب يسعى إلى التوفيق بين الأصل الزرادشتي والتشيع الرسمي، فاللغة الفارسية والتقويم والأشهر والعادات والاحتفالات وحتى مكان دفن الإمام علي الرضا الإمام الثامن المجاور لمدفن زرادشت، كلها مظاهر دالة على التشبث الإيراني بالمنطلق الزرادشتي، بل توجد العديد من القراءات التي تعتبر أنه تم تطويع العادات الزرادشتية القديمة لخدمة التشيع السياسي الإيراني، ومثلها الاحتفالات السنوية بعيد النوروز هي في حقيقتها احتفال زرادشتي، تمارس علنا وبتشجيع رسمي إيراني وتمارس خلالها

---

(1) المرجع السابق.

تقاليد القفز فوق النار، لتتاح الفرصة بعد ذلك للزرادشتيين لإحياء مولد زرادشت بعد أيام قليلة من رأس السنة الفارسية)[1]

هذا مثال عن النظرة العجيبة التي يتعامل بها الإسلاميون وغيرهم مع إيران؛ فهي لا تنجو منهم في حال من الأحوال؛ فلو أنها قمعت الزرادشتية، وأساءت إليها لصوروها بصورة المجرم، وراحوا ينقلون لها النصوص التي تدعو إلى التسامح، وإذا ما تسامحت راحوا يتهمون بالدعوة للمجوسية، بل للتدين بها..

ثالثا ــ ولاية الفقيه والتعامل مع الاختلاف المذهبي:

من أهم القضايا التي استثمرها أعداء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأعداء نظامها الإسلامي قضية الاختلاف المذهبي، أو ما يسمى [الخلاف السني الشيعي]؛ ولذلك نرى الكثير من المغرضين، بما فيهم الحركات الإسلامية نفسها، لا تعتبر النظام الإيراني نظاما إسلاميا، بل لا تعتبر إيران نفسها مسلمة، لسبب بسيط، وهي أن قادتها ليسوا من المدرسة السنية، بل من المدرسة الشيعية.

ولهذا نجدهم يفضلون الحكم الملكي المتواجد في المنطقة، المعروف بولاءاته للغرب، ولأمريكا خصوصا، على النظام الإيراني، ويعتبرونه حكما إسلاميا راشدا، بل يعتبرون كل نظام في الدنيا أفضل من النظام الإيراني، حتى لو كان مستبدا ظالما ولا علاقة له بالإسلام، بل إن الحقد وصل بهم إلى اعتبار نظام الشاه أفضل من النظام الذي يسمونه [نظام الملالي]

وقد ترجموا عن هذا الحقد بكل اللغات، وألبسوه جميع الألبسة، فاستعملوا اللغة الأكاديمية التي تحتال لتحول من النظام الإيراني مؤامرة غربية خفية لضرب الإسلام السني، ويستعملون اللغة الخطابية والعاطفية ليجعلوا من إيران مجوسا، لا علاقة لهم بالإسلام، وأنهم لم يدخلوا إلى الإسلام، وإنما تظاهروا به، حتى

---

[1]) المرجع السابق.

يخربوه من داخله.

ولن نحتاج إلى ذكر الأدلـة على ذلـك هنـا، ذلـك أن الكتب [1] والمحاضرات والأشرطة الوثائقية وكـل مـا في الـدنيا من وسـائل استثمر ليغرس هذه المفاهيم، لتمتلئ القلوب أحقادا على النظـام الإيراني، بل على الشعب الإيراني نفسه.

ويحتجـون لـذلك كلـه بالتضـييق على أهـل السـنة، ومنعهم حقوقهم، ومنعهم من بناء المساجد أو الصلاة فيها، والنهي عن أن يسموا أنفسـهم بأسـماء الصـحابة، ومنعهم من الـدخول للبرلمـان في نفس الوقت الذي يسمحون فيه لليهود بالدخول إليـه، وغيرهـا من الأيقونات الحاقدة التي صار الجميع يرددها من غير أن يتحقـق منها.

ومن الأمثلـة على ذلـك مـا ورد في كتـاب تحريضـي مملـوء بالمغالطات الـتي لا يقصـد منهـا إلا الشـحن العـاطفي والتحـريض الطائفي، ألقاه بشكل محاضرات الشيخ ممدوح الحـربي، وجمعت في كتـاب باسـم [موسـوعة الشـيعة]، ذكـر فيـه مـا توهمـه من مؤامرات على أهل السنة، وحاول أن يقارن فيـه بين الوضـع أيـام الشاه، والوضع الجديد، ليفضل فيه أيام الشاه على الوضع الجديد، وكأنه يدعو الإيرانيين إلى الانتفاضـة على النظـام الجديـد، وإعـادة النظام الشاهنشاهي.

يقول في كتابه، تحت عنوان [أهل السنة قبل الثورة الإيرانية وبعد الثورة الإيرانية]: (لا شك أن أهل السنة في زمن شاه إيــران السـابق وقبـل الثـورة الخمينيـة كـانوا يتمتعـون بحريـة البيـان في عقيدتهم، ومزاولة جميع النشاطات من بناء المسـاجد والمـدارس وإلقــاء المحاضــرات وطباعــة الكتب في خــارج البلاد، ولكن في نطاق المذهب بل كان محظـوراً وممنوعـاً منعـاً باتـاً التعـرض من الشيعة لمذهب السنة أوالسنة للشيعة) [2]

---

[1] انظر على سبيل المثال: ماذا يجري لأهل السـنة في إيـران. من منشـورات مجلس علماء باكستان عام (1986)، وأحوال أهل السنة في إيران. لعبد الرزاق البلوشي طبع (عام 1989)، أحوال أهل السنة في إيران. لعبد الله محمد الغريب طبع (عام 1989)..

ويذكر من الأمثلة على ذلك أن (رجلاً من الشيعة وزع كتاب فيه مساس بأم المؤمنين الطاهرة عائشة؛ فمسكه بعض الغيورين من أهل السنة وضربوه ضرباً موجعاً، ثم قبضت عليه حكومة الشاه، وأدخلته السجن؛ فمن هنا كان لأهل السنة والجماعة حرية تامة في نشر المعتقد السني، وتوعية الناس، وبيان التوحيد الصافي ورد الشرك، الذي صار محظوراً الآن في حكومة الملالي والمعممين، بل يعتبر الداعي إلى التوحيد الآن في إيران وهابياً يقبض عليه فوراً، كما أن أهل السنة كانوا يتمتعون بالأمن والأمان في أموالهم وأعراضهم ودمائهم في عهد شاه إيران وقبل الثورة الخمينية، كما كان يتمتع أهل السنة أسوة بالشيعة في الحصول على المواد الغذائية وبسهولة ويسر ودون تعب، أما بعد الثورة الخمينية فقد صارت كل هذه الموارد الغذائية بيد الحكومة والتي لا تقدمها إلا بعد الانقياد والخضوع أمامها للحصول على المواد المعيشية كلها)[3]

ويتطرق في كتابه إلى تفسير كل قانون يقنن في إيران باعتباره قانونا لمحاربة أهل السنة، ولا ينسى أن يختلق الأكاذيب الكثيرة من أجل ذلك، مثل المؤامرة التي عبر عنها تحت عنوان [تزويج الشيعيات الإيرانيات من أبناء السنة]، ثم بين كيفية تنفيذ هذه المؤامرة بقوله: (لقد اتخذت الحكومة الإيرانية وسائل أخرى للقضاء على أهل السنة والجماعة في إيران، منها تزويج السنة بالنساء الشيعيات، واللاتي يرسلن من قبل الحكومة بعد إعطائهن دروساً مكثفة وإقناعهن بأنهن داعيات إلى التشيع، وعليهن دعوة الأزواج وأهل بيوتهم وذريتهم إلى التشيع، وإظهار حسن الأخلاق والمعاملة الحسنة مع الزوج وأن تساير الزوج في طبيعته وشخصيته، فأحياناً تعلن الحكومة الإيرانية في أحدى مدن أهل السنة مثلاً، عن وصول امرأة [أي شيعية]؛ فمن يرغب بالزواج؛ فليبادر قبل فوات الفرصة، فيبادر أهل السنة إلى الزواج، وذلك بقصد الشهوة وقضاء الوطر من البيض الحسان، وهذا التزاوج

2() موسوعة الشيعة، ممدوح الحربي، ص110.

3() المرجع السابق ، ص110.

كثيراً ما يتأثر به الأزواج وأهلهم؛ فيميلـون إلى معتقـدات الشـيعة، وأما الأبناء الـذين يولـدون من هـذه المجنـدة الشـيعية فيتشـيعون حتماً ولا بد)[1]

ومن تلك المؤامرات [مخططات لتغيـير خارطـة أهـل السـنة في إيـــران]، وبين كيفيـــة تنفيـــذها، فـــذكر أنهم (قـــاموا بإنشـــاء مستوطنات في منـاطق السـنة، وبنـاء بيـوت حكوميـة في المـدن السنية وتوزيعها على الشيعة القاطنين بعيداً عن مدن أهل السنة، إضافة إلى جلب الأيد العاملة الشـيعية إلى منـاطق السـنة، وذلـك لتكثيف العدد السكاني الشيعي؛ فمن زار مثلاً مناطق أهـل السـنة في إيران يلاحظ نشاط الشيعة الـرهيب في إقامـة المسـتوطنات وخاصـة في كردسـتان وتركمـان وبلوشسـتان، فمثلاً كـانت مدينـة زاهدان قبل 15 عام لا يسكنها شيعي واحـد لا يوجـد فيهـا شـيعي واحد؛ والآن يبلغ تعداد الشـيعة إلى قرابـة 1.% من تعـداد سـكان مدينة زهدان، ومع تشجيع الحكومـة الإيرانيـة للشـيعة في سـكنى المناطق السنية، ففي المقابل يمنعون السنة القـادمين من خـارج إيران من الإقامة والاستيطان في أماكن السنة وخاصة المهاجرين الأفغان السنة)[2]

ومن تلك المؤامرات ـ كما يـذكر ــ أنهم (قـاموا بشـراء بعض ذمم علماء السوء من أهل السنة، وذلك بإعطائهم بعض المناصب وبناء المساكن وإجراء المرتبـات الشـهرية لهم، ومن المحاضـرات التي كان يلقيهـا هـذا النـوع من العلمـاء محاضـرة لأحـدهم كـانت بعنـوان [واعتصـموا بحبـل اللـه جميعـاً ولا تفرقـوا] بيّن في هـذه المحاضــرة أن الخلاف بين الســنة والشــيعة خلاف ســطحي، ثم يقول وإننا نؤمن أن مـا يقولونـه الشـيعة حـق، وأن القـول بولايـة الفقيه قول حق، يجب علينا أتباعه، وأن الخلاف الوحيـد بيننـا وبين إخواننا الشيعة هوفي إرسال اليد وقبضها، وهذا خلاف قد وقع بين

---

[1] () المرجع السابق، ص118.

[2] () المرجع السابق، ص118.

أهل السنة أيضاً كما هورأي عند بعض المالكية) [1]

أما حال [علماء أهل السنة في إيران]، فيذكرهم بحسرة قائلا: (كم من علماء أفاضل ألقت عليهم الحكومة القبض بدعوى أنهم يحملون المعتقد الوهابي، وكم أغلقت مدارس بدعوى أن مؤسسيها وهابيون، وبلغ الحد بهم أن هدموا إحدى المدارس بالجرافات ليلاً بدعوى أن الذي أسسها ممن يحمل العقيدة الوهابية) [2]

وهو يختم كل محاضرة من محاضراته بمثل هذا الدعاء الذي يمتلئ بالعبرات، مما يثير عواطف الحاضرين: (اللهم انصر المستضعفين من أهل السنة في إيران، اللهم احفظ نساءهم وأبنائهم ودينهم وأعراضهم وأموالهم ومدارسهم ومساجدهم من كيد الحاقدين الخبثاء، اللهم احفظ أهل السنة في كل مكان فإنهم غرباء، اللهم وأنصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم عليك باليهود والشيعة والنصارى والهندوس والعلمانيين والشيوعيين والصوفية وكل فرق الضلال الذين تحزبوا على الموحدين القائمين بدينك يا عزيز يا قهار، اللهم وفق ولاة أمورنا من العلماء والأمراء لينصروا أهل السنة في كل مكان، اللهم ارفع سيف الحق بيد الأمراء ليدفعوا الظلم والشرك عن البلاد والعباد) [3]

ولا ينسى في نهاية كل محاضرة أن يحملق في وجوه الحاضرين، ويقول لهم: (اللهم هل بلغت اللهم فأشهد، اللهم هل بلغت اللهم فأشهد، اللهم هل بلغت اللهم فأشهد) [4]

---

(1) المرجع السابق، ص115.

(2) المرجع السابق، ص119.

(3) المحاضرات المسموعة للشيخ ممدوح الحربي في موقع طريق الإسلام، وهي مفرغة أيضا في نص بعنوان [إخواننا أهل السنة في إيران]، موقع فيصل نور، 10/22/2012.

هـذه مجـرد نمـاذج عن هـذه الموسـوعة الـتي جمعت من محاضرات الداعية الكبير الشـيخ ممـدوح الحـربي، والـتي يعتبرهـا الكثير مصدرا أساسيا لهم في التعرف على كيفيـة تعامـل النظـام الإيراني مع أهل السنة.

ونحب أن نـذكر أن هـذا الداعيـة الكبـير، والـذي جمعت محاضـراته في هـذا الكتـاب، واعتـبرت مصـدرا للمعلومـات حـول المؤامرات التي يقوم بها النظام الإيراني في حق أهل السـنة، لـه موسوعة أخرى حول الطـرق الصـوفية، كفرهـا فيهـا جميعـا، وبين فيها مواضع انتشارها، وحرض عوام الناس عليها.

وهو من خلال كتبه ومواقفه يقصر أهل السنة على المدرسـة السلفية، أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهـاب، ولـذلك عنـدما يـذكر أنه لا توجد مساجد لأهل السنة في إيران، يقصد بذلك عدم وجـود مساجد للوهابية، لأنه لا يعتبر مساجد المذاهب الأربعة، ولا مساجد الصوفية، بل يسميها مساجد شرك، كما هي عـادة السـلفية، حيث نراهم في كـل مدينـة يقيمـون مسـاجد خاصـة بهم، ويعتـبرون مـا عداها مساجد مشركين.

بنـاء على هـذا، نحـاول في هـذا المطلب الـرد على هـذه الشبهة، وبيـان المغالطـات الـتي تحملهـا، والـتي يرفضـها الواقـع، وذلك عبر نوعين من الأدلة:

الأول: المواقف النظرية لقادة الثورة الإسلامية من العلاقـة بين السنة والشيعة، ومن الخلاف السني الشيعي.

الثاني: المواقف العملية من حقوق أهـل السـنة في إيـران، والامتيـازات المعطـاة لهم، والشـهادات الدالـة على كـذب تلـك الشبهات المثارة ضدهم.

وسنتناول هذين الموقفين من خلال العنوانين التاليين:

1 ـ الموقف النظري من الاختلاف المذهبي:

---

(4) المرجع السابق.

من خلال بحـثي المتـأني في كتب قـادة الثـورة الإسـلامية، وخطاباتهم، وبياناتهم، وفي أدق التفاصيل لم أجد ولو كلمة واحـدة تدل على الطائفية، ولا على كون الثـورة الإسـلامية ثـورة شـيعية، بل نجـدهم جميعـا يتحـدثون عن الإسـلام، لا عن الطائفـة، ولا عن المذهب، ويعتبرون انتصار الثورة في إيران انتصارا للإسلام وليس انتصارا لأي جهة.

وهم في كل محل ينبهون إلى هـذا، ويعتـبرون الإسـلام فـوق الطائفية، وفـوق المـذاهب، لكن المغرضـين لا ينظـرون إلى هـذا، وإنما ينظرون إلى بعض اقتباسات قادة الثورة الإسـلامية من كتب الشيعة، ويعتبرون ذلك طائفية ومذهبية وتحيزا.

ولست أدري كيف يفكر هؤلاء، وهـل يريـدون منهم، وهم في البيئـة الشـيعية أن يقتبسـوا أقـوال مالـك والشـافعي، ويواجهـوا جمهورهم الملتف حولهم بما لا يعرفونه، ولا يتمذهبون بمذهبه؟

ثم ما الضرر في أن يذكر قادة الثورة الإسلامية في أحاديثهم واقتباساتهم أقوال الإمام علي والحسـن والحسـين وسـائر الأئمـة ومواقفهم، وهم محل إجماع من الأمة جميعا؛ فهل يعتبر ذكر مالك والشـافعي إسـلاما، بينمـا ذكـر الإمـام علي والحسـن والحسـين مجوسية وطائفية وتحيزا؟

لا يمكن أن نفسـر هـذه المواقـف إلا بالجهـل والأنانيـة والكبرياء، ذلك أن الصادق ينظر إلى القيم، ولا ينظر إلى ما يرتبط بهـا؛ فسـواء أخـذنا مبـادئ الحكم الإسـلامي، ومعانيـه من كلمـات الإمام علي، أو من كلمـات غـيره، المهم أن تكـون هـذه الكلمـات متوافقة مع القرآن الكريم، ومع قيم الدين، التي هي محـل اتفـاق الأمة جميعا.

ولـذلك كـان العاقـل هـو الـذي يسـأل عن تـوفر القيم في القـوانين وصـلتها بالشـريعة الإسـلامية، ولا يسـأل من أي كتـاب اقتبسـت، ولا في أي مـذهب وردت، ولهـذا فـإن مـا نص عليـه الدسـتور الإيـراني من مراعـاة المـذهب الجعفـري في تطـبيق الشريعة، لا يعني إلا مراعاة البيئـة الـتي سـتطبق فيهـا الشـريعة،

مثلما هو حاصل في جميع البلاد الإسلامية التي تستند في أحوالها الشخصية إلى الشريعة، ثم تربطها بالمذهب السائد في البلد.

مع العلم أن إيران ـ كما سنرى ـ تترك للمناطق السنية فيها الحرية في أن تطبق المذاهب المرتبطة بها في فروع الشريعة، أما في القضايا المرتبطة بالحكم والسياسة والاقتصاد؛ فهي محل اتفاق الأمة، والخلاف فيها بسيط، لأنها أكثرها من النوازل العصرية.

بناء على هذا سنذكر هنا بعض مواقف قادة الثورة الإسلامية، ابتداء من الخميني الذي كان يتحدث باسم الإسلام، لا باسم الطائفة، بل يحذر كل حين من الإيمان بالطائفة وتقديمها على الإسلام.

ومنها ما صرح به في مقابلة صحفية مع بعض وسائل الإعلام الأجنبية، حين كان منفيا في باريس؛ فقد سأله الصحفي الأمريكي قائلا: (كيف ستعاملون الأقليات الدينية في الحكومة الإسلامية، وهم المسلمون السنة، الصوفيون، الآشوريون، المسيحون والأرمن واليهود والبهائيون؟)

فأجاب الخميني على البديهة: (أولًا الإخوة أهل السنة ليسوا بأقلية مذهبية قط، ونحن قلنا مراراً بأن سلوكنا مع الأقليات الدينية جيد جداً، فالإسلام يحترمهم، ونحن سنعطيهم جميع حقوقهم. فلهم الحق أن يكون لهم ممثل في المجلس ولهم الحرية في ممارسة النشاطات السياسية والاجتماعية، وعباداتهم. إنهم إيرانيون مثل جميع الإيرانيين يعيشون بأمان في ظل الحكومة الإسلامية)[1]

وهذا يفسر عدم وجود نص في الدستور يتعلق بحقوق أهل السنة، بخلاف النصوص الواردة حول الأقليات الدينية، ذلك أن الدستور الإيراني يعتبر أهل السنة مثل الشيعة تماما، وهم في حقوقهم ينتخبون على مرشحيهم بحسبب أعداد مدنهم، ولا علاقة لذلك بالمذهب والطائفة، وهذا من ذكاء واضع الدستور وحكمته،

[1] صحيفة الإمام، ج5، ص: 202.

لأنه لو وضعت مواد تتعلق بهذا، لاعتبرها الجميع شماعة لاعتبار إيران دولة طائفية، ويحكمها دستور طائفي، ولهذا نرى النواب من أهل السنة يفوزون في مناطقهم، لا باعتبارهم أهل سنة، وإنما باعتبارهم مرشحين زكاهم الشعب.

وقد أشار الخميني في نداء له قبل الاستفتاء الشعبي العام، إلى تلك الحرب الناعمة التي تستعمل الاثنيات الموجودة في إيران لاستثمارها في انهيار الحكم الإسلامي من بدايته، وقبل تجربته، فقال مخاطبا الشعب الإيراني: (تصل وبمنتهى الأسف أخبار مزعجة من كنبد وزاهدان واردبيل تتحدث عن قيام بعض المجموعات المنحرفة ببث الفرقة والسموم بين أهالي تلك المناطق، وترويج شائعة مفادها أن علماء الدين سيحرمون الإخوة من أهل السنة من حقوقهم المشروعة)[1]

ثم بين وجه التناقض الذي يحمله مثيرو تلك الفتن، والذين لا يعتقد أكثرهم بصلاحية الإسلام بمذاهبه جميعا للحكم أصلا، يقول: (إنني أقول وبمنتهى الأسف أن هؤلاء المنحرفين الذين يستلهمون أمريكا، ويتلبسون بلبوس اليسار، يسعون إلى إعادة عمليات النهب التي كانت رائجة في عهد النظام البائد، ولكن بأسلوب آخر) [2]

ثم يذكر العلاقة التي تربط قادة الثورة الإسلامية مع جماهير أهل السنة، والذين تشكل الطرق الصوفية أغلبهم: (إننا لانرى لنا أي خلاف مع إخواننا المسلمين من أهل السنة، ونطمئنهم بأن جميع الفئات الاجتماعية في البلاد ستنال حقوقها، سواء أكانوا من السنة أو الشيعة؛ فليس هناك من فرق بين طوائف المسلمين في الحقوق السياسية أو الاجتماعية أو غيرها، إنني اهيب بجميع الإخوة والأخوات في جميع أنحاء البلاد ألايكترثوا إلى السموم التي تبثها تلك العناصر الفاسدة وأن يتوجهوا في الغد إلى مراكز

[1] صحيفة الإمام، ج6، ص: 342.

[2] المرجع السابق، ج6، ص: 342.

الاقتراع، ويدلوا بأصواتهم لما يريدون)[1]

وفي خطاب آخر له، في المدرسة العلوية بطهـران دعـا فيـه جميـع الاثنيـات الإيرانيـة إلى المسـاهمة في إعمـار البلاد، وقـد استهله بقوله: (نحن والمسلمون من أهل السنة جسم واحد، لأننـا مسـلمون وإخـوة، وإذا قـال أحـد كلامـا يبعث على الفرقـة بين المسلمين؛ فاعلموا أنه إما أن يكون جاهلا أو أنه من أولئك الـذين يريدون الوقيعة بين المسلمين، فليس هناك مسـألة سـنة وشـيعة أبدا، الجميع إخوة)[2]

وعنـدما نجح بعض المغرضـين في إثـارة الفتن في بعض المنـاطق بعـد انتصـار الثـورة الإسـلامية، وخصوصـا في منطقـة الأكـراد، راح الخميـني يـذكرهم بـالأخوة الـتي تجمـع بين السـنة والشيعة، وقال في ندائه: (إلى اهالي كردستان المحترمين، علمنا بـأن مجموعـة تتحـرك خلافـاً للإسـلام وتثـير أعمـال شـغب في كردستان العزيزة، ولا تـترك فرصـة للمسـلمين أن ينعمـوا براحـة البـال.. إن هـذه المجموعـة تنفـذ هجمـات على الجيش وتوجـه الإهانات إلى منتسـبيه بعـد أن عـاد إلى أحضـان الشـعب المسـلم وتبعـه في نهضـته. إن مثـل هـذه الممارسـات تنـاهض الإسـلام ومصالح المسلمين.. وليعلم أهالي كردستان وسائر المناطق، بـأن أي تعـرض للجيش والجندرمـة أمـر مرفـوض من قبلنـا، كمـا أننـا لانعتقد بوجود أي خلاف بيننا وبين إخواننا من أهل السـنة فجميعنـا شعب واحد ولنا قرآن واحد)[3]

وفي خطاب مفصل لـه مـع بعض علمـاء أهـل السـنة، وفيهم الشيخ أحمد مفتي زاده وجمع من اهالي كردسـتان، راح الخميـني يبسط لهم مسائل الخلاف بين السنة والشيعة، ويربطها بالأنظمـة

1() المرجع السابق، ج6، ص: 342.

2() المرجع السابق، ج6، ص: 111.

3() المرجع السابق، ج6، ص: 305.

السياسية الجائرة، التي حاولت أن تثير الفتن بين مكونات المسلمين؛ فقال: (إن الاختلاف بين أتباع الطائفتين والمذهبين يعود في جذوره إلى صدر الإسلام، إذ سعى آنذاك الخلفاء الأمويون والعباسيون إلى إيجاد الفرقة والخلاف؛ فكانوا يعقدون المجالس لتكريس الاختلاف، ورويدا رويدا أدى هذا الاختلاف إلى ظهور حالة التنافس بين عوام السنة وعوام الشيعة، وإلا فلا عوام السنة عملوا ويعملون بسنة رسول الله ﷺ، ولا عوام الشيعة اتبعوا الأئمة الأطهار)

ثم بين مدى التعالي على الطائفية الذي مثله أئمة أهل البيت، والذين كانوا يعبرون عن الإسلام وحده، لا عن أي طائفة؛ فقال: (لقد سعى أئمتنا الأطهار إلى وضع الجميع في إطار المجتمع، فكانوا يصلون معهم، ويمشون خلف جنائزهم، ولكن الأمور اختلفت تدريجيا، وقام المتجبرون بمثل هذه الأعمال لإشغال الطائفتين ببعضهما كي يتسنى لهم أن يفعلوا ما يشاءون) [1]

ثم ذكر المؤامرات الشيطانية للمستعمرين، والتي طبقوها في إيران، كما طبقوها في سائر بلاد العالم الإسلامي لينشغل المسلمون بالصراع الداخلي عن مواجهتهم؛ فقال: (قبل ما يقرب من ثلاثمائة عام تم تنفيذ سياسة أجنبية في إيران وفي الشرق استهدفت في الغالب تحقيق مثل هذه الأمور.؛ فقد عكف خبراؤهم على دراسة الطائفتين وبعض الشخصيات ونفسيات الناس بالإضافة إلى جوانب القضايا المادية المتعلقة بنا، وحاولوا استغلالنا من طريقين: ماديا وكما ترون فقد استغلونا، ونفسياً من خلال التركيز على توسيع شقة الخلاف بيننا، وترون كيف أنه اذا تفوه أحد بكلمة واحدة؛ فإنهم يجعلونها نارا على علم، فينشرونها ويطبعونها، وهذا ليس من فعل شخص عادي، إنه عمل الحكومات والأجانب الذين يسعون إلى نشر ذلك وتوسيع نطاقه) [2]

1() المرجع السابق، ج6، ص: 81.

2() المرجع السابق، ج6، ص: 81.

ثم ذكر المشتركات الكثيرة التي تجمع بين السنة والشيعة، ودعا إلى التركيز عليها، وتهميش الخلافات الفرعية؛ فقال: (نحن معا كيان واحد غير قابل للتفكيك، والاختلاف بين المذهبين لا ينبغي أن يتحول إلى خلاف في أساس الإسلام، فالإسلام أسمى من أن يؤدي الاختلاف فيه إلى ظهور مسلك كذائي فيه.. إننا نرى الأخطار تهدد الإسلام، لذا علينا جميعا أن نتكاتف ونتجنب تلك الاشتباهات التي ارتكبت في الماضي، وأن نقطع الايدي التي تريد أن تفرقنا عن بعضنا) [1]

ثم دعا جميع المدارس السنية والشيعية إلى الدعوة إلى المشتركات للحيلولة دون تحقق المؤامرات الخارجية؛ فقال: (إنني آمل أن نتمكن من تجاوز هذه الفرقة بمساعيكم وجهودكم أنتم أيها العلماء في مناطقهم، وجهودنا نحن طلبة العلوم الدينية هنا) [2]

ولم ينس أن يذكر أن الخلافات الموجودة بين المدرستين يوجد مثلها بين كل مدرسة، ولذلك لو طبق ما يريده الأعداء؛ فسيتحول الصراع بين المدارس إلى الصراع بين كل مدرسة وأتباعها؛ يقول: (إن الاختلافات موجودة حتى بيننا نحن: كالاختلاف بين الإخباريين والمجتهدين، وهو باب من أبواب الاختلاف، والاختلاف بين الصوفية والمتشرعة، وأخيرا بين الأحزاب بعضها مع بعض، أو بين الجامعيين وطلبة العلوم الدينية، كل هذا موجود وهم يسعون إلى تكريس تلك الاختلافات كي نبقى مشغولين بأنفسنا، وهم يقضون على ما لدينا من اعتبار، فهم ينهبون ثرواتنا على الصعيد المادي وما لدينا من معنويات على الصعيد المعنوي، إلا أن شعبنا قد استيقظ الآن، سواء في أوساطكم وذلك ببركة وجودكم أنتم، أو في أوساطنا ببركة وجود علماء الدين هنا) [3]

---

[1] المرجع السابق، ج6، ص: 81.

[2] المرجع السابق، ج6، ص: 81.

[3] المرجع السابق، ج6، ص: 82.

وهكذا نرى القائد الحالي للثورة الإسلامية، والولي الفقيه لإيران، السيد علي الخامنئي، يعتبر كل داعية للطائفية بين المسلمين عميلا للأعداء، وهو يذكر أن الإسلام للجميع، وحتى [السلفية] التي يدعيها المغرضون للجميع، يقول في خطبه صلاة الجمعة بطهران، بتاريخ 03/02/2012: (.. و[السلفية] إذا كانت تعني العودة إلى أصول القرآن والسنة والتمسك بالقيم الأصيلة ومكافحة الخرافات والانحرافات وإحياء الشريعة ورفض التغرّب فلتكونوا جميعًا سلفيين، وإذا كانت بمعنى التعصّب والتحجّر والعنف في العلاقة بين الأديان أو المذاهب الإسلامية فإنها لا تنسجم مع روح التجديد والسماحة والعقلانية التي هي من أركان الفكر والحضارة الإسلامية، بل ستكون داعية لرواج العلمانية والتخلّي عن الدين)[1]

ثم راح يحذر كعادته من الإسلام الذي يدعو إليه الغرب، فيقول: (كونوا متشائمين من الإسلام الذي تطلبه واشنطن ولندن وباريس، سواء من النوع العَلماني المتغرّب، أو من نوعه المتحجّر والعنيف. لا تثقوا بإسلام يتحمّل الكيان الصهيوني لكنه يواجه المذاهب الإسلامية الأخرى دونما رحمة، ويمدّ يد الصلح تجاه أمريكا والناتو لكنه يعمد في الداخل إلى إشعال الحروب القبلية والمذهبية. وراء هذا الإسلام من هم أشداء على المؤمنين رحماء بالكافرين.. كونوا متشائمين من الإسلام الأمريكي والبريطاني إذ أنه يدفعكم إلى شَرَك الرأسمالية الغربية والروح الاستهلاكية والانحطاط الأخلاقي)[2]

وهو يدعو في كل خطاباته إلى تجاوز كل ما يثير الفتنة والفرقة بين المسلمين، وقد عبر عن ذلك في فتاواه وخطبه، ومن ذلك قوله: (على المسلمين أن يجابهوا أيّ عامل من العوامل الناقضة والمضادة للوحدة؛ هذا واجب كبير علينا جميعاً؛ الشيعة يجب أن يقبلوا هذا، والسنة أيضاً يجب أن يقبلوه، وكذلك

---

[1] انظر: وثائق الربيع العربي والصحوة الإسلامية، تحرير حسن الزين، ص343.

[2] المرجع السابق، ص344.

الفـرق والشـعب المتنوعـة داخـل الشـيعة وأهـل السـنة يجب أن تتقبّل هذا الشيء)[1]

ومن ذلــك فتــواه الشــهيرة بحرمــة المســاس بمقدســات المسلمين، وهي ليسـت مجـرد فتـوى، بـل هي من الأصـول الـتي نشأت عنها الفروع الفقهية الكثيرة، والتي تقطع كـل الحجج الـتي يتشبث عادة دعاة الفتنة من سب الصحابة ولعنهم والتــبري منهم؛ ففي سـؤال حـول معـنى التـبرّي، أجـاب مقـرر فتـاواه: (التـولي والتـبرّي الـذان يعـدان أحيانـاً ضـمن أصـول الـدين، ويعتـبران في أحيان أخـرى من فـروع الـدين، وكلا الـرأيين صـحيح، لهمـا جـانب عقيـدي وجـانب عملي. من الناحيـة العقيـدة هـو أن نعتقـد بولايـة الأوليـاء الإلهـيين ورسـل اللـه والأئمـة الأطهـار، وأن نحبّهم ونحبّ أتبــاعهم ومــواليهم، وهنــاك جــانب عملي يتمثــل في إطــاعتهم، والتبرّي هو الحالة المعاكسـة للتـولي، بمعـنى معـاداة أعـداء اللـه وأعداء أولياء الله، وعلى المكلفين أن يؤمنـوا بهـذين الأصـلين من الناحية العقيدية ويتمسكوا بهما من الناحية العملية)[2]

وهذا من المتفق عليه بين المسلمين جميعا، وهو مــا يسـمى بالولاء والبراء، وقد قرره القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُــولَهُ وَلَــوْ كَــانُوا آبَــاءَهُمْ أَوْ أَبْنَــاءَهُمْ أَوْ إِخْــوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: 22]، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَـدْ كَفَـرُوا بِمَـا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَـرَجْتُمْ جِهَـادًا فِي سَـبِيلِي وَابْتِغَـاءَ مَرْضَـاتِي تُسِـرُّونَ إِلَيْهِمْ بِـالْمَوَدَّةِ وَأَنَـا أَعْلَمُ بِمَـا أَخْفَيْتُمْ وَمَـا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْـهُ مِنْكُمْ فَقَـدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]

---

[1] () وذلك في كله له بتاريخ 19/01/2014. تزامناً مع أيام أسبوع الوحدة الإسلامية.

[2] () فتاوى الإمام الخامنئي فيما يخص أحكام أصحاب المذاهب والأديـان الأخـرى، مقـرر الفتاوى، فلاح زاده - عضـو مكتب اسـتفتاءات سـماحة آيـة اللـه العظمى السـيد الخـامنئي و رئيس مركز علم مواضيع الأحكام الفقهية، موقع الخامنئي، بتاريخ: 12/12 /2016.

لكن الخلاف في كيفية تطبيق هذا الأمر الإلهي، وقد كـان من الشيعة، وخاصة الإخباريين منهم من يلزم أتباعـه بتسـمية المتـبرأ منهم، ولعنهم، وهـو مـا يثـير الفتن، لكن تطـبيق فتـوى الخـامنئي تتجاوز هذه المشكلة؛ فقد قال فيها مقررهـا: (وليس هنـاك لـزوم بالنسبة للشخص الذي يريد التـبرّي بـأن يرفـق تبرّيـه هـذا بـاللعن والشتائم وسوء القول، كان هناك الكثير من المسلمين منـذ صـدر الإسلام وإلى العصر الحاضر، ونموذجهم سـماحة الإمـام الخميـني وسماحة قائد الثورة الإسلامية نفسه، هـؤلاء كـانوا طبعـاً من أهـل التولي والتبرّي بحق، لكنهم ليسوا من أهـل السـباب واللعن. إذن، بوسع الإنسان أن يكون صاحب تبرّي، من دون أن يوجّـه الإهانـات والسباب واللعن لمقدسات الآخرين. سماحة السيد القائد لا يعتـبر توجيه الإهانات لمقدسات الآخرين جائزاً، بل يعتبره حراماً)[1]

وعن سـؤال حـول (تنـافي حكم الوحـدة مـع التـبرّي)، أجـاب المقـرر بقولـه: (من المؤكـد أن وحـدة المسـلمين لا تتنـافى مـع التبرّي، أي إن الأفراد بوسـعهم معـاداة أعـداء اللـه وأعـداء أوليـاء الله، ومجابهة الذين يحاربون المسلمين، ويكونوا في الوقت نفسه متحدين مع غيرهم من المسلمين، إذن وحدة المسلمين لا تتنـافى إطلاقاً مع التبري من أعداء الله وأعداء أوليـاء اللـه، وكمثـال على ذلك أن الإمام الخمينى كان ولائياً ومتبرئـاً من أعـداء اللـه وأعـداء أولياء الله، ولا يوجّه في الوقت نفسه الإهانـات واللعن لمقدسـات سائر المسلمين والأشخاص الذين يحترمونهم، وكان هنـاك الكثـير من الأعـاظم والأجلاء يـدعون النـاس إلى الوحـدة ويتـبرأون في الوقت ذاته من أعداء الله)[2]

وهو يوجب هذا الأمر بحكم على ولايته على المسـلمين حـتى على غـير مقلديـه، وقـد جـاء في تقريـر الفتـوى: (والوحـدة بين المسلمين وتجنب التفرقة حالة واجبة، وإيجاد التفرقـة والخلافـات بين المسـلمين لصـالح الأعـداء ولصـالح الاسـتكبار العـالمي

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

والصهيونية الدولية أمر محرم، أما أنهم يجب أن يراعوا هذه الوحدة حتى لو لم يكونوا من مقلدي سماحة القائد فنعم يجب على الآخرين أيضاً أتباع هذه الأوامر حسب فتاوى كل مراجع التقليد الأجلاء الأعمال غير الواجبة علينا، حتى لو كانت مستحبة، إذا كان أداؤها يؤدي إلى استغلالها من قبل الأعداء ضد مذهب أهل البيت، وتؤدي إلى توجيه الإهانات لأتباع مذهب أهل البيت أو تؤدي إلى الخلاف بين المسلمين، فهي غير جائزة، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الإنسان من مقلدي سماحة السيد القائد أو من مقلدي سائر المراجع، يجب عليهم مراعاة ذلك) [1]

وعن سؤال حول موقف الخامنئي من مراسم اللعن التي تقام في أيام خاصة في بعض المناطق، أجاب المقرر بقوله: (قال سماحة السيد القائد مراراً لا توجهوا الإهانات لمقدسات سائر المذاهب، إذن يجب اجتناب هذه الممارسات، والنقطة الجديرة بالملاحظة هي أن البعض يقولون: لا إشكال في أن نعلن في المجالس الخاصة، لكن سماحته لم يقيّد الأمر بأن يكون المجلس عاماً أو خاصاً، بل قال على نحو العموم: لا توجّهوا الإهانات لمقدسات سائر المسلمين، أي سائر الفرق الإسلامية، وقال سماحته في موضع من المواضع: (ذلك الشيعي الذي تدفعه جهالته وغفلته، أو المغرض أحياناً - ولدينا مثل هذه الحالات أيضاً ونعرف أفراداً من الشيعة مشكلتهم ليست مجرد الجهل، بل لديهم أوامر ومأموريات بزرع الخلافات - لتوجيه الإهانات لمقدسات أهل السنة، أقول: إن سلوك كلا الفريقين حرام شرعاً وبخلاف القانون)، إذن، توجيه الإهانات لمقدسات سائر المذاهب الإسلامية حرام شرعاً في رأي سماحة السيد القائد) [2]

وحول المجالس العلمية التي تعقد حول الخلاف في القضايا بين السنة والشيعة وعن الشروط المرتبطة بها حتى لا تصطدم بفتوى مراعاة المقدسات، أجاب بقوله: (إما أن يكون هناك نقاش

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

علمي فهذا من آراء سماحة السيد القائد، وهو يوافقه. الأمور التي توجد حولها اختلافات علمية في وجهات النظر بين فرق المسلمين، وبين الشيعة والسنة، فليجتمعوا في جلسات واجتماعات علمية بشكل محترم وينقدوا آراء بعضهم، ولكن بشكل علمي وفي المحافل العلمية وبين أهل الفن والاختصاص، وأسلوب ذلك هو الجدل بالتي هي أحسن على حد تعبير القرآن الكريم. مثل هذا النقاش العلمي الذي لا يؤدي إلى الخلافات والنزاعات والتفرقة والفتن بين المسلمين لا إشكال فيه. الشيء الذي فيه إشكال وهو حرام إيجاد التفرقة بين المسلمين وبين المجتمعات الإسلامية) [1]

وقد ذكر نص فتوى الخامنئي في هذا المجال، وهي: (إذا أرادوا أن يناقشوا نقاشاً مذهبياً فلا إشكال في ذلك إطلاقاً. إنني أوافق النقاش المذهبي. إذا أرادوا إقامة نقاش علمي مذهبي بين العلماء وأصحاب الخبرة والاختصاص فليجتمعوا وليقوموا بذلك، ولكن لا على مرأى الناس وأمامهم، بل ليتناقشوا علمياً في جلسات علمية) [2]

والخامنئي في مناسبات كثيرة يعتبر المخالفين لهذه الفتاوى، والذين يصرون على إثارة الفتن، من أتباع [التشيع البريطاني]، ومثلهم من يضاهيهم من أهل السنة، الذين ينافسونهم في الشقاق والصراع، ويسميهم أتباع [التسنّن الأمريكي]، ذلك أنه يوجد (في المنطقة اليوم إرادتان متعارضتان: إحداهما إرادة الوحدة والأخرى إرادة التفرقة، إرادة الوحدة تختصّ بالمؤمنين، ونداء اتحاد المسلمين واجتماعهم يعلو من الحناجر المخلصة التي تدعو المسلمين إلى الاهتمام بقواسمهم المشتركة؛ فلو حدث هذا وتحققت الوحدة لما بقيت أوضاع المسلمين الراهنة على ما هي اليوم عليه، ولاكتسب المسلمون العز.ة. لاحظوا كيف أن المسلمين اليوم، من أقصى شرق آسيا في ميانمار إلى غرب

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

أفريقيا في نيجيريا وأمثالها، وفي كل مكان، يُقتلون؛ في بعض الأماكن على يد البوذيّين، وفي أماكن أخرى على يد بوكوحرام وداعش ومن شاكلهم. وهناك من يصبّ الزيت على هذه النيران؛ التشيّع البريطاني والتسنّن الأمريكي متشابهان، وهما شفرتان لمقصّ واحد، حيث يسعيان لتنازع المسلمين وتقاتلهم. هذه هي رسالة إرادة الفُرقة التي هي إرادة شيطانية؛ لكن نداء الوحدة يدعو إلى تجاوز هذه الاختلافات، والاصطفاف معًا والتعاون بين المسلمين كافة)[1]

2 ـ الموقف العملي من الاختلاف المذهبي:

لم تكن تلك الكلمات التي أرسلها قادة الثورة الإسلامية وفقهاؤها حول احترام جميع المذاهب الإسلامية، واعتبارها وأهلها جزءا أصيلا من الأمة الإسلامية، مجرد كلمات لا معنى لها، بل كانت كلمات ذات معنى، ودلالتها تحققت في الواقع بأجمل صورها التي لا نجد مثلها للأسف في واقع المدارس السنية نفسها.

وكمثال على ذلك؛ فإن إيران تتواجد فيها ـ مثل جميع الدول الإسلامية ـ الكثير من الطرق الصوفية، وفيها الكثير من الأضرحة المرتبطة بهم، ذلك أنها كانت مهدا للتصوف في جميع مراحل تاريخها، ومع ذلك لم نسمع أن ضريحا فُجر، أو أن شيخا من مشايخ الصوفية أوذي، أو ذبح، مثلما يحصل في الواقع السني، بل نجدهم على عكس ذلك يؤدون أورادهم، ويقيمون مجامعهم بحرية لا يجدون لها مثيلا في كل الدول الإسلامية التي ينتشر فيها العنف والتطرف.

وهكذا نجد في المناطق السنية في إيران المدارس الفقهية، وبجنبها المدارس العقدية، التي لا تزال تؤدي دورها كما أدته في سائر مراحل التاريخ، ولم يفرض عليها أحد أن تترك تدريس مذاهبها، أو أن تتركها لتلتزم غيرها، ولم يرمها أحد بالبدعة مثلما

[1] () من خطاب ألقاه الخامنئي بمناسبة ولادة الرسول الأكرم ﷺ، بتاريخ 17/12/2016، موقع الخامنئي.

يفعل المتطرفون عندنا، والذين يرمون الزوايا والأزهر والقـرويين والزيتونة بكونها مدارس بدعة.

وسر ذلك الأمن الذي تعيشه تلك المناطق هو تشـدد النظـام الإيراني مع المتطرفين، الذين يحتكرون لقب [السنة] لهم؛ فلذلك يُمنعـون من انفـرادهم بمسـاجد خاصـة بهم، حـتى لا تصـبح تلـك المساجد مساجد ضرار، وهذا ما يفسر موقف السلطات الإيرانيـة من مسجد طهران الذي أغلـق بسـبب تحولـه إلى مسـجد ضـرار، يجتمع فيه السلفيون، مثلمـا يجتمعـون في المسـاجد الخاصـة بهم في بلادنا ليثيروا الفتن.

وذلك التصرف الذي أثـار ضـجة كبـيرة من المغرضـين مبـني على حكم الفقهي مرتبــط بأمثــال هــذه المســاجد عنــد جميــع المدارس الإسلامية، وهو غلقها أو منعها أو هدمها، ائتمارا بمـا ورد في القرآن الكريم عن مسجد الضرار، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًـا بَيْنَ الْمُـؤْمِنِينَ وَإِرْصَـادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ مِنْ قَبْـلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَـا إِلَّا الْحُسْـنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيـهِ أَبَـدًا لَمَسْـجِدٌ أُسِّـسَ عَلَى التَّقْـوَى مِنْ أَوَّلِ يَـوْمٍ أَحَـقُّ أَنْ تَقُـومَ فِيــهِ فِيــهِ رِجَـالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)﴾ [التوبة: 107، 108]

وورد في الكثير من المصـادر السـنية مـا يـبين كيفيـة تعامـل رسول الله ﷺ مع هذا النوع من المساجد؛ فقد جمـع الحافـظ ابن كثـير في تفسـير الآيـتين السـابقتين الروايـات الكثـيرة في ذل؛، فقال: (سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنـه كـان بالمدينـة قبـل مَقدَم رسول الله ﷺ إليهـا رجـل من الخـزرج يقـال لـه أبـو عـامر الراهبُ .. فلما قَدم رسولُ اللـه ﷺ مهـاجرًا إلى المدينـة، واجتمـع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يــوم بدر، شَرِق اللعين أبـو عـامر بريقـه، وبـارز بالعـداوة، وظـاهر بهـا، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، فـألَّبهم على حـرب رسول الله ﷺ .. ورأى أمرَ الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور، فـذهب إلى هرقـل ملـك الـروم يستنصـره على النـبي ﷺ، فوعـده ومَنَّاه، وأقـام عنـده، وكتب إلى جماعـة من قومـه من الأنصـار من أهـل

النفاق والريب يعدهم ويُمنَّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل بـه رسـول الله ﷺ ويغلبه ويـرده عمـا هـو فيـه، وأمـرهم أن يتخـذوا لـه مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه، ويكـونَ مرصـدًا لـه إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسـجد مجـاور لمسـجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النـبي ﷺ إلى تبـوك، وجـــاءوا فســـألوا رســـول اللـــه ﷺ أن يـــأتي إليهم فيصـــلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيـه على تقريـره وإثباتـه، وذكـروا أنهم إنمـا بنـوه للضـعفاء منهم وأهـل العلـة في الليلـة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنـا على سـفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله)، فلما قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينـة من تبـوك، ولم يبـق بينـه وبينهـا إلا يـوم أو بعض يـوم، نـزل عليـه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريـق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قبـاء الـذي أسـس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسـجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة)[1]

هـذا مـا ذكـره ابن كثـير، ومـا ذكـره قبلـه وبعـده الكثـير من العلماء الذين اعترفوا بصحة هذه القصـة، وقـد تعمـدنا ذكرنـا هنـا لنبين أن المساجد ليست ببنائها، وإنما بالتقوى والإيمان الذي وجد فيها؛ فإذا تحول المساجد إلى أداة للفتنة، فإنه لا خير فيـه، بـل إن دور الملاهي والفجور حينها تكون أفضل منه.

لهذا، فإن الصور التي يبثهـا البعض حـول مسـجد مهـدوم في إيران، نجد مثلها في كل بلاد المسلمين؛ فلا يمكن لأي دولة تحترم نفسها أن تغض الطرف عن دعاة الفتن والتحـريض الطـائفي دون أن تقطع دابرهم، أو تصد فتنتهم، حتى لو اتخذوا المســاجد ملاجئ لهم، مثلما فعل أولئك المنافقون الذي أمـر رسـول اللـه ﷺ بهـدم مسجدهم، وجعل ذلك سنة يتولاها كل حاكم صـالح بعـده، حـتى لا يُتخذ الدين، وشعائر الله محال للفتنة.

ولذلك؛ فإن الذين يصيحون بـأن إيـران تمنـع مسـاجد السـنة محقون في ذلك إن قصدوا مثل تلك المساجد التي لا تمت للسـنة

[1] تفسير ابن كثير (4/ 211)

بصلة، وإنما هي مساجد فتنة، وأما غيرها من المساجد التي يجتمع فيها عامة المسلمين يحترم بعضهم بعضا؛ فلا أحد يمنع ذلك.

وفوق ذلك كله نرى المساجد في إيران لا تمنع مرتادا لها سواء كان من السنة أو الشيعة؛ فالمساجد لله، ومتى أدركت المصلي الصلاة صلى من غير أن يسأل: هل هذه مساجد سنة، أم مساجد شيعة؟

وقد ورد في الشهادات الكثيرة المتواترة ما يدل على هذا، وسننقل هنا بعضها، ولمن شاء أن يتورع في الحكم على ما نقول لا ينبغي أن يبت بشيء، لا سلبا ولا إيجابا، بل عليه قبل أن يفعل ذلك أن يذهب إلى إيران، وإلى المناطق التي يتواجد فيها السنة، ليستعلم حقيقة الأمر.

وأول الشهادات، هو ما ذكرته وكالات الأنباء؛ فقد أفادت [وكالة مهر للأنباء] أنه عقب انتشار شائعة عدم وجود مسجد لأهل السنة بطهران، وهدم مسجد ومصلى لأهل السنة في العاصمة، أوضح مركز متابعة شؤون المساجد بأنه يوجد 9 مساجد لأهل السنة في طهران[1]، وقال: (ان هدم مركز باسم مصلى كان بسبب نقض القانون وتغيير استخدامه، وأن هذا المركز كان يعمل

---

(1) هذه محال مساجد لأهل السنة في طهران لمن يريد أن يتأكد:

1- مسجد صادقية، الكائن في الساحة الثانية بحي الصادقية

2- مسجد طهران بارس، الكائن في شارع دلاوران

3- مسجد مدينة قدس، الواقع في الكيلومتر ٢٠ على طريق كرج القديم

4- مسجد الخليج الفارسي الواقع في طريق فتح السريع

5- مسجد النبي، الكائن في حي دانش

6- مسجد هفت‌جوب، الواقع في طريق ملارد

7- مسجد وحيدية، الكائن في شهريار

8- مسجد نسيم شهر، الكائن في حي اكبرآباد

9- مسجد رضي‌آباد، الواقع في مفترق طرق شهريار.

لترويج بعض الأفكار المتطرفة، وحسب عقيدة الناشطين الدينيين، فإن المسجد يطلق على مكان العبادة الذي تقام فيه الصلوات، ويكون مركزا لمراجعة جميع الاشخاص، فالمسجد بيت الله وهو مكان العبادة، وإطلاق تسمية مسجد الشيعة أو مسجد السنة هي تسمية خاطئة، لأن الشيعة يصلون في مساجد السنة، وكذلك أهل السنة يصلون في مساجد الشيعة، لذا فان نشر الشائعات وتلفيق الاخبار، يؤدي إلى الخلافات المذهبية)[1]

كما ذكرت الوكاله أنه (يوجد لأهل السنة في إيران اكثر من 15 ألف مسجد، وهي أكثر من مساجد الشيعة، وعلى هذا الأساس يجب الالتفات إلى أن تخريب مركز متطرف جاء بعد عدة إنذارات وجهتها بلدية طهران إلى هؤلاء الاشخاص الذين ارتكبوا المخالفة القانونية، ففي العام الماضي تم اغلاق هذا المصلى الكائن في منطقة بونك من قبل المراجع القانونية، بسبب نقض القوانين وتحوله إلى مركز للأجانب، وبالرغم من توجيه إنذارات العام الماضي فإن هذا المصلى عاود نشاطه غير القانوني حيث تم تخريبه بحكم قضائي، فالمصلى المذكور تشكل من عدد من الوحدات السكنية حيث تم تأجيره من قبل بعض الاشخاص على أنها مكان سكني، ثم تم تغيير استخدامه وتحول إلى مصلى، وأن هؤلاء كانوا يبغون من وراء ذلك ترويج بعض الافكار المتطرفة، وفي السنوات الماضية قامت الأجهزة المعنية باغلاق أو هدم بعض الاماكن الدينية حسب الظاهر ولكنها في الحقيقة متطرفة، وكان من بينها حسينية في مدينة قم)[2]

وهذا ما يذكرنا بما وقع في الجزائر أيام الفتنة، حيث كانت المساجد للأسف مراكز لها، مما اضطر السلطات إلى هدمها، ومثله يحصل في جميع البلاد الإسلامية، فلا يمكن لأي دولة تحترم نفسها أن تغض الطرف عمن يهدد السلم العام.

1() انظر: مركز متابعة شؤون المساجد: اهل السنة لديهم 9 مساجد في طهران واكثر من 15 الف مسجد في إيران، وكالة مهر للانباء، ٥ أغسطس ٢٠١٥ - ١٨:٥٩..

2() المرجع السابق.

وورد في خبر آخر ذكره موقع تابناك الاخباري الإيراني نقلا عن محمد صادق عرب نيا ـ مدير هيئة التخطيط للمدارس الدينية السنية في إيران ــ أن هناك ما يقارب 13000 مسجدا لأهل السنة في إيران، و13000 رجل دين سني يقومون بإقامة الفرائض في هذه المساجد.

وذكر أن المقارنة البسيطة بين عدد مساجد السنة والشيعة في إيران تظهر أن هناك مسجدا واحد لكل 2500 مواطن شيعي، وبالمقابل مسجد واحد لكل 500 مواطن سني.

وذكر أن الدستور الإيراني لا ينظر إلى أهل السنة كأقلية دينية لأنهم مسلمون، وبلدنا إسلامي، والمسلمون هم الأكثرية في هذا البلد، وهناك محافظات في البلاد أغلبيتها شيعة، لكن أهل السنة هم الأكثرية في مجالسها البلدية، لأن الترشيح والانتخابات لا تتم على أسس طائفية[1] .

قد لا يقبل البعض هذه الأخبار بحجة كونها من وكالات أنباء إيرانية، مع أنهم للأسف يقبلون من وكالات الأنباء الفرنسية والأمريكية والبريطانية بل حتى من الإسرائيلية، ولكن إيران عندهم دائما كاذبة، وكل ما تفعله خداع، ولهذا سننقل شهادات من جهات أخرى ربما تكون صادقة عندهم.

وأولها تلك الرسالة التي أرسلها جمع من علماء أهل السنة في إيران إلى مفتي مصر الأعلى الشيخ شوقي علام ردا على الشبهات التي أثيرت بشأن أوضاع أهل السنة في إيران؛ فقد اعتبرت هذه الشخصيات البارزة من السنة الإيرانيين أن تلك الشبهات تنجم عن عدم الإحاطة بحقائق الأمر وأحوال أهل السنة في إيران، تأثرا بما تعكسه وسائل الإعلام المعادية للجمهورية الإسلامية في إيران.

وهذا نص الرسالة، والتي ذكروا في آخرها أسماء مرسليها

---

[1] مقارنة بين مساجد السنة والشيعة في إيران، موقع تحرير، انشأ بتاريخ: 28 تشرين 2/نوفمبر 2016..

(2): (بعد أطيب التحيات، نحن علماء أهل السنة في إيـران نفتخـر بالأزهر الشريف ونعتز بدار إفتاء الديار المصرية وذلك لما شاهدنا من المواقف الحكيمة والمعتدلة لها حول الحوادث المتعددة الـتي وقعت في مصر وسائر بلاد العـالم الإسـلامي حيث نتـابع البيانـات الصادرة منهما إلى الآن، كمـا نـرى من واجبنـا تقـديم الشـكر لكم على إصدار البيان حول إدانة الهجوم الإرهابي الذي ارتكبه التكفير الداعشي المجـرم في مجلس الشـورى الإسـلامي ومرقـد الإمـام الخميني في طهران)

ثم ذكروا مـا فعلـه المتطرفـون بهم، والـذين لا يفرقـون في هجماتهم بين السنة والشيعة، فكتوا: (طيلـة سـنوات ونحن نعـاني من الفكـر التكفـيري والـذي يسـتهدف بـالتفجيرات والعمليـات الإرهابية السنة والشـيعة معـا، فـإن هـولاء المجـرمين التكفـيريين

---

(2) وهذه أسماؤهم لمن شاء الاتصال بهم للتأكد:

-المولـوى الـدكتور نـذير أحمـد سـلامى؛ ممثـل اهـل السـنة فى محافظـة سيسـتان وبلوتشستان

-المامومستا فايق رستمى؛ ممثل محافظة كردستان فى مجلس خبراء القيادة

-المامومستا عبدالرحمن خدايى؛ الممثـل السـابق لمحافظـة كردسـتان فى مجلس خـبراء القيادة وامام الجمعة لأهل السنة فى سنندج.

-الشيخ قربان محمد اونق؛ عضو مجلس التخطيط لمدارس العلـوم الدينيـة لأهـل السـنة والعضو البارز فى الهيئة الفقهية لأهل السنة فى شمال ايران.

-المولوى الدكتوراسحاق مدنى؛ المستشار السابق للرئيس الايرانى لشوءون أهل السنة.

-المامومستا ملا قادر قادرى؛ عضو مجلس التخطيط لمدارس العلوم الدينيـة لأهـل السـنة وامام الجمعة لأهل السنة فى مدينة باوة.

-المولوى الدكتورعبدالرحمن سربازى؛ عضـو مجلس التخطيـط لمـدارس العلـوم الدينيـة لأهل السنة وامام الجمعة فى مدينة تشابهار.

-الشيخ خليل افرا؛ عضو مجلس التخطيط لمـدارس العلـوم الدينيـة لأهـل السـنة ورئيس هيئة الافتاء وعلماء السنة فى محافظة بوشهر.

-المولوى شرف‌الدين جامى الاحمدى؛ عضـو مجلس التخطيـط لمـدارس العلـوم الدينيـة لأهل السنة وامام الجمعة تربت جام.

المصدر: وكالة مهر للأنباء.

اغتالوا كثيرا من علماءنا في ايران والذي كان منهم سماحة المفتي الكبير لأهل السنة الشوافع في محافظة كردستان الشيخ الشهيد محمد شيخ الإسلام وزميله الشيخ الشهيد برهان عالي إمام جمعة الشافعية)

ثم راحوا يفندون ما أورده المفتي المصري من دون علم عن أوضاع أهل السنة في إيران، فكتبوا يقولون: (ولكن ما يؤسفنا هو أننا نرى أن البيان الصادر عن دارالإفتاء حول الهجمات الإرهابية في طهران يحمل معلومات خاطئة خاصة حول أوضاع أهل السنة في ايران، والذي هو غير موافق للواقع، وبالطبع لم يكن ذلک إلا عن الشفقة علينا، ولكن من الواضح والجلي أننا أهل السنة في وطننا إيران أعرف وأدرى بأحوالنا ممن يعيش في الخارج وليس له معلومات صحيحة إلا عبر الأخبار الظنية والدعايات الإعلامية المفبركة وأن ﴿ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [النجم: 28] وإذا أساء مسلم بأخيه ظنا غيرواقع ربما يصير مصداقا له ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: 12])

ثم راحوا يضربون له بعض الأمثلة على الأخطاء التي وقع فيها المفتي وغيره ممن يتحدثون عن أهل السنة في إيران؛ فقالوا: (فعلى سبيل المثال منطقة الأهواز محافظة يسكنها العرب الشيعة في ايران [وسكانها ليسوا سنة]، وهذا يدل على أن المصدر الذي يرسل إليكم المعلومات حول ايران وأهل السنّة هو بعيد كل البعد عن المعلومات الصحيحة حيث يزودكم بمعلومات خاطئة أو مفبركة وفي نفس الوقت يتجاهل محافظة كردستان التي تعتبر العمود الفقري لأهل السنة في ايران)

ثم راحوا يذكرون له الأوضاع الحقيقة لأهل السنة في إيران؛ فقالوا: (نحن أهل السنة في ايران يصل عديدنا إلى عدة ملايين نسمة نسكن في محافظات متعددة، ويوجد عندنا أكثر من 16000 مسجد، وعدد طلابنا في المدارس الدينية يتجاوز 12000 طالبا، حيث يدرس جميعهم فقه أهل السنة والجماعة من الشافعية والحنفية، وهذا العدد من المساجد والمدارس والطلاب

ارتفع إلى عشرة أضعاف بالنسبة إلى ما كنا عليه قبل إنتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، ولاريب أن كل ذلك لم يتيسر إن لم يكن الدعم من حكومة الجمهورية الإسلامية)

ثم ذكروا له الحقوق السياسية التي يتمتعون بها؛ فقالوا: (نحن أهل السنة نتمتع بكامل الحرية في ترشيح النواب للبرلمان، وكذلك مجلس الخبراء لاختيار ولى الفقيه، حيث لنا الآن أكثر من 20 نائبا في البرلمان، وكذلك القضاة في محاكم المحافظات التي نسكن فيها نحن الغالبية السنية هم من علمائنا يقضون بيننا بالفقه الشافعي أو الحنفي)

ثم ختموا رسالتهم بدعوته إلى الإنصاف والتحري قبل إطلاق الفتاوى والبيانات، وألا يعتمد الإعلام المضلل، فقالوا: (هذا نموذج من مواقف رؤساء الجمهورية الإسلامية قبال مواطنيهم من أهل السنة؛ فهل من الإنصاف أن نصف هذا العمل بالظلم!؟ وهل تتوقعون من العالم الحكيم المعتدل أن ينسب الظلم إلى الحكام في نظامنا الإسلامى الإيرانى، وينشر ذلك في الجرائد والعالم فقط بناء على ما سمعه في الإعلام!؟)

وفي آخر الرسالة دعوه لزيارتهم، وزيارة المناطق السنية ليتأكد بنفسه؛ فقالوا: (في نهاية المطاف ندعوا سماحتكم باسم علماء السنة والجماعة في الجمهورية الإسلامية الايرانية لتشرفونا، أو من يمثلكم بالزيارة إلى إيران للإطلاع بصورة مباشرة على مدى الحرية الدينية والإجتماعية والثقافية التي نتمتع بها السنة في وطننا إيران)

ونفس هذه الخاتمة نقولها لكل من يدعي الورع والتقوى بأن يذهب إلى المناطق السنية في إيران، وهناك يعاين الوضع بنفسه، وحينها يحكم بما يشاء.

ومن الشهادات المرتبطة بهذا شهادة رئيس هيئة علماء السُنة في إيران الشيخ عبدالرزاق البخاري، فقد أوردت الصحف المختلفة هذا الخبر: (نفى رئيس هيئة العلماء السُنة في إيران

الشــيخ عبــد الــرزاق البخــاري [1] أن يكــون الســنة في إيــران مضطهدين، مؤكداً بانهم يعيشـون جنبـاً إلى جنب مـع الشـيعة في ظل من العدالة والمسـاواة في الحقـوق والواجبـات.. وأن لـديهم مراكز دينية وحوزات علمية مناهجها تطابق المناهج الدراسـية في الأزهر الشريف والمدينة المنورة وسورية، وأبدى البخاري استياءه في لقــاء مــع «الــوطن» خلال مشــاركته في «ملتقى الإخــوة الإسلامية الثالث»، من الاشاعات التي تطلق جزافـاً دون التحقـق من بعض ما يدور في الساحة مطالباً بالتحقيق والتـدقيق، مشـيراً إلى أن السُنة والشـيعة يعيشـون تحت رايـة التوحيـد والشـهادتين والإخــوة في الإســلام، حيث أن الحكومــة الإيرانيــة بعــد الثــورة الإسلامية استطاعت التأليف بين المسلمين وإذابة المشاكل الــتي كانت فترة الشاه)

وعن سـؤال حـول وضـع المسـلمين سـنة وشـيعة بعـد قيـام الثــورة الإســلامية في إيــران، أجــاب بقولــه: (هنــاك الكثــير من الايجابيات بعد انتصار الثورة الإسلامية، فقـد ذابت الخلافـات الـتي كـانت بين السُـنة والشـيعة خلال حكم الشـاه، ولكن بعـد انتصـار الثــورة الإســلامية أعلن الســيد الخميــني في كافــة الصــحف بــأن المســلمين سُــنة وشــيعة جميعهم إخــوة متســاوون في الحقــوق والواجبـات، ومنـع اهانـة البعض معتـبراً ان من يقـوم بهـذا العمـل ليس سنيا ولا شيعيا، حيث أن الأمــة الإســلامية تجتمــع على كلمــة التوحيد والشهادتين «لا إله إلا الله محمــد رســول اللــه»، وأن من دخل الإسلام ونطق الشهادتين فقـد عصـم نفسـه وعرضـه ومالـه وجميعهم إخوة في الإسلام ويجب عليهم التآلف والمحبة وفقاً لمـا جاء في القرآن الكريم وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة)

ثم ذكر كثرة المشتركات التي تجمع جميع المسلمين سـنتهم وشيعتهم؛ فقال: (والجميع يـدرك بـأن هنـاك اختلافـاً في المـذهب السـني وبين المـذاهب الاربعـة، ولكن نلتقي ونجتمـع على كلمـة التوحيــد والعقيــدة الواحــدة، كمــا أن الجميــع يــؤدون العبــادات والفرائض، وهذا ما هو موجود بين السنُة والشيعة، والمعـروف أن

[1] الشيخ عبد الرزاق البخاري: مفتي وخطيب الجامع، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، ورئيس الجالية الشرعية العرفانية لأهل السُنة والجماعة..

الاختلافات الفرعية الاجتهادية لا تدخل ضمن الخلافات والنزاع بين الإخوة المسلمين السنة والشيعة، ويمكن الوصول لحل هذه الخلافات الفرعية عن طريق الحوار والمناقشة وإبداء الرأي، ولكن المهم ان الجميع متفقون على المحور الاساسي ألا وهو كلمة التوحيد)

ودعا في الأخير إلى الموضوعية والأناة والبعد عن التعصب؛ فقال: (أناشد الإخوة في الإسلام الابتعاد عن التعصب والتحجر في الرأي، وأجزم بأن هذه الخلافات أو من يقوم بها تأتي عن طريق الجهل، لأن العقلاء ملتزمون بالأخوة الإسلامية، كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، إذا الاساس هو التقوى والعبادة وليس السُنة أو الشيعة، فالمنزلة عن طريق التقوى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13]، لذا الأساس هو التقوى حيث أنه لا فرق بين عربي أو أعجمي، ولا أسود ولا أبيض الا بالتقوى، ولذلك وبرغم كون الحكومة الإيرانية شيعية إلا أن الجميع سواسية أمام القانون؛ فالسنة والشيعة جميعهم إخوان في الدين والوطنية)

ومع صدق هذه الشهادة وأمثالها كثير، نجد المغرضين يتفلتون منها، ويحتجون بأن النظام الإيراني استطاع أن يخدع علماء إيران، وأن يشتري ذممهم، وهكذا لا ينجو النظام الإيراني مهما فعل، مع العلم أن شهادة الشيخ عبد الرزاق البخاري التي ذكرنا بعضها أدلى بها في الكويت، ومن غير أن يغضبه أحد عليها.

هذا بالنسبة لشهادات علماء الدين من المدرسة السنية في إيران، أما شهادات السياسيين، فكثيرة نذكر منها شهادة رئيس تكتل أهل السنة في مجلس الشورى الإيراني[1]، والذي صرح في حوار أجري معه أنه (أن الجماعات التكفيرية، التي باتت أداة رئيسية في الحرب التي تشهدها المنطقة، لا يربطها أي علاقة

---

[1] () هو د. عابد فتاحي، طبيب عيون، ورئيس لتكتل أهل السنة في مجلس الشورى الإسلامي الإيراني. ممثل مدينة أرومية، مركز محافظة أذربيجان الغربية، في المجلس..

بأهل السنة)[2]

وذكر في تصريحه الذي أدلى بـه في لبنـان عن أوضـاع أهـل السنة في إيران؛ فقـال: (نحن أهـل السـنة في ايـران لـدينا رؤيـة مشتركة عن الإسلام مع إخواننا الشيعة، ولا نشعر بفرق كبير بيننا، هناك 31 محافظة في ايـران، ونـرى في جميـع هـذه المحافظـات انتشــاراً لأهــل الســنة حــتى في بعض المحافظــات كمحافظــة «سيستان وبلوشستان» أو محافظة «آذربيجان» أو «غلستان» أو محافظة «فـارس» أو حـتى في محافظـة «خراسـان» عـدد أهـل السنة يفوق عدد إخواننا الشـيعة، ولم نشـهد طـوال التـاريخ حـتى اليوم أي خلافـات بين السـنة والشـيعة، لأننـا نلـتزم بشـعار ومنهج وفكر مفاده أنه لو قلنا إن الشيعة تعني الحب لآل بيت رسول الله ﷺ، فنحن جميعنا شـيعة، ولـو قلنـا إن السـنة تعـني العمـل بسـنة رسول الله ﷺ، فجميعنا من أتباع السنة، نحن نرى أن الخلاف بين السنة والشيعة يسبب في إضعاف الإسلام برمته)

ثم ذكـر مـدى التسـامح والفكـر الوحـدوي لـدى الشـيعة في إيران مقابل التشدد الذي يبديه الكثير من أهل السنة؛ فقال: (قبل عــدة أســابيع حــدثت عــدة تفجــيرات في الســعودية وباكســتان وأفغانستان والعراق، راح ضحيتها عدد من إخواننـا الشـيعة الـذين كـانوا مجتمعين في المسـاجد من أجـل الصـلاة، وهـذه العمليـات الانتحارية لم تـؤد إلى ردود فعـل من قبـل إخواننـا الشـيعة داخـل ايـران ضـد أهـل السـنة. نحن نعتـبر أنفسـنا ايرانـيين أولاً قبـل أن ننقسم الى قوميات ومذاهب)

وذكر الحقوق السياسية لأهل السنة في إيران؛ فقال: (لأهــل الســنة ممثلــون في المجلس الشــورى الإســلامي، وبحســب الدستور، يصل عدد نـواب السـنة في مجلس الشـورى اليـوم إلى عشرين نائبا من أصل 290، وهؤلاء يشكلون تكتل أهل السنة في المجلس، نحن في ايــران حاولنــا أن نتجــاوز الأمــور الســطحية وابتعدنا عن الدخول في التفاصيل التي لا جدوى من الدخول فيها،

---

(2) رئيس تكتل أهـل السـنة في إيـران: لا علاقـة للتكفـيريين بالسـنة ولم نختلـف مـع الشيعة يوماً، موقع المنار، 04-06-2015.

بالوحدة نستطيع أن نصل إلى الانتصارات الكبيرة)

وعن سؤال حول الجماعات التكفيرية، وعلاقتها بأهل السـنة، قال: (الجماعات التكفيرية كداعش وما شابه لا يربطهـا أي علاقـة بأهل السنة، فليس في قلوب هؤلاء أي مودة أو شفقة تجـاه أهـل السنة. قتلوا المئات بل الآلاف وارتكبوا مجازر في منـاطق تواجـد أهل السنة في سوريا، في الموصل، في الأنبار، في صلاح الـدين. في اقليم كردسـتان العـراق. انتهكـوا حرمـات المسـلمين السـنة، اقدموا على بيع البنـات الكرديـات في الأسـواق. من هم الأكـراد؟ أليسوا من السنة ويتبعون المذهب الشافعي؟ قـابلت بعض الـذين قدموا من إقليم كردستان، وسألتهم من هـؤلاء الداعشـيون ومـاذا يريدون؟ قالوا لي إنهم جماعـة يختصـرون الإسـلام بصـرخة [اللـه أكبر]، ولا يعرفون شيئاً آخر عن الدين غير ذلك. أيّ دفاع عن أهـل السنة هذا؟ هؤلاء أهرقوا ماء وجـه أهـل السـنة.. علينـا أن نسـأل انفسنا من أين يأتي السلاح والتجهيزات لهؤلاء؟ لماذا يريـدون بث الفتنة في بلاد المسلمين ويتركون الغرب وأعداء الإسـلام؟ أعتقـد لأن الغرب مركز القيادة لهذه الجماعات)

وفي الأخير ننقـل شـهادة من عـالم من علمـاء السـنة خـارج إيران، زار إيران، والمناطق السنية فيها بالتحديـد، وأدلى بشـهادته في ذلك، وهو الناطق الرسمي لمجلس علماء فلسطين في لبنان الشيخ محمد الموعد(1)، وممـا ذكـره في شـهادته الـتي أدلى بهـا لموقع العهد الإخباري أن (النظـام الإسـلامي في إيـران لم يحفـظ خصوصية الأديان الاخرى فحسب (مسيحية، يهوديـة، زرادشـت..)، بل حفظ اوضاع وخصوصية اصحاب المـذاهب الإسـلامية الاخـرى، والذين يمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية وأريحية، ولهم أيضـا أحـوال شخصـية ومدنيـة خاصـة بهم، ولهم تعـاليمهم، ومدارسـهم الدينية الخاصة حسب دياناتهم. ومن هؤلاء أهل السـنة والجماعـة، الذين يمارسون عبادتهم الدينية حسـب فقههم (المـذهب الحنفي، والشـافعي..) بكـل حريـة في إيـران، ولـديهم أكـثر من 15000 مسـجد، منهـا 9 في العاصـمة طهـران، أكـبر مسـجد في إيـران

(1) مـا لا تعرفونـه عن الحريـات الدينيـة في ايـران؟!، علي عوبـاني، موقـع العهـد، 10/02/2016.

موجود في مناطق السنة،، الذي زار إيران مـؤخرا يشـير إلى انهم يتبعـون مدارسـهم الدينيـة وشـؤون احـوالهم الشخصـية الخاصـة (كـالزواج والطلاق وغـيره..) بحسـب فقههم، ولهم مفتـون في مناطقهم، ويتقاضون أمام محاكمهم الشرعية الخاصة الـتي تتمتـع باسـتقلالية كاملـة في منـاطقهم.. ولهم حقـوق كاملـة بوظـائف الدولـة والتمثيـل على المسـتوى الحكـومي، والنيـابي، ولـديهم ممثلـون في مجلس الخـبراء الـذي يختـار القائـد وفي جميـع المجالس الأخرى، وأبعد من ذلك ليس هنـاك فقـط نـواب يمثلـون المحافظات التي يتواجدون فيها، بل هنـاك نـواب من أهـل السـنة ببعض المحافظـات يمثلـون المسـلمين (سـنة وشـيعة ..) وهنـاك سفراء ودبلوماسيون ومحافظون للمدن الإيرانية من أهل السنة)

وأكـثر مـا يلفت الشـيخ الموعـد، في حديثـه لموقـع العهـد الاخباري، أن المعاهد الشرعية السنية موجودة في إيران بالمئات، وانها مدعومـة مباشـرة من قبـل القائـد، ولهـا ميزانيـة خاصـة من الدولة، ما يدفعه للاشارة إلى ان ذلك يبرز مدى اهتمام الجمهورية بكل أبناء الدولة، واصفا هذا الامـر بأنـه بمنتهى الحضـارة والتقـدم الفكـري، أن يتم تشـجيع العلم واعطـاء رواتب لطلاب العلم في المعاهد الشرعية السنية لاسـتكمال دراسـتهم المجانيـة بالكامـل، ودراسة المذهب السني.

وذكر الشيخ الموعـد الجامعـات الكـبرى في إيـران كجامعـة الحديث، وجامعة المصطفى التي تدرس المذهب السني، وأشـهار إلى أن عدد الطلبة الذين يدرسون فيها مهول، كما أن هناك قسمًا خاصًا بالمكتبة يحوي آلاف الكتب السنية، ما يؤكد على مدى حرية الاعتقـاد والبحث، فضـلا عن أن عـدد الـذين تخرجـوا من جامعـة المصـطفى وحـدها يزيـد عن 7000 طـالب وهم درسـوا على مذاهبهم (حنفي، شافعي..)، ليخلص إلى ان كل ذلك يعتـبر بمثابـة تكريس للوحدة بكـل معانيهـا، وأن الحريـة الدينيـة الموجـودة في إيـران ملموسـة وليس دعايـة وهي تعطي النـاس كامـل حقوقهـا، بينما هناك اشاعات تطمس هذه الحقائق.

وهكذا نجد الشهادات الكثيرة من أعلام السنة، بـل من أعلام

الحركات الإسلامية، ولكنهم للأسف، وبمجرد أن يدلون بشهاداتهم يصنفون ضمن الشيعة، وتسقط عدالتهم، لأنه لا يمكن لأحد يشهد بشهادة حق عن إيران إلا ويرمى بكل أصناف التهم.

ومن أمثلة ذلك ما حصل للدكتور كمال الهلباوى، والذي كان قياديا بارزا في حركة الإخوان المسلمين، وكان يستضاف في كل القنوات ليدافع عنهم، لكنه بمجرد أن زار إيران، وشهد بحقيقة ما رأى فيها، أسقط، وصار متهما.

ففي مقال بعنوان [هجوم سلفى على «الهلباوى» بعد زيارته إيران][1] ورد هذا الخبر: (كشف علاء السعيد، المتحدث باسم ائتلاف الدفاع عن الصحب وآل البيت، عن تفاصيل زيارة الدكتور كمال الهلباوى القيادى الإخوانى السابق، لإيران، الأسبوع الماضى، وقال السعيد لـ«الوطن»: «الزيارة تمت خلال مؤتمر الوحدة الإسلامية، وشهدت تكريم الهلباوى لمجهوداته السابقة فى التقريب بين الشيعة والسنة، وهناك صور له أثناء تكريمه، وهى ليست الأولى، فكان له العديد من الزيارات السابقة لأنه شيعى، حيث يرى أن الشيعة مذهب من مذاهب أهل السنة، وصرح بأنه ضد تنفيذ حكم الإعدام على نمر باقر النمر، رجل الدين الشيعى فى السعودية، مع أن الأمر شأن داخلى، وحسب الأعراف والقوانين الدولية، لا يحق لأحد التدخل فى السياسة الداخلية للدول.. وهو قد باع نفسه للشيعة وإيران.. وهو يسعى ليكون فى الصورة والمشهد كى لا يفقد الدعم الإيرانى، وأنا أسأله: بكم باع نفسه للشيعة؟)

وهي نفس العبارات التي تردد مع كل عالم ينصف إيران، أو ينصف الشيعة، أو يدعو إلى الوحدة الإسلامية، وهو ما يذكرنا للأسف بما ورد في السيرة النبوية المطهرة عند إسلام عبد الله بن سلام، وكيف كان محترما صاحب جاه وكلمة عند اليهود، ولكن بمجرد إسلامه تغير ذلك كله؛ ففي الرواية أنه لما أسلم رجع إلى أهل بيته فأسلموا وكتم إسلامه، ثم خرج إلى رسول الله ﷺ،

---

[1] هجوم سلفى على «الهلباوى» بعد زيارته إيران، سعيد حجازى، جريدة الوطن، العدد : 1347، 06-01-2016.

فقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت؛ فإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني، فأحب أن تدخلني بعض بيوتك، فأدخله بعض بيوته فجاءت اليهود إليه فقال: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك؛ فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله، وأومن به وأصدقه وأعرفه، قالوا: كذبت، أنت شرنا وابن شرنا، وانتقصوا. قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، ألم أخبرك أنّهم قوم بهت، أهل غدر، وكذب وفجور[1].

ونفس الشيء يمارسه هؤلاء الذين يبنون مواقف سلبية من إيران، ثم يفسرون كل شيء بعدها على ضوء ذلك؛ فإن شهد شاهد بظلم إيران قبلوا شهادته، من غير أن يسألوا أو يحققوا، وإن شهد شاهد عكس ذلك اتهموه في دينه، واعتبروه من أزلام النظام، أو من الذين اشتراهم النظام.

رابعا ـ ولاية الفقيه والتعامل مع الشعوب الإسلامية:

على الرغم من تلك العداوة التي تبديها الكثير من الشعوب العربية والإسلامية للنظام الإيراني، بل حتى لإيران نفسها بسبب تلك الحملة الشرسة عليها من طرف رجال الدين والإعلام والسياسة إلا أن النظام الإيراني، والشعب الإيراني، يقفان على النقيض من ذلك الموقف السلبي؛ وهو موقف يجسد حقيقة قوله تعالى عن القوم الذين يستبدل بهم العرب حال التقصير:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

[1] سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (12/ 54)

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: 54]

فهذه الآية الكريمة لا تكاد تنطبق على أحد كما تنطبق على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فهي مع مواقفها المتشددة الممتلئة بالعزة مع العتاة المتمردين من المستكبرين، تقف موقفا متواضعا إلى حد الذل مع الشعوب الإسلامية، حيث أنها تصفح عن كل تلك المواقف السلبية التي تقفها، وتدعوها كل حين إلى الوحدة الإسلامية، وترك الخلافات المذهبية، وترك التنابز بالألقاب، وتنصر قضاياها في كل المحافل، بل تشارك فيها بكل قوة.

انطلاقا من هذا سنحاول في هذا المبحث التركيز على ناحيتين مهمتين أولاهما النظام الإيراني أهمية كبرى، وهما:

1 ـ الدعوة للوحدة الإسلامية.

2 ـ الدعوة لإصلاح الواقع الإسلامي، وعودته إلى الدين.

وقد أسيء فهم كلا الدعوتين من طرف الساسة والإعلاميين والمفكرين ورجال الدين، حيث اعتبروا الدعوة الأولى دعوة للتشيع، مع أن إيران لم تتحدث إلا عن وحدة المسلمين بغض النظر عن مذاهبهم، ولو أرادت تشييع العالم الإسلامي، لبدأت بالملايين من أهل السنة الذين يتمتعون بجميع الحقوق، ويدرسون مذاهبهم بكل حرية.

أما الدعوة الثانية، فقد اتهمت بالتمدد الفارسي، والمؤامرة على العالم الإسلامي، مع أن إيران لم تتحدث عن كل ذلك، بل كل مطالبها هي الدعوة إلى الثورة على الطاغوت، وعلى الاستكبار العالمي، والعودة للدين الأصيل.

من خلال هذه المقدمة نحاول في هذا المطلب بيان موقف إيران من كلا الجانبين من خلال تصريحات قادة ثورتها، ومن خلال ممارساتها الواقعية.

1 ـ الدعوة للوحدة الإسلامية:

مع ظهور الكثير من الدعوات للوحدة الإسلامية، ابتداء من

جمال الدين الأسدأبادي الإيراني، ومن بعده من المفكرين والدعاة، لا نجد جهة اهتمت بالوحدة الإسلامية، واعتبرتها هدفا من أهداف نظامها مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي ضحت بمصالح كثيرة من أجل هذا الهدف النبيل.

وذلك شيء طبيعي؛ فلا يمكن لنظام يزعم أنه نظام إسلامي، أن يتخلى عن الوحدة، أو يناقش فيها، وهي مطلب قرآني كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]

ولذلك لا نرى في خطابات قادة الثورة الإسلامي ذلك البعد العنصري المرتبط بالقومية، ولا الجغرافي المرتبط بالوطن، ولا المذهبي المرتبط بالتشيع، وإنما نلاحظ اهتماما بكل المسلمين، وبقضاياهم جميعا، وكأنهم جسد واحد.

ومن الأمثلة على ذلك قول الخميني في وصيته السياسية، والتي ذكر في مقدمتها أنها موجهة للعالم الإسلامي جميعا، ومما ورد فيها من الدعوة إلى الوحدة الإسلامية قوله: (ليبادر العلماء الاعلام، والخطباء الموقرون في الدول الإسلامية إلى دعوة الحكومات لتحرير أنفسها من التبعية للقوى الاجنبية الكبرى، وليتفقوا مع شعوبهم فإنهم إذا فعلوا عانقوا النصر لا محالة، عليهم أيضاً أن يدعوا الشعوب إلى الوحدة ونبذ العنصرية المخالفة لتعاليم الإسلام، ومد يد الإخوة إلى اخوانهم في الايمان في أي بلد كانوا ومن أي عرق فإن الإسلام يعد الجميع إخوة، ولو أن هذه الإخوة تحققت يوماً ما بهمة الحكومات والشعوب وبتأييد الله العلي، فسيظهر للعيان كيف أن المسلمين يشكلون أكبر قوة في العالم. عسى أن يمنّ الله سبحانه وتعالى علينا بهذه الإخوة والمساواة في يوم قريب)[1]

وهو يذكر بألم تلك الحرب المغرضة الموجهة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع سعيها في خدمة جميع المسلمين، ودعوتها إلى الوحدة بينهم، يقول: (لماذا يقوم البعض في الحجاز والكويت

---

[1] () صحيفة الإمام، ج21، ص: 381.

والأماكن الأخرى بتأويل كلامنا وتوجيه التهم الباطلة إلى دولة إسلامية تسعى لإيجاد الوحدة بين المسلمين، وتناضل من أجل طرد الغرب من أرض المسلمين. إن هؤلاء يخدمون الغرب من جهة، ويفرقون المسلمين من جهة أخرى.. ألا يعلمون أنه لا تجوز إثارة التفرقة بين المسلمين وأن ذلك مخالف للنص القرآني؟.. ألا يعلمون ذلك حقاً أم أنهم يعملون على خدمة الغرب عن عمد وقصد لا سمح الله؟)[1]

ويذكر أن من أهداف الجمهورية الإسلامية الإيرانية السعي لتحقيق الوحدة الإسلامية، من غير أن يلغي حق أي حكومة في استقلالها، على عكس ما يشيع المغرضون، يقول: (إننا نسعى للوصول إلى وحدة المسلمين جميعاً من خلال تضامن الحكومات مع شعوبها واتحاد الدول مع بعضها البعض، ولقد شاهد الجميع كيف تمكن الشعب الإيراني من سحق قوة كبيرة نتيجة الإتحاد ورص الصفوف، هدفنا هو إتحاد مليار مسلم مع بعضهم البعض، فباتحادهم هذا لن نسمع بمشكلة فلسطين وأفغانستان ثانية. ولو يدعنا وعاظ السلاطين بحالنا ولا يعرقلوا مسير وحدتنا فإننا سننتصر وجميع البلدان الإسلامية ستنتصر أيضاً) [2]

وفي لقاء له مع بعض الوزراء والسفراء العرب، قال: (آمل أن تكون علاقاتنا علاقات أخوة مع الجميع لاسيما شعوبنا الإسلامية، وأن تتمتع الحكومات الإسلامية بعلاقات طيبة مع بعضها البعض. وعلى هذه الحكومات أن تعزز روابط الإخوة فيما بينها حتى تقطع دابر الطامعين الأجانب، وآمل أن نكون إخوة وأشقاء دائماً، وأن لايحدث نفاق فيما بيننا أبدا)[3]

وهكذا نرى القائد الحالي للجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد

1() المرجع السابق، ج13، ص: 80.

2() المرجع السابق، ج13، ص: 80.

3() المرجع السابق، ج9، ص: 160.

علي الخامنئي لا يـدع مناسـبة إلا ويـدعو فيهـا للوحـدة الإسـلامية، وخاصة في المناسبة السنوية الـتي تستضـيف فيهـا إيـران مـؤتمر الوحدة الإسلامية المرتبط بمناسبة ولادة الرسول ﷺ والذي يدعى له النخبة المثقفة من العالم الإسلامي.

ومن خطاباتـه في بعض تلـك المـؤتمرات، والـتي يـذكر فيهـا تصـوره للوحـدة الإسـلامية قولـه: (اليـوم يُعـدّ الاتّحـاد في الأمّـة الإسلامية أكثر ضرورة من أي شيء آخر. فعلينا أن نصـنع الوحـدة ونوحّد كلمتنا ونجعل قلوبنا واحدة، فهذا تكليـف كـلّ من يمكن أن يكون له تأثير في هذه الأمّة الإسلامية الكبرى، سواء الحكومات أو المثّقفـون أو العلمـاء أو الفـاعلون على المسـرح السياسـيّ أو الاجتمـاعيّ. وكـل واحـد من هـؤلاء، في أي دولـة من الـدول الإسلامية، مكلّفٌ باستنهاض الأمّة الإسلامية وبيـان هـذه الحقـائق، فليبيّنوا هذه الأوضـاع المـرّة الـتي أوجـدها أعـداء الإسـلام للنـاس ويدعوهم لتحمّل مسؤوليّتهم، فهذه وظيفة الجميع)[1]

ثم بين أن مـا يحصـل من خلاف بين المسـلمين هـو بسـبب المؤامرة الكبرى التي قام بها الأعداء، ولا يزالوان، يقول: (اعلموا أنّ أعداء الإسلام والمسلمين يعتمدون بشـكلٍ أسـاس اليـوم على إيجاد الخلافات والتفرقة. إنهم لا يريدون أن تتقارب القلوب، لأنّهم يعلمون أنّ الأيادي إذا تماسـكت والقلـوب إذا تقـاربت فـإنّ الأمّـة الإسلامية ستبدأ بالتفكير في معالجة مشاكلها الكـبرى. وإنّ منشـأ أكثر هذه المشاكل ـ التي تُعدّ قضيّة فلسطين منهـا، ومنهـا قضـيّة هذه الدولة الصهيونية المختلَقـة ــ هم هـؤلاء المقتـدرون في هـذا العالم. فالعـدو يعلم أنّنـا سـنتمركز، وأنّ كـلّ الأمّـة الإسـلامية في جميـع قواهـا سـوف تتحـرّك على هـذا الطريـق حـتى نواجـه هـذا الاعتداء السافر الذي يجري، لهذا لا يسمحون بتقارب القلوب)[2]

وهو يذكر ـ كمثال على الوسائل التي يستعملها الأعداء لنشر

---

(1) خطابات الخامنئي 2010، ص75.

(2) خطابات الخامنئي 2010، ص75.

الفرقة بين المسلمين ـ ما استعملوه من [الخلاف السني الشيعي] والذي انطلى على الكثير من المسلمين، يقول: (واليوم نداء التفرقة يرتفع من قبل أعداء الإسلام. وقضيّة الشيعة والسنّة يطرحها اليوم الأمريكيون والإنكليز، وهذا عارٌ. فالمحلّلون الأمريكيون والإنكليز والغربيّون، من جملة القضايا التي يطرحونها ويتباحثون بشأنها ويؤكّدون عليها هي قيامهم بالفصل بين الإسلام السنّي والإسلام الشيعيّ وإيجاد النزاعات بينهم. إن هذا ما يريده العدوّ وهذا ما كان يفعله دوماً. وقد سعى أعداء عالم الإسلام دوماً إلى أن يستغلّوا بأقصى ما يمكن هذه الخلافات المذهبية والقومية والجغرافية والإقليمية. وهم اليوم يستخدمون الوسائل الحديثة من أجل هذا العمل. وعلينا أن نلتفت إلى هذا الأمر ونكون يقظين. يريدوننا أن ننشغل ببعض لكي ننصرف عن تلك المسألة الأساس التي ينبغي أن نتوجّه إليها. يريدون أن ينشغل المسلمون، شعوباً ومذاهب شيعة وسنّة وغيرهما، ببعضهم بعضاً حتّى ينسوا قضيّة إسرائيل. يجب أن تقرّبنا حادثة اغتصاب فلسطين إلى بعضنا بعضا. وها هم اليوم يستغلّون هذه القضيّة من أجل إبعادنا عن بعضنا بعضاً. إنّهم يُحدثون الاختلاف في العالم الإسلاميّ حول نفس هذه القضيّة الفلسطينية، ويجعلون الدول في مواجهة بعضها بعضاً. إنّ قضيّة فلسطين قضيّة واضحة ولا يوجد عند أي مذهب من المذاهب الإسلامية أي شك بأنّه إذا تعرّضت أراضي الإسلام والمسلمين في أي وقت من الأوقات للهجوم والاعتداء فإنّ الدفاع واجبٌ على جميع المسلمين. فإنّ كلّ المذاهب الإسلامية تُجمع على هذا الأمر. وهو ليس محلّ اختلاف. ومثل هذه القضيّة المتّفَق عليها يجعلونها مورد شكٍّ ويفرّقون المسلمين ويشتتونهم، ويزيدون من العصبيات المذهبية والطائفية في القلوب ويؤجّجون نيرانها، حتى يقوموا بما يريدون بسهولة)[1]

ويذكر اهتمام الجمهورية الإسلامية منذ نشأتها بالوحدة الإسلامية، ودعوتها لها بكل الوسائل، يقول: (علينا أن نستيقظ، وهذه هي كلمة الجمهورية الإسلامية. فالجمهورية الإسلامية منذ بداية

---

[1] المرجع السابق، ص75.

تأسيسها جعلت في الأسطر الأولى الأساس من أهدافها اتّحاد المسلمين وتقارب قلوبهم ومنها قضية فلسطين، وفي كلمات إمامنا الراحل قدس سره تظهر هاتان القضيّتان بوضوح تامّ وجلاء: إحداهما قضيّة إتّحاد المسلمين في جميع القضايا والتقليل من خلافاتهم والتخفيف من اختلافاتهم ومنع الخلافات الفكرية والفقهية والكلامية وأمثالها من أن تجرّ هاتين الفئتين إلى العداوة والتناحر، والقضيّة الأخرى هي قضية فلسطين، وقد التزمت الجمهورية الإسلامية بهذا الكلام. ونحن ندفع أثمانه باهظة. إنّ شعبنا ينظر إلى هذه القضيّة كواجبٍ ومسؤولية شرعية ويعلم أنّنا إذا استطعنا أن نُخرج هذا السرطان المهلك والخطر من جسد المجتمع الإسلاميّ فإنّ الكثير من مشاكل مجتمعاتنا الإسلامية سوف تُحلّ وسوف يحلّ مكانها الكثير من التعاون)[1]

2 ـ الدعوة لإصلاح الواقع الإسلامي:

2 ـ الدعوة لإصلاح الواقع الإسلامي:

انطلاقا من الأخوة التي يستشعرها النظام الإيراني تجاه جميع المسلمين؛ فإنه لم يكتف فقط بالدعوة للوحدة بين الحكومات والشعوب الإسلامية، وإنما دعا كذلك إلى خروج المسلمين من هيمنة الغرب، والفكر الغربي عليهم، وذلك بالعودة إلى الإسلام في جميع مجالاته، والاستفادة من التجربة الإيرانية في ذلك، والتي استطاعت التخلص من الهيمنة الأمريكية، والاستقلال التام عن الشرق والغرب، والتمسك بالإسلام وحده، باعتبار النظام الإلهي الذي يملك المنظومة الإصلاحية الشاملة المستغنية بذاتها، والمتوافقة مع الفطرة.

وهذا ما أطلق عليه مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وفيلسوفها الإمام الخميني [تصدير الثورة]، والذي أسيء فهمه كثيرا، لا من الحكام الخائفين على عروشهم فقط، بل من رجال الدين أنفسهم الذين راحوا يؤولون هذا بكونه تصديرا للتشيع، مع أن الخميني لم يتذكر التشيع أبدا، بل تحدث عن قضايا مشتركة،

---

(1) المرجع السابق، ص76.

يتفق عليها المسلمون جميعا.

وقد فسر الخميني مراده من تصدير الثورة، ورد على الشبه التي يلفقها الأعداء حولها في مناسبات كثيرة، ومن ذلك قوله: (إن الهدف من تصدير الثورة إلى الدول الإسلامية وكافة الدول التي يناضل فيها المستضعفون ضد المستكبرين هو الوصول إلى حالة معينة تكون فيها الحكومة غير مستبدة وغير ظالمة، ولا يكون الشعب فيها عدواً للحكومة. فهدفنا الأصلي هو المصالحة بين الشعوب والحكومات؛ فلو قامت حكومات بلدان العالم بدراسة التجربة الإيرانية واطلعت على حقيقة العلاقة بين الحكومة والشعب لتأثرت أيما تأثر)[1]

ويذكر بأسف ما تقوم به ما يسميها (الأقلام المأجورة ووكالات الأنباء والقنوات المغرضة التي تعادي إيران حكومة وشعباً) من تشويه (صورة الثورة في الخارج، والجميع هنا يعرف الهدف من ذلك. فحكومتنا وشعبنا ملتحمين متحدين ويقف فيها الجامعيون مع رجال الدين جنباً إلى جنب وكذلك بقية فئات الشعب كما ينصهر الجيش والعسكر مع عامة الشعب في بوتقة واحدة، ومع وجود هذا التلاحم لا يمكن للغرب أن يصل إلى أهدافه ولا يمكن لحكومة خائنة أن تصل للسلطة وتعمل على خدمة المصالح الغربية. فلو أدلى وزير أو رئيس الوزراء بكلمة تصب في مصالح الغرب لواجه معارضة شديدة من الشعب)[2]

وهو يذكر بأسف الدور الذي قام به رجال الدين في الدول الإسلامية من تشويه إيران، بدل أن يدعموها، ويستفيدوا من تجربتها، فيقول: (إننا فضلًا عن المعاناة التي تسببها لنا أمريكا والاتحاد السوفيتي فإننا في مواجهة فتنة عظيمة تتمثل بأولئك الذين يدّعون التدين ويتحدثون باسم الدين، والكثير من هؤلاء يتربع على رأس الهرم الديني ومؤسسات الإفتاء في العالم الإسلامي، حيث يفسر هؤلاء كلامنا كما يحلو لهم، ومن ثم يتهموننا

[1] صحيفة الإمام، ج13، ص: 79.

[2] المرجع السابق، ج13، ص: 79.

بالكفر ويعتبرونا من الخارجين عن الدين. فإن كان ذلك ناتجاً عن سوء فهم فإني أنصح هؤلاء بالدراسة المعمقة والاطلاع الدقيق على الحقائق ليدركوا فداحة الخطأ الذي ارتكبوه وبطلان التهم التي انهالوا بها علينا، وأن الغرب هو الرابح الوحيد لانعكاسات هذه الفتنة، وإن كان في ذلك تعمداً مغرضاً فليعلم هؤلاء بأنهم يواجهون دولة إسلامية سعت ومازلت تسعى لرص الصفوف والمصالحة بين الإخوة في سبيل اتحاد الدول الإسلامية بعيداً عن أسلوب التكفير الذي يتبعه الجبناء ولكن البعض ممن يرتدي لباس الإفتاء ويلقب بالمفتي الأعظم والشيخ الأكبر راح ينشر سمومه ويغرس مخالبه))[1]

ثم يتساءل متعجبا من المصادر التي يستقي منها هؤلاء مواقفهم، وعن علاقتها بالدين؛ فيقول: (لماذا يقوم البعض في الحجاز والكويت والأماكن الأخرى بتأويل كلامنا وتوجيه التهم الباطلة إلى دولة إسلامية تسعى لإيجاد الوحدة بين المسلمين وتناضل من أجل طرد الغرب من أرض المسلمين؟ أن هؤلاء يخدمون الغرب من جهة ويفرقون المسلمين من جهة أخرى.. ألا يعلمون أنه لا تجوز إثارة التفرقة بين المسلمين وأن ذلك مخالف للنص القرآني؟.. ألا يعلمون ذلك حقاً أم أنهم يعملون على خدمة الغرب عن عمد وقصد لا سمح الله؟.. ألا يعلم هؤلاء بأن أفعالهم وتصرفاتهم هذه مخالفة للإسلام وتعاليمه وتصب في مصلحة الغرب ليس إلا؟.. ألا يعلم هؤلاء أنهم بأفعالهم وأقوالهم هذه يخدمون الغرب عن قصد أو غير قصد؟)[2]

وهو يذكر الشبه التي يوردها المغرضون من أجل تشويه الثورة الإسلامية، حتى لا تستفيد منها سائر البلاد الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك قوله: (عندما نتحدث نحن عن الإمام المهدي، وهو القوة التنفيذية في الإسلام؛ فإننا نقصد أنه سيملأ الأرض بالعدل ولديهم هم نفس المعنى (يملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعد أن

---

[1] المرجع السابق، ج13، ص: 79.

[2] المرجع السابق، ج13، ص: 80.

ملئت ظلماً وجوراً)، ونحن نقول إن الأنبياء لم يوفقوا في الوصول إلى أهدافهم بشكل كامل، وسيرسل الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان من يتابع طريق الأنبياء ويحقق أهدافهم المنشودة بشكل كامل، لكن هؤلاء الناس ولا أدري أن كانوا متعمدين أم غافلين راحوا يؤولون كلامنا ومعتقداتنا وقالوا بأن فلان يزعم بأن الإمام المهدي سيتمم الشريعة، إن هذا الأمر يبعث على الأسف الشديد وهو مخالف لما نعتقده فنحن نعتبر الإمام المهدي (عليه السلام) خادماً للإسلام وتابعاً لرسول الإسلام وهو في نفس الوقت نور عين رسول الله، وسيجري كل ما أمر به الرسول الأكرم ﷺ)[1]

وهو يبين المنهج الذي تصدر به الثورة؛ فيقول: (كونوا على ثقة بأنه لو تحقق الإسلام بكل معانيه في ايران، فإن الدول سوف تقتفي هذا النهج الواحدة تلو الأخرى، إن كل فئة تأتي إلى هنا تقول بأن شعبها مهتم بإيران ويسعى لتحقيق هذا الهدف هناك، في العراق والكويت ومصر وفي كل مكان، فلو أدّينا هذا الدور بشكل جيد وطبقنا الإسلام كما هو في ايران، فإنه بالاضافة إلى انتصارنا حتى النهاية بإذن الله، سينتقل منا إلى الشعوب الإسلامية. ونحن نطمح أن تقام حكومة العدل الإسلامي في جميع البلاد الإسلامية! لقد كان حب مختلف الفئات من أبناء الشعب لهذا النظام الإسلامي حباً إلهياً ووجد بيد غيبية لدى كل الناس بحيث أن الأطفال الذين أخذوا ينطقون حديثاً وحتى الشيوخ الذين هم على عتبة القبر، كانوا صوتاً واحداً ويريدون الإسلام!)[2]

وهو يبين للعالم الإسلامي السبب الذي جعل الثورة الإسلامية في إيران تنتصر، ليقوموا بنفس العمل، فيقول: (إن حب الإسلام هو الذي نصرنا، وعلينا الآن أن نحفظ هذه الكرامة وهذا الحب! فلنعلم أن كل شيء مرتبط بالله وكل شيء يتم بيده وأن إرادته هي التي أوصلتنا إلى منتصف طريق النصر. وإذا ما حفظنا الجهات التي ينبغي حفظها، فإن هذه الإرادة ستبقى

1() المرجع السابق، ج13، ص: 79.

2() المرجع السابق، ج10، ص: 132.

محفوظة- إن شاء الله- وستوصلنا إلى النصر النهائي! والنصر النهائي هو انتصار كل البلدان والمستضعفين على جميع المستكبرين)[1]

وهكذا نرى الخميني في لقاءاته مع المسؤولين، وخصوصا ممن لهم علاقة بالخارج، ينصحهم بأن يعطوا صورة حسنة عن الإسلام، حتى يتبعهم غيرهم، ويقتدوا بهم.

ومن أقواله في هذا المجال، وهو يخاطب سفراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجمع من أعضاء الاتحادات الطلابية الإسلامية في الخارج: (إن التزام السادة المقيمين في الخارج أصعب بكثير من التزامنا نحن المقيمين في الداخل، وذلك لأن شعبنا مطلع على الموازين والمعايير الإسلامية، وعلى فرض قيام بعض الفئات والأشخاص بأفعال منافية للإسلام فإن الشعب سيدين ذلك ويستنكره، وأمّا من في الخارج فإنهم يقيمون في بيئة غير إسلامية ويعيشون وسط شعوب غير مسلمة، وحتى إن كانوا مسلمين فإن اهتمامهم بمسائل الإسلام ليس كما يجب، ولهذا فإن أي سلوك أو تصرف يصدر عنكم ويكون مخالفاً للإسلام، سيعتبره هؤلاء الجاهلون بالإسلام، من الإسلام، ويكوّنون تصوراً عن الإسلام من خلالكم. فلو كانت سفاراتنا في الخارج لا تزال تعيش الأجواء الطاغوتية أو ما هو قريب منها، فهذا يعني أن الإسلام لم يدخلها أبدا)[2]

وينصحهم قائلا: (من أهم الأمور التي تقع في دائرة مسؤوليتكم ومسؤوليتنا، مسألة تجسيد قيم الإسلام والثورة من خلال سلوككم وطريقة تعاملكم مع العاملين في السفارة والناس الذين يراجعونها، لإعطاء صورة مشرقة عن الإسلام، مما يسهم في تصدير ثورتكم إلى البلد الذي تقيمون فيه. فالالتزام بالقيم الأخلاقية ورعايتها، يسري تأثيره في نفوس الناس، وذلك لأن المسائل الأخلاقية ذات جذور فطرية، ونفوس الناس مجبولة على

[1] المرجع السابق، ج10، ص: 132.

[2] المرجع السابق، ج13، ص: 379.

تقبلهـا، ففطـرة النـاس سـليمة ولكن طريقـة التربيـة هي الـتي تفســدها.. وعليكم أن تمارســوا دوركم الــتربوي والتوعــوي في البلـدان الـتي أنتم فيهـا، كمـا لـو أنكم في بلـدكم، وأن تصـدروا الإسلام إليها وذلك من خلال الالتزام العملي بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه الأخلاقية، وتجسيد ذلك في سـلوككم وتعـاملكم مـع النـاس من حولكم)[1]

ويقول: (عليكم أنتم السادة في السفارات أن تحـافظوا على البساطة فيها قـدر الإمكـان وأن تعـاملوا من هم تحت أيـديكم من المــوظفين معاملــة أخويــة، على رغم إطــاعتهم لكم، لابــد أن تعاملوهم معاملة أخوية. كذلك ينبغي أن تكـون معاملـة ضـيوفكم، بحيث يشعر كل قادم بتجسد الإسـلام عمليـاً في سـلوككم. فنحن مهما ادعينا بأننا مسلمون وأننا جمهورية إسلامية، فلن يصدقنا أحد مـا لم يطـابق قولنـا فعلنـا ومـا لم نجسـد الإسـلام في سـلوكنا وتصرفاتنا وما لم تكن سفاراتنا سفارات إسـلامية. ولابـد من ذلـك حـتى تصـدر الثـورة إلى البلـدان الأخـرى فإنـه لا يمكن تصـديرها بــالقوة والإكــراه، وهــذه مهمتكم الــتي يمكن إنجازهــا من خلال سلوككم وكتابـاتكم وإصـداركم لمجلات فكريـة إسـلامية مصـورة. واعلموا أنـه لـو سـعيتم في تبليـغ الثـورة الإسـلامية من مـوقعكم وكذلك قام الطلبة الإيرانيون في الخارج بتبليغ الثورة من موقعهم وقاموا بـالرد على مـا يكتب وينشـر في الصـحف والمجلات هنـاك وأثبتـوا كـذب إدعـاءاتهم المغرضـة ضـد الثـورة، فـإن عملهم هـذا سيسهم كثيراً في تصدير الثورة وتبيين حقائقها)[2]

وفي لقاء له مع بعض الوفود من الهند والباكستان وضـح لهم مقصـوده من تصـدير الثـورة؛ فقـال: (إن المسـألة الأخـري هي تصدير الثورة، وقد قلت مراراً: إننا لانحـارب أحـداً لقـد تم تصـدير ثورتنــا اليــوم. ففي كــل مكــان نجــد أن الإســلام يــذكر، وأن المستضـعفين يتطلعـون إلى الإسـلام يجب تقـديم الإسـلام إلى

1() المرجع السابق، ج13، ص: 380.

2() المرجع السابق، ج13، ص: 381.

العـالم كمـا هـو من خلال الـدعايات الصـحيحة، وعنـدما تعـرف الشعوب حقيقة الإسلام فانها ستقبل عليـه لامحالـة، ونحن لانريـد شيئاً إلا تطبيق أحكام الإسلام في العالم)[1]

وهكذا نرى الخميني يقـوم بنفس الـدور من دعـوة الشـعوب الإسلامية كل حين لإصلاح حالها، والعودة للإسلام للتخلص من كل أشـكال الهيمنـة الغربيـة، ومن خطاباتـه في ذلـك قولـه في بعض مؤتمرات الوحدة الإسلامية: (الأمّة الإسلامية بلحاظ تعداد السكّان تمثّل مجموعة عظيمة ـ حوالي المليار ونصـف المليـار نسـمة هم مجمـوع الأمّـة الإسـلامية ــ وإنّ منـاطق وجـود هـذه المجموعـة العظيمـــة من حيث الوضـــع الجغـــرافّي والخصـــائص الطبيعيـــة والثروات الحيوية هي من أهمّ منـاطق العـالم وأكثرهـا حساسـيّة، وبالرغم من أنّه لا ينقصـها شـيء على صـعيد القابليّـات الإنسـانية والإمكانات الطبيعية فـإنّ هـذه الأمّـة اليـوم هي مجموعـة حـائرة. وعلامة حيرتها هو ما تشاهدونه. إنّ المصـائب الكـبرى في العـالم تحدث بشكلٍ أساس في هذه الـدول الإسـلامية. فـالفقر في هـذه الأمّـة والظلم والتميـيز فيمـا بيننـا والتخلـف العلميّ والتكنولـوجيّ والانهـــزام الثقـــافيّ والضـــعف الثقـــافيّ كلّـــه يمثّـــل حـــال الأمّـــة الإسلامية. والمقتدرون في هذا العالم يضيّعون حقّ هذه الأمّة بكلّ بساطة وصراحة، ولا تستطيع هـذه الأمّـة الإسـلامية أن تـدافع عن حقّها)[2]

ويضـرب لهم المثـل على ذلـك بمـا يحصـل في فلسـطين، فيقول: (انظروا اليوم إلى أوضاع فلسطين، فهي نموذج. ولا شـكّ بأنها نمـوذج هـام جـداً، لكنّـه لا يختصّ بفلسـطين. فـانظروا إلى فلسطين، سـترون أنّ الأمّـة الإسـلامية تعـاني من جـرحٍ كبـير في جسـدها، وهـو قضـيّة شـعب فلسـطين العظيم وأرض فلسـطين التاريخيـة المقدّسـة. مـاذا أنزلـوا بهـذه الأرض؟، وعلى رأس هـذا الشعب؟ وماذا يفعلون بهؤلاء الناس؟ وهل يمكن نسيان مـا جـرى

---

[1] المرجع السابق، ج15، ص: 273.

[2] خطابات الخامنئي 2010، ص73.

على غزّة؟ وهل يمكن محوه من ذاكرة الأمّة الإسلامية؟ .. لقد آلت أوضاع الأمّة الإسلامية مقابل هذه الظاهرة إلى حدّ وكأنّ ما يحصل لا علاقة لها به، وكأن ما يُغصب ليست حقّها وكأنها ليس هي التي تتعرّض للظلم. فلماذا نحن هكذا؟ ولماذا ابتُليت الأمّة الإسلامية بهذه الحالة؟ لقد أوجد أعداء الإسلام والأمّة الإسلامية ذلك السرطان المهلك الخطِر المسمّى دولة إسرائيل الصهيونية المزعومة في هذه المنطقة. والداعمون لهذا الكيان شركاء له في الظلم والجرائم الكبيرة التي يرتكبها. وها هم يدافعون عن إسرائيل ولا يمكن للأمّة الإسلامية أن تدافع عن نفسها، فهذا ضعفنا. لماذا؟ علينا أن نجبر هذا الضعف بالرجوع إلى الإسلام وبجعل تعاليم الرسول المكرّم محوراً لكافة اهتماماتنا) [1]

هذه تصورات قادة الثورة الإسلامية لمعنى تصدير الثورة الذي أسيء فهمه، لا من السياسيين فقط، وإنما من المتدينين، بل من رجال الدين أنفسهم، الذين لم يقرؤوا ولو كلمة واحدة مما قاله هؤلاء القادة، واكتفوا بما يملى عليهم، أو بما تذكره وسائل الإعلام، أو بما يذكره سادتهم من السياسيين.

خامسا ـ ولاية الفقيه والتعامل مع العالم:

خامسا ـ ولاية الفقيه والتعامل مع العالم:

الرؤية المبدئية التي ينطلق منها النظام الإيراني في تعامله مع العالم هي ما نص عليه الإمام علي في وصيته لمالك الأشتر حين ولاّه مصر وقال له: (لا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان؛ إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق)[2]

أو ما نص عليه قبل ذلك ما ورد في القرآن الكريم من الأمر بلزوم رعاية العدل، وعدم التجاوز بالنسبة إلى أي إنسان ـ مسلماً كان أو غير مسلم ـ كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

---

[1] خطابات الخامنئي 2010، ص73.

[2] نهج البلاغة الكتاب (53).

لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]

ولهذا، فإن قادة الثورة الإسلامية لم ينظروا إلى العالم غير المسلم بكونه كافرا، يجب استئصاله كما تؤمن الحركات الإسلامية المتطرفة، وإنما ينظرون إليه باعتباره عالما محترما يحتاج منا أن نعرض له الإسلام بصورة حسنة، وأن نعايش قضاياه ومشاكله، ونحاول علاجه من منطلق الأخوة الإنسانية، لا من منطلق الهيمنة والاستبداد.

ولهذا نلاحظ الإمام الخميني يصحح للحركة الإسلامية تعاملها مع العالم، فهو يرى أن الصراع ليس صراعا عقائديا بين الكفر والإيمان، وإنما هو صراع بين المستكبرين والمستضعفين، كما نص على ذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة كقوله تعالى حكاية عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) ﴾ [الأعراف: 75 - 77]

وقد نص على المبادئ التي تقوم عليها العلاقة بين إيران ودول العالم الإمام الخميني حين سئل عن سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية تجاه الدول الأوروبية، فأجاب بقوله: إننا نريد أن تكون لنا علاقات ودية حسنة مع جميع شعوب العالم ودوله تقوم على أساس الاحترام المتبادل ما عدا الدول التي تعاملنا معاملة عدائية، وتريد أن تظلمنا، وتحاول السيطرة علينا، فإننا نرفض ذلك، ولن نسمح لأحد أن يتدخل في أمور بلادنا، ويتحكم فيها، كما كان يتحكم فيها في العهد البائد. فنحن ـ طبعاً ـ لا نستطيع أن نقيم علاقات ودية مع هؤلاء. أما الدول التي لها معنا علاقات حسنة، فلنا معها علاقات حسنة أيضاً. فإذا احتاجت هذه الدول إلى شيء نمتلكه نحن، واحتجنا نحن إلى شيء يمتلكونه هم، فلا مانع من التبادل، فمثلاً: إذا كان هؤلاء يحتاجون إلى النفط، ونحن نحتاج إلى أشياء محدودة، فهذا تبادل يمكن أن يحصل بشكل طبيعي بين الأفراد كما يمكن أن يحصل بين الدول.

وأمر ذلك يعود طبعاً إلى مجلس الثورة، ثم إلى الحكومة)[1]

وانطلاقا من النصوص المقدسة الداعية إلى البراءة من المستكبرين، وتحديهم، وعدم الركون إليهم نرى الخميني يوجه نداءاته المتتالية للمسلمين للوقوف في وجه الاستكبار العالمي، وإظهار البراءة منه، وهو ما أثار عليه غضب كل أذناب الاستكبار الذين يعتبرون أنفسهم حلفاء لهم، مع أنهم ليسوا سوى عبيد بين يديه.

وقد رد الخميني على هؤلاء، وخصوصا رجال الدين الذين وقفوا ضد دعوة الخميني، بل راحوا يصورونها بصورة التمدد الشيعي، لا بصورة النهضة الإسلامية، يقول الخميني: (من المسلم به أن المستعمرين وأعداء الشعوب لن يقر لهم قرار بعد هذه المراسم، وسوف يتوسلون بكافة المكائد والحيل ويحوكون المؤامرات ويستنجدون بعلماء البلاط وأجراء السلاطين والقوميين والمنافقين، ويتجهون نحو الفلسفة والتفسير المغلوط والمنحرف، ويقدمون على أي عمل يضمن لهم نزع أسلحة المسلمين وتوجيه ضربة قاصمة لأبهة واقتدار أمة محمد ﷺ، وربما يقول الجهال المتنسكون أنه لايجب هتك حرمة بيت الله وكعبة الآمال بالشعارات والمظاهرات والمسيرات وإعلان البراءة، وأن الحج عبادة وذكر وليس ميدان استعراض وقتال، وربما يوحي العلماء المتهتكون بأنّ القتال والحرب والبراءة من عمل رجال الدنيا، وولوج السياسة وفي أيام الحج بالذات دون شأن علماء الدين.. إنّ هذه الإيحاءات تعد من خفي سياسات المستعمرين وتحريضاتهم، لذا ينبغي على المسلمين أن يهبوا للدفاع عن القيم الالهية ومصالح المسلمين ويواجهوا الأعداء بكل الامكانيات والسبل المتاحة، وأن يرصوا صفوفهم لهذا الدفاع المقدس، وألا يفسحوا المجال لهؤلاء الجهلة والمستائين وأتباع الشيطان للانقضاض على عقيدة وعزة المسلمين)[2]

---

[1] صحيفة الإمام، ج11، ص: 135.

[2] المرجع السابق، ج20، ص: 260.

ثم يـبين المغـزى من الـدعوة إلى الـبراءة من المسـتكبرين والوقوف في وجههم، فيقول: (إنّ صرختنا بالبراءة من المشركين اليوم هي صرخة من جور الظالمين، وصـرخة شـعب ضـاق ذرعـاً من تطاول الشرق والغـرب عليـه وعلى رأسـهم أمريكـا وأذنابهـا، ونهب بيته ووطنه وثروته) [1]

ثم يذكر نماذج عن المستضعفين، ومـا قـام بـه المسـتكبرون تجاههم، يقول: (تمثل صـرختنا بـالبراءة صـرخة الشـعب الأفغـاني المظلوم، وأنا متأسف من عدم إصغاء الاتحاد السوفيتي لتحـذيري بشأن افغانستان، فقام بمهاجمة هذه الدولة الإسلامية؛ قلت مراراً وأنا الآن أقول: دعوا الشعب الأفغاني وشأنه، دعوه يحـدد مصـيره بنفسه ويتكفل باستقلال بلده؛ أنه ليس بحاجة لولاية من الكرملين أو وصاية من أمريكا، ومن المسلم أنه لن يستسلم لسلطة أخـرى بعـد خـروج الجنـود الأجـانب من وطنـه، وسـوف يقصـمون ظهـر أمريكا فيما لو نـوت التـدخل في شـؤون بلـدهم.. وتمثـل صـرختنا كذلك صرخة الشعب الإفريقي المسـلم، صـرخة إخواننـا وأخواتنـا في الــدين الــذين يتحملــون ســياط ظلم الأشــقياء العنصــريين لا لشيء إلا لاسوداد بشرتهم.. إنّ هتافنا بالبراءة هو هتـاف الشـعب اللبناني والفلسطيني وكافـة الشـعوب الأخـرى الـتي نهبت القـوى العظمى نظير أمريكا واسرائيل ثرواتها وترنو إليها بطمع، فنصـبت عملائها ومأجوريها على تلك الشـعوب، وأمسـكت بمقاليـد الأمـور في بلدانهم وهي تبعد آلاف الكيلو مـترات، وأحكمت قبضـتها على حدودها البرية والبحرية.. إن صرختنا بـالبراءة هي صـرخة الـبراءة من جميع الشعوب التي ضاقت ذرعاً بتفرعن أمريكـا وغطرسـتها، والتي لاتـرغب بكظم غيظهـا في حناجرهـا إلى الأبـد، وأزمعت أن تعيش حرة وتموت حرة) [2]

وهو يرى أن هذه البراءة ليست خاصة بالمستضعفين من بلاد العالم الإسلامي، بل هي تشـمل المستضـعفين في جميـع العـالم،

---

[1] () المرجع السابق، ج20، ص: 260.

[2] () المرجع السابق، ج20، ص: 261.

يقول: (تمثل صرختنا بالبراءة صرخة الدفاع عن المذهب والشرف والعرض، وصرخة الذود عن الأموال والثروات،و الصرخة المؤلمة للشعوب التي مزقت حربة الكفر والنفاق قلوبهم الطاهرة.. إنّ صرختنا بالبراءة هي صرخة الفقر والفاقة للجائعين والمحرومين لما ابتز المموهون واللصوص المحترفون حاصل عرق جبينهم وأتعابهم، وأقدموا على سلب ممتلكات الشعوب الفقيرة والفلاحين والعمال والكادحين باسم الراأسمالية والاشتراكية والشيوعية، فربطوا شريان الاقتصاد العالمي بأنفسهم، وحرموا الناس من بلوغ أقل الحقوق) [1]

وانطلاقا من هذه المعاني حملت الثورة الإسلامية شعار [لا شرقية ولا غربية] لتبين عدم انحيازها لأي جهة أو دولة أو نظام، ولتعطي النموذج للمستضعفين حتى يتحرروا من التبيعة للشرق والغرب، يقول الخميني: (كان شعار [لاشرقية ولا غربية] الشعار المبدئي للثورة الإسلامية في عالم الجياع والمستضعفين، وراسم معالم السياسة الواقعية لعدم الانحياز في الدول الإسلامية، تلك الدول التي ستجعل الإسلام في القريب العاجل المدرسة الوحيدة لإنقاذ عالم البشرية، ولن تعدل عن هذه الاسياسة قيد أنملة، فلا يجب أن تعلق الدول الإسلامية والشعوب المسلمة في العالم آمالها على الغرب وأوربا وأمريكا أو الشرق وروسيا)) [2]

وهو يذكر أن من مقتضيات هذه الشعارات الخروج من أي تبعية ولأي جهة، يقول: (لا يتصور متصور أن هذا الشعار مقطعي، بل هذه سياسة أبدية لنا ولشعبنا وللجمهورية الإسلامية ولكافة المسلمين في العالم؛ لأنّ شرط دخول صراط النعمة حق البراءة والابتعاد عن صراط الضالين، ويجب أن يطبق ذلك في كل المجتمعات الإسلامية وعلى كافة الأصعدة.. يجب على المسلمين أن يفكروا في طرد الاستعمار من بلدانهم الإسلامية ويوظفوا كل طاقاتهم لذلك، وألا يجعلوا المستعمرين يستثمرون إمكانياتهم

---

[1] المرجع السابق، ج20، ص: 261.

[2] المرجع السابق، ج20، ص: 262.

لصالحهم ولضرب الدول الإسلامية، فمن الخزي والعار على البلدان الإسلامية ورؤسائها أن يتوغل الأجانب إلى المراكز السرية والعسكرية للمسلمين، وعلى المسلمين أن لا يخشوا الضجيج والصخب والدعايات المغرضة، فإنّ صروح الاستكبار العالمي وقدراته العسكرية والسياسية أوهن من بيت العنكبوت وتؤول إلى الانهيار.. يجب على المسلمين في العالم أن يعملوا على إصلاح القادة العملاء لبعض الدول، وأن يوقظوهم من هذا النوم العميق الذي يجعل مصالحهم ومصالح االشعوب الإسلامية في مهب الريح عن طريق النصيحة أو التهديد؛ وعليهم أن لايغفلوا عن خطر المنافقين ووسطاء الاستكبار العالمي، وأن لايقفوا مكتوفي الأيدي ويتفرجوا على مشهد اندحار الإسلام ونهب ثرواته وانتهاك أعراض المسلمين) [1]

وهو يتحدث في كل مناسبة عن ضرورة وقوف الأمة جميعا مع فلسطين، ومواجهة العدو الصهيوني، وعدم الجلوس معه في أي مفاوضات، يقول: (يجب أن تفكر الشعوب الإسلامية على إنقاذ فلسطين، وأن تعبر عن استنكارها الشديد من مساومة بعض القادة العملاء الذين أضاعوا أهداف مسلمي هذه المنطقة، وألا تسمح بجلوس هؤلاء الخونة على طاولة المفاوضات ليصبح ذلك وصمة عار في جبين الشعب الفلسطيني الباسل.. عجباً لهؤلاء البشر، فكل يوم يمضي على الكارثة المروعة لاغتصاب فلسطين يزداد صمت ومساومة قادة الدول الإسلامية ومجاراة إسرائيل الغاصبة، حتى وصل الأمر إلى أن شعار تحرير بيت المقدس لا يتناهى إلى الأسماع؛ ولئن قامت دولة كإيران التي تمر بحالة من الحرب والحصار بمساندة الشعب الفلسطيني لاستنكروا وشجبوا ذلك، حتىأنّهم يفزعون من تسمية أحد الأيام بيوم القدس.. أخشى أن يتصور أولئك أن مرور الزمن سيلمع صورة اسرائيل والصهيونية، أو أن الذئاب الصهيونية الضارية قد تخلت عن فكرة تكوين بلد يمتد من النيل إلى الفرات) [2]

---

[1] () المرجع السابق، ج20، ص: 262.

[2] () المرجع السابق، ج20، ص: 260.

وهو يبين أن سياسة إيران نحو فلسطين مثل سياستها نحو جميع المستضعفين سياسة ثابتة ومستمرة حتى لو خالفها في ذلك جميع المسلمين، يقول: (لن يقلع المسؤولون الايرانيون المحترمون وشعبنا الأبي والشعوب الإسلامية عن قتال هذه الشجرة الخبيثة حتى استئصالها، فتجب الاستفادة من عزم أنصار الإسلام والقدرة المعنوية لأمة محمد ﷺ وإمكانيات الدول الإسلامية، وجعل إسرائيل نادمة عما ارتكبته من جرائم، وتحرير الأراضي المغتصبة عبر تشكيل خلايا للمقاومة في جميع أنحاء العالم.. إنني أحذر مجدداً من خطر استشراء الغدة السرطانية للصهانية في جسد الدول الإسلامية، وأعلن مساندة ايران شعباً وحكومة لنضال جميع الشعوب الإسلامية لا سيما الفتية الغيارى في طريق تحرير القدس، وأعرب عن جزيل شكري لشباب لبنان الأعزاء الذين رفعوا هامة الأمة الإسلامية عالياً بإذلالهم المستعمرين، وأدعو لنصرة كافة الأحبة في داخل الأراضي المحتلة وخارجها الذين يوجهون ضربة قاسية لإسرائيل ومصالحها مستندين إلى سلاح الايمان والجهاد) [1]

وعلى هذا النهج استمر القائد الحالي للثورة الإسلامية السيد علي الخامنئي الذي لا يكاد تخلو خطاباته من الدعوة لمواجهة المستكبرين ونصرة المستضعفين، وبكل الوسائل، ومن ذلك قوله في بعض خطبه: (إنّنا نقول الشيء الذي في قلوبنا، ونعلم أنّه حديث قلوب الشعوب وقلوب الكثير من الحكومات. إنّنا نعارض الاستكبار ونعارض نظام الهيمنة ونعارض بشدّة تسلّط بضعة بلدان على مصير العالم ونكافح هذا التسلّط ولا نسمح لهم بالتلاعب بمصير العالم)[2]

وهو ـ مثلما ذكر الخميني ـ يذكر أن هذا الخطاب لن يعجب قوى الاستكبار العالمي، لهذا تلفق التهم كل حين، والتي لا تنطلي إلا على المغفلين، يقول: (ومن الواضح أن تعارضنا تلك الحكومات

---

[1] المرجع السابق، ج20، ص: 263.

[2] خطابات الخامنئي 2010، ص49.

فتتــذرع بــذرائع الملــفّ النــوويّ ومــا يتّصــل بحقــوق الإنســان والديمقراطيــة. والكــلّ في العــالم يعلم أنّهم يكــذبون ويمارســون الرياء والنفاق. وقد بعثوا مأمورهم ثانية إلى هنا يجول في أطراف الخليج الفارســيّ ويكــرّر نفس تلــك الأكــاذيب والهــذيان ضــدّ الجمهورية الإسلامية: إيران تروم الحصول على قنبلــة نوويــة! من الذي يصــدّق كلامكم؟ من يصــدّق أنّكم تفكّــرون بمصــالح شــعوب هــذه المنطقــة؟ أنتم الــذين ســحقتم شــعوب هــذه المنطقــة، مــا اســتطعتم وبمقــدار مــا سُــمح لكم، تحت أقــدام مصــالحكم غــير المشروعة.. أنتم مثيرو الحــروب، أنتم هــاجمتم العــراق وهــاجمتم أفغانســتان وتهــاجمون باكســتان وتعيــدون جــرائمكم هــذه في أيّ مكان آخر استطعتم، ثم تأتون لتصرّحوا ضد الجمهورية الإسلامية؟ جميع شعوب المنطقــة تعلم والكثــير من حكومــات المنطقــة تعلم أنّ الجمهورية الإسلامية تناصر السلام وتناصر الأخوة وتناصر عــزّة بلدان هذه المنطقة وعزّة البلدان الإسلامية)[1]

هذه نماذج بسيطة عن موقف الجمهورية الإســلامية الإيرانيــة من دول العالم وشعوبها، فهي تقســمها بحســب التقســيم القــرآن إلى المستضعفين والمستكبرين، وتدعو إلى مواجهة المســتكبرين مهمــا كــان دينهم، حــتى لــو ادعــوا الإســلام، وتــدعو إلى مناصــرة المستضعفين، حتى لو كانوا من غير المسلمين.

وذلك كله ليس سوى تطبيق لما ورد في القــرآن الكــريم من الدعوة لاحترام الشعوب بعضها لبعض، وحوار بعضــها مــع بعضــها، وتعاونها جميعا على نصرة المستضــعفين، ومواجهــة المســتكبرين، كمــا قــال تعــالى:، وهــو مــا نص عليــه قولــه تعــالى: ﴿وَمَـا لَكُمْ لَا تُقَــاتِلُونَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْــعَفِينَ مِنَ الرِّجَــالِ وَالنِّسَــاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَـةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَـا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَـلْ لَنَـا مِنْ لَـدُنْكَ نَصِـيرًا (75) الَّذِينَ آمَنُـوا يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَـرُوا يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّـيْطَانِ كَـانَ ضَـعِيفًا﴾ [النساء: 75، 76]

---

[1] المرجع السابق، ، ص49.

الفصل الخامس

ولاية الفقيه.. والمساواة العادلة

تعتبر [المساواة] ـ بحسب مفهومها الإسلامي الأصيل ــ من القيم الكبرى التي قامت عليها الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما نص على ذلك قادتها ودستورها، ودل عليه واقعها، وهي قيمة تشمل جميع المواطنين بغض النظر عن أعراقهم وأجناسهم وأديانهم ومذاهبهم.

ومن النصوص الدستورية الدالة على ذلك ما ورد في المادة التاسعة عشرة من الدستور الإيراني، والتي تنص على ما يلي: (يتمتع أفراد الشعب الإيراني ــ من أية قومية أو قبيلة كانوا ـ بالمساواة في الحقوق ولا يعتبر اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك سبباً للتفاضل)

وتنص المادة العشرون على أن (حماية القانون تشمل جميع أفراد الشعب ــ نساء ورجالاً ــ بصورة متساوية، وهم يتمتعون بجميع الحقوق الإنسانية والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافية ضمن الموازين الإسلامية)

وقد نص كافة قادة الجمهورية الإسلامية ومفكروها وفقهاؤها على هذا، واعتبروه من أساسيات الشريعة، بل كان من الأهداف الكبرى للثورة الإسلامية في إيران مواجهة الحكم الأرستقراطي والطبقية التي كان يفرضها الشاه، ولذلك كان يرمي الإسلاميين وقادة الثورة الإسلاميين بكونهم يساريين وشيوعيين، لأنهم يطالبون بالمساواة، وحقوق العمال وحقوق المستضعفين.

والاهتمام بهذه القيمة هو الذي أكسب الثورة الإسلامية جمهورا عريضا، ومن جميع أطياف الناس، ذلك أن قادة تلك الثورة لم يعتبروا الصراع صراعا دينيا، وإنما اعتبروه صراعا بين المستكبرين والمستضعفين، ولذلك وقف بجنبهم جميع المستضعفين.

وعند مطالعة الخطابات والبيانات والنداءات التي كان يلقيها الخميني في ذلك الحين نكتشف نمطا عجيبا من الدعاة الذين استطاعوا بحنكتهم أن يكسبوا ود كل الشعب، لأنه مثل قضاياهم وحاجاتهم، وبين في نفس الوقت أن الشريعة الإسلامية هي وحدها من يمكنها أن تراعي تلك الحاجات، وأن تكفل تحققها في الواقع.

وقد استطاع الخميني بذلك السلوك أن يقضي على تلك المقولة التي يطلقها الشيوعيون [الدين أفيون الشعوب]، حتى أن الكثير من اليساريين تخلوا عن تلك المقولة بعد أن رأوا الدور العظيم الذي قام به الخميني، بل فيهم من صار ملتزما، بل فيهم من أعلن إسلامه.

وقد أشار إلى هذا بعض المواقع المغرضة الحاقدة عند ذكرها لإسلام روجيه جارودي، ففي مقال بعنوان [حقيقة روجيه جارودي]، ورد هذا النص: (جارودي والرافضة: الباطنية جميعاً أمة واحدة وإن تعددت وجوهها، أو اختلفت في بعض المواقف والتفاصيل، وهكذا نجدها جميعاً في صف الثورة الرافضية التي فجرها كاهن النجف: الخميني، وجارودي منهم، ولذلك نجده يقول: (مع هالة الظفر الهائل للطف والقوة الروحية في مواجهة قوة الأسلحة المادية، صار الإمام الخميني القائد الباهر للبلاد باسم الأخلاقية الإلهية المقاومة لقمع الشيطان الأمريكي وربيبه؛ الشاه السابق)[1] .

بل إن جارودي لم يكف عن ذكر ذلك، بعد أن بهره الانتصار التاريخي الذي حققته الثورة الإسلامية بقيادة الخميني وفي أقل مدة، وبأقل التضحيات، وفي أصعب الظروف، فقد قال يصفها في أحد مقالاته: (إن الثورة الإسلامية التي تزعمها الإمام الخميني لا تشبه حقا أياً من الثورات السابقة التي قامت لتغيير النظم السياسية، وكذلك الثورات الإجتماعية التي شهدها العالم تعبيراً عن نقمة الفقراء وسخطهم على الأغنياء وأفرغت جام غضبها على رؤوس المستعمرين والغاصبين. لكن الثورة الإسلامية

[1] حقيقة روجيه جارودي، الشيخ عبد الحق التركماني، موقع الراصد، 20 يونيو 2012.

الإيرانية هي الاخرى كانت تحظى بكل هذه الدوافع والمسببات، كان لهذه الثورة إلى جانب ما تقدم معان جديدة .فانها لم تطح بحكومة سياسية وإجتماعية وإستعمارية فحسب وانما اطاحت كذلك بحضارة ورؤية عالمية مميزة كانت قد تحدّت الدين)[1]

بل إن جاروي ــ نتيجة انبهاره الشديد بالثورة الإسلامية الإيرانية ـ وكيف استطاعت أن تنتصر على الطاغوت الذي يمثله الشاه، ومن يقف خلفه من قوى الاستكبار العالمي، راح يؤلف كتابه الذي عنونه [ثورة الإمام الخميني]، وقد ورد في التعريف به ما يلي: (يبدو أن مفاجأة جارودي بحدث اختصار الثورة الإسلامية بإيران كان وراء اعتناقه الإسلام، وإعلان ذلك أواخر عام 1981. وفي هذه الفترة بالذات نشر عدة كتب عن الإسلام منها: وعود الإسلام 1981، الإسلام والغرب 1987م. ولم يبرح هذا المفكر الكبير على طول الأعوام العشرين الماضية عن مواصلة نشاطه العلمي سواءً أكان عن طريق الكتابة والتأليف أم المساهمة بإلقاء تصوراته وإيصالها إلى الناس عن طريق المؤتمرات في كل مكان يقصده، وبعد مرور عشرين عاماً على انتصار الثورة الإسلامية بإيران، وبمناسبة الذكرى السنوية العاشرة لرحيل الإمام الخميني بالذات استضاف المركز الإسلامي بلندن مؤتمرا تحت عنوان [نظريات الإمام الخميني حول المشاكل المعاصرة] وكانت هذه المقالة هي إحدى الدراسات التي قدمت لهذا المؤتمر. وقد ألقاها الفيلسوف روجيه غارودي، وفيها حاول التركز على دور الإمام الخميني كقائد روحي ينفرد بمزايا الخاصة، وعلى الثورة العصرية التي نهض بها كأطروحة بديلة لنظام جديد يجمع بين المكونات التي تقوم عليها الفلسفة التكاملية)[2]

وعند مطالعة ما يسمى [صحيفة الإمام] تلك الصحيفة التي جمعت خطب وبيانات ونداءات ولقاءات الخميني، وفي أجزائها

1() نقلا عن مقال بعنوان: الثورة الإسلامية في ايران وقيمها الثقافية، محمد سالار، موقع إذاعة طهران العربية.

2() ثورة الإمام الخميني، روجيه غارودي، ص3..

التي تتجاوز العشرين جزءا نجد الشعور بالمساواة مع جميع المواطنين تتجلى بأنصع صورها، بل إن الخميني يتجاوز فيها المساواة والندية مع شعبه المحب له إلى أن يعتبر نفسه مجرد خادم متواضع له.

ولا بأس أن نذكر هنا حادثة ترتبط بمدى تواضع الخميني، وهي من الحوادث الكثيرة التي جعلت شعبه يثق فيه، باعتباره يمثل كل ما يقوله خير تمثيل، ويرويها أحد موظفي مكتبه الخاص أيام حياته، واسمه [الشيخ هاتفي]، والتي قدم لها بقوله: (كانت تأتي إلى بيت الإمام أصناف مختلفة من الزوار، منهم المسيحي ومنهم اليهودي ومنهم الشيوعي ومنهم الليبرالي، إلى جانب أحبائه وأنصاره طبعاً، ولكن الكثير منهم كان بمجرد أن يطلع على زوايا البيت الصغير الذي كان يعيش فيه الإمام يبدأ بالبكاء، لأنهم لم يكونوا يصدقوا أن يكون بإمكان رجل يعيش كل هذه البساطة والزهد ان يتحدى جبابرة عصره أو أن يكون بإمكان هذا الرجل الزاهد تأسيس دولة عصرية؛ وكما اعتقد فان مثل هذه المشاعر طبيعية جداً لأي إنسان يمتلك فطرة سليمة) [1]

ثم ذكر الحادثة، وهي من عشرات الحوادث المروية عنه كما ذكرنا؛ يقول: (في أحد الأيام أصاب الحنفية التي كان يتوضأ منها الإمام عطل بسيط، فأمر الإمام بإصلاح العطل، لكنا فضلنا إبدال الحنفية بأكملها بأخرى جديدة، وعندما علم الإمام بما قمنا به أخذ يوبخنا لما اعتبره إسرافا في صرف المال، بل إنه قال لنا بأنه سوف لن يتوضأ من هذه الحنفية الجديدة حتى يتم إبدالها بتلك الحنفية القديمة التي اضطررنا إلى إصلاحها فيما بعد، وفي حادثة مشابهة كنا قد قررنا إعادة طلاء الجدار الداخلي للحسينية التي كان يقابل فيها الإمام زواره وجماهيره، وذلك بعد أن لاحظنا أن جانباً من الجدار بدأ يستهلك، لكن الإمام وعندما سمع أصوات العمال وهم يهمون بالعمل خرج إلى شرفة المسجد ليطلب منا إيقاف العمل فوراً، مشيراً إلى أن هذا المسجد سيبقى كما هو دون أي تجميل أو إعادة بناء ما دام هو حياً، قائلاً: (عندما أموت

---

[1] انظر مقالا بعنوان: تواضع الإمام الخميني حيَّر الأعداء.

افعلوا ما تشاءون)

والإمام الخميني يذكر لزواره الذين يتأثرون بزهده وتواضعه ما كان عليه رسول الله ﷺ، وما كان عليه أهل بيته، حتى يصرفهم عن النظر إليه إلى النظر القدوة الأكمل الذي أمرت الأمة جميعا بالتأسي به.

ومن أقواله في ذلك: (النبيّ الكريم ﷺ الّذي كان علمه من الوحي الإلهيّ، وكانت روحه من العظمة بحيث إنّها بمفردها غلبت نفسيّات كلّ البشر، إنّ هذا النبيّ قد وضع جميع العادات الجاهليّة والأديان الباطلة تحت قدميه، ونسخ جميع الكتب، واختتم حلقة النبوّة بشخصه الكريم، وكان هو سلطان الدنيا والآخرة والمتصرّف في جميع العوالم بإذن الله، ومع ذلك كان تواضعه مع عباد الله أكثر من أيّ شخص آخر. كان يكره أن يقوم له أصحابه احتراماً، وإذا دخل مجلساً لم يتصدّره، ويتناول الطعام جالساً على الأرض، قائلاً: إنّني عبدٌ، آكل مثل العبيد وأجلس مجلس العبيد.. كان ذلك الإنسان العظيم يركب الحمار مع غلامه أو غيره، ويجلس على الأرض مع العبيد، وفي سيرته أنّه كان يشترك في أعمال المنزل، ويحتلب الأغنام ويرقّع ثيابه ويخصف نعله بيده، ويطحن مع خادمه ويعجن، ويحمل متاعه بنفسه، ويجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم.. هذه وأمثالها، نماذج من سيرة ذلك الإنسان العظيم وتواضعه، مع أنّه فضلاً عن مقامه المعنويّ كان في أكمل حالات الرئاسة الظاهريّة)[1]

وبناء على هذا؛ فإن الدعوة التي كان يدعو من خلالها للمساواة بين جميع أفراد المجتمع، ومواجهة الطبقية والظلم الذي كان يمارسه النظام الارستقراطي الذي تبناه الشاه، لم تكن دعوة باللسان، وإنما كانت واقعا عمليا يعيشه؛ فهو كسائر أبناء المجتمع يعيش مثلما يعيشون، ويتألم لكل ما يتألمون.

ولهذا نجد في كلماته حرارة نفتقدها في الكثير من الدعاة الذين نجد عندهم الكثير من الكلام، ولا نجد عندهم ذرة من

1() الأربعون حديثاً، الإمام الخمينيّ قدس سره، ص 95 ـ 96..

الأفعال المثبتة لما يقولون.

ومن الأمثلة على ذلك أنه قبل الدورة الأولى لانتخابات رئاسة الجمهورية، تعرض لوعكة صحية، وذهب إلى مستشفى القلب في طهران، ورأى بعض مظاهر الرعاية الصحية التي قوبل بها، قال ــ وهو يخاطب شعبه وكأنه يعتذر له عن تلك العناية الخاصة التي عومل بها ــ: (أريد أن أقول كلمتين: الأولى عن حالتي التي هي والحمد لله ليست بسيئة، وربما وفّر لي السادة الأطباء والسيد وزير الصحة الكثير من الخدمات التي لم نتعود نحن طلبة العلوم الدينية عليها، وسأكون مسروراً حين أعلم أن هؤلاء السادة يهتمون ويوفّرون الرعاية حالياً لسكّان الأكواخ والخيام في المدن الذين لم يكونوا يحظون بأي عناية في زمن الطاغوت، إن الخدمات الصحية تعتبر من الحاجات الأولية للناس، ويجب أن تتوفر للجميع؛ فلا تكون لشخص رعاية خاصة ولشخص آخر لا شيء، وأنا أرجو أن يهتم الأطباء أينما كانوا، والحكومة ووزير الصحة والشعب بالوضع الصحي لسكان الأكواخ، هؤلاء الفقراء وهم عيال الله)[1]

ولهذا؛ فإنه في كل خطاباته قبل الثورة وبعدها يوجه الأنظار إلى العامة والمستضعفين، ويطلب أن تتحقق المساواة والعدالة بين كل أفراد المجتمع، ومن ذلك قوله أثناء تواجده في باريس قبيل انتصار الثورة الإسلامية مخاطبا جمعا من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج رد فيه على بعض ما نشرته الصحف الشيوعية حول برجوازية الإسلام، وكونه أفيونا للشعوب، ومما جاء فيه قوله: (ينبغي أن نلاحظ هل أن القرآن، وهو مصدر الإسلام الأول، والإسلام وبنصوصه الأصلية التي لم تمسها أيدي التحريف؛ هل كان يدعو الناس إلى الخضوع للأغنياء والسكوت على ما يرتكبه أصحاب النفوذ والأقوياء من سرقات وتجاوز على ثرواتهم، وهل كان يمنيهم بالجنة ثمناً لهذا السكوت، أم أن القرآن فتح الحجاز وهزم الطواغيت بهؤلاء المعدمين والفقراء الذين لم يكن لكثير منهم مأوى؛ فيضطرون للمبيت في صفة المسجد

---

(1) صحيفة الإمام، ج4، ص: 218.

متقاربين فيما بينهم ولم يكن لديهم ما يقتاتون عليه إلا القليل الذي يعطونه من هنا وهناك أو يحصلون عليه، بل كانوا يتقاسمون التمرة الواحدة فيما بينهم. فهل من يفعل هذا مخدر، أم أنك أنت الذي تريد تخدير الآخرين بمثل هذه الادعاءات؟! .. إن الذين يصفون الإسلام بالأفيون يريدون إغراق المسلمين في نوم الغفلة وإبعادهم عن دينهم ليتمكنوا من نهب ثرواتهم، إذن الأفيون هو ذات الادعاء بأن الإسلام أفيون الشعوب وليس الإسلام إذ أن إطلاق مثل هذه الادعاءات يهدف إلى استغفال الناس وتخديرهم؛ وهذا هو الأفيون الحقيقي وليس الدين الذي جاء به النبي الأكرم وفتح في عهده الحجاز بمجموعة قليلة من الفقراء فنشر القسط والعدل في ربوعها)[1]

ويذكر كيف واجه أولئك الضعفاء كبار الامبراطوريات العالمية كفارس والروم، وكيف استطاعوا أن يهزموهم؛ فقال: (وفي وقت كان الفرس يزينون خيولهم بالذهب وأمثاله، جاء هؤلاء الحفاة الحاسري الرؤوس، تتناوب كل مجموعة منهم على جمل أو حصان واحد، لأنهم كانوا يفتقرون إلى التعداد الكافي من الخيل والجمال والمؤن المناسبة؛ لكنهم كانوا مقتدرين: إذ منحتهم تعاليم الإسلام الأصلية تلك القوة الفائقة، وقد منحهم ذلك الذي جسد حقيقة الإسلام، تلك القوة التي جعلت من أولئك المعدمين الذين كانوا يتخطفهم الناس، يحملون سيوفهم اليوم ويهزمون هاتين الامبراطوريتين، وفي ذلك الوقت كانت هاتان الإمبراطوريتان تهيمنان على العالم؛ فكيف هزمهما تعداد قليل من العرب المعدمين والصعاليك الذين كانت جيوشهم تفتقد العدة الكافية من السيوف والدروع وسائر المعدات الضرورية؟! لقد انطلق هؤلاء بأيد خالية لكنهم كانوا يتمتعون بقوة معنوية عالية وهبها لهم الإسلام، فلم يكونوا مثلنا ضعاف النفوس والقلوب!! انطلقوا بتلك العدة القليلة والقوة الإلهية والدعامة التي وفرها الإسلام ودعوتهم لهم، وهزموا الإمبراطوريتين العظميين وفتحوا أراضيهما، حيث فتحت ايران وبلاد الروم في وقت لم يمض على ظهور الإسلام ثلاثون عاماً، وامتدت دولة الإسلام إلى ذاك الجانب

---

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 221.

من إفريقيا والى إسبانيا. غير أن المسلمين انفسهم أظهـروا فيمـا بعد تراخياً وضعفاً، وهذه قضية أخرى)[1]

ثم يذكر كيف كان رسول الله ﷺ، وخلفاؤه من بعده؛ فيقول: (عندما ندرس مصادر الإسلام الأصلية لانجد فيها أي تأييـد لمـزاعم من قبيل الإسلام جاء لتسـليط السـلاطين والأقويـاء على الفقـراء والضـعفاء، لـنرى كيـف كـانت حيـاة دعـاة الإسـلام؟ على سـبيل المثال، الرسول الأكرم ومن بعده الخلفـاء الأوائـل ــ الـذين كـانوا على نحو آخر ـ ثم الإمام علي أمير المؤمنين.. فهل كـانت حيـاتهم تشبه حياة وعاظ البلاط؟ وهل كـان للنـبي ﷺ بلاط أم أنـه حـارب البلاطــات ودمرهــا؟!.. هــل كــان أمــير المؤمــنين من أصــحاب البلاطات أم أنه جاهد سـلطة كـانت تتسـتر بالإسـلام مثـل سـلطة معاويـة، وقتالـه لهـذه السـلطة هـو حجتنـا الشـرعية على جـواز ومشروعية بل وجوب الجهاد الـذي يخوضـه المسـلمون ضـد هـذه السلطة الفاسـدة (نظـام الشـاه)؟ كمـا أن حجتنـا الشـرعية على مشـروعية ذلـك تسـتند أيضـاً إلى عمـل سـيد الشـهداء (الإمـام الحسـين)، حيث جاهـد الإمـام علي وابنـه سـيد الشـهداء هـذين الرجلين اللذين تسلطا على الشامات)[2]

ويرد على دعوى اقتصار تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية على النظام الديمقراطي؛ فيقول: (هل كانت الحكومة الإسـلامية، ونقصد هنا صدر الإسلام ومصادره الأصلية، حكومة ديمقراطيـة أم نظاماً متجبراً استبدادياً؟! أعطونا نمـاذج من الـدول الديمقراطيـة الأولى في العالم، تشـابه مـا ينقلـه التـاريخ عن الحكم الإسـلامي؛ وبعدها قولوا: إن هذا أفضل من ذاك)

ثم راح ينقل لهم بعض الوقائع التاريخية عن رسـول اللـه ﷺ، والخلفاء من بعده؛ فيقول: (الروايات بهذا الخصوص كثـيرة، ولكن أنقل لكم نماذج احدها عن حياة رسول اللـه ﷺ ،والآخـر عن أمـير المؤمنين، وثالث عن الخليفة الثاني. فعندما أراد عمر الذهاب إلى

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 222.

[2] المرجع السابق، ج4، ص: 222.

مصر بعد فتحها وتعاظم قوة الإسلام الذي انتشـر في كـل مكـان؛ كان لديه بعير يتناوب على ركوبه مع غلامه؛ فكـان أحـدهما يركبـه والآخر يأخذ بزمامه ويقـوده فـإذا تعب ركبـه ونـزل الآخـر وهكـذا؛ وعنـدما دخـل مصـر كـانت نوبـة ركـوب الراحلـة لمرافقـه الغلام، حسبما يروي التاريخ؛ فكـان الخليفـة يقـود الراحلـة والغلام راكبـاً، واستقبله أهل مصـر على هـذه الحالـة؛ هكـذا كـان حـال الخليفـة، ورغم مؤاخذاتنا على عمر، غير أن هذا التصرف تصـرف إسـلامي، وهو من بركات الإسلام وتجسيد لتعاليمه، وهكذا كان نبي الإسلام، إذ كان يمتطي الحمار، ويردف خلفه شخصاً آخر يشرح لـه أحكـام الإسلام ويعلمه، هاتوا لنـا نموذجـاً واحـداً من هـذه الـديمقراطيات يشابه هذه النماذج حيث يتعامل سلطان زمانه الـذي كـانت رقعـة سلطنته تتسع عدة أضعاف عن رقعـة إيـران أو فرنسـا، هـاتوا لنـا بسلطان ديمقراطي يتعامل مـع خادمـه على هـذا النحـو فيتنـاوب معه ركوب الراحلـة دون أيـة أبهـة، انظـروا كيـف يـدخل سـلطان (ديمقراطي) فاتح دولة مهزمة، ثم قـارنوا ذلـك مـع خليفـة يـدخل بلداً مفتوحاً مترجلًا وبيده زمـام راحلـة اسـتقر عليهـا غلامـه الـذي كان يتناوب مع الخليفـة ركوبهـا؛ فجـاءه أشـراف مصـر وعظمـوه جميعاً. فما ذلك إلا من وحي تعاليم الإسلام)[1]

ويـبين لهم كيـف كـان رسـول اللـه ﷺ مـع رعيتـه، وتواضـعه معهم، وعدم استعلائه عليهم، بل كونهم كأحـدهم، يقـول: (والنـبي الأكرم ﷺ كان يجلس بين أصحابه ويعلمهم ويحدثهم ويبين الأحكام لهم ويقضي بينهم ويقوم بكافة مهامـه بنحـو إذا دخـل الغـريب لم يتمكن من التعـرف عليـه بين الجالسـين؛ فلا يمـيز الحـاكم عن الرعية؛ فلم يكن لديه حتى هذا المقعد الـذي أجلسـتموه عليـه، إذ أنـه كـان يجلس على الأرض وعليهـا يتنـاول طعامـه؛ وأي طعـام بسيط هـو؟ هـل تتصـورون أنهم كـانوا يعـدون لـه طعامـاً ومائـدة متنوعـة؟! كلا. كيـف كـان إدام الإمـام أمـير المؤمـنين الـذي كـان يحكم دولة تزيد مسـاحتها على مسـاحة ايـران أضـعافا مضـاعفة؟ كان طعامه قطعة من خبز الشعير يضعها في جـراب ويختم عليهـا لكي لا تصب عليها ابنته مثلًا شيئاً من الـزيت يرطبهـا قليلًا شـفقة

---

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 224.

عليه، أجل هذا الخبز اليابس هو طعام (الامبراطور) الذي كان يحكم دولة عظيمة، وهكذا كان سلوكه) [1]

ويضرب لهم مثالا على المساواة التي كان يمارسها رسول الله ﷺ إبان توليه قيادة المسلمين في المدينة المنورة، باعتباره ـ كما يذكر الخميني ـ أول ولي فقيه في هذه الأمة؛ فيقول: (رسول الله ﷺ ارتقى المنبر في أيامه الأخيرة، وخطب في الناس، وقال: (فمن كان له قبلي تبعة أو مظلمة فليتقص مني)، ولم يكن لأحد عليه حق؛ فقام رجل، وذكر أن قضيب ناقة الرسول ﷺ أصاب بطنه في المعركة الفلانية، فقال له: (قم واقتص مني حتى ترضى)؛ فذكر الرجل أن بطنه كانت عارية، وطلب من الرسول ﷺ أن يكشف عن بطنه ففعل، فقبلها الرجل، فكان يهدف من قوله تقبيل بطن الرسول ﷺ)[2]

ثم علق عليها بقوله: (أي ديمقراطي، وأي رئيس جمهورية عادل! يقوم بمثل هذا العمل؛ أيهم يعطي أحداً من رعيته حق القصاص؟ أين تجدون مثل هذا السلوك في أية دولة من هذه الدول الديمقراطية.. هذا هو الإسلام الذي تصفونه بالاستبداد؛ وتلك هي الديمقراطيات الأخرى! نحن نقول: إن بلدانكم ليست ديمقراطية، بل هي إستبدادية، وإن تنوعت المظاهر، وإن رؤساء جمهورياتكم مستبدون غاية الأمر أن العناوين كثيرة جداً لكنها ألفاظ دون محتوى) [3]

وبعد أن ذكر هذا النموذج وغيره راح يذكر للحضور، وعلى مسمع من العالم، أن هذه الحكومة التي مثلها رسول الله ﷺ هي الحكومة الإلهية التي يراد تحقيقها في الواقع الإيراني، بل الواقع الإسلامي جميعا، قال: (نحن عندما نطالب بالحكم الإسلامي إنما

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 224.

[2] المرجع السابق، ج4، ص: 225.

[3] المرجع السابق، ج4، ص: 225.

نتطلع لمثل هذه السلوكيات، نحن نريد حكومة إذا استدعى القاضي رئيسها لبى وحضر على الفور؛ فهل من الممكن أن يقول أحد لـ (صاحب الجلالة) إنك غصبت مالي؟ هل يمكن لأحد أهالي مازندران أن يقول للشاه مثل ذلك؟ وهل يجرؤ القاضي على استدعاء (صاحب الجلالة) حتى في الأوضاع الحالية التي تعلو فيها صيحات الأطفال بالموت للشاه؟ وأنتم تعرفون أي وضع مأساوي كان حاكماً قبل أعوام، ولكنكم ترون في المقابل- في الحكومة الإسلامية- أن القاضي يستدعي رئيس الدولة فيحضر ويحكم القاضي ضده فيسلم لحكمه دون نقاش) [1]

وقد ظل الإمام الخميني يردد هذه المعاني بعد انتصر الثورة الإسلامية؛ ففي أول نداء وجهه للشعب الإيراني بمناسبة اعلان الجمهورية الإسلامية، قال: (لقد منَّ الله تعالى علينا؛ فحطم نظام الاستكبار بيده المقتدرة التي تمثل قدرة المستضعفين، وجعل من شعبنا اماما ورائدا للشعوب المستضعفة وقيض لكم إرثه الحق بإقامة الجمهورية الإسلامية، إنني أعلن في هذا اليوم المبارك، يوم أمامة الامة ويوم الفتح والظفر للشعب، أعلن قيام الجمهورية الإسلامية الايرانية.. مبارك لكم الحكومة التي ستنظر سواسية إلى الجميع، مبارك لكم نور العدالة الالهية الذي سيسطع على الجميع بشكل متجانس، مبارك لكم غيث رحمة القرآن والسنة النبوية الذي سينزل على الجميع دون تفريق، مبارك لكم هذه الحكومة التي لا تنظر إلى اختلاف العنصر ولا تفرق بين الأسود والأبيض والتركي والفارسي واللري والكردي والبلوشي، فالجميع إخوة والكرامة فقط وفقط في ظل التقوى والتفاضل بالاخلاق السامية والأعمال الصالحة، مبارك لكم هذا اليوم الذي ينال فيه كل أبناء الشعب حقوقهم المشروعة، ولا يفرق فيه بين المرأة والرجل أو بين الاقليات الدينية والآخرين في اجراء العدالة، لقد دفن الطاغوت وسوف يدفن بعده الطغيان والاستبداد، وتم انقاذ البلاد من أسر الاعداء الداخليين والخارجيين والناهبين والسارقين، واصبحتم الآن يا ابناء هذا الشعب الشجاع حراس الجمهورية الإسلامية، أصبحتم مكلفين بحفظ هذا الإرث الإلهي

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 225.

بحزم واقتدار والحيلولـة دون نفـوذ فلـول النظـام المتعفن الـذين يتربصون بنا وأنصار اللصوص الدوليين وسراق النفـط الطفيلـيين) [1]

وفي ذلك الإعلان التاريخي أعطى المساواة بين جميع أفـراد الشعب أهمية كبرى؛ قال: (أقول لجميع فئات الشعب للجميع بأنه لايوجد في الإسلام تمـايز بين الأغنيـاء وغـير الاغنيـاء، بين الاسـود والابيض، بين الفئـات المختلفـة، بين السـنة والشـيعة، العـرب والعجم، والـترك وغـير الـترك أبـدا، والقـرآن جعـل التمـايز على أساس التقوى والعدالة؛فمن اتقى كـان ممـيزا، ومن تتجسـد فيـه معاني روحية عاليـة فهـو متمـيز، فالامتيـاز ليس بالماديـات وليس بالملكية والثروة، يجب أن تزول هذه الامتيازات فالناس سواسية، الجميع يحصلون على حقـوقهم، والجميـع متسـاوون في الحقـوق، كـذلك يجب مراعـاة حقـوق الاقليـات الدينيـة، فالإسـلام يـوليهم احتراما خاصا، الإسلام يولي جميع الفئات احتراما، الاكـراد وسـائر القوميات الموجودة، جميعهم اخواننا ونحن اخوانهم، جميعنـا ابنـاء شعب واحد ودين واحد.. إننا إخوة، نحن إخوة لابناء العامة والسنة ولا يحق لنا التآمر على بعضنا، بـل علينـا أن نحفـظ حقـوق بعضـنا بعضا. نحن متساوون في الحقـوق، والدسـتور أيضـا إن شـاء اللـه سيطرح أمام الشعب للاقتراع عليه لحظ حقوق الجميع، ولا يوجـد في الإسلام فرق بين فئـة وفئـة، الفـرق يكمن في التقـوى فقـط، في تقوى الله) [2]

وهكـذا نجـد خطاباتـه ونداءاتـه جميعـا تـدعو إلى المسـاواة باعتبارهـا ركنـا أساسـيا من الأركـان الـتي يقـوم عليهـا النظـام الإسلامي، مثلـه مثـل الحريـة والإخـاء، يقـول: (ليس في الإسـلام كبت وقمع، الإسلام يضمن الحرية لجميع الفئات: للنساء، للرجال، والابيض والاسود، للجميع. على الناس أن يخافوا من الآن فصاعداً من أنفسهم لا من الحكومة، أن يخافوا من انفسـهم ومن احتمـال

---

[1] المرجع السابق، ج6، ص: 360.

[2] المرجع السابق، ج6، ص: 360.

ارتكابهم لخطأ معين. فحكومة العدل تحول دون وقوع المخالفات والاخطاء، وتعاقب على ارتكابها. علينا أن نخاف من أنفسنا خشية أن نقع في المخالفات، وإلا فإن حكومة الإسلام لن ترتكب المخالفات؛ فلا يوجد جهاز استخبارات بعد الآن، وليس هناك من عذاب يمارسه هذا الجهاز ليس بوسع رجال السافاك بعد الآن أن يضطهدوننا أو يضطهدوا شعبنا، لن تتمكن الحكومة من اضطهاد الشعب بعد الآن، فالحكومة الإسلامية في خدمة الشعب، عليها أن تكون في خدمة الشعب. وإذا ما مارس رئيس الوزراء أي ظلم فإن على أبناء الشعب أن يشكوه للمحاكم، وعلى المحاكم استدعاءه، وإذا ثبتت عليه التهمة فلتعاقبه؛ ففي الإسلام لا يوجد من فرق بين رئيس الوزراء ومن عداه)[1]

ويبين في خطاب آخر أن سبب كل ما أصاب المسلمين من ويلات وتخلف هو ذلك التميز العنصري الذي كان من آثار الجاهلية، يقول: (إن المسألة المهمة التي جعلت البلاد الإسلامية مغلوبة على أمرها وأبعدتها عن ظلال القرآن الكريم هي مسألة التمييز العرقي: فهذا من أصل تركي، ويجب أن يُصلِّي صلاته بالتركية، وهذا من أصل ايراني ويجب أن تكون حروفه الهجائية كذا، وذلك من أصل عربي، ويجب أن تحكم العروبة وليس الإسلام، ويجب أن يحكم الأصل الآري وليس الإسلام متناسين ما يرتكز عليه المسلمون جميعاً! ويؤسف على أنهم جرّدوا المسلمين من هذا المرتكز، ولا أدري إلى أين سيؤول الأمر؟! لعبة القومية هذه هي التي جاء الإسلام وشطب عليها بخط أحمر، ولم يفرق بين الأسود والأبيض، وبين الترك والعجم، وبين العرب وغير العرب الا بالتقوى والخوف من الله، والتقوى بمعناها الحقيقي: التقوى السياسية والمادية والمعنوية.. ليس هناك ترك وفرس، وعرب وعجم، فالمرتكز هو الإسلام. وأما قضية التفرقة العرقية، فإنها رجعية، أن السادة يعتبروننا رجعيين في حين أنهم يريدون أن يعودوا القهقرى إلى الفين وخمس مئة عام)[2]

---

[1] المرجع السابق، ج6، ص: 368.

[2] المرجع السابق، ج1، ص: 345.

ولكن الخميني مع كل هذه الدعوات للمساواة، يرد على تلك المفاهيم السيئة المرتبطة بها، والتي حاول الشاه من خلالها أن يغير أحكام الدين أو يسيء إليه، ومن الأمثلة على ذلك معارضته لبعض القوانين التي أصدرها الشاه، والتي تسيء إلى المرأة بحجة مساواتها مع الرجل، فقال في نداء وجهه للشعب، يطلب فيه معارضة تلك القوانين: (إنا لله وإنا اليه راجعون، لقد اعتدت السلطة الحاكمة في إيران على احكام الإسلام المقدّسة، وتنوي الاعتداء على احكام القرآن المسلّمة، إن نواميس المسلمين على وشك أن تنتهك، وأن السلطة المتجبّرة بمصادقتها على اللوائح المخالفة للشرع والدستور، تسعي للإساءة إلى النساء العفيفات وإذلال الشعب الايراني.. إن السلطة المتجبرة تتطلع للمصادقة على مساواة حقوق المرأة والرجل والعمل بها، وهي بذلك تتخلّى عن أحكام الإسلام والقرآن الكريم الضرورية، أي أنها تسوق الفتيات ذوات السبعة عشر ربيعاً إلى الخدمة العسكرية، وتزج بهن في المعسكرات، وتدفع بالقوة والحراب الفتيات المسلمات العفيفات إلى مراكز الفحشاء)[3]

بناء على هذه التصريحات التي تذكر الخلفية الفكرية التي ينطلق منها نظام الجمهورية الإسلامية، ومصادرها في ذلك نحاول أن نذكر هنا قضيتين مهمتين يتطرق الغرب إليهما عادة عند الحديث عن المساواة؛ فيعتبرهما معيارا لتحققها، وهما الموقف من المرأة وحقوقها، وعلاقتها بالرجل، والموقف من العمال، وحقوقهم، وسنتناولهما في العنوانين التاليين:

أولا ـ المرأة وحقوقها في الرؤية السياسية الإيرانية:

ربما تكون المرأة، والحقوق المرتبطة بها من أهم القضايا التي يتعلق بها الغرب وأذنابه من العرب، ومن ينطق باسمهم من جمعيات حقوق الإنسان في موقفهم من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ذلك أنهم لا ينتبهون لوجود المرأة الإيرانية في جميع

---

[3] المرجع السابق، ج1، ص: 163.

المؤسسات العلمية، ومراكز الأبحاث، وجميع المعامل والمؤسسات التي تناسب طبيعتها وقدرتها، وجميع المؤسسات الحقوقية والسياسية، وحتى الرياضية، ويكتفون فقط بالنظر إلى تلك العباءة التي تلبسها، أو ذلك الخمار الذي تضعه على رأسها، ويتصورون أنه فرض عليها، وأنها لن تتحرر إلا بنزعه، ولا يعلمون أنه التاج الذي وضعه على رأسها الولي الفقيه، حتى يخرجها من أن تكون سلعة مهانة، بدل أن تكون إنسانا مكرما.

وذلك كله مبني على مغالطات كبيرة لمفهوم حقوق الإنسان، والذي أراد الغرب فرضه على هذه الأمة، بل على البشر جميعا ليمسخهم عن طبيعتهم، وينكسهم عما تقتضيه أخلاقهم وقيمهم؛ فمفهوم حقوق الإنسان عند الغرب يختلف عن مفهومه في الشرق، ويختلف مفهومه عند المسلمين خصوصا؛ فحقوق الإنسان في الإسلام ترتبط بحقيقة الإنسان، وبالقيم الأخلاقية الرفيعة، بينما هي في الغرب مراعاة لكل نزوة وشذوذ وانحراف، ولذلك أجازوا الزواج المثلي، وحولوا المرأة إلى مجرد سلعة يتاجرون بها، مثل سائر السلع.

ولذلك كان من قوة النظام الإيراني وسيادته واستقلاليته عدم تبعيته لهم فيما يذكرونه عن حقوق الإنسان في هذا الجانب، ذلك أنه كان يمكنه أن يتيح أمثال هذه الحريات ليحافظ على صورته الحسنة، مثلما يفعل النظام التركي الذي يزعمون أنه نظام إسلامي، أو مثلما تفعل الكثير من الأنظمة التي تتيح كل الحريات، لتحافظ على سلطتها واستبدادها، لأن المهم عندها سلطتها، لا شعبها.

ولهذا نرى الخميني يرد على كل تلك الأطروحات المرتبطة بحقوق الإنسان، والتي تخالف في نفس الوقت الشريعة الإسلامية؛ فقد قال في حوار أجري معه في باريس قبل انتصار الثورة الإسلامية مبينا الفرق بين تصوره لحقوق المرأة، والحقوق التي يتصورها الغرب، والتي كان الشاه ينفذها بكل دقة: (إنّ الشاه هو الذي يجرّ النساء للفساد، ويريد أن يجعل منهن ليس أكثر من دُمى، والدين يعارض هذا الواقع المأساوي لا حرية

المـرأة، وقـد بـرهنت مشـاركة النسـاء في الاسـتفتاء الاخـير على مدى تفاهة مزاعم الشاه الفارغة للجميع، النساء انتفضن للوقوف على قدم المسـاواة مـع الرجـال، وطـالبن بحـريتهن واسـتقلالهن، وأَدَنَّ الشاه، وكما هـو معـروف قُتـل في (الجمعـة السـوداء) نحـو ستمائة امرأة من نسائنا الحرات على أيدي عملاء الشاه، هـذا هـو فهم الشاه لحرية المرأة والتطور الحضاري)[1]

والخميني يذكر أن هذا ليس مطلبـه فقـط، ولا مطلب الـدين الذي يفرضه الرجال على النساء، بل هو مطلب النساء الإيرانيـات العفيفات المحافظات اللاتي يرفضن تلك الحرية والمسـاواة الـتي يريدها الغـرب؛ فيقـول: (إن النسـاء البـارزات في إيـران اللـواتي يطـالبن بحقـوقهن الإنسـانية، ويشـكلن أكثريـة النسـاء الإيرانيـات يثرن اليوم على الشاه، ويردن تحطيمه وجميعهن اليـوم يعلمن أن حرية المـرأة في منطـق الشـاه إنمـا تعـني تحطيم مكانـة المـرأة الإنسانية والتعامل معها كأداة، إن الحرية في منطق الشـاه تعـني ملء السـجون من النسـاء الإيرانيـات اللـواتي لا يرضـخن للانحطاطات الأخلاقية الشاهنشاهية)[2]

ويذكر الأسباب التي جعلت الشاه يطبق تلك الحقوق المزيفة للمرأة في نفس الوقت الذي يغض الطرف عن حقوقها الحقيقيـة التي تريدها؛ فيقول: (عندما زار هذا الرجل غير اللائـق تركيـة رأى أتاتورك مارس مثل هذه الأعمال الشائنة، ومن هناك أرسل برقية إلى أزلامه أن يوحّدوا أزياء الناس.. وهُتك الحجاب تقليداً لأتـاتورك غير اللائق، أتاتورك المسلم غير الصالح، وما تبع ذلك من فضـائح، الله يعلم ماذا جرى على هـذا الشـعب الإيـراني في نـزع الحجـاب هذا، هؤلاء مزّقوا حجـاب الإنسـانية، اللـه يعلم كم من المخُـدَّرات هُتِكت حرمتُها على أيدي هؤلاء وعدد الذين هتكوهم) [3]

1() صحيفة الإمام، ج3، ص: 401.

2() المرجع السابق، ج5، ص: 166.

3() المرجع السابق، ج3، ص: 274.

وذكر بعض المظاهر عن ذلك التهتك والاستبداد الذي مارسه باسم حقوق المرأة، ومنها أنه كان يجبر النساء على سلوكات لا تليق بكرامتهن، يقول: (لقد أجبروا العلماء- بقوة الحراب- على المشاركة مع نسائهم في الاحتفالات، وكانت أمثال تلك الاحتفالات على حساب الجماهير، والناس تدفع ثمنها بكاء وألماً، وهكذا كانوا يروّجون للتبرّج، ويدعون بقية الناس مجموعة مجموعة، ويجبرونهم على أن يحتفلوا مع نسائهم دون حجاب. كانت حرية المرأة هي هذه التي كانوا يفرضونها. يجبرون الناس المحترمين، والتجار المحترمين، والعلماء وأصحاب المهن لتنفيذ رغباتهم بقوة السلاح. بكى الناس كثيراً، ولو أن هؤلاء كان لديهم حياءاً لندموا على ذلك الاحتفال)[4]

وقد كان الشاه مع كل هذا الاستبداد في فرض ما لا يتناسب مع طبيعة المجتمع الإيراني مرضيا عنه عند جمعيات حقوق الإنسان، لأن حق المرأة عندهم مرتبط بتبرجها وانحلالها الأخلاقي؛ وما عدا ذلك لا يعتبره، ولا يهتم له.

وفي مقابل ذلك المفهوم لحقوق المرأة والذي تبناه الشاه، ووافقه عليه الغرب، نرى مفهوما آخر لهذه الحقوق عند الخميني، وهو مفهوم يتناسب مع الإسلام والفطرة وكرامة المرأة؛ ففي مقابلة للخميني بباريس قبل انتصار الثورة الإسلامية سأله أستاذ بجامعة أمريكية قائلا: (يقال بأن الرئيسة السابقة لاتحاد النساء الحقوقيات الإيرانيات السيدة مهوش صفي نيا كانت قد صرحت بأن النشاط الديني في إيران أجبر المجلس على إقرار القوانين التي تحد حقوق النساء. مثل تخفيض سن الزواج إلى الخامسة عشرة، ومنع مشاركة النساء في الجيش وإعلان (الإجهاض) عملًا اجرامياً.. فهل تؤيدون مثل هذه القوانين؟)

فأجاب الخميني: (فيما يتعلق بالزواج أعطى الإسلام المرأة الحرية في اختيار الزوج، وباستطاعة كل امرأة أن تختار الرجل الذي تريده في إطار القوانين الإسلامية. والإسلام يعارض الإجهاض، ويعده حراماً والنساء كما قلت سابقاً يستطيعن الالتحاق

---

(4) المرجع السابق، ج3، ص: 274.

بالجيش، والشيء الذي يعارضه الإسلام ويراه حراماً هـو الفسـاد، سواء كان من جـانب المـرأة أو الرجـل لا فـرق في ذلـك. فهـؤلاء الذين تعتبرونهم فقهـاء قـانونيين هم الـذين كـانوا يضـلون نسـاءنا دائمـاً، نسـاؤنا النجيبـات ملأن السـجون اليـوم، وهـؤلاء الفقهـاء القانونيون كانوا يؤيدون دائمـاً جـرائم الشـاه. فـأي الفـريقين حـرّ وأصيل (نجيب؟)[1]

وعن سـؤال يقـول: (مـا هي التغيـيرات الـتي تشـعرون بأنهـا لازمة في المجتمع الايراني لمكانة المرأة في المجتمـع الايـراني؟ وحسب نظركم كيف ستغير الحكومة الإسلامية أحوال النسـاء في العمـل في الإدارات الحكوميـة والعمـل في المهن المختلفـة مثـل الطب والهندسة والشـؤون الأخـرى مثـل الطلاق، الإجهـاض، حـق السـفر، الإجبـار على لبس الشـودر (الحجـاب)، أجـاب الخميـني بقوله: (الشاه وأتباعه ضـللوا النـاس عن حريـة المـرأة، لـيروا أن الإسلام جاء ليجلعها ربة بيت فقـط. لمـاذا نعـارض تعليم المـرأة؟ لمـاذا نعـارض عمـل المـرأة؟ لمـاذا لا تسـتطيع المـرأة ممارسـة الأعمال الحكومية؟ لماذا نعارض سفر المرأة؟ المـرأة حـرة مثـل الرجل في جميع هذه الأمور، ولا فرق بينهما أصلًا. نعم المـرأة في الإســلام يجب أن تحتجب، ولكن ليس من الضــروري أن يكــون الحجـاب شـودراً، فـالمرأة مخـيرة في انتخـاب حجابهـا. نحن لا نستطيع والإسلام لا يريد أن تكون المرأة عبارة عن شيء أو لعبـة أطفال في يدنا. الإسلام يحافـظ على كرامـة المـرأة ويصـنع منهـا انساناً فعالًا وماهراً.. ونحن لن نسمح أبدا بأن تكون النسـاء شـيئاً أو آلة هوى للرجال. والإسلام يحرم الإجهاض، وتستطيع المرأة أن تحتفـظ لنفسـها بحـق الطلاق ضـمن عقـد الـزواج. ومـا أعطاهـا الإسلام من الحرية والاحترام لم يمنحها لها مدرسة ولا قانون)[2]

ومع هذا التصريح وأمثاله كثير لا يزال الغرب يفرض مفاهيمه على العالم وعلى الشرق وعلى المسلمين، ليصور لهم أن حقـوق

1() المرجع السابق، ج5، ص: 201.

2() المرجع السابق، ج5، ص: 203.

المرأة لن تتحقق في الواقع الإيراني إلا بعد أن تتحول المـرأة إلى سلعة مهانة ذليلة مثلها مثل المرأة الغربية.

وهكذا نجد الولي الفقيه المعاصر السيد علي الخامنئي يسـير على نفس الدرب؛ فلا يتنازل رغم الظروف الكثـيرة الصـعبة الـتي مرت بها إيران عن أي مفهوم تلك المفاهيم التي طرحهـا أسـتاذه الخميني.

ومن تصريحاته في ذلك قوله: (بالنسبة لقضـية المـرأة الـتي مـا زالت تطـرح في العـالم، فـإن كلامـاً كثـيراً قيـل فيهـا ويقـال، وعندما ننظر إلى الخريطة الإنسانية للعالم والمجتمعـات البشـرية وإلى المجتمعات الإسلامية كبلدنا وسائر البلـدان الإسـلامية، وإلى المجتمعات غـير الإسـلامية، ومنهـا المجتمعـات الـتي تعـدّ متمدِّنـة ومتطوّرة، للأسف فإننا نجد في كل هذه المجتمعات قضـية باسـم المرأة ما تزال موجودة، هذا الأمر يدل على وجود نوع من النظرة المعوجّة والسيرة المعوجّة، ويحكي عن وجود نوع من قصر النظر تجـاه القضـايا الإنسـانية. ويتـبين أن البشـر رغم كـلّ ِ إدعـاءاتهم، ورغم كل الجهود الـتي قـام بهـا المخلصـون والمتحمِّسـون، ورغم كلّ ِ الجهود الثقافية الواسعة التي بذلت حول قضية المرأة خاصة؛ لكنهم حـتى الآن لم يتمكّنـوا من العثـور على صـراط مسـتقيم وطريق صحيح لقضية الجنسين، ولقضية المرأة التي تتبعها قضـية الرجل بشكل أو بآخر)[1]

وبذلك فإن الخامنئي ومثله الخميني لم يتنازلوا عن مفهومهم لحقوق المرأة، ولا لحقوق الإنسان لأي وجهة نظر غربيـة، بـل هم طبقوا مفاهيمهم الخاصة على هذا الجانب كما طبقوهـا في سـائر الجوانب، وهو دليـل على اسـتقلالية فكريـة حقيقيـة، ولا يمكن أن تستقل الأرض ما لم يستقل الفكر.

وقد نص الدستور الإيراني على جميع تلـك المعـاني السـامية والمتوافقة مع الشـريعة، بـل المنطلقـة منهـا؛ فقـد نصـت المـادة الحادية والعشرون على أن (الحكومة مسؤولة ـ في إطار الإسـلام

---

(1) دور المرأة في الأسرة، ص16.

ـ عن تأمين حقوق المرأة في كافـة المجـالات وعليهـا القيـام بمـا يلي: 1 ـ إيجاد الظروف المساعدة لتكامل شخصية المرأة وإحيـاء حقوقهـا الماديـة والمعنويـة.. 2 ــ حمايـة الأمهـات ولا سـيّما في مرحلة الحمل وحضـانة الطفـل، ورعايـة الأطفـال الـذين لا معيـل لهم.. 3 ــ إيجـاد المحكمـة الصـالحة للحفـاظ على كيـان الأسـرة واستمرار بقائها.. 4 ـ توفير تأمين خاص للأرامل، والنساء العجائز، وفاقدات المعيل.. 5 ـ إعطـاء الأمهـات الصـالحات القيمومـة على أولادهن عند فقدانهم الولي الشرعي من أجل رعايتهن)

وانطلاقـا من هـذا سـنحاول في هـذا المطلب أن نبحث في أنواع الحقوق التي أولتها الجمهورية الإسـلامية للمـرأة، وقـد رأينـا أنه يمكن تصنيفها إلى أربعة حقوق، هي:

أ ـ الحقوق المرتبطة بالصيانة والتكريم.

ب ـ الحقوق المرتبطة بالتعليم والتربية.

ج ـ الحقوق المرتبطة بالعمل والإنتاج.

د ـ الحقوق السياسية.

وسنذكر هنا ــ باختصـار ــ الرؤيـة النظريـة والتطـبيق العملي لهذه الحقوق الأربعة الكبرى، وموقف المغرضين منها.

1 ـ حقوق المرأة المرتبطة بالصيانة والتكريم:

قد يستغرب الكثير من اعتبارنا صـيانة المـرأة وتكريمهـا حقـا لها، بـل أعظم حقوقهـا، وهـذا نـاتج عن تلـك الأفكـار والفلسـفات المادية الـتي حـولت المـرأة الإنسـان المكرمـة شـيئا من الأشـياء وسلعة من السلع، ولذلك راحت تضحك عليها، وتسخر من عقلهـا، وتذكر لها أن حريتها في أن تضع نفسها بالصورة التي تجعـل منهـا جسدا لا روح فيه، ولا عقل له، وهو مـا نـراه في المـرأة الغربيـة، التي أهينت بكل أصناف الإهانات.

وبما أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ونظام الـولي الفقيـه، ينبني على فلسفة أخـرى غـير الفلسـفة الماديـة؛ فقـد راح يواجـه

ذلك الاحتقار والامتهان للمرأة؛ فسن من القوانين ما يحفظهـا من عبث العابثين، وأولها، ما طالبت به الشريعة من فريضة الحجـاب، وكـل مـا يرتبـط بـه من سـلوكات أخلاقيـة تجعـل المـرأة مصـونة مكرمة، لا يتعرض لها المتعرضون، أو يتحرش بها المتحرشون.

وإن فـرض، وحصـل ذلـك؛ فـإن قـوانين العقوبـات الإيرانيـة المسـتمدة من الشـريعة الإسـلامية تتعامـل بحـزم شـديد مـع من يفعلون ذلك، بل قد تعتبرهم من المحاربين الذين يعدمون، ليكونوا عبرة لغيرهم، ولهذا كانت المـرأة الإيرانيـة من أكـثر نسـاء العـالم أمنا؛ حيث تسير في الشوارع متى تشاء، لا يجرؤ على التعرض لها أحد..

ولو قارنا المخالفـات الـتي تقـع في إيـران حـول النسـاء مـع غيرها من دول العالم المتقـدم لوجـدنا قيمـة تلـك القـوانين الـتي فرضـتها الجمهوريـة الإسـلامية، ودورهـا في حفـظ الأمن، وحفـظ المرأة، وكرامتها وصيانتها.

ففي مقـال بعنـوان [مـا لا تعرفـه عن معـدّلات التحـرّش والاغتصـاب في الغـرب] ورد هـذا التقريـر: (يبـدو أنّ بلاد الديموقراطية والحرّية تعاني من مشكلة خطيرة عندما يأتي الأمر إلى معدّلات التحرش الجنسي والاغتصاب. على الرغم من ظهـور عصـر التنـوير وحقـوق المـرأة ومسـاواتها بالرجـل على النمـط الغربي، إلّا أنّ النظرة الجنسـية للمـرأة مـا تـزال قائمـة حتّى في أكثر البلدان تقـدمًا وتطـورًا في العـالم، وفي هـذا التقريـر نسـلّط الضوء على إحصائيات موثوقـة صـادرة عن مراكـز بحثيـة وهيئـات غربيـة متعـددة عن معـدّلات التحـرش الجنسـي والاغتصـاب في الغـرب. ليس الغـرض من هـذه الإحصـائيات القـول بعـدم وجـود حالات شبيهة في شرقنا، إلّا أنّ الفـارق بين النسـبة والـدوافع هي بين السماء والأرض)[1]

ثم ذكر الإحصائيات الـتي تـدل على المهانـة الـتي تمتهن بهـا

---

[1] ما لا تعرفه عن معدّلات التحرّش والاغتصاب في الغرب، محمد هاني صباغ، موقـع تبيان لصنع الوعي، 20 رمضان 1438هـ.

المرأة في الدول الغربية التي تـزعم لنفسـها أنهـا أكـبر من دافـع وحقق حقوق المرأة في الواقع، ومن ذلـك قـول صـاحب المقـال: (وفق إحصائيات 1998، يتم الاعتـداء على شـخص مـا جنسـيًا في الولايات المتّحدة الأمريكية كلّ 98 ثانية، وهناك كمتوسّـط حـوالي 320000 ضـحية للاعتـداءات الجنسـية أو التحـرّش كـل سـنة في الولايات المتحدة. 54 بالمائة من هؤلاء هم بين عمر 18-34 سنة. و15 بالمائة منهم بين الثانيـة والسـابعة عشـرة من العمـر. 1 من بين كـلّ 3 نسـاء يتعرّضـنْ للتحـرّش مـرّة واحـدة على الأقـل في عملهن)[1]

هذا بالنسبة لإحصيات 1998، أما بعـد ذلـك، وفي إحصـائيات 2015، فيذكر نقلا عن الجهات الرسمية أن (هناك 20 بالمائـة من جميع نساء أمريكـا تعرّضـنْ للاغتصـاب، يبلـغ تعـدادهن حـوالي الـ 32.2 مليون امرأة، وهو عددٌ أكبر من عدد سكّان السعودية، وهـو ما يعني أنّ خُمس نساء أمريكا مغتصبات، والفتيات بين عمـر 16-19 عامًا معرّضات 4 مرات أكثر للاعتـداءات الجنسـية المختلفـة)[2]

وهذا كله كما يذكر بناء على ما يتم الإبلاغ عنه إلى الشـرطة، مــع العلم (أنّ 83 بالمائــة من حــالات الاغتصــاب في الولايــات المتّحدة لا يتم الإبلاغ عنها إلى الشرطة)

ويضيف التقرير: (أمّا عن التحرّش الجنسي، فقد تعرّضت 88 بالمائـة من الأمريكيـات إلى التحـرّش الجنسـي مـرّة واحـدة على الأقل في حياتهن. 25 بالمائة من هذه الحـالات كـانت على الأقـل من قبل زميل في العمل)

ويــذكر التقريــر الآثــار الاقتصــادية لتلــك الجريمــة؛ فيقــول: (الاغتصاب يكلّف الولايات المتّحدة أكثر من أي جريمـة أخـرى في البلاد، حيث تـدفع الولايـات المتّحـدة 127 مليـار دولار سـنويًا من

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

ميزانيتها لأجل برامج دعم صحّية ونفسية للضحايا وأمورٍ أخرى متعلّقة بتلك الجرائم. بينما تدفع 93 مليار دولار سنويًا للاعتداءات العامّة و71 مليار دولار فقط لجرائم القتل سنويًا) [1]

وقد ذكر التقرير إحصائيات أخرى عن سائر الدول الغربية، وكلها صادرة عن مراكز أبحاث رسمية، وهي تدل على ما يعانيه نساء الغرب من جراء تلك البهيمية البشرية التي سببها الانحلال الأخلاقي، كما سببتها تلك الحرية في اختيار الملبس الذي تخرج به المرأة إلى الشارع، والذي يحرض على الجريمة.

وقد يعجب الكثير بتلك العناية التي توليها القوانين الأمريكية للنساء المتحرش بهن، وتلك التعويضات التي تسلمها لهن، ولكنهم يغفلون عن أن أمثال هذه الجرائم لا يمكن مداواتها، لأنها جرم شرف وعرض، وهي متعلقة بالجوانب النفسية التي لا يمكن لأموال الدنيا جميعا أن تسد آلامها.

ولهذا نستطيع أن نذكر بكل جزم بأن الدولة الوحيدة في العالم التي وجدت الحل الجذري لهذه المشكلة هي الجمهورية الإسلامية الإيرانية لاعتمادها على الحلول الشرعية المرتبطة بالجانبين:

الجانب الأول: المرأة بإلزامها الحجاب والآداب المرتبطة به، ذلك أن الرجل ينفر عادة من التعرض للمتحجبة الملتزمة.

الجانب الثاني: وضع أقسى العقوبات في حق من يتعرض للمرأة، أو يذلها أو يتحرش بها، والتي قد تصل إلى حد الإعدام، باعتباره محاربا.

وفوق ذلك استعمل النظام الإيراني كل مؤسساته الدينية والتربوية والإعلامية والثقافية في مواجهة تلك الظاهرة الخطيرة، حتى تحفظ كرامة المرأة وتصان؛ فلا يتعرض لها أحد.

بل إننا لا نجد في قادة العالم أجمع من اهتم بالحجاب، أو دعا إليه مثلما نراه من قادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وفي

(1) المرجع السابق.

أرفع مستوياتهم.

وكمثال على ذلك تلك الخطب الكثيرة التي ألقاها القائد الحالي للجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد علي الخامنئي، وتعرض فيها للحجاب وضرورته وأهميته، ومنها قوله: (عفة المرأة هي أهم عنصر في شخصيتها، وهي وسيلة لسمو شخصية المرأة ورفعتها وتكريمها في أعين الآخرين، حتى في أعين الرجال المتهتكين، فعفة المرأة علة احترام شخصيتها.. فقضية الحجاب والمحارم وغير المحارم والنظر وعدم النظر، إن كل تلك الأمور والأحكام إنما وضعت للمحافظة على بقاء العفّة سالمة؛ فالإسلام يولي مسألة عفاف المرأة الأهمية، طبعاً فإن عفاف الرجل مهم أيضاً، فالعفة ليست مختصة بالمرأة، بل على الرجال أيضاً أن يلتزموا العفة، كل ما في الأمر أن الرجل في المجتمع يمتلك قدرة وقوة جسمية أكبر، ويمكنه بذلك أن يظلم المرأة، لذلك طلب من المرأة الاحتياط أكثر؛ فعندما تنظرن إلى العالم ترون أن أحد مشاكل المرأة في العالم الغربي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية هي استغلال الرجال لقوتهم والاعتداء على عفة النساء)[1]

ثم ذكر ما عليه الوضع في الدول التي تزعم أنها أعطت للمرأة حقوقها، وهي تغفل عن هذا الحق العظيم الذي هو أولى الحقوق وأهمها؛ فقال: (إن الاحصاءات التي نشرها المسؤولون الرسميون في أمريكا نفسها .. إحصاءات مرعبة حقاً، ففي كل ستة ثوان يقع اعتداء عنف في أمريكا! انظرن إلى مدى أهمية العفة، عندما أهملوا العفة بلغ بهم الأمر هكذا، كل ستة ثوان يقع اعتداء بالعنف، خلافاً لميل المرأة يستخدم رجل قوته، رجل ظالم متهتك غير عفيف يعتدي على عفة المرأة، إن الإسلام يلاحظ ذلك، إن قضية الحجاب التي أكد عليها الإسلام إلى هذا الحد، تأكيده من أجل هذا)[2]

1() المرأة حقوق وحرية وحجاب (ص: 56).

2() المرجع السابق، ص 57.

وبين أهمية الحجاب ودوره في صيانة المـرأة والحفـاظ على كرامتها واعتبارها إنسـانا لا مجـرد سـلعة يتلاعب بهـا؛ فقـال: (من أجل أن لا يقع الاختلاط، وتحفـظ الحـدود الأخلاقيـة، قـام الإسـلام بتعيين الحجاب للمـرأة، وهـذا الحجـاب وسـيلة من وسـائل الأمن، فبحجاب المرأة تجد المرأة المسلمة أمنها، ويجد الرجـل المسـلم أمنه، وعندما يبعد الحجاب عن النساء وتقترب من العري والتهتـك يسـلب أمنهـا هي بالدرجـة الأولى ويسـلب الأمن من الرجـال والشبّان ثانياً؛ لهذا فإن الإسـلام عيّن الحجـاب من أجـل أن يكـون الجو سالماً وآمناً، ولتتمكن المرأة من مزاولة عملها في المجتمع، وليتمكن الرجـل أيضـاً من أداء مسـؤولياته، وهـذا الحجـاب من الأحكام الإسلامية البارزة، وأحد فوائده هـو مـا ذكرتـه، ولـه فوائـد أخرى) [1]

بل إن السـيد الخـامنئي يتحـدث عن بعض تفاصـيل الحجـاب الشرعي الذي يحقق المقاصد الشـرعية بأحسـن صـورها؛ فيقـول منتقدا بعض الطروحات التي تحاول أن تضـع الحجـاب في صـورة أكثر تقبلا في المجتمع الدولي: (إننا نـرى أن الدراسـات والبحـوث الجارية التي تدور حول ستر المرأة هي بحوث جيدة، لكن عليكنَّ الالتفـات أنّ أيّاً من هـذه البحـوث حـول سـتر المـرأة يجب أن لا يكون متأثراً بالهجوم الإعلامي الغربي، فإن كان متأثراً فسيفشـل. كأن نفكِّر مثلاً أن الحجاب جيـد، لكن لا داعي للعبـاءة ذلـك تفكـير خاطى ء، ولا أعني بذلك أن الحجاب لا يكون إلا بالعبـاءة، بـل إني أقول إن العباءة هي أفضـل أنـواع الحجـاب.. هـل تظنـون أننـا إذا تركنا العباءة، وتمسكنا بالمقنعة بـأن الغـرب سـيدعنا لشـأننا؛ كلا، لن يقتنعوا بذلك، إنهم يريدون منّا أن نتبع ثقافتهم المنحوسة) [2]

وهكذا تحدث في مواضع كثـيرة عن أن الحجـاب مجـرد لبنـة من اللبنات التي أقام عليها الإسلام جدار العفة في المجتمع، ومن اللبنات الأخرى التي اهتم بها الخامنئي، ما عبر عنه بقولـه: (هنـاك

1() المرجع السابق، ص 58.

2() المرجع السابق، ص 63.

شي ء في الغرب يملأ العيون، وهو عدم وجود تفاوت في السيرة الاجتماعية للرجل والمرأة في المجتمع؛ فكما أن الرجل يدخل إلى الاجتماع فيسلِّم وينضم إلى الحاضرين، كذلك المرأة تدخل بنفس السهولة وتنضم إلى الموجودين، وهي نقطة ايجابية، لكنها سطحية وظاهرية وإلى جانبها سلبيات كثيرة) [1]

ومن تلك السلبيات التي ذكرها عن هذه الظاهرة التي لا تتناسب مع أحكام الشريعة الإسلامية، كما لا تتناسب مع كرامة المرأة (إنهما (أي الرجل والمرأة) داخل الأسرة ليسا كذلك إطلاقاً، فالاحصاءات والأخبار القطعية، لا الكلام المنبري والشعارات، كلها تشير إلى ظلم المرأة، حتى الرجل يظلم، لكنه رجل وصاحب اليد الأقوى، لكن التي تظلم بشكل قطعي هي المرأة، ذلك لأن زوجها يقيم علاقات عاطفية وجنسية مع عدّة نساء غيرها، وله علاقات حميمة ودافئة لا يقيمها مع زوجته! ذلك يشكل أكبر ضربة للمرأة؛ فالمرأة ترغب مع شريك حياتها، وأن تكون بينهما علاقات عاطفية صادقة، وأن يكون الأقرب إلى بعضهما من العالم كلِّه) [2]

وهكذا تحدث عن الاختلاط السلبي وآثاره التي لا تتناسب مع الشريعة الإسلامية؛ فقال: (في الإسلام هناك حجاب بين المرأة والرجل، إنه أمر لا يمكن إنكاره، فهذا الحجاب موجود، وهو موجود لحكمة ما، وحقيقة لا بد من وجوده. وعندما يقال أن انفراد الرجل والمرأة داخل غرفة مغلقة لوحدهما حرام، فإن لذلك التحريم معنى عميق وحكيم، وهو أمر صحيح، وكل رجل وامرأة إذا عادا إلى أنفسهما فسيؤيدان هذا الحكم، والحكم الذي يحرّم على المرأة أن تظهر بزينتها أمام الرجال وفي جمع من الرجال، حكم صحيح؛ فالثقافة الإسلامية تذمّ التبرُّج لغير الزوج) [3]

1() المرجع السابق، ص 59.

2() المرجع السابق، ص 60.

لكنــه ينبــه إلى أن حرمــة الاختلاط ليســت مطلقــة، بــل هي خاصة بما ذكرته الشريعة، وفي المحال المحددة المضـبوطة، أمـا ما عداها مما لا علاقة له بالفتنة؛ فإن الشريعة تسامحت في ذلك، يقـول الخـامنئي: (ومن جملـة ذلـك (الأحكـام الإسـلامية) مسـألة الحجاب، ومسألة وجود حد بين الرجـل والمـرأة، وذلـك الحـد في منطقة خاصة ولا يشمل كل الأماكن) [4]

هذا مثال عن بعض مواقف السيد الخامنئي من حقوق المرأة المرتبطة بهذا الجـانب، وعلى أساسـه شـرعت القـوانين الإيرانيـة التي حفظت المجتمع من التهتك وإثارة الغرائز؛ فالذي يتحرك في الشوارع الإيرانية لا يرى إلا الطهارة والعفاف، الـذي تفتقـده أكـثر المجتمعات الإسلامية.

وهذا لا يعني عصمة المجتمع جميعا؛ فـذلك مسـتحيل؛ فليس هنــاك مجتمــع معصــوم، ولكن العــبرة بــالعموم، وللأســف نجــد المغرضـين ينقلـون صـورا لتـبرج بعض الإيرانيـات أو كـونهن في أوضـاع مخلـة بالحيـاء، وفي أمـاكن مغلقـة، أو ربمـا اختلاسـا عن الشـرطة المكلفـة برعايـة الأخلاق، ثم يـذكرون أن هـذا هـو واقـع المجتمع الإيراني، أو الواقع الذي يطالب به الشعب الإيراني.

2 ـ حقوق المرأة المرتبطة بالتربية والتعليم:

وهي من أهم الحقوق التي أكد عليها قـادة الثـورة الإسـلامية قبل انتصار الثورة وبعدها، وقـد كفلهـا الدسـتور وجميـع القـوانين، ولذلك نرى للمرأة حضورا قويا في المؤسسات العلمية والتربويـة في جميــع المراحــل، بــل نراهــا تفــوق الرجــال في الكثــير من المؤسسات العلمية، سـواء في مراحـل التعليم العـادي أو التعليم العالي.

وربما يكـون سـر ذلـك في تلـك الـدعوات الحثيثـة من قـادة الثورة الإسـلامية للمـرأة بالمشـاركة الفاعلـة في تحقيـق أهـداف

---

(3) المرجع السابق، ص 60.

(4) المرجع السابق، ص 60.

الثورة، ومن أهم نشر العلوم والمعارف بين جميع أفراد الشعب.

وقـد سـبق أن ذكرنـا بعض النصـوص عن الإمـام الخميـني، واهتمامه بهـذه الجـوانب، وسـنذكر هنـا باختصـار بعض تصـريحات السيد الخامنئي، وتصوراته لكيفية تحقيقه في الواقع.

فمن ذلـك قولـه في خطـاب موجـه للنسـاء، يـدعوهن إلى التعلم، وجعله مقصودا لذاته، لا وسيلة لغيره: (إني أؤكد لكنّ أيتها النسـوة المسـلمات والمؤمنـات اللـواتي اجتمعتنّ اليـوم هنـا: من كانت منكنّ تـدرس فلتـدرس بجـدّ، لكن الدراسـة ليسـت مقدمـة للعمل فقط، ليسـت من أجـل العمـل وكسـب المـال إنّ ِ دراسـة النساء أمر مهم جداً بهدف اكتساب المعرفة، ومهمة من أجل رفع مستوى الرشد الفكري. أما العمل فإنّه يأتي في الدرجة الثانية)[1]

وبين أهمية دخول المـرأة للمؤسسـات العلميـة في مراحلهـا جميها؛ فقال: (إن المجتمع الذي تدرس فيه النساء والرجال، فـإن عدد المتعلمين فيه يكون ضعف عدد المتعلمين في المجتمع الـذي لا يدرس فيه إلا ذكوره. وعندما تدرّس النسـاء في المجتمـع، فـإن عـدد المعلمين سيتضـاعف عمـا هـو عليـه عنـدما يكـون الرجـال وحدهم معلمون)[2]

ويضـرب مثلا على ذلـك؛ فيقـول: (على فـرض أن لـدينا بين الخمسين مليون إنسـان في مجتمعنـا، لـدينا مثلاً ثلاثين أو خمسـة وثلاثين مليون إنسان في عمـر يناسـب تقـديم الثمـار لهـذا البلـد، فمن الطـبيعي أن نصـف هـذا العـدد هـو من النسـاء، فهـل من المعقول أن نغفل بسهولة عن كل هـذه الطاقـات الكامنـة؟ وهـل يعقل أن نتغاضى عن هذه الخزانة الإلهية المتمثلـة بوجـودهنّ ِ؟ لا بد أن يكون بينهنّ العالمات) [3]

1() المرأة علم وعمل وجهاد، ص: 22..

2() المرجع السابق، ص12.

3() المرجع السابق، ص12.

وهكـذا نـراه يـدعو المسـؤولين إلى تشـجيع النسـاء، لا على الدراسـة فقـط، وإنمـا على مواصـلة البحث والتعليم إلى آخـر مراحله؛ فيقـول: (ادفعن النسـاء للدراسـة، شـجّعن الفتيـات على الدراسات العليا، أمّنَّ وسهلن وسائل دخول الفتيات إلى المراكـز العليا من خلال الطرق القانونية. إذا حصل ذلك فستحل كل الأمور برأيي) [1]

وهـو يـدعو إلى ربـط العلم بالتربيـة والسـلوك الأخلاقي، والاهتمام بالحكمـة، باعتبارها الوسـيلة الـتي يحقـق بها الإنسـان إنسانيته، يقول: (إن الجوهر الإنساني عزيز لدى المـرأة والرجـل، وعندما يتعلّمان العلم والحكمـة، فإنهمـا يسـعيان إلى إبـراز وجلاء ذلـك الجـوهر أكـثر فـأكثر. فـإذا كـانت هنـاك امـرأة مـا قـد بلغت مستوى عالياً من العلم، لكنهـا غفلت عن جوهرهـا الإنسـاني، ولم تعتني به، وقللت من احترامه، فما هي قيمتهـا حينئـذٍ؟ إن الجـوهر الإنسـاني يجب أن ينمـو لـدى المـرأة والرجـل، وهي مسـألة ذات قيمة) [2]

وهـو يـدعو النسـاء كـذلك إلى الاهتمـام بالمطالعـة، وعـدم الاكتفاء بما يدرسـنه في المؤسسـات الدراسـية؛ فيقـول: (إن من جملة الأمور الأساسـية جـداً تعليم النسـاء القـراءة والكتابـة، ومن جملة الأعمال المهمة جداً دفـع النسـاء للمطالعـة، جـدن أسـاليب مبتكرة لجعل النساء يمارسن المطالعة داخل بيوتهنِّ. للأسـف إن نساءنا لا يأنسن كثيراً بالمطالعة، آلاف الكتب تصـدر في الأسـواق وتنفذ دون أن يطّلعن عليها. هذه الكتب تمثل المعـارف البشـرية، وهي توقد الأذهان لفهم أفضل وفكر أحسن وابتكار أكثر، وتجعلهـا في موقع أفضل وأسلم) [3]

---

(1) المرجع السابق، ص13.

(2) المرجع السابق، ص13.

(3) المرجع السابق، ص14.

ويقـول: (عليهم أن يسـمحوا لبنـاتهم بالدراسـة والمطالعـة وقـراءة الكتب، وأن يطّلعن على المعـارف الدينيـة والإنسـانية، لتقوى أذهانهنّ وعقولهنّ وتنشط، إنه أمر ضروري جداً) [1]

وهـو يـدعوهن إلى الاهتمـام بتعلم كـل مـا يرتبـط بالحيـاة، وخاصة الأسرية منها؛ فيقول: (من جملة الأمور الأخرى الهامة جداً تعليمهنّ الأساليب الصـحيحة للعمـل والتصـرّف داخـل الـبيت، أي كيفية التعامـل مـع الـزوج والأبنـاء، فهنـاك نسـاء جيـدات، يمتلكن الصـبر والعفـو والأخلاق، لكنهنّ يجهلن الأسـاليب الصـحيحة للتصرف مع الزوج أو الأولاد. علّموهنّ الأساليب العلميـة والأمـور التي تطوّرت من خلال التجربة البشرية يوماً بعد يـوم، حـتى بلغت مراحل جيدة. ومنكنّ من خاضت تجارب جيـدة، عليكنّ أن تجـدن الأساليب المناسبة لإرشاد السيدات إلى هذه المسائل) [2]

وهكذا يدعوهن إلى التعرف على الأحكام والقوانين التي تتيح لهـا أن تحافـظ على حقوقهـا، حـتى لا يظلمهـا أحـد، يقـول: (على المرأة نفسها أن تعرف قبل غيرها شـأنها الإسـلامي وتـدافع عنـه. عليها أن تعرف ما هو حكم اللّه والقرآن والإسلام حـول قضـاياها، وما يُراد منها، وتفرضه عليها مسؤوليتها. وعليها أن تؤمن بما قـال الإسـلام وأراد، وأن تـدافع عن ذلـك. لأنهـا إن لم تفعـل ذلـك فـإن الذين لا يلتزمون بأي مبدأ سيسمحون لأنفسهم بظلم المرأة. كمـا هو الحال اليوم في العالم الغربي حيث يلحق الرجل الغربي أفدح الظلم بالمرأة تحت ظل الأنظمة الماديـة لتلـك الـديار، ورغم كـل الشـعارات الـتي يطلقونهـا حـول المـرأة. حيث الأب يظلم ابنتـه، والأخ أخته، والزوج زوجته، وحيث تؤكد الإحصاءات التي ينشـرونها أن أكبر ظلم وتعرّض وتعدٍ يلحق بالنساء والزوجات والأخـوات بـل وحتى البنات يرتكبه الرجال الذين يعيشـون في الأنظمـة الغربيـة. أي أنه عندما يكون النظام غير محكـوم للقيم المعنويـة، ولا تعمـر قلوب أهله باللّه؛ فإن الرجـل يجـد الطريـق أمامـه مفتوحـاً ليظلم

[1] المرجع السابق، ص14.

[2] المرجع السابق، ص14.

المرأة ويعتدي عليها، معتمداً بذلك على قدرته الجسدية، إن الـذي يمنع ذلك أمران: الخوف من اللّه واحترام القانون وعمران القلب بالإيمان وما إلى ذلك، وأن تكون المـرأة مطلعـة جيـداً على حقهـا الإنســان والإلهي، وأن تــدافع عنــه، وأن تجــد نفســها بــالمعنى الحقيقي للكلمة) [1]

ومع أن هذا القول طبيعي، بل يدل على حرص أبوي كبير من السيد الخامنئي على المرأة الإيرانية، ودعوته إلى الترقي والتربية والتحضر، لكن المغرضـين راحـوا ينقلـون حديثـه هـذا، مبتـورا عن سائر الأحاديث، ويشـيعون بـأن النظـام الإيـراني يمنـع المـرأة من التعلم إلا في المجالات التي تختص بالأسرة ونحوها.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبته صـحفية تونسـية تحت عنـوان [دور المرأة المتعلمة في إيران يقتصر على تربية الأبنـاء]، والـذي قـالت فيـه: (تـؤمن الطبقـة الحاكمـة في الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية بأن المرأة خلقت لتنجب وتربي الأبناء وبأن تقبّل خروجها للتعلم ليس إلا لتمكينها من المؤهلات والثقافة الـتي تسـهل عليهـا أداء هذه المهمة، ويترجم هذا الإيمان في كل ما يتصل بالمرأة في إيران) [2]

وكان دليلها على هذا هو أنه طهران ـ كما تذكر ـ نظمت ندوة بعنوان [مكانة المرأة العالمة في إيران والعـالم العـربي]، وهي لم تشـغل نفسـها كثـيرا بـالاطلاع على المحاضـرات الـتي ألقيت، ولا البحوث التي كتبت، وإنمـا اكتفت ببنـد من التوصـيات، يـذكر (دور المرأة العالمة في تنشئة الأجيال)، والذي علقت عليـه بقولهـا: (لا تتغير نظرة السلطات الإيرانية للمرأة بحسـب مسـتواها التعليمي، فلا فرق بين التي تحصلت على أعلى الشهادات العلميـة أو الأميـة أو ذات المستوى التعليمي المتواضع لأن دورها الأول والأخير يظل تربيـة الأبنـاء وتقـديم فـروض الطاعـة للرجـل، هـذه هي عقيـدة

[1] المرجع السابق، ص18.

[2] دور المرأة المتعلمة في إيران يقتصر على تربيـة الأبنـاء، سـماح بن عبـادة، موقـع العرب، 2017/01/25.

الساسة الإيرانيين المتشددة والمحافظة إزاء المرأة والتي عملـوا على ترسيخها وتكريسها في ثقافة ووعي المجتمع الإيراني)

وللأسف؛ فإنها تردد هذه المغالطـة الخطـيرة مـع كونهـا تقـر بالنسب المرتفعة لتعليم النساء في إيران، وأنه ليس هناك حواجز تحول دون تعليمين، بـل هنـاك المحفـزات الـتي تـرغب في ذلـك، قالت: (.. ورغم أن نسب تسجيل الإيرانيات بالمدارس والجامعات مرتفعة، وقد تفوق أعداد الطالبات في العديد من الجامعات أعداد الطلاب الـذكور، وكـذلك ترتفـع نسـب المتحصـلات على شـهادات التعليم العــالي إلا أن ذلــك لا يــترجم في أدوارهن في المجتمــع والاقتصاد كقوى عاملـة مـؤثرة كمـا لا يسـجلن حضـورا بـارزا في التمثيل السياسي، وفي مواقع القرار في مختلف أجهزة الدولة)

ثم عللت ذلك برؤيتهـا العلمانيـة الـتي اكتسـبتها من الأنظمـة الـتي حكمت تـونس؛ فأصـبحت من حيث لا تشـعر تنظّـر للـدول الإسلامية، وكأن تونس ووضع النساء فيها نموذج ينبغي أن تحتذيـه سائر الدول الإسلامية، تقول: (يفسر واقـع المـرأة في إيـران بمـا تراه الحكومة الإيرانية تطبيقا لقراءتها للشريعة الإسلامية القائمــة على التمييز بين الرجال والنساء، وفي حال وجدت فعاليـات تركـز على المرأة فإنها لن تأتي بما يخالف هذه النظرة، لذلك فإن طرح موضوع حول مكانة المرأة العالمة لا ينتظر منـه غـير التأكيـد على أن تعليم المرأة لا يندرج ضمن تكوينها لتلعب أدوارا كثيرة وفعالــة في بناء الاقتصاد ولا التأثير على السياسة بل هو فقط ينـير عقلهـا ويمنحهـا الثقافـة الـتي تلزمهـا عنـدما تصـبح مسـؤولة عن تربيـة الناشئة)

ولــو أن هــذه الصــحفية كلفت نفســها بالانتقــال إلى الواقــع الإيــراني، أو بمطالعــة خطب قــادة الثــورة الإســلامية، لصــححت نظرتها القائمة على إسـقاط نمـوذج طالبـان وغـيره على النظـام الإسلامي في إيران.

ومن الأمثلة على ذلك قول السـيد الخـامنئي مطالبـا النسـاء بالتخصص في جميع فروع الطب، وعدم الاكتفاء بأمراض النســاء؛ فيقول: (وأشير هنا إلى ضرورة تخصص النسـاء في كافـة الفـروع

والتخصّصات الطبية، وعدم الاكتفاء بالطب النسائي، فما دمنا نعتقد بضرورة وجود فاصلة في العلاقة والارتباط الاجتماعي بين المرأة والرجل، ونؤكد على رفض الاختلاط الحر بين المرأة والرجل، ونعتقد بالحجاب بمعناه الواقعي والكامل؛ لذلك لا يمكننا إهمال المسألة الطبية. أي أنه يلزمنا وجود نساء طبيبات بنفس النسبة الموجودة من الأطباء الرجال، حتى تتمكن المرأة من مراجعة الطبيبة في أي اختصاص أرادت، ولا داعي للمساس بتلك الفاصلة. بل علينا أن نرتب الأمر لتتمكن المرأة من مراجعة الطبيبة دون أي إشكال، الطبيبة المرأة وليس الطبيب الرجل، بعض النسوة يعتقدن أن على المرأة أن تدرس التخصصات النسائية فقط، وأن يبقى تخصصهنّ محصوراً بأمراض الحمل والولادة، لكن الأمر ليس كذلك، على النساء أن يدرسن جميع أنواع وأقسام الفروع التخصصية مثل: القلب والأمراض الداخلية والأعصاب وغير ذلك، إن ذلك فريضة عليهنِّ، وهو تكليف على النساء أكثر من الرجال حالياً. فرغم حاجة مجتمعنا لدراسة الفروع المختلفة للعلوم من أجل بناء المجتمع) [1]

ويدعوهن إلى الدخول في كل الفروع العلمية؛ فيقول: (اسعين إلى تشجيع الجامعيات وقمن بإعدادهنّ في مختلف الفروع العلمية. فإن هذا العمل سيحقق أهداف الثورة والبلاد، والناس بحاجة لخدماتكنّ، كما إنهم بحاجة لأسلوب ولطريقة تعهدكنِّ والتزامكنِّ بالدين)[2]

ويقول في محل آخر: (إن العلم أمر عزيز جداً، وإني أؤيد أن تتعلم النساء في مجتمعنا جميع الفروع العلمية. في اللقاء السابق قبل عام أو عامين أكدت على أولوية الفروع الطبية، ذلك لأن الطب ضرورة نقدية وفورية لنا، لكن على النساء أن يقبلن على جميع الفروع والاختصاصات، ويستثمرن طاقاتهنّ) [3]

1() المرجع السابق، ص17.

2() المرجع السابق، ص18.

وهكذا نراه يدعو النساء إلى مواجهة ظاهرة توقيف البنات على الدراسة في سن مبكر لغرض تزويجهن، وهو ما يرد ردا حاسما على ما يشاع عن مواقف النظام الإيراني في هذه الجوانب؛ يقول: (لقد قلت عدة مرات أن جزءاً مهماً من هذا الأمر يقع على عاتق واضعي القوانين، لكنّ ِ الجزء المهم الآخر يقع على عاتق النساء أنفسهنّ، أولاً من خلال الدراسة واكتساب المعارف الدينية والعلمية وعدم الاكتفاء بالدراسة الرسمية فقط، وقراءة الكتب والأنس بها. ومن خلال الإطلاع على الحقوق التي ضمنها الإسلام للمرأة المسلمة، وحقوق المرأة داخل أسرتها. فإذا سرنا في هذا الطريق الذي أشار إليه الإسلام، فسيختفي الظلم الذي لحق بالمرأة طوال التاريخ في سائر المجتمعات، ومن بينها مجتمعاتنا الإسلامية مع الأسف)[1]

وهو يدعو إلى التزام القيم الأخلاقية عند التعلم، وخاصة ما يرتبط بالصيانة وكرامة المرأة، يقول: (إن على نساء إيران، وخاصة اللواتي استطعن أن يدرسن العلوم المختلفة في إطار الإسلام وأحكامه، وأهم من ذلك أنهنّ فعلن ذلك وهنّ ِ ملتزمات بالحجاب، عليهنّ ِ أن يفهمن النساء والفتيات والجامعيات في العالم أن العلم لا يعني التهتك، وليس من شروط طلب العلم التهتك في الموازين الأخلاقية وفي المعاشرة بين المرأة والرجل؛ بل يمكن تحصيل العلم مع الالتزام الكامل بهذه الموازين، والوصول إلى درجات ومستويات عالية. وإن وجودكنّ ِ يمكنه أن يشكل نموذجاً من ذلك النداء العالمي للإسلام) [2]

بل إنه يدعو المسؤولين للتفكير في إنشاء جامعات خاصة بالنساء؛ فيقول: (بلغني أن هناك نية وحديث لإيجاد جامعة خاصة

3() المرجع السابق، ص18.

1() المرجع السابق، ص19.

2() المرجع السابق، ص19.

بالنساء إن شاء اللّه، أي أن يكون الأستاذ فيهـا والمـدير والطلاب، بل وحتى الجهاز الإداري من النساء، خاصة في الجامعات الطبيــة. إنهـا فكـرة جيـدة جـداً. إني أنظـر للأمـر من بعيـد، دون أن أتـابع جوانب القضية بشكل مفصّل، لعدمٍ وجود فرصة لذلك، لكنّي أرى بشكل إجمالي أن هذا الأمر جيد جداً، ويتناسـب بشـكل كامـل مـع الأهداف العامة والقيمة لحركة المرأة في مجتمعنا. أسأل اللّـه أن يوفقكنّ ِ ويؤيدكنّ ِ في ذلك) [1]

وقد آتت تعليمات قادة الثورة الإسـلامية آثارهـا في المجتمـع الإيـراني؛ فوسـائل الإعلام تنشـر كـل حين أخبـار تفـوق النسـاء الإيرانية في المجالات العلمية المختلفـة، وهـو أكـبر رد على ذلـك الإعلام المغرض الذي يحاول أن ينقل صورة مختلفة تماما ممتلئـة بالتزوير والكذب.

ومن تلك الأخبار ما ورد في مقال بعنـوان [المـرأة المتفوقـة تحدٍّ إيراني]، جاء فيـه: (الدراسـة الجديـدة - الـتي قـام بهـا مركـز الشورى الإيراني حول التحـولات الـتي طـرأت على تعليم المـرأة خلال العقد الماضي تشير إلى ارتفاع أعـداد الطالبـات المقبـولات في مرحلــة الاســتعداد لــدخول الجامعــة من 32 بالمائــة إلى 65 بالمائــة، وقــد تــبين أن نســبة كبــيرة من هــولاء المقبــولات هن متفوقـات، مـا ينعكس على مسـيرة حيـاتهن الجامعيـة، وبالتـالي يفرض على الحكومة توفير فرص عمـل للاسـتفادة من خـبراتهن. الأمر الآخر هو أن الهيئات المشرفة على توزيع المقاعـد الجامعيـة اضـطرت خلال العـامين الماضـيين إلى اتبـاع سياسـة جديـدة في توزيع المقاعد الجامعية بحيث خصصت 30-40 بالمائــة للــذكور، و 30-40 بالمائة للإنـاث، فيمـا تـركت حـوالي 25 بالمائـة للتنـافس الحر بين الجنسين) [2]

3 ـ حقوق المرأة المرتبطة بالعمل والإنتاج:

---

[1] المرجع السابق، ص20.

[2] المرأة المتفوقة تحدٍّ إيراني!، محجوب الزويري، مجلة الغد الالكترونية، 14 شباط / فبراير 2008..

وهي من الحقوق الأساسية التي كفلها الدستور، ودعا إليها كل قادة الثورة الإسلامية؛ بل إن دعواتهم للمرأة بأن تؤدي واجبها في المجتمع، وفي جميع المجالات التي تطيقها لا نكاد نجد مثلها في أي نظام آخر.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره قائد الثورة الإسلامية الحالي السيد علي الخامنئي من ضرورة مشاركة المرأة في كل مجالات الحياة؛ فقال: (إنّنا نعتقد أنّ النساء في كلّ مجتمعٍ بشري سالمٍ قادرات وعليهنّ أن يجدن الفرصة لبذل الجهد والتسابق في مجال التقدّم العلمي والاجتماعي والبناء والإدارة في هذا العالم في حدود سهمهنّ. وفي هذا المجال ليس هناك أيّ فرق بين المرأة والرجل)[1]

ويقول في موضع آخر: (في الساحة الثانية، أي ساحة النشاطات الاجتماعية والسياسية والعلمية وباقي النشاطات المتنوعة، يحق للمرأة المسلمة كما يحق للرجل المسلم أن تقوم حسب مقتضى الزمان بملء الفراغ المحسوس وأداء المهام الملقاة على عاتقها)[2]

ويقول: (لذلك ليس هناك أي تفاوت بين المرأة والرجل في مجالات الإعداد والاقتصاد والتخطيط والتفكير ووضع الدراسات لشؤون البلد والمدينة والقرية والجماعة والشؤون الشخصية للأسرة، فالكل مسؤول وعلى الكل أن يؤدي المسؤولية) [3]

ويرد على المتشددين الذين قد ينكرون هذا؛ فيقول: (لا يوجد تفاوت بين الرجل والمرأة في مزاولة النشاطات المختلفة في شتى المجالات في نظر الإسلام؛ فمن يقول إن الرجل يمكنه أن يدرس والمرأة لا يمكنها ذلك، والرجل يمكنه أن يدرّس والمرأة لا

1() المرأة علم وعمل وجهاد (ص: 11)

2() المرجع السابق، ص25.

3() المرجع السابق، ص25.

يمكنها ذلك، والرجل يمكنه أن يمارس نشاطاً اقتصادياً والمرأة لا يمكنها ذلك، والرجل يمكنه أن يمارس العمل السياسي والمرأة لا يمكنها ذلك؛ فإنه لا يبين المنطق الإسلامي، وكلامه مخالف لكلام الإسلام؛ فإن رأي الإسلام هو أن للرجل والمرأة أن يمارسا جميع النشاطات المتعلقة بالمجتمع البشري ونشاطات الحياة، وهما في ذلك سواسية) [1]

وهو يذكر دائما الأدلة الشرعية التي ترد على أولئك الذين يقزمون دور المرأة، ويحصرونه في ممارسة نشاطاتها الأسرية؛ ومن ذلك قوله: (فالساحة مشرّعة أمام الرجال والنساء في المجتمع الإسلامي، والشاهد على ذلك جميع الآثار الإسلامية الموجودة في هذه المجالات، وجميع التكاليف الإسلامية التي تجعل المرأة والرجل متساويين في مسؤولياتهما الاجتماعية) [2]

ومن الأدلة التي يستدل بها عادة على ذلك قوله ﷺ: (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)، ويعلق عليه بكونه (لا يختصّ بالرجال، بل على النساء أيضاً أن يدركن مسؤولياتهنّ تجاه أمور المسلمين والمجتمع الإسلامي وأمور العالم الإسلامي وكل ما يجري في العالم، وأن يبدين اهتماماً بذلك، لأنه واجب إسلامي)[3]

وهو يرى أن منع المرأة من ممارسة نشاطاتها التي تطيقها ظلم، يقول: (إذا كانت المرأة تمتلك طاقات علمية مثلاً، أو قدرة على الاختراعات والاكتشافات، أو كانت مؤهلة لأداء نشاط سياسي أو عمل اجتماعي، ولم يسمح لها أن تستغلّ طاقتها تلك،

1() المرجع السابق، ص25.

2() المرجع السابق، ص26.

3() المرجع السابق، ص27.

وأن تنمّي قدراتها تلك، فذلك ظلم)[1]

ويقول: (نعم إطرحن هذا السؤال وهو: لماذا لا تتولى النساء مسؤوليات ومديريات أساسية؟ فهو سؤال مقبول. فحيث تمتلك المرأة مؤهلات جيدة يمكنها ذلك، لا أن يأخذكنّ التعصّب وتقلن يجب أن تتولى المرأة المنصب الفلاني، نعم في الأماكن التي لا يمنع الإسلام منها لابأس، فهناك أماكن قد يمنع الإسلام منها، وفي غيرها لا ضير من تولّي المستويات العليا، عندما يريدون اختيار الأصلح لتولي هذه الأمور يجب أن ينظر إلى النساء إلى جانب الرجال، ويرون من هو الأصلح منهم دون أي تعصّب)[2]

وهذه التصريحات التي ذكرها الخامنئي، والتي نجد نظائر لها كثيرة في كلمات الخميني، وقد سبق ذكر بعضها، لم تكن مجرد كلمات، بل كان الواقع الإيراني كله يدل عليها.

وقد ورد في مقال بعنوان [المرأة الإيرانية ودورها الرسالي في الأمة] ذكر مختصر لبعض الأدوار التي ساهمت بها المرأة في خذمة الثورة الإسلامية الإيرانية قبل الانتصار وبعده، ومما ورد فيه: (اضطلعت المرأة الإيرانية بدور مهم وأساسي في حركة النهضة الإسلامية المباركة منذ انطلاقها، وواكبت مسيرتها، وقدمت لها دعماً كبيراً حتى تحقق النصر المنشود، فكان النصر نتيجة بطولات وتضحيات المرأة المسلمة. حتى إن مفجر الثورة الإسلامية الإمام الخميني الراحل أشاد بدور المرأة في الثورة الإسلامية وخاطبها بالقول: (أنتن أيتها النساء الأبطال، كنتن وما زلتن في طليعة هذا النصر).. وقال: (لقد أثبتن أيتها النساء أنكن دائماً في الصفوف الأمامية، وأنكن سباقات على الرجال، وأن الرجال يستلهمون عزيمتهم منكن، إن رجال إيران استلهموا بطولاتهم من

---

[1] المرأة حقوق وحرية وحجاب (ص: 30).

[2] المرأة حقوق وحرية وحجاب (ص: 31).

النساء وتعلموا منهن)[1]

وذكر صاحب المقال أن ذلك النشاط الذي مارسته المرأة الإيرانية قبل الانتصار وبعده، لم يتعارض أبدا مع القيم الأخلاقية والإيمانية التي جاءت بها الشريعة، بل كان منطلقا منها، يقول: (بالطبع إن النشاط الذي قامت به المرأة الإيرانية في فترة الثورة الإسلامية وبعدها لم يتعارض مطلقا مع حجاب المرأة واحتشامها والتزامها الديني والأخلاقي، فقد كانت القيم والأخلاق حاضرة بتفاصيلها مع المرأة الإيرانية أينما حلت وأثناء حركتها وثورتها مما جعلها نموذجاً للمرأة المسلمة الواعية بملابسات الحياة والمدركة لتقلبات الزمن وأهمية المرحلة الراهنة وآفاق المستقبل)

وأشار صاحب المقال إلى بعض الأدوار التي قامت بها المرأة الإيرانية بعد انتصار الثورة الإسلامية؛ فقال: (لقد قامت المرأة الإيرانية بعد الثورة الإسلامية بأدوار مهمة أيضاً على صعيد بناء المجتمع وإنشاء المؤسسات الإجتماعية والإقتصادية والمدنية وأدت رسالتها على أفضل وجه ممكن مما دفع الإمام الخميني إلى القول: (إن نساء إيران يمارسن اليوم نشاطاتهن في كل المجالات، سواء الثقافية أو الاقتصادية حيث تعمل شريحة كبيرة منهن في الزراعة وأخرى في الصناعة، وثالثة تمارس نشاطها في حقل الثقافة والأدب والفن، إن جميع هذه الجهود مشكورة عند الله تبارك وتعالى وهي في عنايته ورعايته إن شاء الله)

وذكر أدوار المرأة في الخدمة الاجتماعية، والمؤسسات المرتبطة بها؛ فقال: (قامت المرأة الإيرانية بدور فاعل في رفع الحرمان عن الطبقات الفقيرة في المجتمع من خلال نشاطاتها في مؤسسات دعم المستضعفين التي تأسست بعد انتصار الثورة الإسلامية، بل إن هذه المرأة حملت هم المستضعفين في أقصى نقاط البلاد فقامت بتقديم ما تملكه من المدخرات والأموال من أجل تحقيق بعض الرفاهية والسعادة لهم، وقد أشار الإمام الخميني إلى هذا المعنى في إحدى خطبه فقال: (فئات كثيرة

---

[1]() المرأة الإيرانية ودورها الرسالي في الأمة، موقع براس الإيراني الإخباري، 7 مارس 2018..

ومختلفة من النســـاء جـــاءت لتقـــدم ما ادّخرته في حياتها إلى المستضعفين ليبنوا لهم بيوتا)

وذكـــر أدوار المـــرأة على صـــعيد التعليم خصوصـــا؛ فقـــال: (شكلت ساحة العلم والتعليم مجالاً لتمارس المرأة الإيرانية دورها الرســـالي بشـــكل واســـع، فـــازدحمت المـــدارس والجامعـــات والمؤسسـات التعليميـة والمراكـز الثقافيـة بالنسـاء اللاتي قـدمن إليها من كل حدب وصوب من أجل أداء رسالتهن المقدسة)

وما ذكره صاحب المقال يـدل عليـه الواقـع الإيـراني، والـذي تشارك فيه المرأة مشـاركة واسـعة، قـد تفـوق في بعض المحـال الرجل نفسه.

وهي مـع كـل هـذه المشـاركة لا تتخلى عن قيمهـا الإيمانيـة والأخلاقية، وأولها التزامها بالحجـاب الشـرعي، والآداب المرتبطـة به، التزاما بتوجيهات قـادة الثـورة الإسـلامية الـذين يتحـدثون كـل حين أن حقيقـــة الإنســـان وجـــوهره منـــوط بتلـــك القيم، وليس بالحقوق التي ينالها.

ومن ذلك قول السيد الخامنئي، وهو يخاطب مجمعـا نسـويا: (افترض أن امـرأة قـد تقلَّدت منصـباً حكوميـاً كبـيراً، وكـان ذلـك المنصب مهماً جداً، ويراجعه رجال كثـيرون، فلا إشـكال في ذلـك، ولا مانع من تولي امرأة لذلك المنصب، فيمكن للمرأة أن تستقبل في منصبها آلاف الرجال والمراجعين، وبشكل حكيم، وكذلك الأمر في ساحة المواجهة وفي ساحة الحـرب، كالسـاحة الـتي شـاركت فيها السـيدة زينب، والسـيدة الزهـراء، والسـيدة حكيمـة، أو أخت الإمـام الصـادق عليـه السـلام حيث طلب الإمـام من سـائليه أن يسألوه)[1]

وقال ـ يحث النساء على الاهتمـام بالمشـاركة في الوظـائف المرتبطة بالمرأة خصوصا ـ: (ما دمنا نعتقد بضرورة وجود فاصـلة في العلاقة والارتباط الاجتماعي بين المـرأة والرجـل، ونؤكـد على

[1] المرأة حقوق وحرية وحجاب (ص: 62).

رفض الاختلاط الحر بين المرأة والرجل، ونعتقد بالحجاب بمعناه الواقعي والكامل؛ لذلك لا يمكننا إهمال المسألة الطبية، أي أنه يلزمنا وجود نساء طبيبات بنفس النسبة الموجودة من الأطباء الرجال، حتى تتمكن المرأة من مراجعة الطبيبة في أي اختصاص أرادت، ولا داعي للمساس بتلك الفاصلة. بل علينا أن نرتب الأمر لتتمكن المرأة من مراجعة الطبيبة دون أي إشكال، الطبيبة المرأة وليس الطبيب الرجل) [1]

وهو يدعو النساء إلى عدم إهمال أهم نشاط تزاوله المرأة، وهو اهتمامها بأسرتها، يقول: (البعض يعيش الإفراط، والبعض الآخر يعيش التفريط، فالبعض يقول بما أن النشاط الاجتماعي لا يسمح لي بالاهتمام بالبيت والزوج والأولاد، لذا عليّ ترك النشاط الاجتماعي، والبعض تقول بما أن البيت والزوج والأولاد لا يسمحون لي بمزاولة النشاط الاجتماعي، إذاً عليّ أن أتخلى عن الزوج والأولاد. وكلا النظرتين خطأ، فلا يجوز ترك هذا لذاك، ولا ذاك لهذا)[2]

ويقول: (أن يربّين في أحضانهنّ بشراً دون عقد، وإنساناً صحيحاً وسالماً، تلك هي أهم قيمة لعمل المرأة، وهو لا يتنافى مع العمل العلمي والعملي، وهو أحب عمل لدى النساء)[3]

ومع كل هذه التصريحات التي دل عليها الواقع الإيراني نجد ـ للأسف ـ الإعلام المغرض يصور الأمر بصورة مختلفة تماما؛ فهو يصورها بصورة المظلومة، لا لكونها لم تشارك في كل نشاطات الحياة، وإنما لكونها تمارسها وهي ملزمة بالالتزام والحشمة والحجاب، وكأنه يتصور أنه لا يمكن أن تمارس أي وظيفة إلا بخلع تلك القيم الأخلاقية.

---

(1) المرجع السابق، (ص: 29).

(2) المرجع السابق، (ص: 30).

(3) المرجع السابق، (ص: 30).

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مقال مغرض بعنوان [المرأة الإيرانيّة.. أنصفها التاريخ أكثر من الحاضر]، والذي يقر صاحبه بمشاركة المرأة الإيرانية في كل شؤون الحياة، حتى السينما، لكنه يحاول أن يصور بأن كل ذلك يمارس تحت ضغوط كبيرة.

يقول في ذلك: (باستثناء السينما، تشارك المرأة الإيرانية في الفنون بمختلف أشكالها. في الموسيقى، نرى نساء يعزفن في حفلات عامة على مختلف الآلات الموسيقية. لكن لا يمكنهن الغناء بشكل منفرد. يستطعن فقط الغناء ضمن مجموعة. بعض الإيرانيات لم يحرمن أنفسهن من شغفهن بالفن التشكيلي. صحيح أنه ما من قانون يمنع ذلك، إلا أن الدولة تفرض عدداً من القيود بحق الفنانين والفنانات على حد سواء. على سبيل المثال، تحدد الجامعات المواضيع التي يمكن للطلاب العمل في إطارها، وتمنع رسم جسد امرأة أو نحته حتى لو كان الأمر خدمة للفن التشكيلي. وإن برزت المرأة الإيرانية كعنصر أساسي على لوحة أو تمثال، فذلك لأنها تمثل الأم أو زوجة الشهيد. ويرى البعض في ذلك تكريماً للمرأة في هذا المجتمع، بعدما كانت تظهر في السابق كجارية أو غير ذلك. وخلال الأعوام التي تلت الثورة الإسلامية، شهدت السينما الإيرانية انحداراً كبيراً، وغابت المرأة عن معظم الأفلام. لكن مع وصول السينما الإيرانية إلى العالمية في تسعينيات القرن الماضي، أصبحت المرأة المخرجة والممثلة والمصورة جزءاً من جميع الأفلام. في البداية، لم تتطرق الأفلام إلى مشاكلها همومها وطموحاتها، علماً أن أفلام اليوم باتت تتناول مشاكل وهموم وتطلعات المرأة)[1]

وما ذكره صاحب المقال من القيود المفروضة على المرأة في مجالات عملها صحيح، ذلك أن النظام الإسلامي في إيران لا يريد أن يكسب سمعة طيبة لدى حقوق الإنسان على حساب قيمه ومبادئه وأخلاقه، لأن تلك المبادئ هي الأساس الذي تقوم عليه كل النشاطات.

---

(1) المرأة الإيرانيّة.. أنصفها التاريخ أكثر من الحاضر، العربي الجديد، 24 نوفمبر 2014.

وقد نبـه السـيد الخـامنئي إلى هـذا المعـنى عنـد استعراضـه للمجـالات الـتي يمكن أن تعمـل فيهـا المـرأة، والمتناسـبة مـع طبيعتها؛ فقال: (إن أهم عمل تقوم به المرأة هو ذلك العمل الذي ينسـجم ويتناسـب مـع خلقتهـا النسـوية، ويتلاءم مـع أحاسيسـها وعواطفهـا الـتي أودعهـا اللـه في وجودهـا، إن من المهم محاكـاة العواطف الجيّاشة والتفاعل مع المحبّة التي أودعها الله تعالى في وجود المرأة كله)[1]

ويضرب مثالا على ذلـك؛ فيقـول: (لنفـترض أن بعض النسـاء قد يشكين من عدم تولي المـرأة من قيـادة الشـاحنات مثلاً، ومن أمثال ذلك، تلك الأمور ليست هامة، وليس لها القيمة الـتي تجعـل الإنسان يكافح لتحقيقها) [2]

ويـذكر حادثـة وقعت لـه في هـذا؛ فيقـول: (أذكـر أني حللت ضيفاً على أحد الطلاب الجامعيين في الهند، أردنا أن نسـتريح بعـد الظهر، فسمعنا صوتاً يأتي من الشـباك لاصـطدام شـيء، نظـرت من الشباك فرأيت داخل ساحة من خمسـمائة مـتر تقريبـاً سـيدة في العقد الخامس من عمرهـا، تحمـل مطرقـة في يـدها، وتحطّم الأحجار التي تملأ الساحة تلك.. فسألته: لماذا تتـولّى تلـك المـرأة هذا العمـل؟.. قـال: إنهـا عاملـة.. سـألته: كم تتقاضـى من الأجـر يومياً؟.. قال: 4 أو 5 روبيات يومياً.. وكان ذلك عـام 1980 م بعـد انتصار الثورة) [3]

ثم علـق على هـذه الحادثـة بقولـه: (أعتقـد إنـه لمن بـواعث الفخر أننا لا نجد في الأجواء الإسلامية من يكلّف المرأة بمثل تلك الأعمـال الشـاقة. نعم لـدينا نسـاء يعملن في مـزارعهنّ، إنهنّ يعملن في الشمال لحسابهنّ، لكنهنّ لا يعلمن كأجيرات للآخـرين!

1() المرأة علم وعمل وجهاد (ص: 35)

2() المرجع السابق، ص35.

3() المرجع السابق، ص35.

فهل من المعقول أن يخوض الإنسان نضالاً مريراً من أجل أن تصل المرأة إلى القيام بمثل تلك المهام الشاقة؟! ليست تلك الأمور بذات بال) [1]

ومن هنا؛ فإن القوانين والواقع الإيراني يمنع المرأة من ممارسة بعض الوظائف التي لا تنسجم مع طبيعتها، وليس في ذلك إلا مزيد احترام لها، يقول الخامنئي: (هناك بعض الأعمال التي لا تناسب المرأة، ولا تتلاءم مع تركيبها الجسدي. كما أن هناك بعض الأعمال التي لا تناسب الرجل، ولا تتلاءم مع وضعه الأخلاقي والجسدي. لكن لا علاقة لذلك بقدرة المرأة على التواجد في ساحة النشاطات الاجتماعية أو عدم قدرتها. فإن تقسيم الأعمال يتم حسب الإمكانات والرغبة واقتضاء كل عمل) [2]

بل إنه يعتبر ممارسة المرأة لما لا يتناسب مع طبيعتها وقيمها وأخلاقها ظلم لها، وليس حقوقا تطالب بها، يقول: (إذا كانت الظروف بشكل يسلب المرأة قدرتها على الاهتمام بأخلاقها ودينها ومعرفتها بسبب كثرة عملها وضغط المشاغل المتنوعة، فذلك ظلم) [3]

4 ـ الحقوق السياسية للمرأة:

وهي من الحقوق التي دل عليها الواقع الإيراني حيث نرى المرأة تمارس كل النشاطات السياسية مثل الرجل تماما؛ فلها حق الترشح، وحق الانتخاب، وحق الدخول في الأحزاب السياسية، بل ترأسها، وهكذا نجدها كل المجالات السياسية متاحة لها.

وهي وإن لم يكن عددها كبيرا في مجلس الشورى مثلا؛

---

(1) المرجع السابق، ص35.

(2) المرجع السابق، ص37.

(3) المرجع السابق، ص40.

فذلك لا يعود للقيود التي تفرض عليها، وتحول بينها وبين الترشح، وإنما لطبيعة المجتمع الإيراني الذي لا يختلف عن سائر المجتمعات الإسلامية في النظر إلى هذا الجانب، ولذلك قد لا تترشح المرأة في بعض المناطق المحافظة جدا، وقد لا تنجح في حال ترشحها، وذلك لا يدل على كون النظام الإيراني ضد ممارسة المرأة حقها السياسي.

وهذا نجده حتى في الدول المتطورة، والتي يسيطر الرجال فيها على أكثر المناصب السياسية، بل لا نكاد نجد امرأة تتولى المناصب الحساسة فيها، مع كون القوانين تسمح بذلك.

فلذلك لا يصح ما يذكره الإعلام المغرض عن الحقوق السياسية للمرأة الإيرانية، ذلك أنه لا يعتمد التنظيرات التي نص عليها قادة الثورة، ولا الحقوق التي نص عليها الدستور والقوانين الإيرانية، وإنما يعتمد الواقع، ويحسب الأمر حسابا كميا؛ فيتصور أن قلة عدد النساء في البرلمان دليل على القيود التي تفرض عليهن، وذلك غير صحيح.

ولو طبقنا هذا المقياس لذكرنا أن أمريكا لا تجيز للمرأة أن تتولى رئاسة الجمهورية، وأنه محجور عليها، ونستدل لذلك بعدم تولي أي امرأة هذا المنصب، وهذا غير صحيح، ولا علمي.

ولهذا؛ فإن المنهج الصحيح في التعرف على الموقف الحقيقي في أمثال هذه القضايا هو النظر في الرؤية الفكرية للقادة السياسيين، لأنها تشكل القاعدة التي تنبني عليها القوانين.

وعند مطالعة ما قاله الخميني، الذي يعتبر الأب الروحي للنظام الإيراني، ومن توصياته تشكلت أكثر القوانين، نجد أنه يتيح للمرأة ممارسة كل النشاطات السياسية التي تقدر عليها، بشرط الكفاءة التي تؤهلها لذلك، لأن الهدف ليس هو أن تتولى المرأة المنصب، وإنما أن يكون المنصب حقيقا بها، وهي حقيقة به.

وقد ذكر الخميني رؤيته في هذا المجال قبل انتصار الثورة الإسلامية، أثناء جوابه على سؤال يقول: (تشغل النساء تجمعاً كبيراً بين المسلمين فما لهنّ وما عليهن في ظل النظام

الإسلامي؟)؛ فأجاب بقوله: (تشارك نساء إيران المسلمات الآن في المقاومة والنضال السياسي والمظاهرات على الشاه، وقد أُعلمت أنهن يعقدن اجتماعات سياسية في المدن الإيرانية. وللمرأة في ظل النظام الإسلامي نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجل: حق التعليم والعمل والتملك والانتخاب والترشيح. وفي كل المجالات التي للرجل حق فيها لها حق. ومن الأمور والمرافق ما يحرم على الرجل لظهور المفاسد فيها، وهكذا على المرأة. فالإسلام يريد المحافظة على مكانة كل من الرجل والمرأة، ولا يريد أن تكون المرأة ألعوبة بيد الرجل، وما يشيع في الخارج من أن المرأة تعامل في الإسلام بقسوة وخشونة هو أمر غير صحيح وشائعات باطلة، فكلا المرأة والرجل يتمتعان بصلاحيات في الإسلام على الرغم من اختلافات الاثنين المتعلقة بطبيعتهما)[1]

وهكذا نجد الخامنئي يرغب النساء في الثقافة والعمل السياسي في جميع مجالاته؛ فيقول مخاطبا لبعض التجمعات النسوية: (أدعوكن إلى زيادة الحضور في القضايا الإجتماعية والسياسية، والصمود والصبر والمقاومة والحضور السياسي والإرادة السياسية، والإدراك والوعي السياسي ومعرفة البلد والأهداف الوطنية الكبرى والأهداف الإسلامية للدول والشعوب الإسلامية، ومعرفة مؤامرات الأعداء، ومعرفة العدو وأساليبه. عليها أن تقدم في ذلك يوماً بعد يوم)[2]

ويذكر لهن الأمثلة على ذلك من النساء الصالحات المؤمنات، اللاتي كن يشاركن في كل قضايا الأمة؛ فيقول: (أما الإسلام فكان قبلهم بكثير قد أثبت للمرأة حق البيعة والتملك والتواجد في الساحات الأساسية السياسية والإجتماعية ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ﴾ [الممتحنة: 12]؛ فكانت النساء تأتي لتبايع النبي ﷺ، ولم يرفض النبي ﷺ ذلك، ويقول ليأتي الرجال فقط للبيعة، ولم يأخذ برأي الرجال فقط،

1() صحيفة الإمام، ج5، ص: 130.

2() المرأة علم وعمل وجهاد (ص: 33)

ولم يجبر النساء على ما قرره الرجال، بل قال للنساء البيعة أيضاً، لهنّ ِ إبداء رأيهن بقبول حكومتي هذه، والمشاركة في قبول هذا النظام الإجتماعي والسياسي)[1]

ويضرب الأمثلة على مدى كفاءة النساء، وقدرتهن على ممارسة العمل السياسي؛ فيقول: (وفي الساحات السياسية أيضاً، رأينا وما زلنا نرى سيدات يمتلكن القدرة على التحليل وخطيبات، ومستعدّات لتولّي المسؤولية في النظام الإسلامي. طبعاً إن هذا الأمر يشهد اتّساعاً، ويجب أن يتطوّر) [2]

ويضرب المثل لهن بالنساء المؤمنات في زمن النبوة وبعده؛ فيقول: (أولسنا نقول أنها ـ أي الزهراء ـ كانت تذهب إلى المسجد رغم ضعفها، لتحقّ الحقّ؟ إذن علينا أن نسعى لإحقاق الحق في جميع الحالات، علينا أن لا نخاف من أحد أيضاً. أَوَلسنا نقول أنها وقفت وحيدة في مواجهة مجتمع ذلك الزمان؟.. علينا أن نقف في مواجهة عالم الظلم والاستكبار، ونواجهه دون خوف على رغم قلة عددنا) [3]

وهو يعتبر أن العبرة في كل ذلك بالكفاءة، فهي التي تحدد نوعية العمل، وكيفيته، ولا علاقة لذلك بكون العامل رجلا أو امرأة؛ فيقول: (إني أرى أن أهمية هذا العمل الذي تقوم به السيدات اليوم لا يقلّ أهميّة عن المشاغل الأخرى التي يقمن بها في البلاد، بل إن أهميته أكبر من معظم تلك المشاغل. نعم إطرحن هذا السؤال وهو: لماذا لا تتولى النساء مسؤوليات ومديريات أساسية؟ فهو سؤال مقبول؟.. والجواب عليه هو أنه إذا كانت المرأة تمتلك طاقات علمية مثلاً، أو قدرة على الاختراعات والاكتشافات، أو كانت مؤهلة لأداء نشاط سياسي أو عمل

1() المرجع السابق، ص34.

2() المرجع السابق، ص34.

3() المرجع السابق، ص35.

اجتمـاعي، ولم يسـمح لهـا أن تسـتغلّ طاقتهـا تلـك، وأن تنمّي قدراتها تلك؛ فذلك ظلم) [1]

أمـا بالنسـبة للاختلاط الـذي قـد تفرضـه أمثـال هـذه الأدوار؛ فيجيب عنه بقوله: (لقد وضع الإسلام حدوداً لهذه النشاطات، لكن تلك الحدود لا علاقة لها بـالمرأة والسـماح لهـا بالنشـاط، بـل إنهـا متعلقة بمسألة الاختلاط بين المـرأة والرجـل حيث يبـدي الإسـلام حساسـية تجاههـا؛ فالإسـلام يعتقـد أن على الرجـل والمـرأة أن يحافظـا على حـدٍّ بينهمـا في كـل مكـان، في الشـارع والـدائرة والمتجر. لقد عيّن حجاباً وحدّاً بين المرأة والرجل المسلمين؛ فإنّ اختلاط المرأة والرجل ليس كاختلاط الرجال مع بعضـهم واختلاط النساء مع بعضـهنّ، وعليهم أن يراعـوا تلـك الحـدود. على الرجـل مراعــاة ذلــك، وعلى المــرأة أيضــاً مراعــاة ذلــك، وإذا روعيت حساسـية الإسـلام هـذه حـول العلاقـة ونـوع الاختلاط بين الرجـل والمرأة، عندها ستتمكن النسـاء من مزاولـة جميـع الأعمـال الـتي يمارسها الرجال في المجالات الاجتماعية، إن كنّ يمتلكن القـدرة الجسـدية لأدائهـا، وكـانت لـديهنّ الرغبـة نحوهـا، وأتيحت لهنّ الفرصة المناسبة) [2]

ويقول: (افترض أن امرأة قد تقلّدت منصـباً حكوميـاً كبـيراً، طبعاً لا أذكر اسم المنصب، لأن خصوصيات أيّ منصب قد لا تكون واضـحة جـداً ودقيقـة، ولا داعي لأن يضـع الإنسـان أصـبعه على منصـب خـاص، وكـان ذلـك المنصـب مهمـاً جـداً، ويراجعـه رجـال كثـيرون، فلا إشـكال في ذلـك، ولا مـانع من تـولّي امـرأة لـذلك المنصـب، فيمكن للمـرأة أن تسـتقبل في منصـبها آلاف الرجـال والمراجعين وبشكل حكيم، وأن تقضي لهم ما يتوقعونـه من ذلـك المنصب من مطالب مشروعة ومحقّة. لا مانع من ذلك) [3]

---

(1) المرجع السابق، ص35.

(2) المرجع السابق، ص38.

(3) المرجع السابق، ص40.

وهو ينبه دائما إلى أن الهدف ليس وجود المرأة في تلك الوظائف السياسية وغيرها، ليقال بأن المجتمع الإيراني يراعي حقوق النساء في هذا الجانب، وإنما الهدف هو تحقيق المصالح الشرعية، ولذلك لا يهم أن يكون عدد النساء في تلك المؤسسات أكبر أم عدد الرجال؛ فالعبرة بالكفاءة، وليس بالعدد، يقول في ذلك: (إني مسرور جداً لرؤيتي الأخوات النواب وقد شكّلن بحمد الله كتلة كيفية وكميّة مهمة في مجلس الشورى الإسلامي. ولا أعني بذلك مثلاً أن يكون من بين مائتين وسبعين نائباً، أن يكون هناك مائة وكذا نائب من النساء، كلا ليس المطلوب أن تحدد أعداد المسؤوليات التي تتولاها النساء وأعداد ما يتولاّه الرجال.. بالمناسبة فإني أرى الاهتمام بذلك أمراً سلبياً، أن نظنّ أن عدد النساء يجب أن يساوي عدد الرجال في كل ساحة ومجال! فذلك فكر ابتدائي وبسيط وطفولي. إني لا أقول أنني مسرور من هذا المجال، بل إني مسرور لشعوري أن هناك حركة جدية وحقيقية تجري لحسن الحظ من أجل إعادة الاعتبار لشخصية المرأة) [4]

ثانيا ــ العمال وحقوقهم في الرؤية السياسية الإيرانية:

للعمل في الرؤية السياسية الإيرانية قيمة كبيرة، سواء قبل انتصار الثورة الإسلامية، أو بعدها، لأنها ثورة قامت ضد الأرستقراطية والرأسمالية التي بنى عليها الشاه حكمه، لذلك كان يرمي الثوار الإسلاميين بكونهم يساريين وشيوعيين، نتجية مطالابتهم بحقوق المستضعفين، بمن فيهم العمال.

ولهذا نلاحظ كثيرا تبرؤ قادة الثورة الإسلامية من النظام الشيوعي، واعتبار ثورتهم ثورة إسلامية خالصة، لا شرقية ولا غربية، وأن أهدافها أهداف تنسجم مع الإسلام وتنطلق منه حتى لو تقاطعت مع الشيوعيين أو غيرهم في بعض المطالب.

ولنرى مدى تشرب قادة الثورة الإسلامية بالرؤية الإسلامية في التعامل مع العمال، ننقل نصوصا من خطاب مهم للخميني

4() المرجع السابق، ص28.

بمناسبة يوم العمال، ألقاه بعد الانتصار، والذي قدم له ببيان مشروعية الاحتفال في هذا اليوم من باب تكريم العمال؛ فقال: (إن اختصاص يوم بالعمال لعله بلحاظ التكريم والتعظيم، وإلّا فإن كل يوم هو يوم العمل والعمال، بل العالم قد تشكل من العمل والعامل.. وإن تخصيص يوم للعالم كمن يخصص يوماً للنور، تخصيص يوم للشمس، إذ النور موجود في كل يوم، والنهار نور. كل يوم هو يوم الشمس، ولكن لعل ذلك كان من أجل التعظيم والتكريم، ولهذا فلا يوجد إشكال في هذا الأمر)[1]

ثم بين أهمية العمل في الرؤية العقدية الإسلامية، وكونه واجبا وشرفا لا يمكن الاستغناء عنه، وفي كل المحال؛ فقال: (إذا أردنا الواقعية؛ فإن العمل والعامل موجودان في جميع عوالم ما قبل الطبيعة وفي عالم الطبيعة وفي عوالم ما بعد الطبيعة. فالعمل والعامل موجودان في كل مكان، وجميع موجودات العالم سواء موجودات ما قبل الطبيعة، أم الموجودات الطبيعية أم موجودات ما بعد الطبيعة فإن جميعها قد تحققت بسبب العامل. فالعمل نظير (الوجود) حاضر في جميع شؤون العالم)[2]

ثم ذكر بعض تفاصيل ذلك، فقال: (لقد وجد العالم من فعالية الله، ووجدت أجزاء العالم من الفعاليات لبعض الموجودات. إنكم لا تستطيعون العثور على موجود إلّا والعامل والعمل موجودان فيه، بل هو بنفسه عمل، العمال أيضاً هم بأنفسهم عمل، وقد وجدوا من العمل.. إن ذرات الكائنات في عالم الطبيعة فعالة من أجل إيجاد جميع كائنات هذا العالم حتى الجمادات والأشجار جميعاً حية، جميعها عاملة، فالعمل محيط بكل العوالم، ومنذ البداية إنما وجد العالم بالعمل، فالعامل مبدأ جميع الموجودات)[3]

---

[1] صحيفة الإمام، ج7، ص: 131.

[2] المرجع السابق، ص131.

[3] المرجع السابق، ص131.

وبناء على ما ورد في النصوص المقدسة من أن الجنة مبنية بالأعمال الصالحة، والنار مبنية بالأعمال الخبيثة، يذكر الخميني أن العمل يمتد إلى عوالم ما بعد الطبيعة نفسها، فيقول: (إن عالم ما بعد الطبيعة- الجنة والنار- أيضاً قد ظهر بالعمل، الجنة والنار تتحققان من عمل الإنسان؛ فعمل الإنسان إما عمل صالح وعمل حسن وهو مبدأ تحقق الجنة، وإما عمل غير صالح وفاسد وهو مبدأ النار)[1]

وبعد هذه المقدمات العقدية التي تعود كل قادة الثورة الإسلامية أن ينطلقوا منها في توضيح الحقائق ليربطوا الدنيا بالآخرة، والغيب بالشهادة، يذكر أن الشرف العظيم للعمال مرتبط بالمسؤوليات العظيمة المناطة بهم، ذلك أنهم ـ كما يذكر ـ هم وراء تقدم الدول وانحطاطها، وحال أعمالهم كحال الأعمال التي تنتج إما نارا أو جنة؛ يقول: (إذا اتجه بلد نحو التقدم، فإنه يسير باتجاه التطور بيدكم أنتم أيها العمال، وإذا سار بلد باتجاه الانحطاط، فهو أيضاً بيدكم أنتم، إذ بعدم العمل أو بقلة العمل أو بعدم الرغبة في العمل يسير البلد نحو الانحطاط؛ فالحكومة اليوم منكم، من العمال، والبلد بلدكم. فلم يعد للأجانب تدخل فيه. لم يعد هناك كبت. لم يعد هناك اختناق. لم يعد هناك نهب. البلد اليوم بلدكم، وأنتم مسؤولون عنه مباشرة. فإذا لم تبذلوا الجهد في هذه المسؤولية، إذا لم تبذلوا الجهد في هذا الأمر الذي بعهدتكم، وإذا لم تؤدوا ذلك الدّين الذي عليكم تجاه بلدكم وتجاه الإسلام، ستتحملون مسؤولية ذلك)[2]

وهو ـ خلافا لما عليه الفكر المادي، الذي تبنى عليه الأنظمة الوضعية ــ والتي تنطلق من إغراءات مادية أو معنوية تقدمها للعمال قصد تحفيزهم، ينطلق الخميني من ذلك الفضل العظيم الذي ورد في النصوص المقدسة حولهم، وتلك الأجور العظيمة

---

[1] () المرجع السابق، ص132.

[2] () المرجع السابق، ص132.

التي ينالونها؛ فيقول:(إذا بـذلتم جهـدكم وأدرتم عجلـة البلـد، فـإن لكم قيمة كبيرة عند الله تبارك وتعالى؛ فالإسلام يجعل لكم قيمـة كبيرة، ويعتبركم خُزَّان الأرض، فـأنتم الأمنـاء على خـزائن الأرض، وعليكم إحياء الأرض)[1]

وهو يحذرهم من تلك الصـرخات الـتي تحرضـهم، وتـدعوهم إلى الثـورة، ليسـتعيد النظـام البائـد بعـد ذلـك عافيتـه، ويحكم السيطرة عليهم؛ يقول: (لاتصغوا إلى الذين لايريدون لهذه العجلـة أن تـدور. إنهم لايحبـونكم، الإسـلام العزيـز هـو الـذي يهتم بكم ويحترمكم ويطالب بحقوقكم ويعمل على إحقاقهـا. دعـوا الإسـلام يحكم، دعـوا الجـذور الفاسـدة للاسـتبداد والاسـتعمار تستأصـل وتتلاشى، وليمنى الذين يريدون خدمة الأجانب بالخيبة والفشل)[2]

وهو يذكر لهم أن الحكم الإسـلامي لا يعـني تهميشـهم ـ كمـا يشيع المغرضون ـ بـل إنـه يعطي الأولويـة لهم، بـل يجعـل زمـام الأمور بأيديهم، يقول: (إنكم إخوتنا، إنكم أعزتنـا، عليكم إدارة هـذا البلد، أنتم من يستطيع الأخـذ بهـذا البلـد إلى بـرّ الأمـان. أنتم من يستطيع في المصانع ادارة عجلة المصـانع وانقـاذ البلـد. أنتم أيهـا الفلاحـون من يسـتطيع أن يحـرك عجلـة الزراعـة، وفعـاليتكم هي التي تستطيع تحقيق الزراعة بشكلها الصحيح، فكمـا تعلمـون أنهم خربـوا الزراعـة ودمروهـا، وعليكم أنتم الآن، بعـد أن أصـبح البلـد بأيـديكم وقطعت أيـدي الأجـانب، أن تهتمـوا بـزراعتكم، وأعطـوا الحكومـة الفرصـة حـتى تسـاعدكم، تسـاعدكم بالمقـدار الـذي تستطيعه. وأنتم اخوتنا العمال، دعوا المعامل تعمـل ليمكن إعمـار هذه البلد للجميع، أعطوا الفرصة لتعمل هذه المصانع وتدور عجلة البلد، وإنكم جميعاً إخـوة لنـا، ونحن جميعـاً في خـدمتكم. أنتم من يستطيع إدارة البلد والقضاء على هذه الفوضى)[3]

---

[1] المرجع السابق، ص132.

[2] المرجع السابق، ص132.

ثم يذكر لهم الواقع المادي الذي تعيشه إيران بعد ثورتها، وأنه لا يسمح لها بالوفاء بالحقوق المادية التي يستحقها العمال كما ينبغي، ولذلك يحتاجون إلى الصبر حتى تستعيد البلد عافيتها، يقول: (كما تعلمون أن هؤلاء قد رحلوا تاركين البلد مضطراً. نهبوا ورحلوا، أفرغوا خزائننا ورحلوا. فيجب علينا الآن جميعاً. وليست فئة واحدة، علينا جميعاً أن نسعى ونحرك عجلات هذا البلد حتى تتحسن أوضاعه، إن الإسلام جعل لكم حقوقاً، وسوف يعطي حقوق الجميع. الإسلام جعل حقوقاً للعمال من الرجال والنساء. لجميع النساء والرجال المزارعين. وهو يكرمهم وسوف يرد لهم، دعوا الإسلام يحكم، لتتحقق جمهورية الإسلام وأحكام الإسلام النورانية. لا تعبأوا بأولئك الذين لا يريدون لهذه العجلات أن تدور، ولا يريدون لزراعتنا أن تسير أمورها، ومعاملنا أن تعمل، لاتصغوا إليهم ولا تنخدعوا بهم ولا تفسحوا لهم المجال ليعملوا ما يريدون. إنهم يريدون خداعكم لينهبوا ثروات هذا البلد، لينهبوا خزائن هذا البلد، ليكون الطريق مفتوحاً أمام من يريد مدّ يده لينهب من هذه الخزائن. يجب أن تحولوا دون ذلك. علينا جميعا أن نمنع وقوع ذلك)[1]

وما ذكره الخميني في تلك الأيام التي بدأت بها الثورة الإسلامية، ينطبق على فترات كثيرة بعدها، حيث أن المستكبرين استعملوا كل وسائل التضييق على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حتى تُتهم لاحقا بالتفريط في حقوق العمال، مع أن المشكلة ليست في النظام، ولا في العمال، ولكن في الاستكبار العالمي الذي مارس كل أنواع الحصار.

ومع ذلك، ومع الحصار المرير، والحرب الضروس استطاع العمال الإيرانيون أن يوفروا حدا أدنى من المعيشة أفضل بكثير أيام الشاه، الذي كانت تذهب أكثر الثروة الإيرانية فيه لجيبه وجيب الاستكبار العالمي الذي خضع له خضوعا مطلقا.

3() المرجع السابق، ص133.

1() المرجع السابق، ص134.

وقد أشار الخميني في خطاب له بعد أكثر من ست سنوات على انتصار الثورة الإسلامية ـ وبحضور الخامنئي حين كان رئيسا للجمهورية ـ فقال ـ يعدد إنجازات الثورة في تلك الفترة القصيرة المملوءة بكل أصناف التضييق ــ: (إنَّ ما أريد قوله للسادة القادمين من الخارج أن لاتشاهدوا وتجلسوا ساكتين إلى النهاية، تعالوا انظروا هنا، اذهبوا وانظروا وضع السجناء والأسرى العراقيين وأوضاع فئات الشعب ووضع الفلّاحين في القرى والأرياف البعيدة في أقاصي البلاد كيف كانت في العهد السابق وكيف هي الآن؟ ففي الوقت الذي نواجه الآن هذه المعارضة من قبل كل البلدان إلّا القليل منها، ومع ذلك فإننا خلال هذه السنوات المعدودة من انتصار الثورة وبدء الحرب التي شُنَّتْ علينا من قبل أمريكا، فانظروا إلى هذا الشعب بما أن حكومته شعبية ومنبثقة من الشعب، فإن رئيس وزرائه كان كاسباً في السوق، وافترضوا أن فلّاحاً جاء وتسلّم المنصب الفلاني، ففي أيّ مكان من الدنيا تجدون مثل هذا؟ إين تجدون طالب علم يصبح رئيساً للجمهورية؟ .. وأين تجدون كاسباً يصبح رئيساً للوزراء؟ وفلّاحاً يكون ما يكون؟ فهذا نموذج لا مثيل له في الدنيا، وما هذا إلّا تحوّل الناس وتغييرهم، وهؤلاء جزء من الناس)[2]

وهو يطلب منهم أن يوضحوا للعالم مزايا النظام الإسلامي، والتي تحققت في الواقع العملي، ولم تبق مجردا نظريات، يقول: (اعترضوا على هؤلاء الذين يبثون الدعايات المغرضة ضد إيران، فأنتم عند ما تتجوّلون في شوارع البلاد هل رأيتم أحداً يقتل الناس في الشوارع؟ وهل انزوت النساءفي إيران وحجزن في البيوت، أم يشاركن الرجال في إعمار البلاد ويسرن معهم جنباً إلى جنب؟ هل ترون أن تتهتّك النساء هنا وتتحلل من كل قيد؟ أن هذا خلاف التحوّل الذي ظهر لدى النساء، وخلاف التحوّل الذي طرأ علشعبنا، لا تكونوا متفرجين فقط تأتون وتشاهدون ثم تعودون إلى أعمالكم ولا شأن لكم في شيء حتى العام القادم لتُدْعَوا للحضور هنا مرة أخرى، إذ لو تكرر هذا الأمر بهذا الشكل مئة عام فلا يساوي شيئاً ولن ينتهي بنتيجة مثمرة. عند ما تأتون إلى هنا

---

(2) المرجع السابق، ج19، ص: 412.

وتعـودون إلى بلـدانكم إذكـروا لأبنـاء شـعبكم وغـيرهم مـارأيتم، ولاتظنّوا أن هذا غير ممكن فقد رأينا أنه ممكن وقد حصل)[1]

ثم يـذكر لهم وضـع الشـعب الإيـراني سـابقا، فيقـول: (هـل تظنون أن إيران كـانت في السـابق هكـذا؟ كلّا، لم تكن هكـذا من قبل، فكم تحمّل هـذا الشـعب من الآلام وكم ضـحّى من الشـبّان، وكم ضحّى هذا الشعب بكل شيئ وما يـزال يضـحّي، ومـا ذلـك إلّا لأن هذا الشعب قد وعى واسـتيقظ وتقـدم خطـوة من أجـل اللـه فتفضل الله تبارك وتعالى عليه بعنايته) [2]

وهكذا نرى الخميني في كل خطاباتـه يشـجع العمـال، ويرفـع معنويــاتهم، ويــدعوهم إلى العمــل بــإخلاص في خدمــة بلادهم، ويخاطب في كل ذلك الإيمـان في قلـوبهم، ويضـرب لهم الأمثـال على ذلك بما كان عليه رسول الله ﷺ، يقـول:(لا بـد أنكم سـمعتم ما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ من أنه قبل يد العامل، أي تلك اليـد التي أصبحت خشـنة بسـبب العمـل، وهـذه الحادثـة تعكس مكـان العامل على طول التاريخ، فالنبي الأكـرم الـذي هـو أعظم إنسـان كامل، وهو أول أفراد الإنسان، تواضع للعامل بهذا الشـكل، وقبّـل يده التي هي علامة للعمل، وقد قبّل باطن اليد لا ظهر اليد، وهـذه ملاحظة مهمة إذ أن آثار العمل تظهر في باطن اليد، وإنه يريد من ذلك أن يبين قيمة العمـل لبـني الإنسـان، ويقـول للمسـلمين بـأن قيمة العمل تتجلى هناك حيث عمـل العامـل، وقـد ظهـرت علامـة بسـبب العمــل، وأنــا أقبّــل ذلــك المكــان لكي تــدرك الشــعوب الإسلامية والبشرية قيمة هذا العمل)[3]

ويضرب لهم مثلا آخر عن الإمام علي، فيقـول: (كـان الرجـل الثاني في الإسلام وهو علي بن أبي طـالب عـاملاً، أي كـان يحفـر

---

[1] () المرجع السابق، ج19، ص: 419.

[2] () المرجع السابق، ج19، ص: 419.

[3] () العمل والعمال في فكر الإمام الخميني (ص: 3).

بئراً ويستخرج منه الماء، كان عاملاً، وكان يعمل من أجل إعاشة نفسه أيضاً، ورغم أنه قد حفر تلك الآبار بيده فإنه قد حمل في نفس اليوم بحسب النقل الذي بايعوه فيه بالخلافة والإمامة وعندما انتهت البيعة، فقد حمل المسحاة بيده وذهب للعمل)[1]

ويضرب المثل على حرمة العمل وأهميته وشموله لجميع الناس، حتى الأئمة أنفسهم، فيقول: (لم يقتصر ذلك على الإمام علي بن أبي طالب، بل إن الإمام الصادق والباقر كانوا كذلك؛ فقد نقلوا أنهما كانا يعملان في مكان، ونُقل عن الإمام الصادق أنه كان يعمل في مكان ما رغم عمله الكثير، رغم عمله المعنوي الكثير وعمله الإعلامي، فقالوا له ـ كما يُنقل ـ: اترك لنا هذا العمل لكي نقوم به، لكنه أجابهم: إنني أحب أن أشعر بحرارة الشمس في بدني إزاء ذلك العمل الذي أريد أن أقوم به بنفسي، ويا لها من قيمة كبرى أن يقوم الرجل الأول في زمانه ورغم امتلاكه لتلك المنزلة بممارسة العمل بنفسه، مما يعلمنا قيمة العمل)[2]

هذا بالنسبة للدعم المعنوي الذي أولاه الخميني أهمية كبرى، حتى يجعل من شعبه شعبا عقائديا يقوم بأداء مهامه بإخلاص وتفان، ولوجه الله تعالى.

لكنه مع ذلك لم يغفل الدعم المادي، لكنه لا يربطه بوعود قد لا تتحقق، وإنما يربطه ويعلقه بما يقوم به العمال أنفسهم.. فهم ـ باجتهادهم وعملهم وصدقهم ـ يمكنهم أن يحققوا المكاسب التي لا تخدم بلدهم فقط، وإنما تخدمهم هم أيضا، يقول في خطاب الانتصار: (لقد رحل هؤلاء الخونة من إيران وتركوا لنا بلداً خرباً ومقابر عامرة، دمروا بلادنا وعمروا مقابرنا بقبور شبابنا، ولا نستطيع في سنة أو سنتين أو خلال مدة قصيرة أن نبني هذا الخراب وأن نحفظ بلدنا من هذا الوضع المتأزم. نحتاج إلى اتحاد كل الشعب الإيراني لكي نبني معاً ما خربوه، ولذلك لا تنتظروا من الحكومة أن تعمّر كل شيء، الحكومة لوحدها غير قادرة على

[1] المرجع السابق، ص4.

[2] المرجع السابق، ص5.

ذلك. لا تنتظروا من رجال الدين أن يعمروا الخراب، رجـال الـدين لوحدهم لا يستطيعون البنـاء، يجب أن يسـاعد الواحـد منـا الآخـر، من الفلاح والعامل والصانع والعالِم، رجل الدين والجـامعي، حـتى الموظـف والعسـكري. الثـورة الآن في وسـط الطريـق .. لقـد طـردتم اللصـوص فقـط من بلادكم .. طـردتم المفسـدين، لكن الخرائب لا زالت باقية. المهم أن هذه الخـرائب الـتي تركوهـا لنـا، نعمرها من جديد بالاستعانة بهممكم العظيمة وعزائمكم الراسخة) [1]

وهو ينبـه العمـال خصوصـا إلى أنهم مسـتهدفون، وأن هنـاك جهات خارجية تريد أن تستعملهم لينفـذوا أغراضـها، غـير مـراعين لوضع البلد؛ فيقول: (انتبهوا .. كونـوا على حـذر .. المفسـدون قـد نصـبوا لكم المكـامن، الأجـانب مترصـدون لكم. إنهم لن يغفلـوا عنكم، وعليكم أن لا تغفلـوا عنهم، إنهم يرسـمون لكم الخطـط بطـرق وأشـكال مختلفـة. بعـد أن سـقط النظـام الشاهنشـاهي المنحط، يريدون أن يعودوا ولكن بشكل آخـر، ويجـددوا الاسـتثمار ويبدأوا النهب والإرهاب من جديد.. علينا أن نحفظ ثورتنـا بـالوعي واليقظـة. إذا مـالت هـذه النهضـة نحـو الجمـود ـ لا سـمح اللـه ـ فانتظروا إعادة تلـك المصـائب. إذا أردتم إنقـاذ إيـران .. إذا أردتم إنقاذ الإسلام .. إذا أردتم إنقاذ القرآن الكـريم فيجب أن تحتفظـوا بهذه النهضة قوموا بالمظاهرات عند الحاجة، أقيمـوا الاجتماعـات. المظاهرات اليـوم ليسـت مظـاهرات غـير سـلمية. يجب أن تبقى هذه النهضة، يجب أن يحـيى هـذا الشـعب، لقـد ولى ذلـك العصـر الذي يحكمنا فيه شرطي واحد .. لقد ولى ذلك اليوم الذي يحكمنا فيه ضابط واحد. اليـوم جميعـاً (المسـؤولون) في خـدمتكم .. في خدمة الإسلام. اعرفوا جميعاً قدر هـذه النعمـة، لا تستسـلموا إلى اليأس. لا تقولوا ولى ذلك الشخص (الشاه) وانتهى كل شيء) [2]

وهكـذا نجـد القائـد الحـالي للثـورة الإسـلامية السـيد علي

---

[1] خطاب الانتصار.

[2] خطاب الانتصار.

الخامنئي يواصل المسيرة، ويخـاطب العمـال، ليبث فيهم الإيمـان والوعي الذي يجعلهم بمنـأى عن كـل المـؤامرات الـتي تسـتهدف النظام الذي تكفل بحقوقهم في حدود ما أتيح له من إمكانات.

ففي خطــاب لــه عنــد لقائــه حشــداً من عمــال الجمهوريــة الإسلامية بمناسبة عيد العمـال لسـنة 2018، ذكـر أهميـة العنصـر البشـري في أي نظـام، وأنـه أهم بكثـير من الـثروات وغيرهـا من الأشياء التي تتوفر للدولة؛ فقال: (تعتبر القوى البشرية واحدة من أكـبر وأهم ثـروات أي بلـد. أي إنَّ قيمـة وجـود العامـل والمصـمّم والمهندس والناشط للإنتاج في أي مجال في البلاد أكبر بكثـير من قيمة المصادر الجوفية ومن الذهب ومن النفـط ومن المـاس ومـا شاكل؛ فهذا هـو مـا يمكنـه أن يعمّـر بلـداً. لاحظـوا الآن أنَّ هنـاك بلداناً ينتج فيها كل أو أكثر ماس العالم لكنهم يعيشون في تعاســة وفقــر، لمــاذا؟ لأنهم لا يمتلكــون الطاقــات البشــرية الكافيــة ولا يمتلكون القوى الإنسانية، لا يمتلكـون القـوى الإنسـانية المفكـرة. القوى الإنسانية هي أكبر ثروة في أي بلـد، وأنتم هي تلـك القـوى الإنســـانية. أنتم العمــــال وأنتم صــــانعو فــــرص العمــــل، وأنتم المهندســون، وأنتم المصــممون، وأنتم الناشــطون في مختلــف المجالات، أنتم القـوى الإنسـانية. هـذه هي القيمـة العاليـة للقـوى الإنسانية، وطبقة العمال هي جزء من هـذه القيمـة الراقيـة وهـذه الثروة العظيمة)

ثم أشاد بما يقوم به العمال الإيرانيون رغم الظروف الصـعبة الـتي تمـر البلاد بسـبب الحصـارات الكثـيرة المتعاقبـة، والـتي لم يرضخ لهـا العمـال، ولم يستسـلموا، يقـول: (جهـود عمّالنـا جهـود تفوق الحدّ المألوف والمتوسط في العـالم من حيث القيمـة. هـذا ما قلته مراراً حول القطاعات المختلفة، حول الطلبـة الجـامعيين، وحول المحققين والباحثين، ثم إنَّ التقارير التي يرفعونها تؤيد كلها هـذا المعـنى، وهـذا مـا أعتقـده بخصـوص العمـال أيضـاً. العامـل الإيراني من أفضل العمال في العـالم؛ أي إنَّ يـده الفنانـة وفكـره ودوافعه العاليــة أرقى من المتوســط العــالمي. وهـذا في حين لم يكن هنـاك اهتمـام بالعمـل والعامـل والمجتمـع العمـالي والإنتـاج والقضايا الوطنية خلال عهد القمع وفترة الظلم البهلوي وقبل ذلك

خلال حقبة الغفلة والنوم الدائم)

وبناء على هـذه التوجيهـات من قـادة الثـورة الإسـلامية، نص الدستور الإيراني على كافة الحقوق المرتبطـة بالعمـال، والـتي لا تقـل عن نظيراتهـا في البلاد الـتي تـدعي الديمقراطيـة وحمايـة حقوق الإنسان، بـل قـد تفوقهـا في رعايـة الأخلاق والقيم الـتي لا نجد أي اهتمـام بهـا في الـدول الغربيـة، بـل حـتى في الكثـير من الدول الإسلامية.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في المادة الثامنـة والعشـرون، والـتي تضـبط أنـواع الأعمـال الـتي يمكن أن يمارسـها العامـل الإيراني، ونصها: (لكل شخص الحق في اختيار المهنة التي يـرغب فيها ما لم تخالف الإسلام أو المصالح العامـة، أو حقـوق الآخـرين، والحكومـة مسـؤولة عن توفـير فـرص العمـل للجميـع، وإيجـاد الظروف المتكافئة للحصول على العمل، وذلك مع ملاحظة حاجـة المجتمع للمهن المختلفة)

وهي مادة مهمة تـبين مـدى هيمنـة الشـريعة الإسـلامية على الواقع الإيراني، ذلك أن أكثر الأنظمة العالمية تعطي حريـة كبـيرة للعمال في ممارسـة مـا يشـتهون من وظـائف، ولـو على حسـاب القيم والأخلاق، مثلمـا هـو حاصـل للأسـف في بعض الـدول الـتي يدعمها الإسلاميون، كتركيا أو قطر أو الإمارات وغيرهـا، في نفس الـوقت الـذي يصـبون فيـه كـل أحقـادهم على إيـران ونظامهـا الإسلامي.

ومن المواد الضـامنة لحقـوق العمـال في الدسـتور الإيـراني المـادة التاسـعة والعشـرون، والـتي تنص على مـا يلي: (الضـمان الاجتمـاعي من الحقـوق العامـة، ويتمتـع بـه الجميـع في مجـال التقاعـد، والبطالـة والشـيخوخة، والعجـز عن العمـل، وفقـدان المعيـل، وحالـة ابن السـبيل، والحـوادث الطارئـة، والحاجـة إلى الخدمات الصـحية والعلاجيـة والرعايـة الطبيـة كالضـمان الصـحي وغـيره، والحكومـة مسـؤولة حسـب القـانون عن تقـديم هـذه الخدمات وتقديم المساعدات المالية المذكورة آنفاً لكـل فـرد من أبنـاء الشـعب من مواردهـا الماليـة العامـة، ومن المسـاهمات

الشعبية)

ومنهــا المــادة الثلاثــون، والــتي تنص على مــا يلي: (على الحكومـة أن تـوفر وسـائل التربيـة والتعليم بالمجـان لكافـة أبنـاء الشـعب حـتى نهايـة المرحلـة الثانويـة، وعليهـا أن توسـع وسـائل التعليم العالي بصورة مجانية، لكي تبلغ البلاد حد الاكتفاء الذاتي)

وتنص المادة الحادية والثلاثون على ما يلي: (امتلاك المسكن المناسـب للحاجـة حـق لكـل فـرد إيـراني، ولكـل أسـرة إيرانيـة، والحكومة ملزمة بإعداد مقدمات تنفيذ هذه المادة حســب أولويــة الأكثر حاجة إلى السكن، لا سيّما سكان القرى والعمال)

وتنص المادة الرابعة بعد المئة على مـا يلي: (بهـدف تحقيـق العدل الإسلامي والمسـاهمة في إعـداد الـبرامج وتوفـير التنسـيق لتطوير مرافق الإنتـاج والصـناعة والزراعـة، يتم تشـكيل مجـالس شورى من ممثلي العمال والفلاحين وسائر العاملين والمـدراء في هذه المرافق، أما في المؤسسـات التعليميـة والإداريـة والخدميـة ونحوهــا فيتم تشــكيل مجــالس شــورى من ممثلي أعضــاء هــذه المؤسسات)

هــذه بعض المــواد الــتي تقــرر وتنظم الحقــوق الــتي تكفلهــا الدولة للعمال، ولجميـع طبقـات الشـعب، وهي وحـدها كافيـة في الــرد على مــا ينشــره الإعلام المغــرض، والــذي يحــاول أن يصــور العامل الإيراني بصورة الأسـير المسـخر، لا بصـورة العامـل الحـر المخلص الذي يتفانى في عمله، ولو بـأدنى الأجـور، ليخـدم بلـده، لأنــه يعلم أن مــا أصــابها من شــدائد، ليس بسـبب الفسـاد، وإنمـا بسـبب الحصـار الشـديد، الـذي يـراد منـه تقـويض النظـام، ليعـود المستبدون من جديد.

الفصل السادس

ولاية الفقيه.. والقيم التربوية

من أهم ما يميز نظام ولاية الفقيه عن جميع أنظمة العالم، القديم منها والجديد، اهتمامه بالقيم التربوية بجميع أصنافها، وفي جميع مجالاتها، ذلك أن هدف هذا النظام ليس توفير حاجيات الشعب الحسية فقط، وإنما يهدف فوق ذلك إلى بناء الإنسان، وتحقيق ما يطلق عليه [التقوى الاجتماعية]

وهذا الدور الكبير للولي الفقيه، وللمؤسسات التابعة له، مرتبط بما ذكرناه في الفصل الأول من أن هذا الولي ورث ولايته من رسول الله ﷺ ومن خلفائه من الأئمة، والذين نص الله تعالى على وظائفهم؛ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]

والجهل بهذه القيمة من لدن المغرضين هو الذي جعلهم يتهمون النظام الإيراني بكونه أسوأ الأنظمة في مجال حقوق الإنسان، لأنهم يتصورون أن تدخله في تحريم المسكرات، ومنعه لدور اللهو، ومنعه لكل وسائل الإعلام التي تبث الانحراف، ومنعه لكل ما ينحرف بالأخلاق، تدخل في الشؤون الشخصية، ولم يعلموا أن النظام الحقيقي هو الذي يكون فيه الحاكم والدا لرعيته ومربيا لهم، يوجههم، ويحميهم من كل ما يمكن أن يتسبب في فسادهم وانحرافهم.

ولهذا وضع النظام الإيراني المؤسسات التي تحمي الشعب من أن يمثله المتهتكون أو الفاسدون في أخلاقهم؛ ففي الوقت الذي نجد فيه كل ديمقراطيات العالم تأذن لمن هب ودب في الترشح لأي نوع من الانتخابات نجد على عكسها النظام الإيراني يضع الشروط الأخلاقية والدينية في الذين يمكن قبولهم، حتى لا يتسرب الفاسدون والمفسدون إلى الجهات الحساسة؛ فيفسدوا الشعب، ويعبثوا به، كما قال الخميني في وصيته السياسية: (من

الأمور الضرورية أيضاً، تديّن نواب مجلس الشورى الاسلامي، فقد رأينا جميعاً أيّة إضرار محزنة لحقت بالإسلام وبـإيران نتيجـة عـدم صلاحية مجلس الشورى وانحرافه منـذ الفـترة الـتي تلت النهضـة الدستورية وحتى عهد النظام البهلوي المجرم، والتي كـان سـواها وأخطرها عهد ذلك النظـام الفاسـد المفـروض. يالهـا من مصـائب وخسـائر مـدمرة حلت بـالبلاد والشـعب على أيـدي هـؤلاء العبيـد التافهين المجرمين، لقد أدى وجود أكثرية مصـطنعة مقابـل أقليـة مظلومة خلال الخمسـين عامـاً الأخـيرة ــ من العهـد البائـد ــ إلى تمكن إنجلترا والاتحاد السوفيتي وأمريكا بعد ذلـك من تمريـر كـل ما أرادوه على أيدي هؤلاء المنحرفين الغـافلين عن اللـه ممـا جـر البلاد الى حافة الدمار والانهيار. فمنذ ما تلا الحركة الدسـتورية لم يطبق شيء تقريباً من مواد الدستور الأساسية، وقد تم ذلـك قبـل عهـد رضـا خـان عـبر المـأمورين للغـرب وحفنـة من الباشـوات والإقطاعيين، وعبر النظام السـفاك وحواشـي البلاط وأزلامـه في عهد النظام البهلوي)[1]

وبناء على هذه التجربة القاسية التي ذكرها الخميـني، والـتي مـرت بهـا إيـران دعـا إلى التشـدد في اختيـار النـواب، والاهتمـام بـالتزامهم الـديني والأخلاقي حـتى لا يخـترقهم العـدو، ويمـرر مشاريعه التدميرية من خلالهم، يقـول في ذلـك: (أمـا الآن، وحيث أصبح مصير البلاد ـ وبلطف اللـه وعنايتـه وهمـة الشـعب العظيم ـ بأيـد المواطـنين أنفسـهم، حيث أصـبح النـواب منبثقين من سـواد الجمـاهير يتم انتخـابهم لمجلس الشـورى الإسـلامي دون تـدخل الحكومة أو الباشوات، فإن المؤمـل أن يحـول الـتزامهم بالإسـلام وحرصـهم على مصـالح البلاد دون وقـوع أي انحـراف، لـذا فـإني أوصي أبناء الشـعب أن يصـوتوا في كـل دورة انتخابيـة ــ حاضـراً ومسـتقبلاً ــ لصـالح المرشـحين الملـتزمين بالإسـلام والجمهوريـة الإسلامية انطلاقاً من إرادتهم الصـلبة والـتزامهم بأحكـام الإسـلام وحرصهم على مصالح البلاد)[2]

---

[1] صحيفة الثورة الإسلامية، الخميني، ص40.

[2] المرجع السابق، ص41.

ولهـذا نـرى للأخلاق والتقـوى والروحانيـة قيمـة كبـيرة في المجتمع الإيراني، ذلك أن كل من يريد أن يتولى أي منصب يحتاج إلى أن يكون له من تلك القيم ما يمكّنه من ذلـك، وإلا يحـال بينـه وبينه.

وقد أشار الخميني إلى هذا المعنى عنـدما ذكـره الفـرق بين نظام ولاية الفقيه، وسائر الأنظمـة، وذلـك بعـد سـت سـنوات من انتصار الثورة الإسلامية، وبعد تلك الضجة الكبـيرة الـتي واجـه بهـا العالم هـذا النظـام، فقـد قـال في ذكـرى انتصـار الثـورة (عشـرة الفجر)، بحضـور جميـع غفـير من المسـؤولين الإيرانـيين:(إن هـذه الثورة تختلـف عن سـائر الثـورات، لأن الثـورات الـتي حـدثت في العالم لحد الآن قد نقلت السلطة من يد جبار إلى يد جبار آخر إما مثله أو أسوأ منه، طالعوا وضع الثورات التي حصلت أو الانقلابـات التي تقع في الدنيا كـل يـوم تجـدوها وقعت في غفلـة من النـاس حيث زالت سلطة وحلّت محلها سلطة أخرى مثلهـا أو أسـوأ منهـا ولم تختلف أوضـاع النـاس وقـد تكـون أسـوأ من ذي قبـل. فهـذه الثورة الفرنسية، وهذه الثورةالروسـية كيـف كـانت الأوضـاع قبـل وقوعها وكيف الحال الآن؟ وهل استفاد الناس منها؟ وهـل فكّـروا بتحسين أوضاع الشعوب أم مارسوا الاضطهاد والقمع؟)[1]

ثم بين الميزة الـتي مـيزت الثـورة الإسـلامية عن غيرهـا من ثورات العالم؛ وهي ارتباطهـا بالـدين والأخلاق؛ فقـال: (إنَّ الثـورة التي حصلت في إيران قد وقعت قبلها ثورة في باطن أبناء شعبنا، وهذه الثورة الباطنية هي اتجاه مختلف طبقات شعبنا وفئاتـه نحـو الإسلام الذي لم يبق منه في هـذا العصـر سـوى طقـوس جافـة لا تضرّ أيّ أحد ولم يفكّر أحد بحـال الشـعوب، وقـد أوكـل أمـر هـذا الدين إلى النسيان، ولكنَّ هذا الشعب وبإرادة اللـه تبـارك وتعـالى وعنايته الخاصة قد تغيّر أوّلًا من الناحية المعنوية، وقد رجع الشبّان من الحـال السـابقة إلى حـال إسـلامية، وفهمـوا مـاذا يجب على الإسلام أن يفعل، وماذا عليهم أن يفعلـوا، وعلى إثـر هـذا حصـلت الثورة، فلو لم يحصل هذا التحوّل والتغيير لكانت حال ثورتنا كحال

---

[1] () صحيفة الإمام، ج19، ص: 413.

الثورات الأخرى التي ترون حالها ورأيتموه)[1]

وهو بـذلك يفسـر التغيـير الخـارجي الـذي حصـل لإيـران بمـا فسره به القرآن الكريم، والذي اعتبر التغيير معلقا بتغيـير مـا في الأنفس، قـال تعـالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَـا بِقَـوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَـا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد: 11]

وهكـذا نـرى الخميـني يقـول مفسـرا سـبب نجـاح الثـورة الإسلامي في إيران في الوقت الذي فشـلت فيـه بـاقي الثـورات: (إن الذي حصل هنا، والـذي يجب أن نعـدّه إحـدى المعجـزات هـو الثورة الباطنية لهذا الشعب. فالثورة الباطنيـة لهـؤلاء، ومعـرفتهم للإسـلام، وتـوجههم نحـو اللـه تبـارك وتعـالى اسـتوجب أن يكـون الظرف الذي نعيشه منذ بداية النهضة وتحوّلها فيما بعـد إلى ثـورة ثم انتصارها حتى هذه اللحظة حيث ترون حضور الشعب والتزامه يزداد يوماً بعد يـوم، وهـذا مـا لم يحصـل بسـبب هـذه الثـورة بـل بسبب الثورة الباطنية، فالثورات كانت في كثير من الأمـاكن، لكنَّ الثورة الباطنية التي حصلت في هـذا البلـد لم تكن إلّا بعنايـة اللـه تبارك وتعالى) [2]

وهـو كعادتـه في الحـديث عن إنجـازات الثـورة وانتصـاراتها، ينسـب كـل شـيء للـه تعـالى، ليعلم شـعبه التواضـع والعبوديـة والروحانية المتسامية؛ فيقول: (إننا لا نملك شيئاً من عنـدنا، وكـل الذي كان هو عناياتـه الـتي اسـتوجبت ظهـور هـذه الثورةالباطنيـة التي حوّلت الشعب كله من الحال السابقة الـتي نعرفهـا كلنـا إلى الحال المتغيرة التي ترونها الآن مما أدى إلى انتصار الثورة)

وهو يعطي القاعدة العامة لهذا لكل الشـعوب الـتي تريـد أن تتحرر تحررا حقيقيا، فيقول: (يجب علينـا أن نبحث عن النصـر في الثورة الباطنية للناس، وما لم يتحقـق هـذا الأمـر فـإنَّ الثـورات لا تتعدى نقل السلطة من نظام إلى نظام آخر ويبقى وضـع الشـعب

[1] المرجع السابق، ج19، ص: 413.

[2] المرجع السابق، ج19، ص: 413.

على حاله السابق) [1]

وللمشككين في نجاح الثورة، أو الذين يربطون نجاحها برخاء أو رفـاه مزيـف يـذكر لهم أن النجـاح الحقيقي هـو في تلـك القيم الأخلاقيـة الـتي أصـبحت سـائدة في المجتمـع الإيـراني، والـتي لا يعوضها أي كسب مادي مهما كانت ضـخامته، يقـول: (على هـؤلاء السادةالذين جاءوا من الخارج ـ وأشكرهم على ذلك ـ أن يلاحظوا أنهم في أيّ مكـان من العـالم يجـدون هـذا الاجتمـاع حيث يجلس فلّاحه إلى جنب رئيس جمهوريته، ورئيس وزرائه إلى جنب عاملــه ومسؤولون بعضهم جنب بعض بشكل يجعل الـداخل إليـه لا يـدري من هو رئيس الجمهوريـة؟ ولا من رئيس الـوزراء؟ ولا من الفلّاح؟ أين تجدون مثل هذا؟ إن هذا التحوّل هـو الـذي أوجب ظهـور هـذا الإعجاز، أين تجـدون رئيس الجمهوريـة يجلس جنبـاً إلى جنب مـع الفلّاح؟ فأنتم أينما تنظرون تجدون رؤساء الجمهوريـات في وضـع لا ارتباط لهم بالناس، ولا يحسبون الناس جزءاً من الكائنات، إنهم لا يرون إلّا أنفسهم)[2]

هذا بعض ما ذكره الخميني في بيـان أهميـة التغيـير الـداخلي في الحكومــة الإســلامية، والــتي لا تهتم فقــط بإصــلاح الاقتصــاد وتنمية البلاد وتطويرها، وإنمـا تهتم مـع ذلـك وقبلـه وبعـده بإيمـان الشعب وتقواه وروحانيته وأخلاقه.

ولم يكن ذلــك مجــرد حــديث، وإنمــا اســتعملت إيــران كــل المؤسسات الدينية والتربويـة والثقافيـة لتحقيقـه في الواقـع، بـل تولى قادتها ومسؤولوها الكبار شرحه، ذلك أن الكثير منهم جمعوا بين الدراسة الدينية والعلمية، وهو ما أتاح لهم أن يرفعوا مســتوى خطابهم، ليؤدي دوره التوجيهي والإصلاحي.

ولهذا يستغرب الكثير من الذين تعودوا على الأنظمة المدنيـة التي لا تبالي بمثل هذه المسائل من الخطاب السياسي الإيــراني،

---

[1] المرجع السابق، ج19، ص: 413.

[2] صحيفة الإمام، ج19، ص: 414.

وذلك لتصورهم أن السياسة بعيدة عن هذه الأمور، بينما الحقيقة هي أن السياسة ـ بحسب الفلسفة التي يفكر بها النظام الإيراني ـ هي سياسة الأنفس قبل سياسة الشعوب.

وقد أشار الشيخ جوادي آملي إلى الفرق بين نظام ولاية الفقيه وغيره من الأنظمة في هذا الجانب عندما قسم الحكومات إلى ثلاثة أنواع[1]:

1 ـ **الحكومة الاستبدادية**: وهي المبنية على أساس السيطرة والقوة، والتي ترى أن الأقوى هو الذي يمسك زمام الأمور بكل قدرة ممكنة، كما قال الله تعالى حاكيا عن فرعون: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 64]، ولا مكان في هذه الحكومة لرأي الناس، ولا اهتمام لها بمصالحهم، ولا بأخلاقهم، ولا بدينهم، لأن الهدف عندها هو تأمين مصالح السلطة الحاكمة.

بل إن هذه الحكومة قد تستعمل ـ مثلما استعمل الشاه ـ كل وسائل الانحراف، لتشغل الشعب بالشهوات عن مواجهة السلطة، كما قال تعالى عن وسائل فرعون لتطويع شعبه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: 54]

2 ـ **حكومة الشعب**: أو حكومة الناس على الناس، مثل الحكومات التي يصطلح عليها بالديمقراطية، وتقوم على أساس رأي الأكثرية، وهدفها تأمين حاجات الناس المادية، ويكون المعيار للمصلحة والفساد والجمال والقبح والحق والباطل والخير والشر فيها مبنياً على رأي الأكثرية، حتى لو كان ذلك الرأي مخالفا للصواب، ومنافيا للعقل والفطرة، وهو السائد، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]

3 ـ الحكومة الإلهية: وهي الحكومة التي ليست حقاً للحاكم الذي يظفر بالقوة والسلطة، ولا حقاً للناس بحيث تكون خاضعة لقوانينهم، بل هي حق لله الذي هو رب العالمين، وحدود فعالية هذا النوع من الحكومات هي أنها تشمل، بالإضافة إلى الأمور الاجتماعية، الأخلاق والعقائد؛ فهي تقدم للشعب البرنامج

[1] الكلمة الطيبة (دروس في ولاية الفقيه) جوادي آملي (ص: 12).

الواضح على مستوى العقيدة وتقـرر لهم القـوانين والقواعـد على مستوى الأخلاق والسلوك.

وهذا البرنامج ليس خاصا بالشـعب، وإنمـا هـو عـام بالشـعب ومسـؤوليه، والـذين يخضـعون جميعـا لمـا تتطلبـه القيم الإيمانيـة والأخلاقية التي هي الحكم الأكبر في الدولة، كما قال الإمام علي: (أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليهـا، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها)[1]

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ جوادي آملي، ذكـره الخميـني في لقاء له مع جمع من أعضاء الطائفة اليهوديـة في إيـران عقب انتصار الثـورة الإسـلامية، والـذي حـاول من خلالـه أن يشـرح لهم الفلسفة التي يقوم عليها نظام ولايـة الفقيـه، فقـد قـال: (إن كـل الأديـان الـتي أنـزلت من عنـد اللـه تبـارك وتعـالى وجميـع الأنبيـاء العظام هي من أجل راحة الانسان وتربيته، إن الله تبـارك وتعـالى قد أراد بإنزاله الـوحي على الأنبيـاء العظـام هدايـة النـاس وتربيـة الإنسان، الإنسان بجميع أبعاده)[2]

ثم ذكر أن هذا البعد الذي تراعيـه الحكومـة الإلهيـة، وتعتـبره في قمة أولوياتها وأهدافها، لا تبالي بهـا الأنظمـة الأخـرى، لكونهـا أنظمة دنيوية محضة، يقـول: (إن المـذاهب والمسـالك الأخـرى لا شغل لها بماذا يكون عليه الإنسان في ذاته وجـوهره ومـع نفسـه، إنهم يتطلعـون إلى حفـظ دنيـاهم، وحفـظ النظـام بينهم فحسـب؛ فإذا كان النظم مستقراً فليفعل الإنسان ما يشاء، وليرتكب كل ما يشاء من المخالفات بعيداً عن الأنظار، إذ لا ربط لذلك بالحكومـة، فليس من قانون هنا ـ في النظم غير التوحيدية ـ يمنع الإنسان من بعض الأمور داخل بيته.. وإنما المهم عندهم فقـط هـو أن لا يسـير الانسان في الشارع معربداً ويخل بالنظم، إن جميع المسالك غـير التوحيدية هي بهذا الشكل وهذا بخلاف المسالك التوحدية والأديان

1() نهج البلاغة.

2() صحيفة الإمام، ج7، ص: 218.

التي نزلت على الأنبياء العظام) [1]

ثم أشار إلى المسؤوليات المناطة بالحكومة الإلهية مقارنة بالمسؤوليات الملقاة على الحكومات المدنية؛ فقال: (إن جميع هذه الأمور من أجل ان يكون هذا الإنسان الذي يُراد إيجاده إنساناً مهذباً، صالحا للعمل، متحلياً بمحاسن الاخلاق والاعتقادات الصحيحة، يقوم بأعمال حسنة ويعرف كيف ينبغي أن يكون سلوكه مع الناس، كيف ينبغي أن يكون سلوكه في المجتمع، كيف ينبغي أن يكون مع الجيران، كيف ينبغي ان يكون مع أبناء مدينته، كيف ينبغي أن يكون مع أبناء دينه، ومع أتباع الأديان الأخرى، إن الأديان التي جاءت من عند الله تبارك وتعالى إنما تهتم بكل هذه الأمور لان الله هو الذي خلق الانسان ويريد تربيته في جميع أبعاده ولهذا لافرق بين دين وآخر في هذه المسألة، لأنها جميعها جاءت لتربية الانسان) [2]

بناء على هذا سنحاول في هذا الفصل التعرض إلى المجامع الكبرى للقيم التربوية، وتصورات قادة الثورة الإسلامية الإيرانية حولها، ومناهجهم لتحقيقها في الواقع، وهما قيمتان:

الأولى: القيم الروحية، ونقصد بها كل المعاني والوسائل التي تربط المؤمن بالله، وتخرج دينه من دائر الظاهر والسطح إلى دائرة الباطن والعمق.

الثانية: القيم الأخلاقية، ونقصد بها كل ما يساهم في تهذيب سلوك الإنسان، حتى يتوافق مع فطرته السليمة، ومع النظام الذي بنى الله عليه كونه.

أولا ـ القيم الروحية ووسائل تحقيقها في الواقع:

وهي الأساس الذي تنطلق منه كل القيم التربوية، ذلك أن

1() المرجع السابق، ج7، ص: 218.

2() المرجع السابق، ج7، ص: 218.

من زكى نفسه وطهرها، وسما بها إلى الملأ الأعلى لن يصعب عليه أن يهذب نفسه في المجالات الأخرى، بل إن تزكية النفس في هذا الجانب قد تغني عن أي رياضة في الجوانب الأخرى، ذلك أن الله تعالى يزكي ويربي من يتقرب منه، كما قال تعالى عن الصلاة وغيرها من الشعائر التعبدية: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 45]

وقد أشار إلى هذا المعنى الخميني عند بحثه عن أسباب الصراع والفتن القائمة بين البشر، وفي كل الأزمنة، فقال: (جميع الاختلافات القائمة بين البشر هي بسبب عدم التزكية، وغاية البعثة أن تُزكّي الناس حتّى يتعلّموا بواسطة التزكية الحكمة، ويتعلّموا القرآن والكتاب، ولا يحدث الطغيان فيما لو تمّت التزكيّة) [1]

ويضرب مثالا على ذلك بالغرور، الذي هو من أخطر الأمراض؛ فيقول: (إنّ من يُصاب بالغرور لا يرى نفسه فانياً أبداً ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [العلق: 6، 7]؛ فعندما يرى الإنسان نفسه، ويرى لنفسه مقاماً ويرى لنفسه عظمة، فإنّ هذه الأنانيّة ورؤية النفس تكون سبباً للطغيان، وإنّ أساس كلّ هذا الاختلاف الموجود بين البشر، والاختلاف الحاصل بينهم حول الدنيا يعود إلى الطغيان الموجود في النفوس، وهذه مصيبة مبتلى بها الإنسان، مبتلى بنفسه وبأهوائه النفسانيّة)[2]

وقد ذكرنا في الجزء السابق من هذه السلسلة مدى اهتمام الإيرانيين منذ القديم بالقيم الروحية، وكيف استطاع النظام الإيراني أن يستفيد من ذلك في إقامة الثورة أولا، وفي تعميم ذلك الاهتمام على كل المؤسسات ثانيا.

وقد ذكرنا أن مظاهر ذلك الاهتمام تجلت في ثلاث نواح

1() منهجيّة الثورة الإسلاميّة، ص 225..

2() المرجع السابق، ص 225..

كبرى:

أولها: الاهتمام بالشعائر التعبدية، والتركيز على الجوانب الروحية العميقة فيها، بدل الجوانب الشكلية.

ثانيها: الاهتمام بالمجاهدات السلوكية التي وردت في النصوص المقدسة، وذكرها أئمة أهل البيت، واستفادها منهم الصوفية والعرفاء.

ثالثها: الاهتمام بالأذواق والمعارف الروحية، وفق ما ورد في النصوص المقدسة وفي الروايات الشارحة لها.

وذكرنا أن هذه التجليات الثلاث كافية للدلالة على أن مفهوم التدين في إيران ــ وخاصة في ظل نظامها الإسلامي الجديد ـ ليس محصورا في تلك الظواهر والشعارات، وإنما يمتد إلى أعمق أعماق النفس الإنسانية، وهو ما يميز التجربة الإيرانية عن تجارب الحركات الإسلامية التي احتقرت التصوف والسلوك الباطني، واحتقرت معها الطرق الصوفية، واعتبرتها خرافة وضلالة، ولهذا لم تستطع أن تنجح في أي مشروع من مشاريعها.

وبناء على ذلك سنحلل هنا وثيقة مهمة للإمام الخميني، لها أهميتها الكبرى عند الشعب الإيراني عامته وخاصته؛ لأنها ــ مع كونها وجهها لابنه أحمد وغيره ـ إلا أن الشعب الإيراني يعتقد أنها موجهة إليه جميعا.

وهذه الوثيقة هي ما يسمى بـ [الوصية الإلهية العرفانية]، وهي مع [الوصية السياسية] تشكل مصدرا مهما من مصادر النظام الإسلامي في إيران، الحسي منه والمعنوي.

ومن خلال الاطلاع على محتويات هذه الوثيقة، والقيم الروحية المرتبطة بها، نجد نوعين من الحديث:

أولا ـ الحديث عن المعارف والأذواق الروحية التي يجدها المؤمن عند تواصله مع الله، أو رسل الله وأوليائه، وقد أطلقنا عليها اصطلاح [القيم العرفانية والذوقية]

ثانيا ــ الحديث عن الطريق المؤدية لتلك القيم، وهي ما أطلقنا عليه [القيم السلوكية والتحققية]

وسنحاول هنا ذكر الخصائص المميزة لكلا الناحيتين من خلال وصية الخميني، ومن خلال الواقع الروحي الذي تبنته الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والذي يختلف عن ذلك الذي تبنته الطرق الصوفية في المدرسة السنية، وإن كان يشترك معها في الكثير من الأهداف.

1 ـ الاهتمام بالقيم العرفانية والذوقية:

الهدف الأكبر من القيم الروحية هو تحويل الحقائق الإيمانية من مجرد معارف ومعلومات يختزنها الذهن إلى حقائق يمتلئ بها الكيان جميعا، ويحصل حينها التواصل الذوقي مع الله، بالمحبة والشوق والأنس، وغيرها من الأحوال الروحية.

وهذا الهدف النبيل يخرج العقيدة الإسلامية من أن تصبح مجرد قوانين للإيمان من خالفها يُحكم عليه بالكفر والبدعة والضلالة، كما تفعل المدارس الإسلامية المتشددة، وخصوصا السلفية منها، سواء سلفية السنة أو سلفية الشيعة، والتي تحصر العقيدة في متون تحفظها، وتجعل كل من يخالف حرفا منها كافرا وضالا ومبتدعا.

ولهذا نرى قادة الثورة الإسلامية في إيران لا يشجعون على هذا النوع من المعرفة، بل يدعون إلى المعرفة التحققية الذوقية، لأنها حقيقة الإيمان أولا، ولأنها كذلك منبع لكل الفضائل، بخلاف ذلك الاختصار للحقائق العقدية، والذي مارسته المدارس المتشددة، والذي حول من العقيدة وسيلة للصراع والجدال، لا الطمأنية والسلام.

وعند البحث عن التوجه الروحي لقادة الثورة الإسلامية، نجدهم جميعا من ذوي هذه المشارب، وخصوصا الخميني الذي ألف في ذلك المؤلفات وكتب الأشعار، ولو لم يقم بهذه الثورة، لأدرج ضمن الصوفية، ولم يدرج ضمن السياسيين.

ومن أقوله في وصيته العرفانية، مخاطبا ابنه يبين له أهمية المعرفة التحققية الذوقية: (اعلم أن في الإنسان ـ إن لم أقل في كل موجود ـ حباً فطريا للكمال المطلق، وحباً للوصول إلى الكمال المطلق، وهذا الحب يستحيل أن ينفصل عنه، كما أن الكمال المطلق محال أن يتكرر أو أن يكون اثنين، فالكمال المطلق هو الحق جل وعلا، والجميع يبحثون عنه، وإليه تهفو قلوبهم وإن كانوا لا يعلمون؛ فهم محجوبون بحجب الظلمة والنور، ولهذا فهم يتوهمون أنهم يطلبون شيئا آخر وهم لا يقنعون بتحقيق أية مرتبة من الكمال، ولا بالحصول على أي جمال أو قدرة أو مكانة. فهم يشعرون أنهم لا يجدون في كل ذلك ضالتهم المنشودة. فالمقتدرون وأصحاب القوى العظمى، هم في سعي دائم للحصول على القدرة الأعلى مهما بلغوا من القدرة. وطلاب العلم يطلبون الدرجة الأعلى من العلم مهما بلغوا منه ولا يجدون ضالتهم التي غفلوا عنها في ذلك. ولو أعطي الساعون الى القدرة والسلطة، التصرف في كل العالم المادي من الأرضين والمنظومات الشمسية والمجرات، وكل ما فوقها، ثم قيل لهم: إن هناك قدرةً فوق هذه القدرة التي تملكونها، وهناك عالم أو عوالم أخرى أبعد من هذا العالم، فهل تريدون الوصول إليها؟ فإنهم من المحال أن لا يتمنوا ذلك، بل إنهم سيقولون بلسان الفطرة: ليتنا بلغنا ذلك أيضا!.. وهكذا طالب العلم، فهو إن ظن أن هناك مرتبة أخرى -غير ما بلغه- فإن فطرته الباحثة عن المطلق ستقول: ياليت لي القدرة للوصول إليه أو ياليت لي سعةً من العلم تشمل تلك المرتبة أيضا!)[1]

وبعد أن قدم هذه المقدمة البديهية التي يتفق عليها جميع العقلاء، والتي يشير إليها الأثر المعروف: (منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا)[2]، ربط ذلك بمعرفة الله، وأن من عرف الله وصل إلى النبع الذي يرتوي منه ظمؤه وأشواقه، فقال: (إن ما يُطمئن الجميع ويخمد نيران النفس المتمردة ويحدُّ من

[1] الوصية الإلهية العرفانية ، ص20.

[2] كشف الأستار عن زوائد البزار (1/ 95)

إلحاحها واستزادتها في الطلب، إنما هو الوصول إليه تعالى، والذكر الحقيقي له جلَّ وعلا؛ إذا كان مظهراً له، فإن الاستغراق فيه يبعث الطمأنينة والهدوء، وكأنّ قوله تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: 28] هو نوع من الإعلان أن: انتبه انتبه! عليك أن تلجأ إلى ذكره حتى تحصل على الطمأنينة لقلبك الحيران الذي يواصل القفز من مكان إلى مكان والطيران من غصن إلى غصن)[1]

ثم يخاطب ابنه ـ ومعه الشعب الإيراني ــ بكل رقة قائلا: (فاستمع ياولدي العزيز -الذي أسأل الله أن يجعل قلبك مطمئنا بذكره- لنصيحة أبٍ قلق محتار، ولا تتعب نفسك بالانتقال بطرق باب هذا الباب أو ذاك الباب، للوصول إلى المنصب أو الشهرة التي تشتهيها النفس، فأنت مهما بلغت من مقام. فإنك سوف تتألم وتشتد حسرتك وعذاب روحك لعدم بلوغك ما فوق ذلك، وإن سألتني: لِمَ لَمْ تعمل أنت بهذه النصيحة؟ أجبتك بالقول: أنظر إلى ما قال، لا إلى من قال؛ فما قلته لك صحيح، حتى وإن صدر عن مجنونٍ أو مفتون)[2]

وهو يقارن بين هذا النوع من المعرفة بتلك التي اهتم بها الفلاسفة والمتكلمون، ويبين مدى اتساع الهوى بين كلا المعرفتين؛ فيقول: (قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا الادعاء (بأن بعض الأمور البرهانية يمكن أن لا تكون موضعا للتصديق والإيمان) عقدةٌ يصعبُ الاقتناع بها، بل لعل البعض قد يقطع بأنه أمر لا أساس له. ولكن ينبغي أن تعلم بأن هذا الأمر أمر وجداني، وقد وردت إشارات إليه في القرآن الكريم، كالآيات الكريم من سورة التكاثر، وأما الوجدان، فأنت تعلم بأن الموتى لا تصدر عنهم أية حركة، وأنهم لا يستطيعون إلحاق الأذي بك.. إلا أنك قد لا تمتلك القدرة على النوم وحيداً براحة في المقابر، وهذا ليس إلاّ لأن قلبك لم يصدق بما عندك من علم، وأن الإيمان بهذا الأمر لم

1() الوصية الإلهية العرفانية ، ص21.

2() المرجع السابق، ص21.

يتحصل لديك، في حين أن أولئك الـذين يقومـون بتغسـيل وتكفين الموتى تحصّل لهم الإيمان واليقين بهذا الأمر نتيجة تكـرار العمـل، فهم يستطيعون الخلوة مع المـوتى براحـة بـال واطمئنـان. كـذلك فإن الفلاسفة الذين أثبتوا بالبراهين العقلية أن الله حاضرٌ في كل مكان، دون أن يصل قلوبهم ما أثبتته عقولهم بالبرهان، ولم تـؤمن به قلوبهم، فإن أدب الحضور لن يتحقق لديهم، في حين أن أولئك الذين أيقنوا بحضور الله بقلـوبهم، وآمنت قلـوبهم بـذلك، فـإنهم - رغم أن لا مراودة لهم مع البراهين- فإنهم يتحلّون بأدب الحضـور، ويجتنبون كل ما ينافي حضـور المـولى. فـالعلوم المتعارفـة إذن - وإن كانت الفلسفة وعلم التوحيد- لكنها تعـد في حـد ذاتهـا حجبـا، وكلما ازدادت تزيد الحجاب غلظة وسمكاً)[1]

وهـو يـذكر أن هـذا المنهج العرفـاني في تحصـيل المعـارف الإلهية وتذوقها هو منهج الأنبياء والأولياء الـذين جعلهم اللـه قـدوة وأسوة لخلقه، يقـول: (إننـا نعلم جميعـا ونـرى بـأن دعـوة الأنبيـاء عليهم السلام والأولياء الخلص ليست من سنخ الفلسفة والبرهـان المتعارف، بل إنهم يهتمون بأرواح وقلوب الناس، ويوصـلون نتـائج الـبراهين إلى قلـوب العبـاد، ويبـذلون الجهـد لهـدايتهم من داخـل الـروح والقلب، وإن شـئت فقـل: إن الفلاسـفة وأهـل الـبراهين يزيـدون الحجب، في حين أن الأنبيـاء عليهم السـلام وأصـحاب القلوب يسعون في رفعها. لذا ترى أن من تربّوا على أيدى الأنبياء مؤمنون وعاشـقون، في حين أن طلاب علمـاء الفلسـفة أصـحاب برهان وقيلٍ وقال، لا شأن لهم بالقلب والروح) [2]

وهو ينبهه إلى أن مقصده من هـذا ليس احتقـار الفلسـفة ولا علم الكلام ولا العلوم العقلية المرتبطة بهـا؛ فيقـول: (ليس معـنى ما أوردتـه أن تتجنب الفلسـفة والعلـوم البرهانيـة والعقليـة، أو أن تشيح بوجهك عن العلوم الاستدلالية، فهذا خيانة للعقل والاستدلال والفلسفة، بل المعنى هو أن الفلسفة والاستدلال وسيلة للوصـول

[1] المرجع السابق، ص32.

[2] المرجع السابق، ص32.

إلى الهدف الأساسي، فلا ينبغي -والحال كذلك- أن تحجبك عن المقصد والمقصود والمحبوب.. أو فقل: إن هذه العلوم معبرٌ نحو الهدف وليست الهدف بحد ذاتها، فكما أن الدنيا مزرعة الآخرة، فإن العلوم المتعارفة مزرعةٌ للوصول إلى المقصود، تماماً كما أن العبادات معبرٌ نحو الله جل وعلا، فالصلاة -هي أسمى العبادات- معراج المؤمن والكل منه وإليه تعالى) [1]

وهو يذكر له أن هذه المعارف الإلهية بحر لا ساحل له، وأنه لا يمكن الإحاطة بها، يقول: (بني: لم أقصد من هذه الإشارات إيجاد السبيل لأمثالي وأمثالك لمعرفة الله وعبادته حق العبادة مع أنه قد نقل عن أعرف الموجودات بالحق تعالى، وأعرفها بحق العبادة له جل وعلا، قوله: (ما عرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتك)، وإنما لأجل أن نفهم عجزنا، وندرك ضالتنا، ونهيل التراب على أنانيتنا وإنيتنا، لعلّنا بذلك نكبح جماح هذا الغول، ولعلنا نلجمه بعد ذلك ونروّضه، فنتحرر بعدها من خطر عظيم يكوي -مجرد تذكره- الروح ويحرقها) [2]

وكعادة الخميني في خطاباته التي يمزج فيها بين خطابه لغيره وخطابه لنفسه يقول: (يا ليتنا نصحو من نومتنا ونلج أول منزل وهو اليقظة، وياليته جل وعلا يأخذ بأيدينا- بألطافه وعناياته الخفية- فيرشدنا إلى جماله الجميل، وياليت فرس النفس الجموح تهدأ قليلا، فتنزل عن مقام الإنكار، وياليتنا تُلقي هذا العبء الثقيل من على كواهلنا إلى الأرض، فننطلق مخفّين نحوه تعالى! ياليتنا نحترق كالفراش حول شمع جماله دون أن نتكلم، وياليتنا نخطو خطوة واحدة بقدم الفطرة ولا نبتعد عن طريقها بهذا القدر، وآلاف التمنيات والأماني الأخرى التي تزدحم في ذاكرتي، وأنا على شفير الموت في شيخوختي هذه، ولكن دون أن تصل يدي إلى أي مكان)[3]

---

[1] المرجع السابق، ص33.

[2] المرجع السابق، ص34.

وبناء على هذا نجد لغة خاصة في التعبير عن المعارف الإلهية وحقائق الوجود تمتلئ بها كتب الخميني ورسائله، حيث نراها تمزج بين اللغة العلمية والفلسفية، مع اللغة الذوقية والشاعرية، وربما يكون هذا من الأسباب الكبرى التي جعلت له تلك القابلية عند الشعب الإيراني؛ فالشعب الإيراني ــ كما ذكرنا في الجزء السابق ـ يميل إلى التصوف والروحانيات أكثر من ميله للفلسفة والكلام، وإن كان لا يخلو اهتمامه من كليهما، وأبو حامد الغزالي أحسن نموذج على ذلك.

2 ـ القيم الروحية والتشجيع على الحركة والثورة:

وهي من الخواص الكبرى التي تميز العرفان بحسب رؤية الخميني وقادة الثورة الإسلامية عن أكثر المدارس الصوفية التي اهتمت بالحقائق أكثر من اهتمامها بتغيير المجتمع وإصلاحه.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الخميني في رسالته لابنه، فقد قال له: (بني: لا الإعتزال الصوفي دليل الإرتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الإنفصال عن الحق، الميزان في الأعمال هو دوافعها، فكثيراً ما يكون العابد والزاهد مبتلىً بشَرَك إبليس وهو يوسع ذلك الشَّرَك بما يناسبه من الأنانية والغرور والعجب والتكبر وتحقير خلق الله والشرك الخفي وأمثال ذلك مما يبعده عن الحق ويؤدي به إلى الشِّرك.. وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافعٍ إلهي فيحظى بمعدن قرب الحق كداود النبي وسليمان النبي عليهما السلام. وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم ﷺ وخليفته بالحق على بن أبي طالب، وكحضرة المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء في عصر حكومته العالمية.. إذاً، ميزان العرفان والحرمان هو الدافع، كلما كانت الدوافع أقرب إلى نور الفطرة. وأكثر تحرراً من الحجب حتى حجب النور، تكون أكثر ارتباطا بمبدأ النور إلى حيث يصبح الكلام عن الإرتباط كفراً)[1]

---

[3] المرجع السابق، ص34.

[1] الوصايا العرفانية للإمام الخميني، ص55.

وقال مخاطبا لـه يـدعوه إلى أن يفـر من أي مسـؤولية تلقى عليه بحجة التفرغ للحق سبحانه وتعالى: (بني: لا تلـق عن كاهلـك حمل المسؤولية الإنسانية التي هي خدمة الحق في صـورة خدمـة الخلق.. فإن جولات الشـيطان وصـولاته في هـذا الميـدان ليسـت بأقـل من جولاتـه وصـولاته بين المسـؤولين والمتصـدين للأمـور (العامة). ولا تتعب نفسك للحصول على مقـام مهمـا كـان -سـواء المقـام المعنـوي أم المـادي- متـذرعاً بـأني أريـد أن أقـترب من المعارف الإلهية أكثر.. أو أني أريد أن أخدم عباد الله، فإن التوجـه إلى ذلك من الشيطان، فضلا عن بذل الجهد للحصول عليه)[1]

ويقول له: (المـيزان في أول السـير هـو القيـام للـه، إنْ في الأعمال الشخصية والفردية أو في النشـاطات الاجتماعيـة، فاسـعَ أن تكون موفقا في هذه الخطوة الأولى.. فإذا تيسر لإنسـان مـا ـ بدافع إلهي ـ مُلك الجن والإنس، بل إذا حصـل عليـه، فهـو عـارف بالله وزاهد في الدنيا.. وإذا كان الدافع نفسانيا وشيطانيا، فكل مـا حصل عليه حتى إذا كان سبحة فقـد ابتعـد بهـذا المقـدار عن اللـه تعالى) [2]

وهذه الكلمات الممتلئة بالحكمة، التي ذكرها الخميني وصـية لابنـه وللشـعب الإيـراني تتطـابق تمامـا مـع الحكمـة العطائيـة المعروفة، والتي يقول فيهـا ابن عطـاء اللـه السـكندري: (إرادتـك التّجريـد مـع إقامـة اللّـه إيّـاك في الأسـباب من الشـهوة الخفيّـة، وإرادتك الأسباب مـع إقامـة اللّـه إيـاك في التجريـد انحطـاط عن الهمّة العليّة)

وقد قال صـاحب الحكمـة ابن عطـاء اللـه يحكي عن نفسـه، وما قال له شيخه، وهو يشبه إلى حد كبير مـا ذكـره الخميـني في خطابه لابنه، فقد قال: (دخلت على الشيخ أبي العبـاس المرسـي، وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسـي: إن الوصـال إلى اللّه تعالى على هذه الحالة التي أنا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم

---

[1] المرجع السابق، ص56.

[2] المرجع السابق، ص56.

الظاهر، ووجود المخالطة للناس، فقال لي؛ من غير أن أسأله: صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة، ومتصدر فيها فذاق من هذا الطريق شيئا، فجاء إليّ، فقال لي يا سيدي: أخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له: ليس الشأن ذا، ولكن امكث فيما أنت فيه، وما قسم اللّه لك على أيدينا، فهو لك واصل، ثم قال الشيخ ونظر إليّ: وهكذا شأن الصديقين، لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم، فخرجت من عنده وقد غسل اللّه تلك الخواطر من قلبي، ووجدت الراحة بالتسليم إلى اللّه تعالى)[1]

وهو يذكر أيضا بما قاله سيد قطب بعد ذكره لبعض المعاني الروحية التي ذكرها الصوفية، وكيف أنهم انشغلوا بها عن واجباتهم الدعوية؛ فقال: (وهذه هي مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة، فجذبتهم إلى بعيد! ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها، ويزاولون الحياة البشرية، والخلافة الأرضية بكل مقوّماتها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا الله. وأن لا وجود إلا وجوده. وأن لا فاعلية إلا فاعليته.. ولا يريد طريقا غير هذا الطريق! من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، قائم على ذلك التفسير وما يشيعه في النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات: منهج لعبادة الله وحده. الذي لا حقيقة لوجود إلا وجوده، ولا حقيقة لفاعلية إلا فاعليته، ولا أثر لإرادة إلا إرادته.. ومنهج للاتجاه إلى الله وحده في الرغبة والرهبة. في السراء والضراء. في النعماء والبأساء. وإلا فما جدوى التوجه إلى غير موجود وجودا حقيقيا، وإلى غير فاعل في الوجود أصلا؟! ومنهج للتلقي عن الله وحده. تلقي العقيدة والتصور والقيم والموازين، والشرائع والقوانين والأوضاع والنظم، والآداب والتقاليد. فالتلقي لا يكون إلا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع وفي الضمير.. ومنهج للتحرك والعمل لله وحده.. ابتغاء القرب من الحقيقة، وتطلعا إلى الخلاص من الحواجز المعوقة والشوائب المضللة. سواء في قرارة النفس أو فيما حولها من الأشياء والنفوس. ومن بينها حاجز

---

[1] إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، ص: 33.

الذات، وقيد الرغبة والرهبة لشيء من أشياء هـذا الوجـود! ومنهج يربط- مع هذا- بين القلب البشري وبين كـل موجـود بربـاط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب.. فليس معنى الخلاص من قيودها هو كراهيتها والنفور منها والهروب من مزاولتها.. فكلها خارجة من يـد الله وكلها تستمد وجودها من وجوده، وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة. فكلها إذن حبيب، إذ كلها هدية من الحبيب!)[1]

ولا يكتفي الخميـني بـدعوة العلمـاء إلى ممارسـة الحيـاة السياسية، وإنما يحذرهم من أن تقاعسهم عن النهي عن المنكـر، أو المشاركة في الحياة بكل مجالاتها سيؤدي إلى انتشـار الفسـاد، وقد قال معقبا على قوله تعالى: ﴿لَـوْلَا يَنْهَـاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَـارُ عَنْ قَـوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّـحْتَ لَبِئْسَ مَـا كَـانُوا يَصْـنَعُونَ﴾ [المائدة: 63]: (وإن كانت خطاباً للربانيين والأحبار، لكن الخطـاب موجَّه للجميع. ولقـد ذمَّ اللـه تعـالى الربـانيين والأحبـار، واسـتنكر عليهم لسـكوتهم امـام ظلم الظلمـة خوفـاً أو طمعـاً، مـع كـونهم قـادرين على القيـام بمـا يمنـع الظلم من خلال المعارضـة ورفـع الصوت والكلام، فعلماء الإسلام أيضاً إذا سكتوا، ولم يقوموا بوجه الظالمين؛ فإنهم سوف يقعون محلاً لاستنكار الله عز وجل)[2]

وهكذا نرى أن العرفان الذي يدعو إليه الخميني، والذي تبنتـه الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة عرفـان إيجـابي لا ينعـزل عن المجتمـع، ولا يتعـالى على مشـاكله، بـل يخـوض فيهـا، ويحـاول إصلاحه، ويقوم بواجباته نحوها، لتحقيـق مـا يطلـق عليـه [التقـوى الاجتماعي] أو [العرفان الاجتماعي]

3 ـ القيم الروحية والتوحيد الخالص:

مع كثرة ما كتبـه الخميـني حـول التوحيـد الخـالص للـه، نجـد أعـداءه، وأعـداء إيـران يلهجـون كـل حين برميـه بالشـرك، ورمي إيران جميعا بذلك، مـع أن مـا طرحـه من رؤى حـول التوحيـد، لم

(1) في ظلال القرآن (6/ 4003)

(2) الحكومة الاسلامية (ص: 133).

يخطر على بالهم، فالتوحيد عنده هو الأساس الذي تقوم عليه كـل الحياة، وما نظام ولاية الفقيه، بحسـب طروحاتـه سـوى تجـل من تجليات التوحيد.

ومما ذكره في وصيته العرفانية قوله لابنه وللشعب الإيراني، وهو يحثهم على التأمل في الكائنات للعبور منهـا إلى اللـه تعـالى: (اعلم، أن العالم سواء كان أزلياً وأبدياً أم لا، وسواء كانت سلاسل الموجودات غير متناهية أم لا، وسـواء كـانت سلاسـل الموجـودات غير متناهية أم لا، فإنّها جميعا محتاجةٌ، لأن الوجود ليس ذاتيـاً لهـا، ولو تفكرت وأحطت عقليا بجميـع السلاسـل غـير المتناهيـة فإنـك ستدرك الفقر الذاتي والاحتيـاج في وجودهـا وكمالهـا إلى الوجـود الموجود بذاته والـذي تمثـل الكمـالات عين ذاتـه، ولـو تمكنت من مخاطبة سلاسل الموجودات المحتاجة بذاتها خطاباً عقليا وسألتها: أيتها الموجودات الفقـيرة، من يسـتطيع تـأمين احتياجـاتكم؟ فإنهـا ستردُّ جميعا بلسان الفطرة: (إننا محتاجون إلى من ليس محتاجــاً مثلنا إلى الوجود، وكمال الوجود) [1]

ويذكر حاجة كل الكون إلى الله، وافتقاره إليه فقـرا مطلقـا، بمن فيهم أنبياء الله وأولياءه وكل خلق الله؛ فيقول: (والمخلوقات الفقيرة بذاتها لن تتبدل إلى غنيـة بـذاتها، فمثـل هـذا التبـديل غـير ممكن الوقوع، ولأنها فقيرة بـذاتها ومحتاجـه، فلن يسـتطيع سـوى الغني بذاته أن يرفع فقرها واحتياجها. كما أن هذا الفقر الـذي هـو لازم ذاتي لها، هو صفة دائمـة أيضـا، سـواء كـانت هـذه السلسـلة أبديــة أم لا، أزليــة أم لا، وليس ســواه تعــالى من يســتطيع حــل مشاكلها وتأمين احتياجاتها) [2]

بل إنه يتجاوز ذلك الافتقار، ليعمق ذلك التوحيد ببيان أن كــل ما نراه من كمال إنما هو كمال إلهي، ولذلك كان الثناء عليـه ثنـاء على الله، يقول: (إن أيّ كمال أو جمـال ينطـوي عليـه أي موجـود ليس منه ذاتا، إنمـا هـو مظهـر لكمـال اللـه تعـالى وجمالـه ﴿وَمَـا

[1] الوصايا العرفانية للإمام الخميني، ص11.

[2] المرجع السابق، ص11.

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [الأنفال: 17] حقيقةٌ تصدق على كل شيء وكل فعل وكل قول)[1]

ويقول: (اعلم أن ليس لأيّ موجود من الموجودات ـ بدءاً من غيب عوالم الجبروت وإلى ما فوقها أو تحتها ـ شيئٌ من القدرة أو العلم أو الفضيلة، وكل ما فيها من ذلك إنما هو منه جلَّ وعلا، فهو الممسك بزمام الأمور من الأزل إلى الأبد، وهو الأحد الصمد، فلا تخش من هذه المخلوقات الجوفاء الخاوية الخالية، ولا تُلق آمالك عليها أبداً، لأن التعويل على غيره تعالى شركٌ، والخوف من غيره جلت عظمته كفر) [2]

والنتيجة التي يصل إليها من تعمقت فيه هذه المعارف هي ـ كما يذكر الخميني ـ السعي للتواصل مع الله وحده باعتباره الهدف الأعلى من كل شيء، والغاية العظمة في الرحلة الأزلية، كما قال تعالى: وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى [النجم: 42]، يقول: (إن كلُّ من يدرك هذه الحقيقة ويتذوقها، لن يتعلق قلبه بغير الله تعالى، ولن يرجوَ غيره تعالى) [3]

ثم يخاطب ابنه، ومعه الشعب الإيراني مبينا له المنهج الذي يصل به إلى هذه الحقيقة ذوقا: (هذه بارقةٌ إلهية، حاول أن تفكر فيها في خلواتك، ولقن قلبك الرقيق وكررها عليه إلى أن ينصاع اللسان لها، وتسطع هذه الحقيقة في ملك وملكوت وجودك. وارتبط بالغنيّ المطلق حتى تستغني عمن سواه، واطلب التوفيق منه حتى يجذبك من نفسك ومن جميع من سواه، ويأذن لك بالدخول والتشرف بالحضور) [4]

---

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع السابق، ص15.

[3] المرجع السابق، ص13.

[4] المرجع السابق، ص14.

والنتيجة العظيمـة الـتي يصـل إليهـا المتأمـل لهـذه الحقـائق العظيمة ـ كما يذكر الخميني ــ هي الوصـول إلى محبـة اللـه، بـل إلى عشه، فالبشر جميعا ــ كمـا يـذكر ــ (مفطـورون على عشـق الكمال المطلق، ومن هـذا العشـق -شـئنا أم أبينـا- ينشـأ العشـق لمطلق الكمال الذي هو من آثار الكمال المطلـق، والأمـر الملازم لفطرتنـا هـذه هـو السـعي للخلاص من النقص المطلـق، وتلازمـه الرغبة في الخلاص من مطلق النقص أيضا) [1]

وبناء على هذا، فكلنا ــ وإن لم نـدرك ذلـك ــ (عاشـقون للـه تعالى، الذي هو الكمال المطلق. ونعشق آثـاره الـتي هي تجليـات الكمـال المطلـق. وأي شـخص أو أي شـيء نكرهـه ونبغضـه، أو نحاول التخلص منه، فهو نقص مطلق أو مطلق النقص الذي يقـف في الجهـة المقابلـة، وعلى النقيض من الأول تمامـاً. ولا شـك أن نقيض الكمال هو عدم الكمـال، ولأننـا محجوبـون، فإننـا نضـلّ في التشخيص. ولو زال الحجاب لاتّضح لنا أن كل ما هو منه جـل وعلا محبـوب، وكـل مـا هـو مبغـوض فليس منـه، وهـو بالتـالي ليس موجودا) [2]

وهو يؤكد هذه الحقائق عند تعليقه على ما ورد في المناجـاة: (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لـك، حـتى يكـون هـو المظهـر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حـتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا) [3]

ومثلها ما ورد في المناجاة الشعبانية التي يثـني عليهـا كثـيرا، وخاصـة على هـذا المقطـع منهـا: (إلهي هب لي كمـال الانقطـاع إليك، وأنر أبصـار قلوبنـا بضـياء نظرهـا إليـك، حـتى تخـرق أبصـار

[1] () المرجع السابق، ص31.

[2] () المرجع السابق، ص31.

[3] () مقطع من دعاء الإمام الحسين يوم عرفة، ويروى كذلك في مناجاة ابن عطاء الله السكندري.

القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزِّ قدسك، إلهي واجعلنى ممن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك)

فقد علق عليهما قائلا: (بني: نحن ما زلنا في قيد الحجب الظلمانية، وبعدها الحجب النورية، ونحن المحجوبون ما زلنا عند منعطف زقاق ضيّق) [1]

وهو يبين أن هذه المعارف التوحيدية ليست معارف كمالية، بل هي ضرورية، وأن على كل مؤمن السعي لتحصيلها حتى يتجنب سوء الأدب مع الله، وخاصة عند الخاتمة، يقول: (عليك أن تنتبه! فهناك خطر قد يعترض الإنسان في اللحظات الأخيرة من عمره، وهو يهمّ بمغادرة هذا العالم، والإنتقال إلى مستقره الأبدي. فإن ذلك قد يجعل المبتلي بحب النفس وما يولّده من حب الدنيا. بأبعادهما المختلفة -يرى وهو في حال الإحتضار، وحيث تنكشف للإنسان بعض الأمور فيراها عياناً، أن مأمور الله جلّ وعلا يريد فصله عن محبوبه ومعشوقه! فيرحل عن هذه الدنيا وهو غاضب على الله جل وعلا متنفرٌ منه! وهذه عاقبة وثمرة حب النفس والدنيا، وقد أشارت إلى ذلك الروايات المختلفة) [2]

ويروي في ذلك حكاية عن أحد المتعبدين الثقاه أنه قال: (ذهبت لزيارة أحدهم، وكان يحتضر؛ فقال وهو على فراش الموت: إن الظلم الذي لحقني من الله تعالى لم يلحق أحدا من الناس، فهو يريد أن يأخذني من أبنائي الذين صرفت دم القلب في تربيتهم ورعايتهم! فقمت من عنده ثم توفى) [3]

ثم يعلق عليها بقوله: (لعل هناك بعض التفاوت بين ما نقلته وما سمعته من ذلك العالم المتعبد، على أية حال، فإن ذلك ولو

---

(1) المرجع السابق، ص14.

(2) المرجع السابق، ص26.

(3) المرجع السابق، ص26.

كان مجرد احتمال الحدوث فهو أمر على درجة خطيرة من الأهمية تدفع الإنسان إلى التفكير بجدية للنجاة منه) [1]

بل إنه يذكر أن رؤية الأنا والغفلة عن التوحيد قد تنزل أولياء الله من المراتب الرفيعة التي حولها، لأنهم لم ينزلوا تلك المراتب إلا بفنائهم عن أنفسهم، واعترافهم بقصورهم وعجزهم وافتقادرهم الدائم إلى الله، وقد روى في ذلك (أن الله تعالى خاطب أحد أنبيائه، فطلب إليه أن يأتيه بمخلوق أسوأ منه، فقام النبي عليه السلام بعدها بسحب رفاة حمار قليلا إلا أنه ندم فتركها، فخوطب بالقول: لو أنك أتيتني بتلك الجيفة، لكنت سقطت من مقامك)[2]

ثم علق على الرواية بقوله: (وأني لا أعرف مدى صحة الحديث، ولكن لعل الأمر بالنسبة لمقام الأولياء، يعد سقوطاً حينما يرون الأفضلية لأنفسهم على غيرهم، فتلك أنانية وغرور. وإلاّ فلِم كان النبي الأكرم ﷺ يأسف ذلك الأسف المرير على عدم إيمان المشركين، إلى الحد الذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: 6]؛ فليس هذا سوى أنه عشق جميع عباد الله، وعِشق الله هو عشق لتجلياته، فهو ﷺ يتألم مما تؤدي إليه الحجب الظلمانية للأنانية والغرور في المنحرفين، من دفعهم إلى الشقاء ثم العذاب الأليم في جهنم نتيجةً لأعمالهم في حين أنه يريد السعادة للجميع. فهو مبعوث لتحقيق السعادة للجميع. والمشركون المنحرفون -عُمي القلوب- وقفوا بوجهه، ونصبوا له العداء رغم أنه جاء لإنقاذهم) [3]

هذه بعض الاقتباسات من كلام الخميني في التوحيد، وكونه

---

[1] المرجع السابق، ص26.

[2] المرجع السابق، ص27.

[3] المرجع السابق، ص27.

الهدف الأكبر من السير التحققي، وهو أكبر رد على من يرمونه بالغلو في الأئمة، وأنه ينزلهم فوق منازلهم، ومثل هذا نجد نصوصا كثيرة جدا في أعماق التوحيد التي لا تلوح على بال أولئك المنكرين.

4 ـ القيم الروحية والسلوك التحققي والتخلقي:

من أهم المزايا التي تميز بها الطرح العرفاني للخميني والمدرسة التي ينتمي قادة الثورة الإسلامية الإيرانية هي ذلك الاهتمام بالسلوك التحققي والتخلقي، أو ما يطلقون عليه لقب [العرفان العملي]، وهو ما أبعدهم عن تلك الشطحات التي وقع فيها بعض المدارس الصوفية، الذين أهملوا العمل، أو قصروا فيه، بل إن بعضهم اعتبر الاهتمام بالعمل والسلوك نوعا من الانشغال عن الحق.

ولهذا نرى الخميني ينهى عن الاهتمام بمطالعة كتب العرفان، مع الخلو من العمل، لأن ذلك قد ينشئ الغرور، ويبعد عن التقوى، يقول في وصاياه مخاطبا زوجه ابنه فاطمة: (ابنتي: الإنشغال بالعلوم حتى العرفان والتوحيد إذا كان لاكتناز الاصطلاحات -هو حاصل- أو لأجل نفس تلك العلوم، فإنه لا يقرب السالك من الهدف بل يبعده عنه (العلم هو الحجاب الأكبر)، وإذا كان البحث عن الحق وعشقه هو الهدف -وهو نادرٌ جداً- فذلك مصباح الطريق ونور الهداية، (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده)، وللوصول إلى يسير منه يلزم التهذيب والتطهير والتزكية؛ تهذيب النفس وتطهير القلب من غيره فضلاً عن التهذيب من الأخلاق الذميمة التي يحتاج الخلاص منها إلى كثيرٍ من المجاهدة وفضلا عن تهذيب العمل مما هو خلاف رضاه جل وعلا، والمواظبة على الأعمال الصالحة، من قبيل الواجبات التي هي في الطليعة، والمستحبات بقدر الميسور وبالقدر الذي لا يوقع الإنسان في العجب والأنانية) [1]

ولهذا نجد الخميني ينتهج منهج صوفية المجاهدات، من أمثال

---

[1] المرجع السابق، ص110.

المحاسبي والغزالي؛ فيحذركل حين من الخطرات ووساوس النفس الأمارة بالسوء، ويدعو إلى مجاهدتها، واستعمال كل الوسائل الشرعية في ذلك.

ومن ذلك ما ذكره في وصيته العرفانية، والتي يقول فيها مخاطبا ابنه وشعبه: (إن ما هو مذموم، وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك، ورأس جميع الخطايا والذنوب إنما هو [حب الدنيا]، وهو حب ناشئ من [حب النفس]؛ فمع أن عالم المُلك ليس مذموما في حدِّ ذاته، فهو مظهر الحق، ومقام ربوبيته، ومهبط ملائكته، ومسجد عباده، وتربية أنبيائه وأوليائه، وموطن تجلي الحق على قلوب عشاق المحبوب الحقيقي، فإن كان حب [عالم الملك] ناشئاً عن حب الله باعتباره مظهرا له جلَّ وعلا؛ فهو أمر مطلوب ويستوجب الكمال. أما إذا كان منشؤه حب النفس، فهو رأس الخطايا جميعا. فالدنيا المذمومة هي في داخلك أنت، والتعلق بغير صاحب القلب، هو الموجب للسقوط. وجميع المخالفات لأوامر الله وجميع المعاصي والجرائم والجنايات التي يُبتلى بها الإنسان، كلها من حب النفس الذي يولِّد حب الدنيا وزخارفها، وحب المقام والجاه والمال ومختلف الأماني. وفي الوقت نفسه فإن أي قلب لا يمكنه فطريا أن يتعلق بغير صاحب القلب الحقيقي لكن هذه الحجب الظلمانية والنورانية هي التي تجعلنا نميل خطأً واشتباهاً نحو غير صاحب القلب، وهي ظلمات فوقها ظلمات) [1]

وهو يعتبر حب الدنيا أكبر العقبات الحائلة بين السالكين والوصول إلى الحق، ويعتبر تحطيم صنم حب الدنيا البداية الصحيحة للسلوك التحققي والتخلقي؛ فيقول: (مادمنا في حجاب النفس والأنانية، فنحن شيطانيّون مطرودون من محضر الرحمن، وما أصعب تحطيم هذا الصنم الذي يعدُّ أم الأصنام؛ فنحن ما دمنا خاضعين لله (جل وعلا) ولا مطيعين لأوامره، وما لم يُحطَّم هذا الصنم؛ فإن الحجب الظلمانية لن تتمزق ولن تُزال. علينا أن نعرف ما هو الحجاب أولاً، فنحن إذا لم نعرفه، لن نستطيع

---

(1) المرجع السابق، ص23.

المبادرة إلى إزالته، أو تضعيف أثره، أو على الأقل، الحد من تزايد رسوخه وقوته بمرور الوقت) [1]

وهكذا نراه يتدرج في خطابه ومواعظه العرفانية، ويأمر ابنه وشعبه كل حين بالمسارعة إلى التوبة؛ فيقول: (بني: أتحدث إليك الآن وأنت ما زلت شاباً، عليك أن تنتبه إلى أن التوبة أسهل على الشبان، كما إن إصلاح النفس وتربيتها يتم بسرعة أكبر عندهم. في حين أن الأهواء النفسانية والسعي للجاه وحب المال والغرور أكثر وأشدّ بكثير لدى الشيوخ منه لدى الشبان. أرواح الشبان رقيقة شفافة سهلة القياد، وليس لدى الشبان من حب النفس وحب الدنيا بقدر ما لدى الشيوخ. فالشاب يستطيع بسهولة نسبيا أن يتخلص من شر النفس الأمارة بالسوء، ويتوجه نحو المعنويات. وفي جلسات الوعظ والتربية الأخلاقية يتأثر الشبان بدرجة كبيرة لا تحصل لدى الشيوخ، فلينتبه الشبان، وليحذروا من الوقوع تحت تأثير الوساوس النفسانية والشيطانية، فالموت قريب من الشبان والشيوخ على حدٍّ سواء وأيّ من الشبان يستطيع الاطمئنان إلى أنه سيبلغ مرحلة الشيخوخة؟ وأيُّ إنسان مصون من حوادث الدهر؟ بل قد يكون الشبان أكثر تعرضا لحوادث الدهر من غيرهم) [2]

وهو يرد على أولئك الذين يضيعون الفرص، ويتصورون أن الشفاعة وحدها ستكفيهم، وتصد عنهم عذاب الله الذي كتبه على المنحرفين من عباده؛ فيقول: (بني: لا تضيّع الفرصة من يديك، واسعَ لإصلاح نفسك في مرحلة الشباب، وعلى الشيوخ أيضاً أن يعلموا أنهم ما داموا في هذا العالم، فإنهم يستطيعون جبران ما خسروا وما ضيّعوا، وأن يكفّروا عن معاصيهم، فإن الأمر سيخرج من أيديهم بمجرد انتقالهم من هذا العالم، والتعويل على شفاعة أولياء الله عليهم السلام، والتجرؤ في ارتكاب المعاصي من الخدع الشيطانية الكبرى، تأمّل أنت حالات الذين عوّلوا على شفاعتهم

---

[1] المرجع السابق، ص24.

[2] المرجع السابق، ص36.

غافلين عن الله وتجرأوا على المعاصي، تأمل في سيرتهم، وانظر في أنينهم وبكائهم ودعائهم وتحرقهم واعتبر من ذلك) [1]

ويروي عن الإمام الصادق أنه جمع أهل بيته وأقاربه في أواخر عمره، وقال لهم: (إنكم ستردون على الله بأعمالكم، فلا تظنوا أن قرابتكم لي ستنفعكم يوم القيامة)، وعلق عليه بقوله: (إن كان هناك احتمال بأن تنالهم الشفاعة، لأن الارتباط المعنوي حاصل بينهم وبين الشافع لهم، فالرابطة الإلهية بينهم تجعلهم مؤهلين أكثر من غيرهم لنيل الشفاعة، وإن لم يحصل هذا الأمر لهم في هذا العالم، فلعله يحصل لهم بعد تنقيات وتزكيات أنواع من العذاب البرزخي أو الجهنمي، حتى يصبحوا بعده لائقين للشفاعة، والله العالم بمدى ما سيصيبهم، فضلاً عن هذا، فإن الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الشفاعة لا تبعث ـ بعد التأمل فيها ـ الاطمئنان في الإنسان، قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: 255]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]، وأمثال ذلك من الآيات التي تثبت موضوع الشفاعة، ولكنها في الوقت نفسه لا تبعث الاطمئنان لدى الإنسان ولا تسمح له بالاغترار بها، لأنها لم توضح من هم أولئك الذين ستكون الشفاعة من نصيبهم، أو ماهي شروطها، ومتى تكون شاملة لهم.. نحن نأمل بالشفاعة، ولكن ينبغي أن يدفعنا هذا الأمل نحو طاعة الحق تعالى، لا نحو معصيته) [2]

وبناء على هذا كله يدعوه إلى الورع في التعامل مع أبسط الحقوق، سواء تلك الحقوق المتعلقة بالله، أم المتعلقة بخلقه، يقول له، ولشعبه: (بني: احرص على أن لا تغادر هذا العالم بحقوق الناس؛ فما أصعب ذلك وما أقساه. واعلم أن التعامل مع أرحم الراحمين أسهل بكثير من التعامل مع الناس. نعوذ بالله تعالى أنا وأنت وجميع المؤمنين من التورط في الاعتداء على حقوق الآخرين، أو التعامل مع الناس المتورطين.. ولا أقصد من

---

[1] () المرجع السابق، ص37.

[2] () المرجع السابق، ص38.

هذا دفعك للتساهل بحقوق اللـه والتجـرؤ على معاصـيه، فلـو أننـا أخذنا بنظر الاعتبار ما يستفاد من ظاهر بعض الآيات الكريمة، فإن البليـة سـتزداد بـاطراد، ونجـاة أهـل المعصـية بالشـفاعة يتم بعـد المرور بمراحل طويلة. فتجسم الأخلاق والأعمال، وما يستتبع ذلك من ملازمتها للإنسان إلى ما بعد الموت وإلى القيامـة الكـبرى، ثم الى مـا بعـدها حـتى الوصـول إلى التنزيـه وقطـع الروابـط بـنزول الشدائد والعذاب بمختلف اشـكاله في الـبرزخ وفي جهنم، وعـدم التمكن من الارتبـاط بالشـفيع، والاشـتمال بالشـفاعة، كلهـا أمـور يؤدي التفكير فيها إلى إثقال كاهل الإنسان، ويدفع المؤمـنين نحـو الجديـة في الإصـلاح. ولا يمكن لأي شـخص أن يـدعي أنـه يقطـع بخلاف هذه الاحتمالات، إلا إذا كان شيطان نفسه قد تسـلط عليـه بدرجـة عاليـة، حـتى راح يتلاعب بـه، ويصـده عن طريـق الحـق، فيجعله مُنكراً لا يفرق بين الضوء والظلام، وأمثال هؤلاء من عمي القلوب كثير. حفظنا الله من شرور أنفسنا) [1]

5 ـ القيم الروحية ومركزية القرآن الكريم:

من الخصائص المهمـة الـتي نكتشـفها في الـتراث العرفـاني الذي تركـه الخميـني، ومن معـه من قـادة الثـورة الإسـلامية ذلـك البعـد عن الشـطحات، أو الاهتمـام بنقـل قصـص الكرامـات والغرائب، أو الاهتمام بـذكر الكشـوف والمشـاهدات وغيرهـا ممـا نجد أمثاله في الـتراث الصـوفي.. بـل نجـده مهتمـا إمـا بالسـلوك التحققي، أو بذكر المعارف مرتبطة بالقرآن الكريم خصوصـا، مـع تدعيمها بما ورد في الروايات والأدعية ونحوها.

ولهذا نجدهم يعطون مركزية للقرآن الكريم في التعامـل مـع الحقائق العرفانية، باعتبـاره مصـدرا قطعيـا معصـوما، على خلاف الكشـوف والمشـاهدات الروحيـة الـتي قـد لا تخلـو من الشـوائب والخلل.

وهـذا لا يعـني عـدم اعـترافهم بالشـهود والكشـف، ولا يعـني كـذلك عـدم احـترامهم لمن كتبـوا في ذلـك؛ فهم يسـتندون إليهم

---

[1] () المرجع السابق، ص39.

أحيانا، ولكنهم في نفس الوقت يعطون المركزية الكـبرى للقـرآن الكـريم، ويجعلونهـا معيـارا لنقـد كـل كشـف أو شـهود أو عرفـان يخالفه.

ولهذا نرى الخميني في كل مناسبة يـدعو إلى قـراءة القـرآن الكريم وتدبره باعتباره المصدر الأكبر للعرفان، يقـول في خطابـه لابنه وشعبه: (بني: تعرف إلى القرآن، كتاب المعرفة العظيم، ولو بمجرد قراءته، وشـق منـه طريقـا إلى المحبـوب، ولا تتـوهمن أن القراءة من غير معرفة لا أثر لها، فهذه وسـاوس الشـيطان، فهـذا الكتاب كتابٌ من المحبـوب إليـك وإلى الجميـع، وكتـاب المحبـوب محبوبٌ، وإن كان العاشق المحب لا يدرك معنى ما كُتب فيه وقــد جاء إليك هادفاً خلق هذا الأمر لديك: [حب المحبـوب] الـذي يمثـل غاية المرام، فلعله يأخذ بيدك، واعلم أننا لو أنفقنا أعمارنا بتمامهـا في سـجدةِ شـكر واحـدة على أن القـرآن كتابنـا؛ لمـا وفينـا هـذه النعمة حقها من الشكر) [1]

وهو يضع بين يدي مريديه الكثير من الطـرق والمنـاهج الـتي يستفيدون من خلالها من المدد المعـرفي القـرآني الـذي لا حـدود له، ومن ذلك قوله بعد تبيانـه لمقاصـد القـرآن الكـريم، وإحاطتهـا بكــل الشــؤون: (إذا علمت الآن مقاصــد هــذه الصــحيفة الإلهيــة ومطالبها فلا بد لـك أن تلفت النظـر إلى مطلب مهم يكشـف لـك بالتوجه إليه طريـق الاسـتفادة من الكتـاب الشـريف، وتنفتح على قلبك أبواب المعارف والحكم، وهـو أن يكـون نظـرك إلى الكتـاب الشريف الإلهي نظر التعليم، وتـراه كتـاب التعليم والإفـادة وتـرى نفسك موظفة على التعلم والاستفادة)[2]

وهـو ينفي مقصـوده التعليم والتعلم والإفـادة والاسـتفادة مـا نراه في الواقع من التركيز على الأدب والنحو والصرف، (أو تأخــذ منـه الفصـاحة والبلاغـة والنكـات البيانيـة والبديعيـة، أو تنظـر في

1() المرجع السابق، ص19.

2() القرآن الثقل الأكبر (ص: 38)

قصصه وحكاياته بالنظر التاريخي والاطلاع على الأمم السالفة، فإنه ليس شيء من هذه داخلاً في مقاصد القرآن، وهو بعيد المنظور الأصلي للكتاب الإلهي بمراحل والذي أوجب أن تكون استفادتنا من هذا الكتاب العظيم بأقل من القليل هو هذا المعنى، فإما ألا ننظر إليه نظر التعليم والتعلم كما هو الغالب علينا، ونقرأ القرآن للثواب والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير جهة تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحاً حتى يعطي لنا الثواب ونحن واقفون في الحد وقانعون بهذا الأمر، ولذا نقرأ القرآن أربعين سنة ولا تحصل الاستفادة منه بوجه إلاّ لأجر والثواب والقراءة، وأما أن نشتغل إن كان نظرنا التعليم والتعلّم بالنكات البديعيّة ووجوه إعجازه، وأعلى من هذا بقليل فإلى الجهات التاريخية وسبب نزول الآيات وأوقات النزول، وكون الآيات والسور مكية أو مدنية، واختلاف القراءات واختلاف المفسرين من العامة والخاصة وسائر الأمور العرضية الخارجة عن المقصد بحيث تكون هذه الأمور نفسها موجبة للاحتجاب عن القرآن والغفلة عن الذكر الإلهي) [1]

وهو مع احترامه ــ كما يذكر ــ للمفسرين والعلماء الذين بحثوا في علوم القرآن إلا أنه ينكر عليهم إهمال هذا الجانب من التعليم القرآني؛ فيقول: (إن مفسّرينا العظام أيضاً صرفوا عمدة همّهم في إحدى هذه الجهات أو أكثر ولم يفتحوا باب التعليمات على الناس، وبعقيدتي الكاتب لم يكتب إلى الآن التفسير لكتاب الله لأن معنى التفسير على نحو كلّي هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسّر ويكون مهمّ النظر إلى بيان منظور صاحب الكتاب، فهذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة من الله تعالى كتاب الهداية والتعلم ونور طريق سلوك الإنسانية يلزم للمفسّر أن يعلّم للمتعلم في كلّ قصّة من قصصه بل في كل آية من آياته جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثية الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانية) [2]

---

[1] المرجع السابق، ص38.

[2] المرجع السابق، ص39.

ويضرب مثالا على ذلك؛ فيقول: (ففي قصة آدم وحواء أو قضاياهما مع إبليس من ابتداء خلقهما إلى ورودهما في الأرض، وقد ذكرها الحق تعالى مكررة في كتابه، كم من المعارف والمواعظ مذكورة فيها ومرموز إليها، وكم فيها من معايب النفس وكمالاتها ومعارفها وأخلاق إبليس موجودة فيها نتعرف عليها ونحن عنه غافلون) [1]

وبناء على هذا يدعو المفسرين إلى التركيز في تفاسيرهم على هذه الجوانب، باعتبارها مقاصد القرآن الكبرى من نزوله، يقول: (كتاب الله هو كتاب المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، فكتاب التفسير أيضاً لا بد أن يكون كتاباً عرفانياً وأخلاقياً ومبيّناً للجهات العرفانية والأخلاقية وسائر جهات الدعوة إلى السعادة التي في القرآن، فالمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر أو لا يهتم بها فقد غفل عن مقصود القرآن والمنظور الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل، وهذا هو الخطأ الذي حرم الملة الإسلامية منذ قرون من الاستفادة من القرآن الشريف، وسد طريق الهداية على الناس، فلا بد لنا أن نأخذ المقصود من تنزيل هذا الكتاب من نفس هذا الكتاب مع قطع النظر عن الجهات العقلية البرهانية التي تفهمنا المقصد) [2]

وهو يعطي الحجج الكثيرة على هذه الدعوة، وأولها مراعاة المقاصد الموضوعة في القرآن الكريمة، والتي صرحت بها الآيات الكثيرة، يقول: (منصف الكتاب أعرف بمقصده، فالآن إذا نظرنا إلى ما قال هذا المصنف فيما يرجع إلى شؤون القرآن، نرى أنه يقول ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، فعرّف هذا الكتاب بأنه كتاب الهداية، ونرى أنه في سورة قصيرة كرّر مرّات عديدة قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]، نرى أنه يقول: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

[1] المرجع السابق، ص40.

[2] المرجع السابق، ص40.

نُـزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [النحـل: 44]، ونـرى أنـه يقـول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي يطول ذكرها) [1]

وهـو لأجـل تحقيـق هـذه المقاصـد القرآنيـة يـدعو إلى رفـع الحجب الحائلـة بين المـؤمن الـذي يريـد أن يتحقـق بالعرفـان والقرآن الكريمة، ذلك أن الهداية القرآنية تحتاج إلى توفر شـروط لتنزلها، يقول: (إذا علمت الآن عظمة كتاب الله من جميع الجهات المقتضية للعظمة، وانفتح طريق استفادة المطالب منـه؛ فـاللازم على المتعلم والمستفيد من كتـاب اللـه أن يجـري أدبـاً آخـر من الآداب المهمة حتى تحصل الاستفادة وهـو رفـع موانـع الاسـتفادة، ونحن نعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن) [2]

ثم ذكر الأمثلة الكثيرة عن تلك الحجب، وكيفية رفعها، ومنهـا [حجـاب رؤيـة النفس]، حيث (يـرى المتعلم نفسـه بواسـطة هـذا الحجـاب مسـتغنية أو غـير محتاجـة للاسـتفادة، وهـذا من المكائـد الأصـلية المهمـة للشـيطان من حيث إنـه يـزيّن للإنسـان دائمـاً الكمالات الموهومة، ويرضى الإنسان ويقنعه بما فيه، ويسـقط من عينه كل شيء سوى ما عنده، مثلاً يقنّع أهـل التجويـد بـذلك العلم الجــزئي ويزيّنــه في أعينهم إلى حــدّ يســقط ســائر العلــوم عن أعينهم، ويطبّق في نظرهم حملة القرآن عليهم ويحرمهم من فهم الكتاب النـوراني الإلهي والإسـتفادة منـه، ويرضـى أصـحاب الأدب بتلك الصورة بلا لبّ ويمثّل جميع شؤون القرآن فيمـا هـو عنـدهم، ويشغل أهل التفاسير المتعارفة بوجود القراءات والآراء المختلفـة لأرباب اللغة ووقت النزول وشـأن الـنزول وكـون الآيـات مكيـة أو مدنية وتعدادها وتعداد الحـروف وأمثـال تلـك الأمـور، ويقنـع أهـل العلوم أيضاً بعلم فنون الدلالات فقط ووجوه الاحتجاجات وأمثالهـا حـتى إنـه يحبس الفيلسـوف والحكيم والعـارف الاصـطلاحي في الغليـظ من حجـاب الاصـطلاحات والمفـاهيم وأمثـال ذلـك، فعلى

---

[1] المرجع السابق، ص41.

[2] المرجع السابق، ص44.

المستفيد أن يخرق جميع الحجب هذه وينظر إلى القرآن من ورائها، ولا يتوقف في شيء من هذه الحجب ولا يتأخر عن قافلة السالكين ولا يحرم من الدعوات الحلوة الإلهية، ويستفاد عدم الوقوف وعدم القناعة إلى حدّ معين من نفس القرآن) [1]

وهو يستشهد لهذا بما وقع للأنبياء عليهم السلام، والذين لم ينشغلوا بما عندهم من العلوم عن سؤال المزيد، يقول: (فموسى الكليم مع ما له من المقام العظيم في النبوّة ما اقتنع بذلك المقام وما توقف في مقام علمه الشامخ، وبمجرد أن لاقى شخصاً كاملاً قال له بكل تواضع وخضوع: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]، وصار ملازماً لخدمته حتى أخذ منه العلوم التي لا بد من أخذها، وإبراهيم لم يقتنع بمقام شامخ الإيمان والعلم الخاص للأنبياء، بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260]، فأراد أن يرتقي من الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي، وأعظم من ذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر نبيّه الخاتم وهو أعرف خلق الله بالكريمة الشريفة ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، فهذه الأوامر في الكتاب الإلهي ونقل هذه القصص لأن نتنبّه ونستيقظ من نوم الغفلة) [2]

ومن الحجب التي دعا الخميني إلى رفعها حتى يتحقق السالك بالحقائق القرآنية، ويمد يده إليها [حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة]، وهو يذكر أن مصدره هو التبعية والتقليد، ويضرب مثالا على ذلك؛ فيقول: (مثلاً إذا رسخ في قلوبنا اعتقاد بمجرّد الاستماع من الأب أو الأم أو من بعض جهلة أهل المنبر تكون هذه العقيدة حاجبية بيننا وبين الآيات الشريفة الإلهية، فإن وردت آلاف من الآيات والروايات تخالف تلك العقيدة، فإما أن نصرفها عن ظاهرها أو لا ننظر فيها نظر الفهم) [3]

---

[1] المرجع السابق، ص44.

[2] المرجع السابق، ص45.

ويضرب مثلا على ذلك بما ورد في القرآن الكريم من ذكر [لقاء الله]، والذي راح المتكلمون يحجبون عنه ـ كما يذكر ـ بسبب ما ارتبط به من التشبيه الذي وقعت فيه بعض المدارس، أوتعلق به العوام؛ فيقول: (قد وردت الآيات الكثيرة الراجعة إلى لقاء الله ومعرفة الله، ووردت روايات كثيرة في هذا الموضوع مع كثير من الإشارات والكنايات والصراحات في الأدعية والمناجاة للأئمة؛ فبمجرد ما نشأت عقيدة في هذا الميدان من العوام وانتشرت بأن طريق معرفة الله مسدود بالكلية، فيقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله على باب التفكر في الذات على الوجه الممنوع بل الممتنع، فإما أن يؤوّلوا ويوجّهوا تلك الآيات والروايات، وكذلك الإشارات والكنايات والصراحات في أدعية الأئمة ومناجاتهم، وإما ألاّ يدخلوا في هذا الميدان أصلاً ولا يعرّفوا أنفسهم بالمعارف التي هي قرّة العين للأنبياء والأولياء، فممّا يوجب الأسف الشديد لأهل الله أن باباً من المعرفة الذي يمكن أن يقال إنه غاية بعثة الأنبياء، ومنتهى مطلوب الأولياء قد سدّوه على الناس بحيث يعدّ التفوّه به محض الكفر وصرف الزندقة) [1]

وهو يذكر أن سبب هذا الموقف يعود إلى أن (هؤلاء يرون معارف الأنبياء والأولياء في ما يختص بذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته مساوية لمعارف العوام والنساء فيه، بل يظهر من هؤلاء أحياناً ما هو أعظم من ذلك فيقول أحدهم: إن لفلان عقائد عامية حسنة فيا ليت لنا مثلما له من العقيدة العامية.. وهذا الكلام منه صحيح لأن هذا المسكين يتفوّه بهذا الكلام قد أخرج من يده العقائد العامية ويرى معارف الخواص وأهل الله باطلة، فهذا التمني منه عيناً كتمني الكفار) [2]

---

(3) المرجع السابق، ص45.

(1) المرجع السابق، ص46.

(2) المرجع السابق، ص45.

وهو يرى أن هذا السلوك الذي امتد لنواح كثـيرة في القـرآن الكريم، نـوع من الهجـران للقـرآن، ونـوع من تقـديم غـيره عليـه، يقول: (إن مهجورية القرآن لها مـراتب كثـيرة ومنـازل لا تحصـى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها، أتـرى أننـا إذا جلّـدنا هـذه الصـحيفة الإلهية جلداً نظيفاً وقيّمـاً وعنـد قراءتهـا أو الاسـتخارة بهـا قبّلناهـا ووضعناها على أعيننا ما اتخذناه مهجـوراً؟ أتـرى إذا صـرفنا غـالب عمرنا في تجويده وجهاته اللغوية والبيانية والبديعية قد أخرجنا هذا الكتـاب الشـريف عن المهجوريـة؟ هـل أننـا إذا تعلّمنـا القـراءات المختلفة وأمثالها قد تخّلصنا من عار هجران القـرآن؟ هـل أننـا إذا تعلّمنا وجـوه إعجـاز القـرآن وفنـون محسوسـاته قـد تخلّصـنا من شكوى رسول الله ﷺ؟ هيهات.. فإنه ليس شـيء من هـذه الأمـور مورداً لنظر القرآن ومنزلها العظيم الشأن، إن القرآن كتـاب إلهي وفيـه الشـؤون الإلهيـة، والقـرآن هـو الحبـل المتصـل بين الخـالق والمخلـوق، ولا بـد أن يوجـد الربـط المعنـوي والارتبـاط الغيـبي بتعليماتـه بين عبـاد اللـه ومـربّيهم، ولا بـد أن يحصـل من القـرآن العلوم الإلهية والمعارف اللدنيّة) [3]

ومن الحجب الـتي دعـا الخميـني إلى رفعهـا حـتى يتحقـق السالك بالحقائق القرآنية [الاعتقاد بأنه ليس لأحد حـق الاسـتفادة من القرآن الشريف إلاّ بما كتبه المفسّرون أو فهمـوه]، وقـد عـزا هـذا الحجـاب إلى الاشـتباه الواقـع بين الـدعوة القرآنيـة للتفكـر والتدبّر في الآيات الشريفة، مـع مـا ورد في النصـوص من تحـريم التفسير بالرأي الممنوع، وبناء على هذا الاشـتباه حصـل نـوع آخـر من الهجران للقرآن الكريم، يقول: (بواسـطة هـذا الـرأي الفاسـد والعقيدة الباطلة جعلوا القـرآن عاريـاً من جميـع فنـون الاسـتفادة واتخــذوه مهجــوراً بالكليــة في حــال أن الاســتفادات الأخلاقيــة والإيمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بـالرأي، فمثلاً إذا اسـتفاد احـد من كيفيـة مـذاكرات موسـى مـع الخضـر، وكيفية معاشرتهما وشدّ موسى رحاله إليه مـع مـا لـه من عظمـة مقام النبوّة لأخـذ العلم الـذي ليس موجـوداً عنـده وكيفيـة عـرض حاجته إلى الخضر، وكيفية جواب الخضر والاعتذارات الـتي وقعت

3() المرجع السابق، ص47.

من موسى [عظمة مقام العلم وآداب سلوك المتعلم مع المعلّم]، ولعلها تبلغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدباً؛ فأي ربـط لهـذه الاستفادات بالتفسير، فضلاً من أن تكون تفسيراً بالرأي) [1]

ويضـرب مثلا آخـر على ذلـك، فيقـول: (والاسـتفادة من هـذا القبيل في القـرآن كثـير، ففي المعـارف مثلاً إذا اسـتفاد أحـد من قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة: 2] الذي حصـر جميـع المحامـد للـه، وخصّ جميـع الأثنيـة للحـق تعـالى التوحيـد الأفعالي، وقال بأنه يستفاد من الآية الشريفة أن كل كمال وجمال وكـلّ عـزّة وجلال الموجـودة في العـالم وتنسـبها العين الحـولاء والقلب المحدوب إلى الموجودات من الحق تعالى، وليس لموجود من قبـل نفسـه شـيء، ولـذا المحمـدة والثنـاء خـاص بـالحق، ولا يشـاركه فيهـا احـد، فـأيّ ربـط لهـذا إلى التفسـير حـتى يسـمّى بالتفسـير بـالرأي أو لا يسـمّى؟ إلى غـير ذلـك من الأمـور الـتي تستفاد من لوازم الكلام ولا ربط لها بوجه إلى التفسير) [2]

هـذه مجـرد نمـاذج عن دعـوة الخميـني إلى مركزيـة القـرآن الكريم للتحقق بالحقائق العرفانية النظرية والعمليـة، ونجـد مثلهـا في سـائر المجـالات، وهـذا مـا يصـدق مـا يـذكره قـادة الثـورة الإسلامية عن ثورتهم بكونها ثورة قرآنية، تريـد أن تحـيي الحقـائق القرآنية في الواقع، وتعيد لها الاعتبار.

ثانيا ـ القيم الأخلاقية ووسائل تحقيقهـا في الواقع:

بناء على النتيجة التي خلصـنا إليهـا في الجـزء السـابق، وفي الفصل الخاص بالقيم الأخلاقية، والتي عبرنا عنها بقولنا: (والنتيجة الـتي خلصـنا إليهـا، هي أن إيــران في الــوقت الحــالي، تمثــل ـ اجتماعيا وسياسيا وتراثيا ـ جميع القيم الأخلاقية النبيلـة الـتي جـاء الإسلام بالـدعوة إليهـا، وبـذلك هي تمثـل نمـوذج التـدين الأصـيل،

(1) المرجع السابق، ص48.

(2) المرجع السابق، ص48.

الذي يعتبر الأخلاق ركنا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه.. بل إننا لو تخلينا عن أحقادنا وقرأنا الواقع الإيراني جيدا قراءة منصفة، لعلمنا أن كل ما حصل لإيران من حروب وحصار وظلم في العقود الأخير كان نتيجة لتمسكها بالقيم الأخلاقية التي لم تسمح لها أن تتخلى عن مبادئها لأجل تحقيق مصالحها، فهي دولة مبدئية ـ شعبا ونظاما ـ ولهذا ابتليت بكل أولئك الأعداء)[1]

وذكرنا أن (الذين يقارنونها بغيرها من الدول الإسلامية، خصوصا تركيا ودول الخليج يخطئون كثيرا، لأنهم ينظرون إلى التقدم المادي، ولا ينظرون إلى التقدم في القيم والأخلاق، وقد كان في إمكان إيران أن تحصل على الكثير على ما يحصل عليه غيرها من التقدم المادي والرخاء الاقتصادي لو أنها تنازلت كما تنازلت تركيا ودول الخليج، لكنها لم تفعل، وهذا ما يبرهن على مدى تغلغل القيم الأخلاقية في المجتمع والسياسة الإيرانية، ذلك أن السياسة لم تكن لتقف تلك المواقف الصلبة لولا وجود حضانة شعبية لمواقفها)[2]

بناء على هذا، وحتى لا نكرر ما ذكرناه سابقا من الأدلة المفصلة التي تثبت اهتمام المؤسسات الإيرانية الدينية والتربوية والإعلامية بالأخلاق، ووضعها منظومة تشريعية كاملة لذلك، نكتفي هنا ببيان اتساع مفهوم الأخلاق لدى قادة ثورتها.

فالأخلاق عندهم ليست تلك السلوكات والآداب الظاهرة، فحسب، وإنما تمتد لتشمل السلوكات الباطنة، والتي لا يمكن الاطلاع عليها مع أهميتها وضرورتها، وكونها الأساس الذي تقوم عليها الأخلاق الظاهرة.

وبما أننا ذكرنا في المبحث السابق رؤية الخميني للقيم الروحية؛ فسنذكر هنا رؤية الخامنئي للقيم الأخلاقية، وإن كان كلاهما من مدرسة واحدة، وكلاهما اهتم بجميع أنواع القيم التي يقوم عليها النظام الإيراني ابتداء من القيم الروحية، وانتهاء بالقيم

---

(1) إيران: دين وحضارة، ص350.

(2) المرجع السابق، ص351.

الأخلاقية والحضارية.

فالخامنئي في كل كتبه وخطبه يركـز على الأبعـاد الأخلاقيـة، ويعتبرها الأساس الذي يقوم عليه الكمـال الإنسـاني، ولـذلك فـإن المظهر الأول الدال على رقي أي دولة ليس مسـتواها الاقتصـادي ولا العسكري، وإنما رقيها ورقي شعبها الأخلاقي، يقـول في ذلـك: (إنّ تبليغ الدِّين وتبيين الحقـائق، الّـذي يُعـدّ واجب علمـاء الإسـلام والمبلّغين العظام، يشمل اليوم كلّ تلك الأمور. فلو أنّنا بلغنا أعلى المسـتويات الاقتصـاديّة، وضـاعفنا من قـدرتنا وعزّتنـا السياسـيّة الحاليّة عدّة أضعاف، لكنْ أخلاق مجتمعنا لم تكن أخلاقـاً إسـلاميّة، وكنّا نفتقر إلى العفو والصبر والحلم وحُسن الظن، لسـاء وضـعنا)[1]

ولذلك؛ فهو يـرى أن الأخلاق هي الأسـاس الـذي تقـوم عليـه الدولـة، ويـرى أن من الأدوار المهمـة للحكومـة الإسـلامية قبـل التطـور المـادي أن تـراعي هـذه الجـوانب، يقـول: (الحكومـة الإسلاميّة تهدف إلى تربية البشر في هـذا الجـوّ، لتسـمو أخلاقهم، وليكونوا أقرب إلى الله، وأنْ يقصدوا القرب منه، فحتّى السياسـة لا بُدّ فيها من قصد القربة، والقضايا السياسيّة لا بُدّ فيها من قصـد القربـة، فمن يتحـدّث في القضـايا السياسـيّة، والّـذي يكتب عنهـا، والّـذي يُحلِّلهـا، والّـذي يتّخـذ القـرارات فيهـا، لا بُـدّ لهم من قصْـد القربة)[2]

ويـبين مـراده من [قصـد القربـة]، فيقـول: (عنـدما يبحث الإنسان ويُطالع الأمور وينظر إلى مدى رضا اللـه فيهـا، فـإنْ وجـد رضا الله في هذا الأمر عندها يُمكنه قصد القربة)[3]

وبناء على هذا، يذكر أنه يمكن أن توضع البرامج التي تسـاهم

1() توجيهات أخلاقية (ص: 15).

2() توجيهات أخلاقية (ص: 15).

3() المرجع السابق، (ص: 15).

في إصلاح الأخلاق، وذلك لكونها ليست صفة لازمة لا يمكن تغييرها، بل هي مثل أي شيء آخر، يمكن تغييره إن توفرت الإرادة لذلك.

وقد أشار إلى هذا المعنى الذي قرره علماء الأخلاق المسلمون، بل أكده القرآن الكريم، فقال: (التحوُّل الأخلاقيّ يعني أنّ يتخلّى الإنسان ويجتنب كلّ رذيلة أخلاقيّة، وكلّ أخلاق ذميمة، وكلّ روحيّة سيِّئة ومرفوضة، ممّا يوجب أذيّة الآخرين، أو تخلّف الإنسان نفسه، وأنْ يتحلّى بالفضائل والسجايا الأخلاقيّة. فالمجتمع الخالي من الحسد والضغينة والحقد، والمفكِّرون الّذين لا يستخدمون فكرهم في التآمر على الآخرين والتزوير والخداع، والمثقّفون وأصحاب العلوم إذا لم يستخدموا علومهم في إلحاق الضرر بالناس ومساعدة أعداء الناس، وكان جميع أبناء المجتمع يُريدون الخير لبعضهم)[1]

والطريق الذي يتحقق به ذلك ــ كما يذكر ــ هو مجاهدة النفس وضبط شهواتها وأهوائها لتنسجم مع الشريعة الإسلامية انسجاما كليا، وهو الانسجام الذي يضمن لها التحلي بمحاسن الأخلاق، والابتعاد عن رذائها، يقول: (إنّ الإنسان في أسمى شكلٍ وأكمل حياة هو ذلك الإنسان الّذي يُمكنه التحرُّك في سبيل الله ويرضي الله عنه، والّذي لا تأسره شهواته، ذلك هو الإنسان السالم والكامل. أمّا الإنسان المادّيّ الّذي يقع أسير شهوته وغضبه وأهوائه النفسيّة وأحاسيسه فإنّه إنسان حقير، مهما كان كبيراً على الظاهر وله منصب، فرئيس جمهوريّة أكبر دول العالَم الّتي تمتلك أكبر ثروات العالَم، إذا كان عاجزاً عن لجم شهواته وقمعها، وكان أسير طلباته النفسيّة، فإنّه إنسان وضيع، أمّا الإنسان الفقير الّذي يُمكنه أنْ يتفوّق على شهواته، ويطوي الطريق الصحيح، أي طريق كمال الإنسان وطريق الله، فإنّه إنسانٌ عظيم)[2]

---

[1] توجيهات أخلاقية (ص: 17)، وهو جزء من كلمة ألقاها في عيد الربيع (20/ 3/1991 م)

[2] المرجع السابق، ص18، من خطبة الجمعة (1/ 2/1997 م)

وهو يذكر أن الإنسان بمفرده قد لا يستطيع أن يواجه هذه العقبات التي تحول بينه وبين التخلق، خاصة إن كانت البيئة التي يعيش فيها تزيد وضعه الأخلاقي سوءا، ولهذا كان لإصلاح المجتمع، وللدولة، دورها الكبير في نشر الأخلاق الصالحة، ومواجهة الأخلاق الفاسدة، وكل أنواع الانحراف، يقول: (الأمر الّذي يستوقفني اليوم في بحثِ حياةِ الرَسُولِ الأكرَم ﷺ هو أنَّ نبيَّ الإسلام سعى لتثبيت القيم والأخلاقِ الإسلاميّةِ بشكلٍ كامل في المجتمع، ولتمتزج بروح الناس وعقائدهم وحياتهم وتختلط فيها، لذلك كان يُعطِّر جوّ الحياة بالقيم الإسلاميّة، فقد يُصدر الإنسانُ أوامر أو يُوجِّه توصيات، كأنْ ينصح الناس ويُعلّمهم ويأمرهم ويوصيهم بحسن الخُلق والعفو والصبر والاستقامة في سبيل الله وعدم الظلم والسعي لإقامة العدل والقسط، وعلى رغم أنّ ذلك أمر لازم، لكنّ نبيّ الإسلام كان يُعلّمهم دروس المعرفة والحياة، كان يُمارس التعليم من جهة، ويُنفِّذ ذلك في سيرته. فمن أجل تثبيت هذه الأخلاق والواجبات الإسلاميّة في المجتمع كان يواجه العقائد الخاطئة للناس، ويُحارب الأحاسيس الجاهليّة ورواسب الأخلاق غير الإسلاميّة ويواجهها، ويُعطي المجتمع شحنات، ويمارس في المناسبات وبأسلوب مناسب الصفة والأخلاق والأسلوب الحسن بشكلٍ كامل، وإذا أراد أيُّ مجتمع أنْ يتطوّر وأنْ يوجد الأخلاق الإسلاميّة الصحيحة في محيطه، فإنّه يحتاج إلى هذا الأسلوب)[1]

وعلى هذا الأساس يفسر ما ورد في القرآن الكريم من اعتبار [التزكية] دورا من أدوار رسول الله ﷺ، فيقول:(ولعلّ المقصود من التزكية الّتي ذُكرت في عدّة آيات قرآنية، بتعبير [يُزَكِّيهِم] بعد عبارة [يُعَلِّمُهُمُ] أو قبلها، لعلّ المقصود في هذه الآيات هو هذا، أي تنقية وتطهير وتزيين الناس، كالطبيب الّذي لا يكتفي بتوصية مريضه أنْ يفعل كذا وكذا، بل يضعه في مكانٍ خاصٍّ، ويُعطيه ما يلزمه من دواء وعلاج، ويُخرج منه ما يضرّه. هكذا كان وضع النبيّ الأكرم ﷺ وهذا أسلوبه طوال ثلاثة وعشرين عاماً من نبوّته، وخصوصاً خلال السنوات العشر الّتي عاشها في

---

(1) حديث الولاية، ج 2،ص 241.

المدينة ومرحلة حكم الإسلام وتشكيل الحكومة الإسلاميّة) [1]

وانطلاقـا من ذلـك كلـه، القيم الأخلاقيـة عنـده تنتظم في أمرين:

أولهما مراعـاة أحكـام الشـريعة، لأنهـا من يضـع المعـايير الأخلاقيـة وحـدودها وموازينهـا، وليس الأهـواء البشـرية الـتي قـد تخلط بين الخلق الحسن والخلق السيء.

والثاني: مراعاة الإخلاص والصدق والتجرد للـه، والبعـد عن الريـاء والعجب والغـرور، والأخلاق البراغماتيـة الـتي تنطلـق من المصالح.

وسنشرح كلا المعنيين في المطلبين التاليين:

1 ــ مراعـاة أحكـام الشـريعة ودورهـا في إصـلاح الأخلاق:

بناء على كون المقصد الأعلى من الشريعة الإسلامية تحقيـق الأخلاق في الواقـع الإسـلامي الفـردي والاجتمـاعي، والسياسـي والاقتصادي، بـل في كـل مجـالات الحيـاة؛ فـإن رعايـة الشـريعة، وعدم تجاوز حدودها هو الكفيل وحده بتحقيـق المسـلم المتخلـق، والمجتمع المتخلق، والسياسي المتخلق، وهكـذا لا تمس الشـريعة شيئا إلا وأضفت عليه محاسـن الأخلاق، وجميـل الآداب، كمـا قـال رسول الله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]

ولهذا لم تكن عقوبة الذنوب قاصرة على تلك السـيئات الـتي تنال الواقعين فيها، وإنما عقوبتهـا الأكـبر في تلـك الأخلاق السـيئة التي تغرسها في المرتكب لها، وقد تصبح ملكة فيـه يصـعب عليـه الانفكاك منها.

وبما أن التقوى هي الحجاب الأكبر الـذي يحـول بين المـؤمن

1() المرجع السابق، ج 2،ص 241.

2() رواه أحمد 2/381 (8939)

والوقوع في الذنب، كانت هي الوسيلة الأكبر لتحصيل الأخلاق الطيبة، الظاهرة منها والباطنة.

ولهذا نجد قادة الثورة الإسلامية يركزون في كل المحال على الدعوة للتقوى، لا الفردية وحدها، وإنما الاجتماعية والسياسية وفي كل مجالات الحياة، ومن كلمات القائد الحالي للثورة الإسلامي السيد علي الخامنئي قوله في تحديد مفهوم التقوى، ودورها في حياة المؤمن: (معنى التّقوى هو أنْ يؤدّي الإنسان جميع التكاليف الّتي أمره الله تعالى بأدائها، أنْ يؤدّي الواجبات ويترك المحرَّمات. تلك هي أولى مراتب التّقوى. لذا لا بُدّ من معرفة المحرّمات الإلهيّة والابتعاد عنها وعدم الحوم حولها. وعندما يتمُّ ترسيخ روحيّة التّقوى وتسليم القلب لله والتعامل مع الله وذكر الله والتوجّه والدعاء والتوكُّل في قلب هذا الشابّ التعبويّ المؤمن الجامعيّ أو طالب العلم أو من أيِّ فئةٍ ومدينة وقرية كان، عندها سيُمثّلون الصفّ المرصوص والقويّ الّذي تعجز عن هزّه أيُّ قوّة في العالَم. وهو الضامن لتقدُّم أهداف الإسلام والثورة)[1]

وهو يذكر كل حين بأن التقوى هي الوصفة الربانية التي لا ينال المؤمن ثوابها في الآخرة فقط، بل ينال ثوابها في الدنيا قبل ذلك، يقول الخامنئي: (إنّ التّقوى، هذا العامل العظيم، تؤثِّر في جميع ميادين الحياة. لاحظوا القرآن كم أكثر من الحديث عن التّقوى، ليس فقط عندما تموتون وتنتقلون إلى العالَم الآخر ستنالون الأجر من الله، كلّا فالتّقوى تُدير الحياة في هذه النشأة، صحيح أنّ الحياة في هذه النشأة هي الّتي تصنع تلك النشأة. لكنْ ترك التّقوى يجعل الإنسان غافلاً، والغفلة تلطم رأس الإنسان بالأرض)[2]

وانطلاقا من هذا يتحدث عن آثار التقوى الاجتماعية، ودورها في تقدم المجتمع وتحضره، فيقول: (إذا اتّصف الشعب أو الفرد

1() حديث الولاية، ج 8، ص 232..

2() المرجع السابق، ج 6، ص 213..

بـالتّقوى، فسـتأتيه كـلّ خـيرات الـدنيا والآخـرة. فائـدة التقـوى لا تنحصـر في كسـب رضـا اللـه ونيـل الجنّـة الإلهيّـة يـوم القيامـة، فالإنسـان المتّقي يجـد فائـدة التّقـوى في الـدنيا أيضـاً، فـالمجتمع المتّقي، والمجتمع الّذي يختار طريق الله بدقّـة، ويتحـرّك في هـذا الطريق بدقّة، فسـينال نِعَم اللـه في الـدنيا أيضـاً، وسـينال العـزّة الدنيويّة أيضاً، وسيلهمه الله العلم والمعرفة بشـؤون الـدنيا أيضـاً. والمجتمـع الّـذي يتحـرّك في طريـق التّقـوى يكـون جـوّه سـالماً ومفعماً بالمحبّة والتعاون والتنسيق بين أفراده)[1]

ويضرب لهم المثل بتأثير الذنوب حتى لـو كـانت صـغيرة في حصـول الهزيمـة؛ ومن ذلـك مـا حصـل في معركـة أُحُـد، فيقـول: (كيف يُقعِد الذنب الإنسـان؟ مثلاً في معركـة أُحُـد تحـوّل الانتصـار إلى هزيمة بسبب التقصير الجماعيّ للمسلمين. أي أنّ المسـلمين انتصروا في البداية، لكنّ الرماة الّذين يُفترض أنْ يبقوا عنــد شــقّ الجبل ليحفظوا ظهر الجبهة من النفوذ والتسـلُّل، طمعـوا بالغنـائم وتركوا متاريسهم وتوجّهوا نحو الساحة، فـالتفّ العـدوّ من الخلـف ونفّذ هجومه، فمزّق المسلمين وكـانت هزيمـة أُحُـد بسـبب ذلـك. وقد تحدّثت عشرة أو اثنتا عشـرة آيـة من سـورة آل عمـران عن قضيّة الهزيمة تلك، لأنّ المسلمين كانوا يعيشون اضطراباً شــديداً بسـبب تلـك الهزيمـة، وكـانت ثقيلـة عليهم كثـيراً، فجـاءت آيـات القرآن تلك لتهبهم الاطمئنان وتهـديهم، ولتُفهمهم سـبب هـزيمتهم وسبب ذلك الضعف، إلى أن يصل إلى الآية الشـريفة: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْـتَزَلَّهُمُ الشَّـيْطَانُ بِبَعْضِ مَـا كَسَـبُوا وَلَقَـدْ عَفَـا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ حَلِيمٌ [آل عمـران: 155]، أي ما رأيتموه في معركة أُحُد من اسـتدبار بعضـكم للعـدوّ وتسبّب بالهزيمة كانت له أسبابه ومقدّماتـه، فكـان هـؤلاء يُعـانون من ضعفٍ داخليٍّ، فقـد أزلّهم الشـيطان بمسـاعدة الأعمـال الّـتي كانوا قد ارتكبوها من قبل، أي إنّ ذنوبهم السابقة قد تظهر آثارهـا في الجبهـة، في الجبهـة العسـكريّة أو السياسـيّة أو عنـد مواجهـة العـدوّ أو عنــد ممارســة البنــاء أو في ممارســة التعليم والتربيــة، وحيث تجب الاستقامة، وحيث يجب الفهم والإدراك الدقيق، وحيث

---

[1] أخلاق ومعنويت (فارسي)، ص 116.

يجب أنْ يكون الإنسان كالفولاذ يقطع ويتقدّم ولا تقف الموانع بوجهه. طبعاً تلك هي الذنوب الّتي لم تمحها التوبة النصوح والاستغفار الحقيقيّ) [1]

ولهذا يخاطب المسؤولين كل حين من موقع مسؤوليته كولي عليهم بالدرجة الأولى؛ يحذرهم من أن تحيق بهم أمثال تلك الهزائم بسبب تقصيرهم في تحقيق التقوى؛ فيقول: (أينما كنتم، ومهما كان عملكم، وأيّة مسؤولية تحمّلتم، وأيّ شأن من الشؤون الاجتماعيّة كان لكم، يجب أنْ تنصبَّ همّتكم في الدرجة الأولى على نيل رضا الله وأداء التكليف الإلهيّ، وذلك هو التّقوى، فالتّقوى هي أنْ تُقدموا على أداء التكليف وتحترزوا من الانحراف والضياع. إذا وجد فيكم هذا الحسّ، وبذلتم الهمّة والسعي، وخطوتم أوّل خطوة، فسيُعينكم الله تعالى في الخطوة التالية)[2]

ويخبرهم عن التقوى وأنها الكفيلة بكل انتصار ونجاح يحققونه، فيقول: (كلّما علت مناصبنا احتجنا إلى التّقوى أكثر. والتّقوى هي الّتي تنصر الإنسان في ساحة الجهاد أيضاً. والتّقوى هي الّتي نصرتكم في ساحة المواجهة مع الاستكبار وخلال سنوات الثورة حتّى انتصرتم في مثل هذه الأيّام من عام 1979 م. لقد انتصرتم بتقوى ذلك القائد الّذي لا يهتمّ أبداً إلّا بالأوامر الإلهيّة والتكليف الشرعيّ، وبتقوى كلّ واحد منكم يا أبناء الشعب الّذين تخلّيتم عن أهوائكم ومصالحكم الشخصيّة من أجل الله)[3]

ويذكرهم بما حصل لهم أيام الثورة حين تحققت فيهم التقوى؛ فمن الله عليهم بالانتصار، يقول: (تذكرون في تلك الأيّام كيف توجّهت القلوب كلّها باتجاه الهدف المقدّس، لم يذكر أحدٌ نفسه، لم يُفكِّر أحدٌ باكتناز المال، لم يُفكِّر أحدٌ بزيادة ثروته، لم

---

[1] المرجع السابق، ص 116.

[2] المرجع السابق، ص116.

[3] المرجع السابق، ص116.

يُفكِّر أحدٌ بعملٍ أو منصب، لم يُفكِّر أحدٌ باستباق الآخرين، بـل كـلّ واحدٍ كان يُفكِّر في تكليفه الشرعيّ والإسـلاميّ والثـوريّ فيؤدّيـه، علينا أنْ نقوم اليوم بذلك أيضاً)[1]

وعنـدما يحلـل مـا حصـل للغـرب من مـآس وانحـراف عن الإنسانية والقيم المرتبطة بها، يجعل سبب ذلك في هجر التقـوى، وعدم التزامهم بها، يقـول: (التّقـوى هي مفتـاح السـعادة الدنيويّـة والأخرويّة، إنّ البشريّة الضائعة الّتي تئنُّ من أنواع الصعاب والآلام الشخصـيّة والاجتماعيّـة، تُعـاني من سـياط عـدم التّقـوى والغفلـة وعـدم الالتفـات والغـرق في وحـول الشـهوات الّـتي أُعـدت لهـا. فالمجتمعات المتخلّفة أمرهـا معلـوم، لكنْ المجتمعـات المتقدِّمـة الّتي تحسُّ بالسعادة في بعض نواحي حياتها بسبب تنبّهها ويقظتها في بعض شـؤون حياتهـا، تُعـاني أيضـاً من الفـراغ ومن النقص المميت الّذي يُعبّر عنه الكتّاب والخطبـاء والفنّـانون بمائـة طريقـة وتعبير)[2]

وهكذا نرى الخميني في وصيته، وعند حديثه في البند السـابع من بنـود الوصـية عن السياسـة الداخليـة والأحـزاب والانتخابـات والمبادئ التي تحكمها، يقول: (من الأمـور الضـرورية أيضـاً، تـديّن نـواب مجلس الشـورى الاسـلامي، فقـد رأينـا جميعـاً أيٌـة إضـرار محزنـة لحقت بالإسـلام وبـإيران نتيجـة عـدم صـلاحية مجلس الشورى وانحرافه منذ الفترة التي تلت النهضة الدسـتورية وحـتى عهد النظام البهلوي المجرم، والتي كان سواها وأخطرها عهد ذلك النظام الفاسد المفروض. يالها من مصائب وخسائر مـدمرة حلت بالبلاد والشعب على أيدي هؤلاء العبيـد التـافهين المجـرمين، لقـد أدى وجود أكثرية مصطنعة مقابل أقليـة مظلومـة خلال الخمسـين عامـاً الأخـيرة ــ من العهـد البائـد ــ إلى تمكن إنجلـترا والاتحـاد السوفيتي وأمريكا بعد ذلـك من تمريـر كـل مـا أرادوه على أيـدي هؤلاء المنحرفين الغافلين عن الله مما جر البلاد الى حافة الـدمار

---

[1] المرجع السابق، ص117.

[2] خطاب ألقاه خلال لقائه بقادة قوات حرس الثورة الإسلاميّة (19/ 9/1995 م)

والانهيار. فمنذ ما تلا الحركة الدستورية لم يطبق شيء تقريباً من مواد الدستور الأساسية، وقد تم ذلك قبل عهد رضا خان عبر المأمورين للغرب وحفنة من الباشوات والإقطاعيين، وعبر النظام السفاك وحواشي البلاط وأزلامه في عهد النظام البهلوي)[1]

وبناء على هذه التجربة القاسية التي ذكرها الخميني، والتي مرت بها إيران دعا إلى التشدد في اختيار النواب، والاهتمام بالتزامهم الديني والأخلاقي حتى لا يخترقهم العدو، ويمرر مشاريعه التدميرية من خلالهم، يقول في ذلك: (أما الآن، وحيث أصبح مصير البلاد ـ وبلطف الله وعنايته وهمة الشعب العظيم ـ بأيد المواطنين أنفسهم، حيث أصبح النواب منبثقين من سواد الجماهير يتم انتخابهم لمجلس الشورى الإسلامي دون تدخل الحكومة أو الباشوات، فإن المؤمل أن يحول التزامهم بالإسلام وحرصهم على مصالح البلاد دون وقوع أي انحراف، لذا فإني أوصي أبناء الشعب أن يصوتوا في كل دورة انتخابية ــ حاضراً ومستقبلاً ــ لصالح المرشحين الملتزمين بالإسلام والجمهورية الإسلامية انطلاقاً من إرادتهم الصلبة والتزامهم بأحكام الإسلام وحرصهم على مصالح البلاد) [2]

ثم ذكر أن العادة جارية بأن أمثال هؤلاء لا يكونون من الطبقة المترفة المستغرقة في الدنيا، بل يكونون من عامة الناس، وهم لذلك أكثر احتكاكا بهم، وأكثر إحساسا بحاجاتهم، يقول: (ولا شك أن مثل هؤلاء المرشحين يكونوا غالباً من الطبقات الاجتماعية الوسطى ومن بين المحرومين غير المنحرفين عن الصراط المستقيم نحو الغرب أو الشرق، ومن غير الميالين نحو المدارس العقائدية المنحرفة، ومن المتعلمين المطلعين على مجريات الامور المعاصرة والسياسات الإسلامية) [3]

---

[1] صحيفة الإمام، ج 21، ص: 375.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 375.

2 ـ مراعاة الإخلاص ودوره في إصلاح الأخلاق:

يعتبر الإخلاص وما يلزم عنه من التجرد والصدق ركنا أساسيا لا يمكن أن تقــوم الأخلاق من دونــه، ذلــك أن المــرائي والمعجب والمغرور مهما فعـل من خصـال يظـل أسـير رؤيـة النـاس لـه، أو أسـير رؤيتـه لنفسـه، بينمـا المخلص ينطلـق منـه الخلـق بسـهولة ويسر، وفي الخلوة والجلوة، وفي كل الأحوال، بـل لا يشـعر أصـلا به، لأنه فطري وبديهي عنده، وليس فيه أدنى تكلف.

ولهذا نرى قادة الثورة الإسلامية يركــزون في خطبهم لعامــة الشعب على الإخلاص؛ لأنه لا يمكن أن تقوم دولة من دون إخلاص أهلهـا، ولا يمكن أن تسـتقيم علاقـات المجتمـع من دون أن يكـون الإخلاص هو المحرك الدافع لها.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الخميني في خطـاب عـام لـه ألقاه على القوات المسلحة وغيرهـا بعـد انتصـاراتها على الحــرب الموجهة على الجمهورية الإسلامية الإيرانيـة: (لا تتوقعـوا انتم أيهـا المقاتلون أن أكـون أنـا أو أي شـخص آخـر قـادرا على تكـريمكم، فالله هو الذي اشتراكم، حيث قدمتم كل ما تملكـون حـتى الـروح وهي أغلى ما تملكـون في سـبيل اللـه، سـواء منكم من استشـهد ولقي الله أن شاء الله أو أنتم الموجودون هنا، لقـد حققتم أمـرين ولا يستطيع أحد من البشر أن يكـرمكم على ذلـك، الأول هـو أنكم وضعتم أعظم ما تملكون وهو الحياة على طبــق الإخلاص، والآخــر هو أنكم قدمتم هذه الهدية مخلصين؛ فالأساس هو الإخلاص الــذي تجلى فيكم، وبهذا الإخلاص والإيثار ضـمنتم الجمهوريـة الإسـلامية، فالانتصارات التي تحققت على أيديكم خصوصـا في الفتح المـبين، لا يمكن قياسها بأي معيار كان، ولا يستطيع أي لسان أن يعبر عنها ويصفها، لكن الأهم من كل هذا هو صـدقكم وإخلاصـكم عنـد اللـه تعالى، فالإيثار إخلاصا أهم من كل شيء عند الله)[1]

---

[3] () المرجع السابق، ج 21، ص: 375.

[1] () المرجع السابق، ج16، ص: 149.

ويضرب لهم المثل على قيمة الإخلاص ودوره الجوهري في أي عمل من الأعمال الصالحة بما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 8 - 10]

ويعلق عليها بقوله: (فالإطعام في حد ذاته ليس شيئا مهما، خاصة عندما يكون بقرص من خبز الشعير، بل المهم أن يكون ذلك (على حبه)؛ فالإخلاص والحب اللذان تملكانهما لهما القيمة عند الله تعالى، ولا يستطيع أحد وصفهما، لأنكم تضحون بأرواحكم، وهناك الكثيرون يفعلون ذلك في أمور منحرفة، فالعمل واحد في الشكل لكن المعنى والفحوى يختلفان، والمعيار هو فحوى العمل وليس شكله) [1]

. وهكذا يضرب لهم المثل ببطولات الإمام علي، ومواقفه في الإسلام؛ فيقول: (السيف الذي جرده الإمام علي، وضرب به ذلك الشخص وقتله. هو ما يقع في كل مكان وقد فعل ذلك كثير من الناس ويفعلون. والقيمة ليست هنا، بل القيمة هي ما كانت في قلب علي أبي طالب وما كان يدور في ذهنه ودرجة الإخلاص الذي كان في عمله.. إن درجة الإخلاص هي التي جعلت تلك الضربة أفضل من عبادة الثقلين، أي عبادة الإنس والجن) [2]

ثم يدعوهم إلى المحافظة على نعمة الإخلاص التي لا تعدلها أي نعمة، لأن جزاءها عند الله أعظم الجزاء؛ فيقول: (يا أعزائي حافظوا على هذه النعمة التي منحكم الله إياها وغيركم بفضله الذاتي وبيد غيبية وجعلكم مخلصين لذاته يضحون بكل ما عندهم وبأرواحهم في سبيل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

1() المرجع السابق، ج16، ص: 149.

2() المرجع السابق، ج16، ص: 150.

[التوبة: 111]، فالجنة التي منحكم المشتري ليست كالجنة التي يعطيها للآخرين، وأرجو أن تكون هذه الجنة جنة اللقاء، وأرجو أن يستضيفكم المشتري عنده، حيث أن أولياء الله في الدار الآخرة لا يرجون غير الله، حيث يصرفون النظر عن نعم الجنة، ويرغبون في لقاء الحق تعالى، وأنتم حيث تضحون بأرواحكم وتتوجهون إلى ساحات الحرب بهدف الشهادة وتدافعون عن الإسلام وتزرعون اليأس في الدول الطامعة في هذا البلد، إنما تقومون بعمل قيم ونفيس جدا، لكن الأفضل من ذلك هو إخلاصكم وإيثاركم في سبيل الله، فهو أسمى من كل قيمة لكم. ولا يمكن قياس هذا الإيثار والإخلاص في ميزان عالم الغيب بل يقاس ويعرف عند الله تعالى) [1]

وهكذا نراه في حديثه مع العمال والطلبة والمسؤولين وكل الجهات يدعوهم إلى الإخلاص، والتوجه بصدق لله، وعدم انتظار أي جزاء من أحد، لأن المكاسب الحقيقية لا تتحقق إلا لمن صدق مع الله، وقصد وجهه الكريم.

وهكذا نرى خليفته الولي الفقيه المعاصر السيد علي الخامنئي لا يدع مناسبة إلا ويذكر فيها بالإخلاص، ومن ذلك قوله في التعريف بالإخلاص وبيان الآثار التي يحدثها في الواقع: (الإخلاص هو أنْ يؤدّي الإنسان عمله لله ومحبّةً في أداء الواجب، وأنْ لا يعمل الإنسان من أجل هوى النفس، ولتحصيل المال والثروة، ونيل المنصب والسمعة وحكم التاريخ والدوافع النفسيّة، وإشباع صفة الحسد والطمع والحرص والزيادة، بل أنْ يؤدّي واجبه لله ولأداء الواجب محضاً، هذا هو معنى الإخلاص، وهكذا يتقدّم العمل. إنّ مثل هذا العمل كالسيف البتّار يُزيل كلّ الموانع عن طريقه، والإمام الخميني كان مجهّزاً بهذا السلاح، حيث قالها عدّة مرّات: إنّي لن أغضّ الطرف عن أقرب المقرّبين إليّ إذا خطوا خطوة خلافاً للحقّ، وهكذا كان حقّاً، وقد أظهر في المواقع الحسّاسة أنّ المهمّ بالنسبة إليه هو أداء الواجب، لقد أظهر ذلك

---

[1] المرجع السابق، ج16، ص: 150.

في العلن وفي الوحدة، وفي الأعمال الكبيرة والصغيرة، وأضحى فعله ذاك درساً لمريديه وأبنائه وتلامذته، ممّا جعلهم يسطّرون المعاجز في جبهات الحرب بهذا السلاح نفسه)[1]

ويبين لهم أن أهم مظهر للإخلاص الحقيقي أن يتجرد الشخص من نفسه وكل أهوائها، وأن لا يقصد من العمل إلا الله، حتى لو نسبت أعماله وكل جهوده لغيره، فهو لا يبالي لأنه لم يرد بها إلا الله تعالى، ويحكي في ذلك أنه قرأ عن بعض كبار أهل السلوك والمعرفة في رسالة له قوله: (لو افترضنا محالاً أنّ جميع الأعمال الّتي قام بها نبيُّ الإسلام المكرّم ﷺ والتي كان ينوي القيام بها، كان عليه أن يؤدّيها باسم أحدٍ آخر، فهل كان نبيُّ الإسلام سيسخط من ذلك؟ وهل كان سيرفض القيام بها لأنّها ستتمّ باسم غيره؟ هل كان الأمر كذلك؟ أم أنّ هدفه كان أنْ تتمّ تلك الأعمال، وليس مهمّاً بأيِّ اسم ستتمّ؟ إذاً فالهدف هو المهمّ، أمّا الشخص و(أنا) و(نفسي) فليست مهمّة عند الإنسان المخلص، فلديه الإخلاص ولديه الاعتماد على الله، ويعلم أنّ الله تعالى سيغلّب هذا الهدف، لأنّه قال: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173]، وكثير من هؤلاء الجنود الغالبين يسقطون شهداء في ساحة الجهاد ويرحلون، ورغم ذلك قال: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، فالغلبة لهم رغم ذلك) [2]

وهو يذكر في مواطن كثيرة أن كل ما تحقق لإيران من انتصارات على أعدائها الذين اجتمعوا عليها يريدون سحقها لم يتحقق لولا إكسير الإخلاص والصدق الذي تحلى به أبناء الشعب الإيراني؛ فصبروا على الحصار، وقدموا كل شيء من أجل الدفاع عن وطنهم؛ فيقول: (بلطف الله وبسبب جهاد الجماهير وإيمانهم وإخلاصهم فقد فشلت جميع الحسابات الدوليّة. هذا هو فعل الله،

---

[1] توجيهات أخلاقية (ص: 27)، والخطاب ألقاه خلال الاجتماع الكبير لقوات التعبئة الشعبية بذكرى تشكيلها (25/ 11/1997.

[2] توجيهات أخلاقية (ص: 28)، والخطاب ألقاه خلال لقائه بأعضاء الحرس والتعبئة (22/ 11/1998 م)

وإلاّ فمن الّذي قام بذلك؟ أنتم؟ وهـل هنـاك من يُمكنـه أنْ يـدّعي أنّـه قـام بـذلك؟ كلّا، لا أحـد يُمكنـه ذلـك. إنّ الحركـة المخلصـة والجهاديّـة للجميـع هي الّـتي فعلت ذلـك. كمـا أنّ انتصـار الثـورة الإسلاميّة ليس لأحدٍ ما أنْ ينسبه لنفسه. والإمام الخميني بعظمته وبشخصيّته وقيادته الّتي لا تُجاريها أيّة قيـادة معاصـرة في العـالَم، وله كلُّ الحقّ في أعناقنا، لكنّه لم ينسب النصـر لنفسـه أبـداً. وإذا دقّقنـا في الأمـر لوجـدنا أنّ الأمـر كـذلك، لأنّـه كـان يُشـكِّل في الحقيقة وسيلة إلهيّـة للنـاس. فحركـة النـاس العظيمـة والإخلاص والتضـحيات أدّت إلى الانتصـار هنـا.. فالقـدرة الإلهيّـة طريقهـا الإخلاص. عليكم أنْ تخطـوا هـذه الخطـوة بـالإخلاص والتسـامح والوحدة والأخوّة، ولا يتحرّك أحدٌ لنيل السـلطة، وليتحـرّك الجميـع في سبيل الله، وأنْ تكون النيّـة للـه في كـلِّ عمـل، فـإنْ أضـحت الأمور هكذا، فإنّ الله تعالى سيُبارك هـذه الخطـوة ويجعلهـا على أفضل وجه)[1]

وبناء على هذا يـذكر أن الإخلاص هـو التريـاق الـذي تحـل بـه المشاكل، وتفتح به كل الأبواب، وتصـد بـه كـل الهجمـات، يقـول: (علاج كلِّ مشاكلنا هو الإخلاص. فإنْ كـان هنـاك إخلاص فسـتزول كلُّ الأمور الّتي تؤذي حالياً نظامنا ومجتمعنا، فالإخلاص في العمل سيؤدّي إلى تعميق الوحدة)[2]

وهو يـبين أن أعظم المكاسـب الـتي تحققت في إيـران بعـد الثورة ليس ذلك الوقوف في وجه أعدائها، ولا تحكمها في وضعها، وسيرها التصاعدي نحو التطور في جميع المجالات، وإنما في بنـاء الإنسان، وتوفير عنصر الإخلاص فيه، يقول: (لله الحمد، فإنّ نسبة كبيرة من هذه المعايير موجودة في بلدنا، ومن الأفضل أنْ نتطـوّر في هذا المجال، فالبلـد الّـذي يمتلـك هـذه الخصـائص، من طالبـه الجامعيّ إلى تاجره ومتنوّره وعالمه ودولته، وبهكـذا إيمـان ودافـع ووحدة، فلن تتمكّن لا أمريكا ولا عشر قـوى كأمريكـا أنْ تنـال من

---

[1] حديث الولاية، ج 6، ص 5.

[2] المرجع السابق، ج 5، ص 1990..

شعرة من رأس أحد أبنائه في مواجهتها وعدوانها على مثل هذا الشعب في ساحة السياسة الدوليّة)[1]

هذه بعض النماذج عن خطابات وبيانات قادة الثورة الإسلامية في دور الإخلاص في تحقيق جميع المكاسب الدنيوية والأخروية، وعلى جميع الأصعدة الشخصية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكل المجالات.

وهي تبين لنا قيمة وجود الولي الفقيه في الدولة، فهو لا يقوم فقط بدور المراقبة، ولا سن القوانين، ولا التحكم في المؤسسات المختلقة، وإنما يقوم قبل ذلك وبعده بدور الأب الناصح، والشيخ المربي، والداعية الهادي، وهي أدوار لا يمكن أن يقوم بها أي سياسي في الدنيا.

ولذلك فإن قيمة الولي الفقيه تتجاوز بكثير الدور السياسي، فهو ليس إلا جزءا بسيطا من وظائفه؛ فوظيفته الحقيقية هي الإشراف الكلي على كل ما في الدولة ابتداء من أفرادها بتربيتهم وتوجيههم وإصلاحهم، وانتهاء بالإشراف على كل المؤسسات بنصحها وتوجيهها وتقويم معوجها، وإصلاح فاسدها.

---

[1] () من بيانه بمناسبة اليوم العالميّ لمقاومة الاستكبار العالميّ (03/ 01/1996 م.

الفصل السابع

ولاية الفقيه.. والقيم الحضارية

مثلما رأينا الاختلاف الشديد في مفهوم الجمهورية، والحريـة، والأخوة، والمساواة، وغيرها من المفـاهيم في الفصـول السـابقة، بين رؤية نظام ولاية الفقيه، وغيره من الأنظمة؛ فسـنرى في هـذا الفصل نفس هذا الاختلاف في مفهوم الحضارة، والقيم المرتبطـة بها.

ذلك أن نظام ولاية الفقيه، يحاول الجمع بين المادة والــروح، وبين الدين والحياة، وبين الفرد والمجتمـع، بخلاف سـائر الأنظمـة التي تركز على المادة المجردة عن الروح، أو الحياة المجـردة عن الـدين، أو الفـرد المجـرد عن المجتمـع، أو المجتمـع المجـرد عن الفرد.

ولهذا نلاحظ التنافر الشـديد بين النظـام الإيـراني، والأنظمـة الغربيـة؛ فلا هـو يتقبلهـا، ولا هي تتقبلـه، بـل إنهـا لا تكتفي بعـدم تقبله، وإنما تستعمل كل الوسائل لحربه وتشويهه، وتسـتعمل كـل أدواتها لتحقيق ذلك، لاعتقادها أن انتشار نموذجـه سيقضـي عليهـا تماما، لأنه يمسك بكل ما تحن إليه البشـرية من قيم، من غـير أن يفرط في مكتسبات الحضارة الحديثة.

وهو كذلك يستعمل الوسائل التي تعود عليهـا لإقنـاع جمـاهير شعبه، أو المقتنعين بمبادئـه، بـأن هـذه الحضـارة حضـارة عرجـاء عمياء، تتكئ على المادة وحدها، وتهمل الروح، ولذلك لا يمكن أن يرجى منهـا خـير، ولا يمكن أن تتشـرف بتخليص البشـرية، وكيـف تخلصها، وهي نفسها تحتاج إلى من يخلصها.

وقـد أشـار إلى هـذه المعـاني السـيد علي الخـامنئي، فقـال: (دعوتنا هي إيجاد حضارة تستند إلى المعنويات، وتعتمـد على اللـه وعلى الوحي الإلهي، وعلى التعليم الربّـاني والهدايـة الإلهيـة. فلـو استطاعت الشـعوب الإسـلامية اليـوم ـ حيث إن الكثـير من هـذه

الشعوب بحمد الله استيقظ ونهض ــ أن تؤسّس مثل هذه الحضارة، فإنّ البشرية ستصبح سعيدةً. وهذا ما تدعو إليه الجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية. إنّنا بصدد مثل هذه الحضارة)[1]

وهو يذكر دائما أن من أهداف الثورة الإسلامية الكبرى تحقيق الحضارة الإسلامية بصيغة جديد في الواقع، متوافقة مع الإسلام المحمدي الأصيل، لتكون نموذجا للبشرية، يدلها على الهداية، ويخلصها من آفات الحضارة الغربية، يقول: (لو أخذنا التقدّم من جميع الأبعاد بمعنى بناء الحضارة الإسلاميّة الجديدة ـ ففي النهاية يوجد مصداقٌ عينيّ وخارجيّ للتقدّم وفق المفهوم الإسلاميّ ــ هنا سنقول إنّ هدف شعب إيران، وهدف الثّورة الإسلاميّة، هو عبارة عن إيجاد حضارة إسلاميّة جديدة)[2]

ويبين المرتكزات التي تقوم عليها هذه الحضارة الجديدة، فيذكر أنها تقوم على ركيزتين[3]:

أولاهما: تتعلّق بالأداة والوسيلة، ويقصد منها (تلك القيم التي نطرحها اليوم تحت عنوان تطوّر البلد: العلم، والاختراع، والصّناعة، والسياسة، والاقتصاد، والاقتدار السياسيّ والعسكريّ، والشأنيّة الدولية، والإعلام وأدواته، فكلّ ذلك هو من قسم أداة الحضارة ووسيلتها) [4]

وهو يذكر أن إيران لم تقصر في تطورها في هذه الجوانب، بحسب الوسائل والزمن المتاح، يقول: (لقد أُنجزت أعمالٌ كثيرة وجيّدة، سواء في المجال السياسيّ أو العلميّ أو القضايا

1() خطابات الخامنئي 2012، ص247.

2() المرجع السابق، ص494.

3() المرجع السابق، ص494.

4() المرجع السابق، ص494.

الاجتماعيّة، وفي مجال الاختراعات، وما شابه إلى ما شاء الله على مستوى البلد ككل. ففي هذا القسم المتعلّق بالأداة والوسيلة، حصل تطوّرٌ جيّدٌ في البلاد بالرغم من كلّ الضغوط والحظر وأمثاله) [1]

وثانيهما: تتعلق بالمضمون والأساس والأصل، ويعتبرها الركيزة الحقيقية للحضارة، فيقول: (أمّا القسم الحقيقيّ فهو تلك الأمور التي تشكّل مضمون حياتنا، وهو نمط الحياة الّتي تحدّثنا عنه. فهذا هو القسم الحقيقيّ والأساسيّ للحضارة، كقضيّة الأسرة، ونمط الزواج، ونوع المسكن واللباس ونمط الاستهلاك، ونوعيّة الغذاء والطبخ والترفيه، ومسألة الخطّ، واللغة، وقضيّة التكسّب والعمل، وسلوكنا في محلّ العمل والجامعة وفي المدرسة، وفي النشاط السياسيّ وفي الرياضة، وفي الإعلام الخاضع لإرادتنا، وفي سلوكنا مع الأب والأم، ومع الزوج والأبناء ومع الرئيس والمرؤوس والشرطة والعامل الحكوميّ، وفي أسفارنا ونظافتنا وطهارتنا وسلوكنا مع الصديق والعدوّ والأجنبيّ، فكلّ هذه ترتبط بالقسم الأساسيّ للحضارة التي تمثّل صلب حياة الإنسان) [2]

وهو يذكر أن أحكام الشريعة تنطوي على كل ما يرتبط بهذا القسم، وتفي به، وبكل ما يحتاجه من تفاصيل، يقول: (إنّ الحضارة الإسلاميّة الجديدة ـ ذاك الشيء الذي نريد التطرّق إليه ـ في قسمها الأساسيّ تتشكّل من هذه الأمور؛ فهذه هي المضامين الأساسيّة للحياة، وهذا هو الشيء الذي يُعبّر عنه في المصطلح الإسلاميّ بـ [العقل المُعاش[3]]؛ فالعقل المُعاش لا ينحصر بتحصيل المال وإنفاقه وكيفيّة تأمينه وصرفه، كلّا، فكلّ هذه

---

[1] () المرجع السابق، ص495.

[2] () المرجع السابق، ص495.

[3] () ويراد به: حسن التدبير وإتقان العمل والحكمة في ابتغاء الوسيلة والتصرّف وفق مقتضيات العقل والحكمة، كما رد في نهج البلاغة: أوحى الله إلى داود عليه السلام: (إذا رأيت عاقلاً فكن له خادماً)

السّاحة الواسعة التي ذُكرت تُعدّ من العقل المُعاش، وتوجد في كتبنا الروائيّة الأصيلة والمهمّة أبوابٌ تحت عنوان [كتاب العِشرة]، فكتاب العشرة يتناول هذه الأمور. وفي القرآن الكريم نفسه توجد آياتٌ كثيرة ناظرةٌ إلى هذه الأمور) [1]

وهو يستعمل الأساليب المعاصرة في شرح هذا المعنى، فيذكر أن هذا القسم يشبه قسم البرمجيّات (software) في عالم الكمبيوتر، أما القسم الأوّل، فيرتبط بالأجهزة والأدوات، وهو لذلك يشبه القسم الصلب فيها (hardware)

وبناء على هذا التشبيه المبسط والبليغ في نفس الوقت يذكر أن التحضر يقتضي كلا الركيزتين، وإن كانت حاجته إلى الركيزة الثانية أكبر، ذلك أنه ـ كما يذكر ـ (لو أنّنا لم نتقدّم في هذا القسم المتعلّق بمتن الحياة، فإنّ كلّ أنواع التطوّر التي حقّقناها في القسم الأوّل لا يمكنها أن تنقذنا، ولا يمكنها أن تمنحنا الأمن والطمأنينة النفسيّة، كما لاحظتم كيف أنّها لم تتمكّن من ذلك في الغرب. فهناك توجد الكآبة واليأس والإحباط والدمار الداخليّ وانعدام أمن الناس في المجتمع وفي الأسرة، واللاهدفيّة والعبثيّة بالرغم من وجود الثروة والقنبلة النوويّة والأنواع المختلفة للتطوّر العلميّ، والقوّة العسكريّة. فأساس القضيّة هو أن نتمكّن من إصلاح الحياة في جوهرها ومضمونها، وإصلاح هذا القسم الأساسيّ للحضارة) [2]

وهو على عكس ما أشاد به من تطور في الأساس المادي من الحضارة في إيران، يرى أن الأساس الثاني يحتاج إلى المزيد من الجهد، باعتباره أصعب الجوانب، وأهمها، يقول: (بالتأكيد، لم يكن تطوّرنا في الثورة في هذا المجال تطوّراً ملحوظاً؛ فلم يكن تحرّكنا في هذا المجال مشابهاً للتحرّك الّذي حصل في القسم

1() خطابات الخامنئي 2012، ص495.

2() المرجع السابق، ص495.

الأوّل، فلم نتطوّر) [1]

ولذلك يدعو إلى معالجة الأسباب والعقبات الـتي تحـول دون تحقيق الجانب الثاني؛ فيقول: (يجب علينا أن نحدّد الآفّات، فلماذا لم نتطوّر في هذا القسم؟ .. وبعد كشـف العلـل والأسـباب ننهض لتناول كيفيّة معالجة هذه الأمور. فعلى من تقع هذه المهـامّ؟ إنّهـا تقع على عاتق النخب ـ النخب الفكريّة والسياسيّة ـ وعلى عاتقكم وعلى عـاتق الشـباب. فلـو وُجـد في بيئتنـا الاجتماعيّـة الخطـاب الناظر إلى رفع الآفات في هذا المجال، يمكن الاطمئنـان إلى أنّنـا سنحقّق تقدّماً جيّداً في هذا القسم، بالنظر إلى النّشـاط الموجـود في نظـام الجمهوريّـة الإسـلاميّة وفي شـعب إيـران، والاسـتعداد الحاصل. حينها سيصبح تألّق شعب إيران وانتشار الفكر الإسـلاميّ لشعب إيران والثورة الإسـلاميّة الإيرانيّـة في العـالم أسـهل. يجب علينا أن نحدّد الآفات وبعدها نقوم بالعلاج) [2]

وبذلك فإن الحضارة ـ كما يتصورها قـادة الثـورة الإسـلامية ـ تقـوم على جنـاحين: جنـاح العلمـاء والبـاحثين والتقنـيين، وجنـاح الفقهاء والفلاسفة والمفكرين.. فكلاهما لـه دوره الكبـير في هـذه الحضارة.

والأمر يشبه في ذلك نظام الولي الفقيه نفسه، والذي يعتمـد على الحكومـــة الإلهيـــة، كمـــا يعتمـــد في نفس الـــوقت على الجمهورية، والقابلية الشعبية.

ويذكر الأصناف التي يمكن أن تؤدي دورها في رعاية الجـانب الروحي من الحضارة، فيقول: (النخب مسؤولون، وكذلك الحــوزة والجامعة والوسائل الإعلاميّة والمنابر المختلفة ومديرو الكثـير من الأجهزة، وخصوصاً الأجهزة العاملـة في المجـال الثقـافيّ والتربيـة والتعليم. وأولئـك الـذين يخطّطـون للجامعـات أو المـدارس في المجال التعليميّ هم مسؤولون في هذا المجال. والـذين يحـدّدون

[1] المرجع السابق، ص495.

[2] المرجع السابق، ص496.

المنــاهج التعليميّــة ومخططــات الكتب الدراســيّة، هم أيضــاً مسؤولون. فكـلّ هـذه تمثّـل مسـؤوليةً واحـدةً ملقـاة على عـاتق الجّميـع. يجب علينـا أن نسـتنفر جميعـاً ونعلي الصـوت. في هـذا المجال يجب علينا أن نعمل وأن نتحرّك) [1]

وردا على ما يذكره المغرضون الذين يريدون عزل الدين عن الحياة، وعزل القيم عن الحضارة، يـذكر أنـه لا يمكن أن تقـوم أي حضارة من دون أيديولوجيا، حتى لو كانت أيديولويجا مادية، يقول: (لا يوجد أيّ شعبٍ يـدعو إلى بنـاء حضـارة، يمكنـه أن يتحـرّك من دون أيـديولوجيّا. ولم يحـدث مثـل هـذا سـابقاً. لا يوجـد أيّ شـعبٍ يمكن أن يكون صانعاً للحضارة من دون أن يكون ممتلكاً لأيّ فكرٍ أو أيديولوجيّا أو مذهب. تلك الأمور التي تشـاهدونها اليـوم، والـتي أوجــدت الحضــارة المادّيــة في العــالم، إنّمــا تحقّقت من خلال الأيديولوجيّا، وقد صرّحوا بذلك وقالوا نحن شيوعيّون، وقــالوا نحن رأســماليّون، وقـالوا نحن نعتقـد بالاقتصـاد الرأسـماليّ، وطرحـوه واعتقدوا به وسـعوا نحـوه. بـالطبع لقـد تحمّلـوا المتـاعب ودفعـوا الأثمان. فدون امتلاك مذهب أو فكر أو إيمان، وبدون الســعي من أجله والإنفاق عليه، لا يمكن صناعة الحضارة)[2]

وبـذلك يـذكر أنـه على من يريـد أن يبـني حضـارة جديـدة أن يمتلـك قبـل ذلـك أيـديولوجيا صـحيحة وقويـة ومبتكـرة يمكنـه أن يجعلها أساسا لتحضره، ذلك أنه لا يمكن أن تقـوم حضـارة شـعب يعتمد على غيره، أو يقلد غيره تقليدا مـذلا، يقـول: (بـالطّبع، بعض الدّول مقلّدة، إذ أخذ من الغرب ومن صنّاع الحضارة المادّيّة شيئاً وشكّل حياته على أساسه. أجـل، إنّ هـؤلاء من الممكن أن يصـلوا إلى بعض أنــواع التقــدّم، وإلى تقــدّمٍ شــكليّ وســطحيّ، ولكنّهم مقلّـدون وليسـوا صـنّاع حضـارة، فهم فاقـدون للجـذور وعرضـةً للآفـات. فلـو حصـل إعصـارٌ مـا فـإنّهم سـيزولون لأنّهم فاقـدون للجذور. وبالإضـافة إلى أنّهم بنـوا أعمـالهم على التقليـد، والتقليـد

[1] المرجع السابق، ص496.

[2] المرجع السابق، ص499.

سيطيح بهم، فهم سينالون، بعض منافع الحضـارة المادّيّـة الغربيّـة دون أن يكون الكثير منها من نصيبهم، لكنّ جميع آفاتها وأضــرارها ستكون من نصيبهم. أنـا لا أريـد أن آتي على ذكـر أسـماء الـدول. هناك بعض الدول التي يطرحها بعض مثقّفينـا كنمـاذج تُحتـذى في النموّ الاقتصاديّ في كلماتهم وكتاباتهم. أجل، من الممكن أنّهم قد حصلوا على صناعة، وحقّقوا تقدّما في مجـالٍ مـاديّ أو في مجـالٍ علميٍّ وصناعيّ، لكنّهم مقلّدون أوّلاً، وقـد وُسـمت جبـاههم بمذلّـة التقليد وشينه. وبالإضافة إلى هذا، فإنّهم يعـانون من جميـع آفـات الحضارة الماديّة للغـرب، ولكنّهم فاقـدون لأكـثر منافعهـا. واليـوم نـرى الحضـارة الماديّـة الغربيّـة تظهـر مـا أوجدتـه من مشـاكل للبشريّة ولأتباعها)[1]

وهو يقصد بهذا أولئك الـذين ينفـرون من الـدين، ويتصـورون أنه حجاب دون تحقيق الحضارة، أو يختصرون دورهم في الشؤون البسيطة التي لا علاقـة لهـا بالحيـاة، يقـول: (في يومنـا هـذا وفي البيئات الثقافيّة، يوجـد أشـخاصٌ يحـذّروننا من الشـعارات الدينيّـة بأشــكالٍ وطــرق مختلفــة، ويشــكّكون بمرحلــة ذروة الشــعارات الدينيّة التي حصلت في السـنوات العشـر الـتي تلت الثـورة، وهم اليوم يوهمون أنفسهم بشأن تكرار الشعارات الدينيّة والشّــعارات الثوريّـة والإسـلاميّة، ويريـدون أن يلقـوا هـذه الأوهـام في قلـوب الآخـرين ويقولـون: أيّهـا السـيّد إنّ هـذا مكلـفٌ وموجـعٌ للـرأس، ويستتبع الحظر والتهديدات. وإذا أحسـنا الظّنّ بهم، نقـول إنّهم لم يطالعوا التاريخ؛ فلو كانوا قد قرأوا التّاريخ، واطّلعوا على ما جـرى وما بدأت به الحضارات وانطلقت منه، ومنها هذه الحضارة الماديّة الغربيّة التي تريد اليوم أن تسيطر على العالم، لما قالوا مثل هذه الكلام)[2]

وهو يحذر هؤلاء الدعاة التنويريـون أو الحـداثيون من الآفـات الـتي تعترضـهم، وتعـترض هـذا الصـنف المشـوه من الحضـارة؛

---

(1) المرجع السابق، ص499.

(2) المرجع السابق، ص500.

فيقول: (إنّ المجتمع دون مبادئ ودون مـذهب ودون إيمـان يمكن أن يصل إلى الثروة والقدرة، لكنّه عندما يبلغهما فإنّه يصبح حيواناً شبعانَ ومقتدراً. وإنّ قيمـة الإنسـان الجـائع هي أهمّ من الحيـوان الشبعان؛ فالإسلام لا يريد هذا، الإسلام يؤيّـد الإنسـان الـذي يحـوز على أمور وهو مقتدر وهو شاكرٌ وعبدٌ لله، فيمـرّغ جبهـة العبوديّـة بالتراب. الإنسانيّة والاقتدار والعبوديّة لله، هذا مـا يريـده الإسـلام. يريد أن يصنع إنساناً، ويوجد أنموذجاً لصناعة الإنسان) [1]

وهو يذكرهم بالعولمة التي تمارسـها الحضـارة الغربيـة الـتي يـدعون إليهـا؛ فهي تسـتعمل كـل الوسـائل للقضـاء على هويـات الشعوب، وتخليصـها من القيم الـتي تحكمهـا، وأحسـن مثـال على ذلك ـ كما يذكر ـ هو ما حصل للشـعوب الـتي رضـيت لنفسـها أن تصير تابعة ذليلة للغرب، يقول: (إنّ تقليـد الغـرب بالنّسـبة للـدّول التي استحسنت هذا التقليد لنفسـها وعملت بـه، لم يعـد عليهـا إلّا بالضرر والفاجعة، بما في ذلك الدّول التي وصلت بحسب الظـاهر إلى الصناعات والاختراعات والثروة لكنّها كـانت مقلّـدة. والسـبب هو أنّ ثقافة الغـرب هي ثقافـة هجوميّـة. هـذه الثقافـة هي ثقافـةٌ لإبـادة الثقافـات. فأينمـا جـاء الغربيّـون أبـادوا الثقافـات المحلّيّـة، واجتثّـوا الأسـس الاجتماعيّـة، وغيّـروا تـاريخ الشـعوب ولغاتهـا وحروفها (خطوطها) ما استطاعوا) [2]

وهو يضرب المثل على ذلك بمـا فعلـه الإنكلـيز الـذين حيثمـا حلوا (بدّلوا لغة الناس المحليّـة إلى الإنكليزيّـة، وإذا وُجـدت اللغـة المناسـبة، فـإنّهم كـانوا يجتثّونهـا من الجـذور. ففي شـبه القـارّة الهنديّة كانت اللغة الفارسيّة هي اللغة الرسميّة لعدّة قـرون.. إلى أن جاء الإنكليز ومنعوا اللغة الفارسـيّة بـالقوّة في الهنـد، وروّجـوا للغة الإنكليزية) [3]

1() المرجع السابق، ص501.

2() المرجع السابق، ص501.

وهكذا ـ كما يـذكر ــ فعـل الفرنسـيّون حين راحـوا هم أيضـاً يفرضــون اللغــة الفرنســيّة في كــلّ الــدول الــتي كــانت تحت استعمارهم، ومثلهم البرتغاليّون والهولنديّون والإسبانيّون، (فأينمـا ذهبوا فرضوا لغاتهم، وهـذا مـا يمكن تسـميته بالثقافـة الهجوميّـة. لهذا، فإنّ ثقافة الغرب هجوميّـة، أينمـا اسـتطاعوا، اجتثّـوا أسـس الثقافات والعقائد) [1]

وهي بالإضــافة إلى هجومياتهــا وهيمنتهــا واجتثاثهــا لهويــات الشعوب، حضارة ماديـة، (تجعـل الأذهـان والأفكـار مادّيّـة، وتنمّي النزعــة المادّيــة، وتجعــل المــال والــثروة هــدف الحيــاة، وتجتث المبادئ السامية والقيم المعنويّة والرقيّ الروحيّ من الأذهان)[2]

ونتيجة لذلك لا تراعي هذه الحضارة القيم الدينية والأخلاقيـة، فهي ــ كمـا يـذكر ــ تجعـل (المعصـيّة أمـراً عاديّـاً، وكـذلك الآثـام الجنسيّة، وقد جلب هذا الوضـع في يومنـا هـذا العـار للغـرب، في البداية، كان الأمر في إنكلترا، ثمّ انتقـل إلى بعض الـدّول الأخـرى وأمريكـا. فأصـبحت هـذه المعصـية الكـبرى المتعلّقــة بالشــذوذ الجنسيّ قيمةً، ويتمّ الاعتراض على السياسيّ الفلانيّ لأنّه يخــالف الشــذوذ أو يعــارض الشــاذّين! انظــروا إلى أين يصــل الانحطــاط الأخلاقيّ، هـذه هي الثقافـة الغربيّـة. كـذلك هنـاك تفكّـك الأسـرة وانتشار المشروبات الكحوليّة والمخدّرات) [3]

بناء على هذا، نحـاول في هـذا الفصـل ومن خلال مـا طرحـه قــادة الثــورة الإســلامية التعــرف على القيم الــتي تقــوم عليهــا الحضارة الجديدة التي دعوا إليها، وذلـك في المجـالات السياسـية والاقتصادية والتربويـة والعلميـة والفنيـة، باعتبارهـا أهم المجـالات

3() المرجع السابق، ص502.

1() المرجع السابق، ص502.

2() المرجع السابق، ص504.

3() المرجع السابق، ص505.

التي تظهر فيها القيم الحضارية.

أولا ـ الجانب السياسي وقيم الحضارة:

رأينا في الفصول السابقة تصورات النظـام الإيـراني للجـانب السياسي، ومدى استقلاليتها وتفردهـا عن كـل أنظمـة العـالم في القديم والحديث؛ فهي تمزج بين الحاكميـة الإلهيـة مـع الجمهوريـة والقابلية الشـعبية، وتمـزج بين الـدعوة للحريـة، في نفس الـوقت الذي تدعو فيه إلى الانضباط والمسؤولية، وهكذا في كل الشؤون نرى تفردها وتميزها وإبداعها، وهو أساس من الأسس الـتي تقـوم عليها الحضارة، فالحضارة إبداع لا تقليد، ولا تبعية.

وبالإضافة إلى ذلك كله؛ فإن أهم القيم الحضارية الـتي تحكم الجـانب السياسـي لـدى النظـام الإيـراني هي العدالـة، ذلـك أن العدالة بحسب ما تدل عليه النصوص المقدسة هي أساس الحكم، كما قال تعالى مخاطبـا داود عليـه السـلام: ﴿ يَـادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَـوَى فَيُضِـلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: 26]

ولهذا نرى قادة الثورة الإسلامية يركزون في خطابـاتهم على ضرورة العدل في كل المجالات، بـل يـدعون شـعبهم إلى مراقبـة كـل حركـة وقـانون، ومحاسـبة من يمـارس أي جـور أثنـاء أدائـه لصلاحياته.

ونحب في هذا المقام أن نقتبس بعض الأفكار والنصوص من محاضـرة قيمـة لمرشـد الثـورة الإسـلامية الحـالي السـيد علي الخـامنئي ألقاهـا في الملتقى الثـاني للأفكـار الإسـتراتيجية، عـام 1431 هــ، والـتي اسـتهلها بـذكر مـدى اهتمـام الأديـان والنخبـة المفكرة بالعدالة؛ فقال: (إحدى هذه النقاط أنّ العدالة كانت همّـاً دائماً للبشر عبر التاريخ. ونتيجة الشعور بالحاجة إلى العدالة الــتي عمت جميع الناس على مرّ التاريخ وإلى يومنـا هـذا، دخـل مفكّـرو البشـرية والفلاسـفة والحكمـاء في هـذه المقولـة وأضـحت مـورد اهتمامهم. لهذا تمّ البحث بشـأن العدالـة والعدالـة الاجتماعيـة من

الأزمنـة القديمـة وإلى يومنـا هـذا بهـذا المعـنى العـام، وقُـدّمت النظريات، لكنّ دور الأديـان كـان دوراً اسـتثنائياً. أي أنّ مـا ذكرتـه الأديان عبر الأزمنة حول العدالة وأرادتـه واهتمّت بـه كـان منقطـع النظير واستثنائياً. ومثل هذا الاهتمام الذي أولته الأديان لا نشاهده في آراء الحكماء والعلماء)[1]

وهو يبين نتيجة لذلك أن العدالة هـدف الأديـان النهـائي، على خلاف ما يعتقد دعـاة العلمانيـة من اقتصـار الأديـان على الشـعائر التعبدية، والشؤون الشخصية، يقول معلقا على قوله تعالى: ﴿لَقَـدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُـومَ النَّاسُ بِالْقِسْـطِ ﴾ [الحديـد: 25]: (من المؤكَّـد أنّ هـذه الآيـة تحكم بـأنّ هـدف إرسـال الرسـل وإنـزال الكتب ومجيء البيّنـات هـو القيـام بالقسـط؛ ولا شـكّ بـأنّ القيـام بالقسـط وكـلّ مـا يتعلّـق بالحيـاة الدنيوية والاجتماعيـة والفرديـة للنّـاس، هـو مقدّمـة لـذاك الهـدف المتعلّق بالخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، أي العبودية، أي هـدف الخلقـة صـيرورة الإنسـان عبـداً للـه، حيث إنّ هذه العبودية نفسها تُعدّ أعلى الكمالات. إلاّ أنّـه للوصـول إلى ذاك الهدف، الذي هو هدف النبـوّات وإرسـال الرّسـل، يحتـاج إلى العدالة وبناء النظام) [2]

ويسـتدل لهـذا بكـون الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام ــ كمـا يصـورهم القـرآن الكـريم ــ كـانوا دائمـا في صـف المستضـعفين والمظلــومين، بخلاف أعــدائهم الــذين كــانوا من الطــواغيت والمترفين والملأ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَـةٍ مِنْ نَـذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: 34]، وقد علــق عليهـا الخـامنئي بقولـه: (فمـا نجـد من نـبيٍّ إلا وكـان في مقابلـه مُترَفون وكان النبيّ يُحاربهم، وهكذا كان حال الممسكين بالقــدرة وأصحاب السلطة. والطاغوت له معنى يشمل جميـع هـؤلاء. لهـذا فإنّ الأنبياء كانوا دائماً إلى جانب المظلوم في الصراع بين الظالم

---

[1] () خطابات الخامنئي 2011، ص151.

[2] () المرجع السابق، ص151.

والمظلوم؛ فكانوا ينزلون إلى الميدان من أجل العدالة ويُحـاربون؛ وهذا ما لا نظير له) [1]

ويقارن بين الدور الذي قـام بـه الأنبيـاء وورثتهم في الـدعوة للعدالة، والدور الذي قام به الفلاسفة والمفكـرون، ويـرى أن دور الفلاسـفة والمفكـرين أحقـر بكثـير، ذلـك أن الأنبيـاء وورثتهم لم يكتفوا بالكلام، وإنما نزلـوا للميـدان، وضـحوا بأنفسـهم في سـبيل ذلـك، بخلاف غـيرهم، يقـول: لقـد تحـدّث الحكمـاء عن العدالـة، ولكنّهم في أوقات كثيرة كانوا مثل كثير من المفكّـرين المختلفين الذين يكتفون بالكلام ولكنّهم لا يـنزلون إلى الميـدان عنـدما يحين دور العمـل. وقـد شـاهدنا مثـل هـذا في مرحلـة المواجهـة [ضـد الشاه] وأيضا شاهدناه بعد ذلك في مرحلة الدفاع المقدّس. وهـذا مـا نشـاهده تقريبـاً اليـوم أيضـاً. لم يكن الأنبيـاء هكـذا، بـل كـانوا يـنزلون إلى الميـدان ويُعرّضـون أنفسـهم للخطـر، حـتى أنّـه في الوقت الذي كانوا يقولون لهم لمـاذا تقفـون إلى جـانب الطبقـات المظلومة، انفَصِلُوا عنهم؛ كان الأنبياء يواجهونهم. فالآية الشريفة، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَـا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 31] تتحدّث عن جواب النبي نوح لمعارضيه هي في هذا المجال أيضاً. لذا، فأولئـك الـذين كانوا محرومين من العدالة كانوا أوّل من يُؤمن بالأنبياء أيضاً) [2]

وما ذكره الخامنئي هو نفس ما ذكره الخميني عنـد رده على الذين صوروا الثورة الإسلامية أنها ثار قام بها الشـيوعيون وحصـد ثمارها الإسلاميون، أو قولهم بأن الـدين أفيـون الشـعوب، ولـذلك كانت مواجهتة للشيوعية لا تقل عن مواجهته للرأسمالية.

ومن أقواله في ذلك: (إن شبابنا يُخدعون بصورة عفوية دون الالتفات إلى ما يقوله هؤلاء وما هو هدف المدرسة الشيوعية التي يعرفونها مثلًا! أن هدف هؤلاء إظهار الإسـلام والمسـلمين بصـورة يرتد بها الشباب عن الإسلام! يظهرون الإسلام وكأنه جاء لسيطرة

[1] المرجع السابق، ص152.

[2] المرجع السابق، ص153.

الأعيان والاشراف على رقاب الناس دون أن يعترضوا، والحق لهم فهم لم يقرؤوا القرآن ليدركوا لماذا جاء الإسلام، ذلك أن الحجم الكبير من آيات القتال الواردة يشير إلى أن الإسلام قد أعلن حربه ضد هؤلاء الرأسماليين والأعيان والملوك والسلاطين، لا أنه سايرهم ليسلبوا الناس)[1]

وراح يذكر الأمثلة الكثيرة التي اتفق على تدوينها المؤرخون؛ فقال: (لقد كان نبي الإسلام وأئمته وعلماؤه دائماً في نزاع مع سلاطين عصرهم، إن الذين كانوا ملوكاً باسم الخلفاء سجنوا الامام موسى بن جعفر عشر سنين أو خمس عشرة سنة، لماذا؟ هل لأنه كان يصلي؟! لقد كان هارون والمأمون يصليان أيضاً، وكانا يؤمّان صلاة الجمعة والجماعة! فهل قبضوا عليه لأنه من أحفاد النبي أو لأنه إمام؟! هل القضية هذه؟! كلّا، بل لأن الامام موسى بن جعفر كان يخالف ذلك النظام الطاغوتي! وكانت معارضته له سبباً لمشاكله) [2]

وهكذا يذكر الكثير من الثورات التي حصلت في التاريخ، والتي قام بها العلماء والصالحون، والذين لم يقرأ عنهم الشيوعيون، ولم يعرفوا التضحيات التي قدموها، يقول: (كما لدينا في عصرنا عدة ثورات قام بها العلماء. العلماء الذين يتحدث عنهم اليساريون والمنحرفو بأنهم أعوان البلاط! ولا غرابة في ذلك فهم لم يدرسوا، وليست آذانهم مفتوحة ليعلموا كم مرة ثار علماء الإسلام في عهد رضا شاه وعهد محمد رضا شاه، حيث كان يجتمع علماء أصفهان وآذربيجان ومشهد وقم ويُعلنون اعتراضهم، فهل كان أولئك من أعوان البلاط؟!)[3]

وهو يذكر أن أمثال هذه الدعايات التي تصور العلماء بصورة

1() صحيفة الإمام، ج4، ص: 69.

2() صحيفة الإمام، ج4، ص: 69.

3() المرجع السابق، ج4، ص: 70.

المخدرين للشعوب، والتي تعتمد على أفـراد محـدودين منحـرفين عن الدين الصحيح دعايات مغرضة الهدف منها إبعـاد الإسـلام عن الحكم بحجـة منافاتـه للعدالـة، وهـو يخـاطب هـؤلاء بالـدعوة إلى الرجوع إلى مصادر الدين وممثليه الحقيقيين، يقول: (انظـروا إلى زعماء هذه المدارس الفكرية، فكيف كان يعيش الرسول ﷺ الذي جاء بهذه المدرسة؟! وكيف كان يعيش أمير المؤمنين علي خليفـة الرسـول ﷺ الحـق؟! شـاهدوا حياتـه كيـف كـانت بـالرغم من أن حكومته كانت تشمل رقعة واسعة تعادل عدة أضـعاف إيـران، من الحجاز إلى أقصى إفريقيا! وكيف كان يقضي يومه وكيف كان ليله وكيف كانت عبادته، وكيـف كـانت رعايتـه للنـاس وكيـف كـان مـع الضعفاء؟! كان يحزن إذا ما أكل هو خبز الشعير خشـية أن يكـون هناك شخص على الحدود، وفي اليمامة، ليس لديه من الطعام ما يكفيه!)[1]

ويقارن هذه المواقف بما عليه حال زعمـاء الشـيوعية الـذين يكذبون على الناس حين يصورون أنفسهم دعاة للعدالـة؛ فيقـول: (إن هؤلاء الرؤساء الذين خدعوكم مُتخمون من كثرة الأكل! فذلك قائـد الصـين الـذي يـدعّي الشـيوعيون أنـه محبّ للإنسـان وقائـد الجماهير! حينما دخل إيران قـد مـرّ فـوق جمـاجم النـاس وأشـلاء قتلانا! فالشاه لم يتمكن من السير معه في الشوارع لايصـاله إلى محــل اقامتــه، لان الجمــاهير لم يســمحوا لــه بــالمرور وســط تظاهراتهم وهتافاتهم الموت لفلان. لذا اضطر إلى نقله بالمروحية إلى محل اقامته. فمثل هذا الشخص الـذي يقـول: إننـا شـيوعيون وإننا نفعل للجماهير كذا وكـذا، يـرى كـل هـذه الافـواج من القتلى غير أنه يتجاهل ذلك ويأتي ويضع يده بيد الشاه)[2]

ويذكر بعض مـا عايشـه من خـداع الشـيوعيين؛ فيقـول: (مـا زلت اتذكر جيداً عندما جاء رؤسـاء الحلفـاء إلى ايـران، فقـد جـاء تشرشل بسـيارته ووصـل روزفلت في مراسـم اعتياديـة، غـير أن

1() المرجع السابق، ج4، ص: 70.

2() المرجع السابق، ج4، ص: 70.

ستالين جاء ببقرته كي لا يشرب حليباً غير حليبها، هذا الـذي يـأتي ببقرتـه كـانت جيوشـه منتشـرة في المنـاطق الايرانيـة المحاذيـة للاتحاد السـوفيتي، وقـد رأيت بنفسـي في الطريـق إلى خراسـان كيـف أن جنـوده كـانوا يـأتون ويسـتجدون السـجارة، وكيـف أن وضعهم كان مزري للغاية) [1]

ويخاطب المتأثرين بالشيوعية، والـذين تصـوروا أنهـا تطـالب حقيقة بالعدالـة قـائلا: (أشـهد اللـه أنهم يخـدعونكم! إنهم خـدعوا أبناءنا الذين جاءوا إلى الخارج، أن أولئـك الافـراد الـذين يعيشـون في إيران وأكـثر الـذين يعيشـون هنـا ليسـوا بشـيوعيين، إنهم من رجال الأمن، ولذلك رفعـوا شـعارات شـيوعية في مقـبرة بهشـت زهراء، وكشفهم الناس، وقـالوا لهم أنتم جئتم من الأمن إلى هنـا، فطـردوهم، يريـدون ارسـال جماعـة من هـؤلاء المـوظفين إلى الجامعة أيضاً، ليرفعوا الشعارات الشيوعية ويرعبوا النـاس! حـتى يقولـوا إذا ذهب (صـاحب الجلالـة) ستضـطرب الـدنيا بعـد ذلـك! وتصبح إيران شيوعية! كلا، فإذا ذهب سيتحسن وضع إيران تحسناً كبيراً، ويكـون قـد ذهب من كـان مسـيئاً لإيـران، وإيـران تسـتطيع إدارة نفسها بنفسها!) [2]

وبنـاء على هـذا يصـر جميـع قـادة الثـورة الإسـلامية على أن القائمين الحقيقيين بـالثورة في إيـران هم الإسـلاميون، وذلـك ردا على ما كان ينشره المغرضون ولا زالوا عن كون الثـورة الإيرانيـة كانت شيوعية، تلاعب بها الإسلاميون، وحولوها إلى صفهم.

يقول الخميـني في خطـاب طويـل في بدايـة انتصـار الثـورة الإسلامية محذرا من تسـلل الشـيوعيين وغـيرهم إليهـا، ليحرفوهـا عن مسـارها: (إن العلامـة الـتي تعرفـون بهـا الخـارجين عن مسيركم، الخارجين عن مسير هذا الشعب الذي ضحى في سـبيل الإسلام، هو أن تلاحظوا هؤلاء الذين قدموا دماءهم، شـبابنا الـذين نزلوا إلى الشوارع ونسـاءنا اللاتي نـزلن إلى الشـوارع وتظـاهروا

[1]() المرجع السابق، ج4، ص: 70.

[2]() المرجع السابق، ج4، ص: 70.

وقضوا بقبضاتهم المحكمة على هذا العدو القوي. لابد من ملاحظة هؤلاء وأنهم هل كانوا ديمقراطيين؟ هل كان مذهبهم وطريقهم ديمقراطياً؟ هل كانوا يريدون جمهورية مثل الجمهورية التي يريدها الاتحاد السوفييتي؟ هل كانوا يتطلعون إلى الجمهورية التي تريدها سائر الدول المعادية لنا؟ أمريكا جمهورية أيضاً. أن شعبنا الذي بذل دمه ونادى (الله أكبر)، ونادى (الجمهورية الإسلامية)، فهل هذه التضحية والفداء وبذل الدماء كانت بوحي في الإسلام، أم أن الأهداف التي يسعى إليها الاتحاد السوفييتي كانت هي الدافع؟ أم أن الذي دفعه لذلك هي تلك الأهداف التي تسعى إليها أمريكا؟ أم كانت أهداف إسرائيل هي المحرك؟ فهذه أيضاً جمهوريات)[1]

وذكر أن أهداف الثورة كانت واضحة منذ البداية، وأنها لم تتلاعب، ولم تخادع أحدا، قال: (لقد أعلنت منذ البداية ورفعت صوتي بأننا نريدهاتين الكلمتين (الجمهورية الإسلامية)، إذا رأيتم أنهم قد أضافوا كلمة أخرى فاعلموا أن مسيرهم مخالف لمسيركم. حتى ولو وضعوا إلى جانبها كلمة الإسلامية فإنهم يريدون خداعكم. وإذا رأيتم أنهم قد أسقطوا كلمة وقالوا (الجمهورية) فاعلموا أن مسيرهم مخالف لمسيركم، إنهم يريدون استدراجكم إلى ما يخالف الإسلام. حتى لو فرضنا أنهم معارضين للنظام السابق ــ وأكثرهم كذلك ــ ولكن هدفنا لم يكن مجرد القضاء على النظام السابق. ليس هدف المسلم القضاء على الطائفة الفلانية مثلًا. لقد عارضنا النظام لأنه كان حائلًا دون تحقق الإسلام، دون تحقق أحكام الإسلام، دون العمل بالقرآن. لو أن النظام كان يعمل بأحكام الإسلام، لما كان هناك نزاع بيننا.. لقد بُذلت تلك الدماء لا من أجل القضاء على النظام فحسب وإنما من أجل تطبيق الإسلام. أن الهدف من إزالة الأنظمة الفاسدة، وقطع أيدي الأعداء هو أن تصبح إيران دولة إسلامية، حكومة إسلامية، وأن تكون سياساتها سياسة إسلامية. لو كان الهدف ينحصر فقط في إزالة الحكومة والنظام السابق ومجيء نظام آخر غير إسلامي، لكانت دماء شبابنا قد ذهبت هدراً. لأننا نكون نحن الذين

---

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 328.

قمنا بهذه الثورة وحطمنا هذا السد، فيما جاء الآخرون وحصدوا ثمار تضحيات أبناء شعبنا)[1]

ثم يصرح بقوة، بأن كل من ينادي بشعار غير شعار الإسلام، أو بعدالة غير عدالة الإسلام، فهو معاد للثورة الإسلامية، يقول: (إن عدونا لم يتمثل في محمد رضا خان فحسب، بل إن كل من لم يكن مسيره مسير الإسلام فهو عدو لنا مهما كان اسمه. كل من يطالب بالجمهورية بمعزل عن الإسلام فهو عدو لنا لأنه عدو للإسلام. كل من يضع إلى جانب الجمهورية الإسلامية كلمة الديمقراطية فهو عدولنا. كل من ينادي بالجمهورية الديمقراطية فهو عدولنا، لأنه لا يريد الإسلام. إننا نريد الإسلام. لقد قدّمنا كل هذه التضحيات، وخاض شبابنا كل هذا الصراع وتحملوا المتاعب والآلام وبذلوا الدماء، لأنهم ينشدون الإسلام. إن الذي دفع بهذه الثورة إلى الأمام هو ذاك الذي كان يقول: إنني أرى الشهادة فوزاً عظيماً. هل كان يرى الشهاة فوزاً للديمقراطية؟ هل يرى الإنسان الشهادة فوزاً لليسار أو لليمين؟ هل كان شبابنا يطالبون بالجمهورية على نسق ما موجود في الاتحاد السوفييتي، هل كانوا ينشدون الجمهورية التي يريدها الشيوعيون ولذلك كانوا ينادون بها تبعاً لهم؟! هل قدّمنا الدماء من أجل تلك الجمهورية؟! هل بذلنا الدماء من أجل جمهورية غربية؟! لقد بذلنا الدماء من أجل الإسلام. بذل شبابنا الدماء من أجل الإسلام. أنتم أيها الشباب الذين قدمتم من مكان بعيد، تجشمتم عناء السفر وجئتم إلى هنا، هل جئتم لتلتقوا مع ديمقراطي؟! لتلتقوا مع من يميل إلى الاتحاد السوفييتي؟! لتلتقوا مع أمريكي؟! بريطاني؟! أم جئتم لتلتقوا مع المسلم؟ لتلتقوا مع من يدعو إلى الإسلام؟ تحملتم كل هذه المشقة لتلتقوا مع روسي؟! لتلتقوا مع بريطاني؟! لتلتقوا مع ألماني؟! إنكم لم تأتوا إلى هنا من أجل ذلك، لقد جئتم إلى شخص تكون آلامه آلامكم. إننا جميعاً ننشد الإسلام. لابد من الانتباه إلى ذلك والتعرف على علائمه التي ذكرتها. مايريده هو ماتريدونه. يجب أن تعرفوه، وعلامته هي هذه التي ذكرتها)[2]

---

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 329.

وهكـذا كـانت القيم الإسـلامية في المجـال السياسـي هي الحاكمة منذ البداية على مسيرة الثورة الإسلامية وتصوراتها، فهي لم تخلط معها لا شرقا ولا غربا، ولم تتبن أي فكر يكون منافسا أو بديلا عن الفكر الإسلامي الأصـيل، يقـول الخميـني: (إن مسـيرهم غير مسيرنا. إن مسيرنا الإسلام، إننـا نريـد الإسـلام. فنحن لانريـد الحرية التي لا إسلام فيهـا. إننـا لا نريـد الإسـتقلال الـذي لا إسـلام فيه، إننا نريد الإسلام. إننـا نريـد الحريـة في ظـل الإسـلام، ونريـد الاستقلال في ظل الإسلام. ماذا تفيدنا الحرية والاستقلال إذا كانتا بمعزل عن الإسلام؟ عندما لا يكـون الإسـلام مطروحـاً، وعنـدما لا يكـون نـبي الإسـلام مطروحـاً، عنـدما لا يكـون قـرآن الإسـلام مطروحاً، فلو كان هناك ألف لون للحرية فإننـا لا نريـدها، فالـدول الأخرى عندها حريات أيضاً)[1]

ويقـول محـذرا: (إنهم يريـدون تأسـيس دولـة غربيـة لكم فتكونون أحراراً وتكونون مسـتقلين أيضـاً، ولكن على أن لا يكـون الله مطروحاً، ولا النـبي، ولا إمـام العصـر، ولا القـرآن، ولا أحكـام الله، ولا الصلاة، ولا أي شيء آخر. هل تعتبرون الشهادة فوزاً لكم لتكونوا مثل السـويد، أم أنكم تنشـدون القـرآن؟ لقـد نهضـتم من أجل الإسلام. إن كل هذه المعاناة والمشقة التي تحملها ويتحملهـا علماء الدين إنما هي من أجـل الإسـلام. أينمـا قـالوا (الجمهوريـة) فاعلموا أن هناك مؤامرة حيث لم يذكروا اسم الإسلام. أينما قالوا (الجمهورية الديمقراطية) فاعلموا أن هناك مؤامرة، واعلموا أنهم يريدونها من دون الإسلام، الحرية من دون الإسلام، الاستقلال من دون الإسلام)[2]

ويؤكد الخامنئي بعد سنوات طويلة من هذا الخطاب الصـريح الـذي ألقـاه الخميـني على أن الثـورة الإسـلامية حـافظت على

2() المرجع السابق، ج7، ص: 329.

1() المرجع السابق، ج7، ص: 329.

2() المرجع السابق، ج7، ص: 330.

أصالتها، وعلى القيم التي جاء بها الإسلام، ولم تتبن أي منهج آخر، بل إنها تسير في مسار تصاعدي لتحقيق ذلك بصورة ترفع الواقـع إلى المستوى الإسلامي بعيدا عن كل التوجهات.

يقول في ذلك: (نّ العدالة في ثورتنـا الإسـلامية الـتي كـانت حركة دينية كانت بشكل طبيعي في موقع ممتاز، والآن هي كذلك. وهذه الموقعيـة المميّـزة مشـهودة في الشـعارات الشـعبية، وفي الدستور، وفي كلمات الإمام الراحـل، وفي الخطابـات المقطعيـة، وفي الأزمنــة المختلفــة، وفي المواقــف المختلفــة الــتي أعلنتهــا الجمهورية الإسلامية)[1]

وهو يؤكد مثلمـا فعـل الخميـني على أن مفهـوم في العدالـة الذي تتبناه الجمهورية الإسلامية ليس هو بالضرورة ذلك المفهــوم الذي يتبناه الغرب، لأن الغرب لـه تصـوراته الخاصـة المبنيـة على الفلسفة المادية التي تعزل الدين، ولا تـرى لـه أي أثـر في توجيـه الحياة، يقول: (إنّ توجّه الرؤية الإسـلامية إلى العدالـة يختلـف مـع توجّه النُظُم والنظريـات الغربيـة. ففي الإسـلام تنشـأ العدالـة من الحق، بالإضافة إلى هذا يوجد في العدالة الوجـوب، أي أنّ التوجّـه نحو العدالة في الإسلام يُعدّ وظيفـة إلهيـة، في حين أنّ الأمـر في المذاهب الغربية ليس كذلك. في المذاهب الغربية تُطـرح العدالـة بأشكالٍ مختلفة؛ ففي الاشتراكية تطرح بنحو، وفي الليبرالية بنحو آخر مع كلّ التطـوّرات والأشـكال المختلفـة لهـذه المـذاهب. وفي جميــع هــذه المــذاهب لم يكن النظــر إلى العدالــة نظــراً بنيويــاً وأساسـياً ومبنيـاً على القيم الأصـولية كمـا هـو الحـال في الـدين والإسلام)[2]

هذه بعض تصورات قـادة الثـورة الإسـلامية لمفهـوم العدالـة والقيم المرتبطة بها، والمصـادر الـتي تسـتند إليهـا، وعلى أسـاس هذا المفهـوم قـامت التشـريعات والقـوانين في النظـام الإيـراني، والـتي لم تسـتند للشـرق، ولا للغـرب، وإنمـا اسـتندت للشـريعة

1() خطابات الخامنئي 2011، ص153.

2() المرجع السابق، ص156.

الإسلامية، كما رأينا بعضها في الفصول السابقة، ورأينا تلك الضجة التي تثار عليها كل حين، والتي لا يبالي بها النظام الإيراني، لأنه يعلم أن تلك الضجة ليس لها من هدف سوى تحويل الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى الجمهورية الديمقراطية الإيرانية، ومن ثم يتسلطون عليها، مثلما تسلطوا على كل الديمقراطيات في العالم.

ثانيا ـ الجانب الاقتصادي وقيم الحضارة:

مثلما رأينا دفاع قادة الثورة الإسلامية عن العدالة وفق الرؤية الإسلامية، نراهم في الجانب الاقتصادي أيضا يتبنون نفس الرؤية؛ فهم لم يتبنوا منذ اليوم الأول، بل قبله بكثير، أي نموذج للاقتصاد عدا نموذج الاقتصاد الإسلامي المبني على القيم الأخلاقية، وليس على الجشع الرأسمالي، ولا الاستبداد الشيوعي.

يقول الخميني في وصيته السياسية: (من الأمور التي تستلزم التوصية والتذكير هي أن الإسلام لا يتفق مع نظام الرأسمالية الظالم المتسيّب، والمؤدي إلى حرمان الجماهير المظلومة المسحوقة. بل يدينه بقوّة في الكتاب والسنة، ويعتبره معارضا للعدالة الاجتماعية)[1]

وهو يرد بشدة على بعض الفقهاء، وخصوصا السلفيين منهم ممن تميل مواقفهم وأطروحاتهم إلى النظام الاقتصادي الرأسمالي بإباحة الملكية المطلقة، يقول: (.. ورغم وجود بعض ذوي الفهم المنحرف، والجاهلين بطبيعة نظام الحكومة الإسلامية، وبالمسائل السياسية الموجودة في الإسلام، الذين كانوا ولا يزالون يوحون في أقوالهم وكتاباتهم أن الإسلام يؤيد الرأسمالية والملكية (الخاصة) دون حدّ أو حصر، وبهذا الفهم المعوجّ عن الإسلام يغطّون على وجه الإسلام النيّر، ويمهدون السبيل للمغرضين وأعداء الإسلام كي يطعنوا بالإسلام، ويعتبروه نظاماً كالنظام الرأسمالي الغربي السائد في أميركا وبريطانيا وسائر البلدان الغربية الجشعة، هؤلاء (المغرضون) يستندون إلى أقوال

---

(1) وصية الإمام السياسية، ص71.

وأفعال أولئك الجهلة عن قصد أو عن بلادة، ودون الرجوع إلى علماء الإسلام الحقيقيين، فيهبون لمعارضة الإسلام) [1]

وهكذا يرد على الذين يصورون الاقتصاد الإسلامي بصورة النظام الشيوعي؛ فيقول: (ليس الإسلام أيضاً كالنظام الشيوعي، والماركسي اللينيني الذي ينفي الملكية الفردية، ويعلن مفهوم الاشتراك (في كل شيء) على اختلاف كبير بين هذا المفهوم في العصور القديمة والحديثة، والذي ينطوي على دكتاتورية واستبداد ساحق) [2]

وفي مقابل ذلك يذكر أن النظام الاقتصادي الإسلامي (نظام متعادل يعترف بالملكية ويحترمها مع تحديد السبل الحصول على الثروة وسبل إنفاقها. ولو طبق هذا النظام حق التطبيق لأدى إلى دفع عجلة الاقتصاد السليم إلى الأمام، ولتحققت العدالة الاجتماعية التي يستلزمها أي نظام سليم) [3]

وبناء على هذا يرى أن النظام الإسلامي، تحت مظلة ولاية الفقيه، له من الصلاحيات ما يمكن أن يصحح الأوضاع في حال تحول الأغنياء إلى الثراء الفاحش الذي يهدد المجتمع بالطبقية، وخاصة إن كان ذلك الثراء قد حصل من طرق مختلطة، يقول: (الإسلام أكثر معرفة بالفقراء والمعوزين منه بالأثرياء والمترفين. وكما ذكرتم فإن هؤلاء أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، انما جمعوا هذه الأموال من طرقٍ غير مشروعة، والإسلام لا يعترف رسمياً بهكذا أموال، فالأموال في الإسلام يجب أن تكون مشروعة ومحدودة بحدٍ بحيث إن زادت عنه ورأى الحاكم الشرعي أو الولي الفقيه عدم صلاح ذلك، يمكنه أخذ هذا المقدار الزائد والتصرف به. فمن مهام ولاية الفقيه هي تحديد هذه الأمور،

1() المرجع السابق، ص71.

2() المرجع السابق، ص72.

3() المرجع السابق، ص72.

ولكن المؤسف أن مفكرينا لم يدركوا بعد حقيقة ولاية الفقيه. ففي نفس الوقت الذي اعتبر الشارع المقّدس الملكية الشخصية حقاً محترماً، ولكن أعطى الولي الفقيه الحق في تحديدها وإن كانت مشروعة، ومصادرة الباقي إذا ما اقتضت مصلحة الإسلام والمسلمين ذلك)[1]

وهكذا نرى الخميني يدعو الفقهاء والمفكرين والاقتصاديين إلى استنباط الحلول التي تحقق القيم الحضارية الإسلامية في المجال الاقتصادي في الواقع بعيدا عن كل التأثيرات الخارجية، معتمدين على الإسلام وحده، يقول: (إحدى المسائل المهمة الأخرى التي تقع على عاتق العلماء والفقهاء هي مواجهة الثقافة الاقتصادية المنحطة للشرق والغرب ومجابهة السياسات الاقتصادية للرأسمالية والاشتراكية في المجتمع) [2]

ويبين أن التبعية لأحد النظامين الرأسمالي أو الشيوعي لن ينتج عنه إلا التبعية والاستعمار الاقتصادي، يقول: (إن استشرت هذه المصيبة وشملت جميع الشعوب في العالم مما يفرض عليهم عبودية جديدة، فالتحقت أغلب المجتمعات البشرية بأسيادها الظلمة في الحياة اليومية، فسلب منهم حق اتخاذ القرار في الشؤون الاقتصادية، فعلى الرغم من امتلاكهم ثروات طبيعية غزيرة وأكثر الأراضي خصوبة في العالم ومياه وبحار وغابات واحتياطياً لاينضب من ذلك، ابتلوا بالفقر المدقع، سلب الشيوعيون والمموهون والرأسماليون حق المبادرة من عامة الناس بإقامة العلاقات الحميمة مع المستكبرين، وأمسكوا عملًا بزمام الاقتصاد العالمي بإحداث شركات احتكارية ومتعددة الجنسيات، وجعلوا جميع سبل التصدير والاستخراج والتوزيع والعرض والطلب بالاضافة الى التسعير والصناعة المصرفية تختص بهم، وأوهموا الجماهير المحرومة عن طريق إيحاءاتهم ودراساتهم الملفقة بأنّه لاسبيل لهم إلا العيش تحت سيطرتهم أو

[1] صحيفة الإمام، ج10، ص: 352.

[2] المرجع السابق، ج20، ص: 375.

الاستسلام للفقر مدى الحياة، وهذا مقتضى الخلقة للمجتمع الانساني، حيث يتضور أغلب الناس جوعاً وتصاب ثلة منهم بالتخمة من الافراط بالأكل) [1]

ثم يبين أن هذه الخدع التي يستعملها الغرب قصد السيطرة على الدول المتخلفة المستضعفة قد انطلى على أكثر بلاد العالم الإسلامي، والتي راحت تسلم نفسها للنظم الغربية، تاركة النظام الإسلامي الممتلئ بالعدالة، يقول: (على أية حال، تلك مصيبة فرضها المستكبرون على البشرية فآل المآل بالدول الاسلامية الى هذا الوضع المزري نتيجة ضعف الادارة والتبعية للغير، وهنا تبرز أهمية قيام العلماء والمحققين والمتخصصين الاسلاميين باستبدال النظام الاقتصادي المزيف السائد في العالم الاسلامي ببرنامج بناء ومتضمن لمصالح المحرومين والمضطهدين لإخراج المسلمين والمستضعفين من دائرة الفقر) [2]

وإضافة إلى هذه المفاهيم والقيم المرتبطة بالاقتصاد الإسلامي ـ كما يتصوره الخميني ـ نرى الخامنئي يعرض مفهوما جديد، أو قمية حضارية اقتصادية جديدة، يسميها [الاقتصاد المقاوم]، وذلك بعد أن رأى الاستكبار العالمي، وبعد فشله في كل مخططاته في مواجهة النظام الإسلامي في إيران، راح يستعمل الحصار الاقتصادي وسيلة لذلك.

وهذا الاقتصاد يعتمد بالدرجة الأولى على (دعم مختلف الوحدات الانتاجية، وتفضيل السلع والمنتجات المحلية على السلع الأجنبية في كلّ القطاعات، والحدّ من اعتماد الموازنة العامّة على الايرادات النفطية)[3]

ومن أحاديثه الداعية إليه، والمبينة لقيمته، ودوره في دحض

[1] المرجع السابق، ج20، ص: 375.

[2] المرجع السابق، ج20، ص: 375.

[3] خطابات الخامنئي 2012، ص264).

كل المـؤامرات الأجنبيـة، وتحقيـق الرفـاه والاسـتقلال الاقتصـادي قوله: (كان هدف العدوّ أن يركّز على الاقتصـاد لكي يصـيب النمـوّ الوطني بضربةٍ، ويوجّه لطمة لحالـة العمـل والعمالـة من أجـل أن يُصــاب الرفــاه الوطــني بــالاختلال والخطــر، ويقــع النــاس في المشاكل، ويضطربون وينفصلون عن النظـام الإسـلامي، .. وكـان ملموساً، وبإمكان المرء أن يشاهد هذا الأمر. لقد قلت عام 1986 م: إنّهم يلاحقون القضية الاقتصادية، وكان المرء بعدها قـادراً على أن يسـتنتج أنّ هـذه الشـعارات المتعلّقـة بكـلّ عـام، هي حلقـات ضــمن سلسـلة تهـدف إلى إيجـاد منظومــةٍ كاملـة في المجـال الاقتصاديّ، أي ترشيد الاستهلاك، وقضية اجتناب الإسراف، وقضية الهمّة المضاعفة والعمل المضـاعف، وقضـية الجهـاد الاقتصـادي.. نحن لم نطـرح هـذه الأمـور كشـعارات عـابرة، بـل كـانت أمـوراً بإمكانهـــا أن توجّـــه وتنظّم الحركـــة العامّـــة للبلاد في المجـــال الاقتصـادي، وكـان بالإمكـان أن تتقـدّم بنـا، وعلينـا أن نكمـل هـذا الطريق)[1]

ويذكر أن الاقتصـاد المقـاوم هـو الاقتصـاد الأقـرب للشـعب، والأكثر خدمة لمصالحه، باعتبـاره اقتصـادا شـعبيا بالدرجـة الأولى، يقول: (إنّ للاقتصـاد المقـاوم مقتضـيات، منهـا الاقتصـاد الشـعبي (جعلـه شـعبياً) وهـو يُعـدّ من متطلّبـات الاقتصـاد المقـاوم. وهـذه السياسـات الـتي تم الإعلان عنهـا في الدسـتور يمكنهـا أن تحـدث تحوّلاً، ويجب القيام بهذا العمل. بالطبع، لقد تمّ إنجاز مجموعة من الأعمال، ويجب بـذل المزيـد من المسـاعي. يجب تقويـة القطـاع الخــاص، ويجب العمــل على تحفــيز النشــاط الاقتصــادي، ويمكن للنظام المصرفي في البلد، والأجهزة الحكوميـة المختلفـة وكـذلك تلك الأجهزة ـ كالسلطة التشريعية والسـلطة القضـائية ــ أن تعين على ذلك، وتحفّز الناس على النزول إلى هذا الميدان) [2]

ومن مقتضــيات الاقتصــاد المقــاوم ـــ كمــا يــذكر ـــ (خفض

[1] المرجع السابق، ص265.

[2] المرجع السابق، ص265.

الاعتماد على النفط، فهذا الاعتماد هو الإرث المشؤوم للقرن الأخير الذي مرّ علينا، فلو أنّنا استطعنا أن نستفيد من هذه الفرصة المتاحة اليوم، وسعينا لنستبدل النفط بالأنشطة الاقتصادية المنتجة الأخرى، لكنا قد أنجزنا أعظم حركة مهمّة في المجال الاقتصادي) [1]

ومن أهم البدائل التي يطرحها الخامنئي عن الاعتماد على النفط بالإضافة إلى ما سبق، الاعتماد على المعلوماتية، يقول: (في يومنا هذا، إنّ الصناعات المعتمدة على العلم من الأمور التي يمكن أن تملأ هذا الفراغ إلى حدٍّ كبير. هناك الاستعدادات والطاقات المتنوّعة في هذا البلد التي يمكن أن تملأ هذا الفراغ. فلنبذل همّتنا في هذا المجال، ونتّجه نحو التقليل من هذه التبعية مهما أمكن) [2]

ومن أركان الاقتصاد المقاوم ــ كما يشرحها الخامنئي في خطابه السابق ـ ما يسميه [إدارة الاستهلاك]، ويشرحه بقوله: (إنّ قضية إدارة الاستهلاك تُعدّ من أركان الاقتصاد المقاوم، أي الاستهلاك المتوازن والبعيد عن الإسراف والتبذير. فالأجهزة الحكومية وغير الحكومية، وكل أفراد هذا الشعب، والعائلات يجب أن يلتفتوا إلى هذه القضية، وهذا بحدّ ذاته جهاد، إنّ اجتناب الإسراف، ورعاية التوازن في الإنفاق هما بلا شك نشاطان جهاديان بوجه الأعداء، يمكن للمرء أن يدّعي أنّ لهذا الأمر أجر الجهاد في سبيل الله) [3]

ومن أركان الاقتصاد المقاوم ــ كما يذكر ــ [الاستفادة من الإنتاج المحلّي]، ويدعو جميع أجهزة الدولة المرتبطة بالسلطات الثلاث إلى (أن تسعى لكي لا تستهلك أي مُنتج غير إيراني،

---

[1] المرجع السابق، ص265.

[2] المرجع السابق، ص265.

[3] المرجع السابق، ص265.

فليعقدوا العزم على ذلك. وليفضّل أبناء شعبنا استهلاك المنتجات المحلّية على البضائع أو الماركات الأجنبية المعروفة ـ حيث إنّ بعضهم يسعون وراء الماركات الأجنبية فقط لأجل اسمها ولأجل التفاخر والتظاهر في المجالات المختلفة؛ فليقم شعبنا بسدّ طريق استهلاك البضائع الأجنبية بأنفسهم) [1]

ومن أركان الاقتصاد المقاوم ـ كما يذكر ـ الإجراءات المرتبطة بترشيد الاستهلاك، حتى لا يقع المواطن في التبذير المحرم، والمضر بالاقتصاد، ويضرب مثالا على ذلك بالحصص المتعلّقة بالمحروقات، ويذكر أنه (لو لم يتم اعتماد نظام الحصص في البنزين لكان استهلاكنا لهذه المادّة قد تجاوز أكثر من مئة مليون ليتر في اليوم، لقد تمكّنوا من السيطرة على هذا الأمر وهو اليوم بمستوىً مهم جداً. حتى أنّه يجب العمل بطريقة لا نحتاج معها إلى الخارج) [2]

وهو يذكر ـ كمثال على جدوى الاقتصاد المقاومة في مواجهة المخططات الخارجية ـ أن ترشيد استهلاك البنزين، قد حماه من الآثار التي حصلت بعد ذلك حينما (وضعوا الحظر على البنزين ضمن برنامجهم، وقد أحبط الاقتصاد المقاوم ذلك. وكذلك فيما يتعلّق بسائر الأمور التي يحتاجها البلد) [3]

هذه بعض النماذج عن طروحات قادة الثورة الإسلامية للقيم الحضارية التي تحكم الاقتصاد، وقد دل الواقع على جدواها، حيث نرى تمتع الاقتصاد الإيراني ـ على الرغم من الحرب التي مر بها، والحصار الذي أعقبها ـ من الانهيار، ووفر الاكتفاء الذاتي في الكثير من المجالات.

ثالثا ـ الجانب التربوي وقيم الحضارة:

---

[1] المرجع السابق، ص265.

[2] المرجع السابق، ص265.

[3] المرجع السابق، ص265.

بناء على البعد العقائدي لنظام ولاية الفقيه، وبنـاء على كـون المؤسسـات التربويـة والتعليميـة هي المراكـز الـتي تتخـرج منهـا الأجيال، وتبنى فيهـا المفـاهيم، وترسـخ بين عرصـاتها القيم، كـان لهذه المؤسسـات، وللجـانب الـتربوي أهميتـه الكـبرى لـدى قـادة الثورة الإسلامية، ولدى جميع مسؤوليها.

وقد أشار إلى هذه الأهمية الخامنئي بقولـه: (لـو أن الإنسـان في الواقع أراد أن يقسّم أعمال البلد وقطاعاته المختلفة ويضـعها بحسـب الأهميـة، فـإنّ التربيـة والتعليم توضـع في أعلى اللائحـة وعلى رأسها)[1]

وانطلاقا من هـذا وضـعت في إيـران فلسـفة خاصـة للتربيـة والتعليم تتميز عن غيرها من بلاد العالم، وهي أيضا كانت ـ كسـائر الجوانب ـ هـدفا للمغرضـين، الـذين لا يتصـورون أن هنـاك منـاهج تعليمية وتربوية تختلف عن المناهج الغربية التي يعرفونها.

ومن خلال استقراء ما كتبه قادة الثـورة الإسـلامية، أو ألقـوه من خطب، ومن خلال الواقع التربوي في إيران يمكننا أن نكتشف خاصيتين بارزتين، أو قيمتين حضاريتين كبيرتين، نفتقدهما للأسـف في أكثر البلاد الإسلامية.

1 ـ تجنب التقليد والاهتمام بالقيم الإسلامية:

وهي الخاصـية الـتي نجـدها في كـل المنـاهج والمؤسسـات التربوية وغيرها، والتي يمكن تسميتها بـ [التربيـة المقاومـة]، وهي مبنية على أسـاس الموقـف من الغـرب، وفكـره المـادي الـذي لا ينسـجم مـع الإسـلام الـذي يجمـع بين المـادة والـروح، وبين العلم والتربية، ويعتبر كل مفاصـلة بينهمـا نوعـا من العلمانيـة، أو الأخـذ ببعض الكتاب.

وقد ذكر الخميني ذلك في خطاب الانتصار بعـد نجـاح الثـورة الإسلامية، ووعد به شعبه، فقال: (يجب أن تتغير جميع الأمـور في إيران في ظـل الجمهوريـة الإسـلامية. فالجامعـات يجب أن تتغـير

---

[1] () المرجع السابق، ص158.

في الجمهورية الإسلامية، وتتبدل الجامعات العميلة إلى جامعات مستقلة. ثقافتنا يجب أن تتبدل، وتحل الثقافة المستقلة محل الثقافة الاستعمارية. وزارة العدل يجب أن تتغير. فالقضاء الغربي لا بد أن يتحول إلى القضاء الإسلامي. اقتصادنا يجب أن يتغير. الاقتصاد العميل يجب أن يتحول إلى اقتصاد مستقل. وجميع الأشياء التي كانت في حكومة الطاغوت وكانت قد طبقت استجابة لأوامر الأجانب في هذا البلد الضعيف، هذه الأشياء يجب أن تنقلب رأساً على عقب بعد أن استقرت الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية)[1]

وما ذكره الخميني وقادة الثورة الإسلامية عن التغيير لا يقصدون به التغيير لأجل التغيير، وإنما يقصدون به التغيير الهادف، والمبني على أن تلك المؤسسات كانت خاضعة للغرب، وثقافة الغرب وقيمه لا تتناسب مع الإسلام، ولا مع إيران، ولا مع أي شعب من الشعوب، كما عبر عن ذلك الخامنئي في قوله: (لقد حقّق الغربيّون نقلة نوعيّة في المجال المادي وقاموا بقفزة في فترة من الفترات، بيد أنّ هذه القفزة كانت منفصلة ومتعارضة مع الحركة الأخلاقيّة. كانت قفزة ماديّة مئة بالمئة. في البداية، لم يدرك أحد ما الذي حصل! لكن ها هم الآن، قد بدأوا يفهمون بالتدريج، فهم يشعرون بخسائر لا تعوّض تصيبهم شيئًا فشيئًا. لا يتوهمنّ أحد أنّ حضارة ماديّة محضة، وبعيدة عن المعنويّة ستستطيع أن تروي شعوبها ماءً هنيئًا زلالًا. كلا! سوف يلاقون الأمرّين، وهاهم الآن يعانون الأمرّين. ليس بسبب هذه التظاهرات في شوارع أوروبا وما إلى ذلك، كلا، إنّ مصيبة الغرب هي أعمق من هذه الأمور. إنّ حاجة الإنسان الضروريّة والأساسيّة، قبل كلّ شيء، هي للأمن الروحي والأمن الأخلاقي، والأمن الوجداني وراحة الضمير. وهذه الأمور مفقودة في البيئات الغربيّة، وسوف يزداد الوضع سوءًا يومًا بعد يوم. حين تطّلعون على ما يقوله كتّابهم ونقّادهم ومفكّروهم، تشاهدون بوضوح كيف أنّهم ومنذ سنوات ارتفعت أصواتهم، وقرعوا جرس الإنذار، وها هم ينشرون أخبار وأسرار الزوايا المظلمة والفاسدة، وكيف أنّ الفساد

---

(1) خطاب الإنتصار (ص: 7)، والخطاب ألقاه بتاريخ 1/ 4/1979 م.

يتضاعف في مجتمعهم. هكذا هي الحياة الماديّة. نعم، هم تطـوّروا من النواحي العلميّة والتقنيّة وما شابه، أنجزوا أعمـالًا كبـيرة، لكنّ الجانب الآخـر من القضـيّة بقي متروكًـا ومعطّلًا، وهـذا مـا يشـلّهم ويطرحهم أرضًا)[1]

وهــو يــذكر بــألم واقــع العــالم، وبعــده عن مراعــاة القيم الأخلاقيــة، والســلوك المتناســب مــع طبيعــة الإنســان ووظائفــه، فيقول: (العالم يسير حالياً في طريق سيئ. ويعيش أوضاعاً سيئة. الأخلاق تُسـحق في العــالم. والشـعوب تعــاني وتتــألم من هــذا الانحطـاط الأخلاقي، ومفكـرو الشـعوب متنبهـون لهـذه الخسـارة الكبرى، ويبدون انزعاجهم وقلقهم، وهـذا مـا يمكن أن يلاحـظ من كلامهم وآرائهم)[2]

ويذكر كذلك الدور الذي على إيران أن تفعله لإنقـاذ البشـرية من هذا التيه، وذلك بإعطائها النمـوذج المثـالي عن القيم الرفيعـة الـتي تحكم الحيـاة، وتسـاهم التربيـة في تشـكيلها، يقـول: (هـذا المصـير المفـزع الماثـل أمـام البشـرية يمكن تغيـيره، والخطـوة الأولى أن نوجد في أنفسنا ذلك التحـرك الكبـير والتحـول العظيم. والأمر يبدأ من التربية والتعليم. لقد توفرت البُنى التحتيـة والحمـد لله طوال هذه السنوات الثلاثين في القطاعـات المختلفـة بشـكل جيد. ويمكن التحرك على أساس هذه البُنى التحتيـة. والمسـؤولية ثقيلـة والطريـق طويـل والعمـل صـعب، ولكن في نهايـة الطريـق يلوح الضياء والنور الذي يمنحه الله، وبوسع المـرء أن يـرى ذلـك. نهايـة الطريـق مشـرقة، والأفـق مشـرق، ويمكن السـير في هـذا الطريق بصورة جيدة. هناك حالات عِداء ضدنا)[3]

وهو يذكر أن كل ذلك العداء الموجه لإيران ليس سوى تعبـير

1() خطابات الخامنئي 2014، ص230.

2() خطابات الخامنئي 2010، ص180.

3() المرجع السابق، ص180.

عن الخطر الذي يشعر به المستكبرون خوفا من تنفيذ القيم الإسلامية في الواقع، وإعطاء النموذج المثالي لذلك، والذي قد يحرك جهات أخرى للتأسي به، يقول: (أي نجاح يحرزه الشعب الإيراني يؤدي إلى أن يشعر بعضهم في العالم بالإخفاق. الأقوياء يصطفّون بشكل طبيعي إزاء هذه التحركات غير المنسجمة مع مصالحهم غير المشروعة. وهذا ليس بالشيء العجيب وغير المتوقّع، إنما هو شيء متوقع بالنسبة لكل شعب يدخل ساحة الكفاح الحياتي العظيم .. شيء متوقع. واصل شعبنا مسيرته هذه منذ بداية الثورة وإلى اليوم مواجهاً هذه العقبات والموانع. هذه ليست بشيء. هذه التهديدات والكلمات التي يطلقونها وحالات المعارضة والعرقلة التي تصدر عنهم، أثبتت تجربة الشعب الإيراني أن لا تأثير لها في مسيرة الشعب ولن تؤدي إلى إبطاء حركته وسيواصل الشعب مسيرته وطريقه. المهم أن يعرف كل شخص دوره، أن يعرف كل شخص أينما كان واجبه الملقى على عاتقه بنحو صحيح ويقوم به. وسوف يساعدنا الله بمشيئته عزَّ وجلَّ)[1]

2 ــ التخطيط الاستراتيجي لتكوين الشخصية المسلمة:

من الأسباب الكبرى التي جعلت قادة الثورة الإسلامية يولون أهمية كبرى للتربية والتعليم هو كونه المؤسسة التي يمكنها أن تؤدي أدورها في تشكيل الشخصية التي تتناسب مع نظام ولاية الفقيه، ذلك أنه لا يمكن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بصورتها المثالية إلا بعد توفر القابلية لذلك، وهي تستدعي القناعة بالإسلام، وبالقيم التي جاء بها ومحاولة تنفيذها في الحياة.

وقد ظهر في هذا المجال ما يطلق عليه في إيران [وثيقة التحوّل البنيوي]، وهي الوثيقة التي ترسم سياسة الدولة، وتضع الخطط الاستراتيجية لها في المجال التربوي، وقد تحدث عنها الخامنئي كثيرا في خطبه ونوه بها، ودعا إلى تفعيلها في الواقع، فقال: (لقد كنت دائماً أكرّر في لقاءاتي مع المعلّمين والمسؤولين

---

[1]() المرجع السابق، ص181.

الثقافيين، والمجلس الأعلى للثـورة الثقافيـة وغـيرهم هـذا الأمـر، ولحسـن الحـظ، قـد وصـل إلى نتيجـة، بحيث إنّ [وثيقـة التحـوّل البنيوي] قد أعدّت وصُوّبت. فاليوم لهذه المؤسسـة وثيقـة مدوّنـة تحدّد منهج التحوّل البنيوي في التعليم والتربية)[1]

وهو يذكر أن هـذه الوثيقـة تشـبه الوصـفة الطبيـة، وهي مـع أهميتها ليست كافية، ذلك أننا (إذا ذهبنـا إلى الطـبيب، وأدّينـا حـقّ المعاينة، والطبيب قـام بالمعاينـة أو التشـخيص، وكتب لنـا وصـفةً ووضعناها في جيبنا، ثمّ ذهبنا إلى البيت وظننّا أنّ الأمـر قـد انتهى، فهل يختلف هذا الأمر عن عدم مراجعة الطبيب بشيء سـوى أنّـه قد أنفقنا المال وقطعنا مسافة على الطريق، ينبغي تناول الـدواء، ففي هذه الوصفة قد دُوّن اسم الدواء ومقدار ما ينبغي تناوله منه وفي أيّ وقت، ويجب تنفيذ هذا وتطبيقه، ولو لم نفعـل، فالـذهاب إلى الطبيب وأخذ الوصفة كأن لم يكن. حسـنٌ، لـدينا الآن [وثيقـة التحـوّل البـنيوي] في التربيـة والتعليم، وهـذه الوصـفة تحتـاج إلى تخطيطٍ دقيـق فيمـا يتعلّـق بكـل بنودهـا. فـإنّ الحـديث هـو حـول التحوّل البنيوي لا الشكلي الظاهري)[2]

وبناء على هذا يدعو إلى أن تكون هناك (خارطة للطريق، ولا يكون الأمر بحيث إنّ أي مسـؤول أو وزيـر أو مـدير في أي قطـاع يقوم اليوم باتّخاذ قرارٍ ثم يقوم في اليوم التـالي بتغيـيره بحسـب سـليقته. فكـلّ هـذا هـو إهـدارٌ للأوقـات والطاقـات. وهـذه نقطـةٌ أساسية. ويجب أن يكون هناك تخطيـطٌ محكمٌ ودقيـقٌ لأجـل هـذا التحوّل البنيوي، يجب أن نضع بين الأيادي خارطـةً للطريـق، وهـذا ما ينبغي أن يقبل به الجميع ويؤيّدوه ويؤمنـوا بـه ويُضـمن فيـه أنّ التربيـة والتعليم ستسـلك هـذا الطريـق حـتى النهايـة وطبـق هـذا البرنامج) [3]

1() خطابات الخامنئي 2012، ص157.

2() المرجع السابق، ص157.

3() المرجع السابق، ص157.

ومن أهم الأهداف التي تسعى خارطـة الطريـق في المجـال الـتربوي، والـتي ذكرهـا الخـامنئي ودعـا إلى تحقيقهـا، والعمـل بموجبها، هي تشكيل الشخصية السوية التي تتبنى الإسـلام والقيم الإسلامية بكل أبعادها ومجالاتها، يقـول: (بوسـع المعلم تربيـة هـذا الحدث أو الطفل وجعله إنسـاناً عالمـاً مفكـراً يتحلى بـروح البحث العلمي ويــرغب في البحث والدراســة والعلم، أو يجعلــه إنســاناً سطحياً غير راغب في العلم والتعمق والبحث العلمي. بوســعه أن يخرِّجـه ويقدمـه للمجتمـع إنسـاناً شـريفاً نجيبـاً خيّـراً طيب القلب طـاهر النفس، أو على العكس قـد يجعلـه إنسـاناً شـريراً مسـيئاً. وبمقدوره أن يجعله إنساناً متفائلاً ذا ثقة بالنفس ومملـوءاً بالأمـل ومحبـاً للعمـل والنشـاط، أو على الضـد من ذلـك يمكنـه تخريجـه إنساناً يائسـاً قانطـاً منعـزلاً ومنكفئـاً على نفسـه. كمـا بوسـعه أن يجعل منه إنساناً متـديناً تقيـاً ورعـاً وطـاهراً، أو إنسـاناً غـير مبـالٍ وغير آبـه للقيم الأخلاقيـة والتعـاليم الدينيـة. بوسـعه التغلب حـتى على عوامل التربية الخارجية مثـل وسـائل الإعلام. بـل إن التعليم المسـتمر على مـدى سـنوات والعمـل على هـذه المـادة الخـام والقلب المستعد لتقبّـل الأشـكال المختلفـة، يمكنـه التفـوق حـتى على الدور التربوي للوالدين. هذا هو دور المعلم)[4]

ويقول في خطاب آخـر مخاطبـا المعلمين: (صـناعة الإنسـان وتشـكيل وبنـاء الإنسـان المطلـوب في الإسـلام هـو أمـر يحصـل بالتربيـــة.. فـــالمعلّم يعلّم العلم، ويعلّم التفكـــير، ويعلّم الأخلاق والسـلوك أيضًـا. إنّ تعليم الأخلاق والسـلوك ليس من قبيـل تعليم العلم بحيث يقرأ الإنسان ويدرّس من الكتب فقــط. درس الأخلاق لا يمكن نقلـه بواسـطة الكتب، السـلوك مـؤثّر أكـثر من الكتـاب والكلام. أي إنّكم في الصـف وبين التلاميـذ تدرّسـونهم بسـلوككم. بالطبع، يجب القول والبيان بالكلام أيضًـا، ويجب إسـداء النصـيحة، لكنّ السلوك تأثيره أعمـق وأشـمل. سـلوك الإنسـان يـبيّن صـدق الكلام، هذا هو ما نقوله للمعلّمين. هـؤلاء الطلّاب أمانـة في أيـدي المعلّمين، يجب الانتباه لهذا المعنى والاهتمام به. إذا قام معلّمونـا ـ إن شاء الله ـ برفع مستوى الأطفال والتقدّم بهم الى الأمام بهذا

---

(4) المرجع السابق، ص178.

الأسلوب، فأتصوّر أنّ ذلك سيكون له تأثيرات أساسيّة كبيرة في مستقبل المجتمع)[1]

وبناء على هذا يدعو إلى دعم خاص لهذا القطاع، باعتباره من أهم المؤسسات المنتجة في البلاد، لأنه لا ينتج بضاعة، وإنما ينتج إنسانا، يقول: (واجب ومسؤوليّة جميع الأجهزة والمؤسّسات في الحكومة دعم قطاع التربية والتعليم. سواء المؤسّسات المختصّة بالتخطيط والميزانيّة أو الأجهزة التي تصادق على هذه الميزانيّات في مجلس الشورى الإسلاميّ، يجب عليهم جميعًا أن تكون نظرتهم للتربية والتعليم مثل هذه النظرة، فلا يتصوّروا أنّ هذا القطاع قطاع يستهلك التكاليف والميزانيّات فقط ـ وهذه نظرة مشهودة في بعض الأحيان، إذ يقولون إنّ جهاز التربية والتعليم هو قطاع يستهلك ويكلّف ـ كلّا، إنّه جهاز كلّما خصّصتم ميزانيّات، وأنفقتم عليه أكثر فستربحون أضعافًا مضاعفة. إنّه قطاع سيتخرّج منه صنّاع الثروة في المستقبل، وصنّاع العلم في المستقبل، وصنّاع الحضارة في المستقبل، ومدراء المستقبل. ليس من الصحيح أن نتصوّر أنّ التربية والتعليم تحمّلنا نفقات ومصاريف فقط. كلّا، فلا يوجد أرباح ومكاسب أكبر من مكاسب التربية والتعليم. كلّ ما تشاهدونه في كلّ أرجاء البلاد من مؤشّرات ومظاهر التقدّم والإنتاج والإبداع، فإنّ جذوره هنا، أصلحوا هذا القطاع فيصلح عندها كلّ شيء)[2]

وإلى جانب الاهتمام بدعم هذه المؤسسات لتؤدي دورها، نرى الخامنئي يدعوها إلى الالتزام بوظيفها وعدم الخروج عنها، لبناء الأجيال الصالحة البعيدة عن كل الشوائب التي قد تنحرف بها، يقول: (على المدراء الذين نختارهم أن ينصبّ اهتمامهم على القضيّة الأصليّة في التربية والتعليم. إنّ النزعات والتوجّهات السياسيّة والحزبيّة والفئويّة وما إلى ذلك هي سمّ مهلك للتربية والتعليم. لقد شاهدنا، في فترة من الفترات طوال هذه الأعوام

---

[1] المرجع السابق، ص226.

[2] المرجع السابق، ص228.

المتمادية مدى الضرر والخسارة التي لحقت بالتربية والتعليم. راقبوا واحذروا! فليكن التعامل مع مختلف مسائل قطاع التربية والتعليم بحيث تكون القضيّة الأهمّ بالنسبة لمدير أي قسم أو دائرة في هذا الجهاز العظيم الواسع قضيّة [التربية والتعليم]، أن تكون قضيّة [تربية الإنسان]، وتربية الطاقات الثوريّة)[1]

وهو يذكر لهم أن الهدف النهائي الذي تسعى كل المؤسسات الإيرانية إلى تشكيله، وتستعمل كل الوسائل في ذلك هو تحقيق المجتمع المسلم بجميع القيم التي يحملها، يقول: (إنّنا حينما نشدّد على الطاقات والكوادر الثوريّة والمتديّنة، فلأنّ أمامنا دربًا طويلًا، أمام هذا الشعب درب طويل. الهدف الذي رسم للجمهوريّة الإسلاميّة على أساس التعاليم الأساسيّة للثورة هو هدف سام جدًّا، فالهدف هو خلق مجتمع نموذجي. إنّكم تريدون وفي إطار إيران العزيزة، والواقعة من الناحية الجغرافيّة في منطقة حسّاسة جدًّا من العالم، أن تصنعوا مجتمعًا يكون ببركة الإسلام وتحت راية القرآن، أسوة ونموذجا. نموذجا في الأبعاد الماديّة والتقدّم المادي، وفي الوقت نفسه أسوة ونموذج في الأبعاد المعنويّة والأخلاقيّة)[2]

وبناء على هذا يدعو إلى التدقيق في كل ما تمارسه هذه المؤسسة ابتداء من التكوين الجيد للمعلمين بإنشاء جامعات خاصة بهم وبتحديث تكوينهم كل حين، وانتهاء بالمقررات الدراسية، والتي يقول في شأنها: (يجب الانتباه والتدقيق كثيرًا في الكتب الدراسيّة، إذ ينبغي أن تكون متقنة؛ فالمضمون والأفكار والكلام الضعيف في هذه الكتب مضرّ. ليس أنّه غير مفيد بل هو مضرّ، وكذلك الانحرافات السياسيّة أو الانحرافات الدينيّة أو الانحراف عن الحقائق والواقعيّات، في هذه الكتب مضرّة. الذين يتولّون مسؤوليّة هذه العمليّة يجب أن ينجزوا هذا العمل بمنتهى

---

[1] المرجع السابق، ص229.

[2] المرجع السابق، ص229.

الأمانة والدقّة)[1]

ويقول عن جامعة المعلّمين: (ذكرتُ هذا للوزير المحترم قلت له: [جامعة المعلّمين]، أو [جامعة إعداد المعلّم] ـ حسب التعبير القديم ـ هي جامعة، ولكنّها تختلف عن الجامعات العاديّة. فضلًا عن الامتيازات الموجودة في الجامعات الأخرى، فإنّ ميزة إعداد المعلّم وتخريجه تختصّ فقط بهذه الجامعة. ولهذا الأمر طبعًا شروطه ومقتضياته. ينبغي الاهتمام بهذه الجامعة بمنتهى الجديّة) [2]

هذه بعض طروحات قادة الثورة الإسلامية في هذا المجال، وهي تبين عمق الأهداف التي يتوخونها من هذا الجانب المهم، وقد دل على مدى نجاحهم في هذا الجانب ذلك الاستقرار الذي عاشه المجتمع الإيراني على الرغم من كل استعمل معه من أدوات الحرب الناعمة، والتي حاولت أن تثير شعبه، لكنه لم يثر، بل بقي وفيا لثورته وقادته.. وذلك وحده دليل على نجاح المخططات التربوية.

رابعا ـ الجانب العلمي وقيم الحضارة:

مثلما رأينا في الجوانب السابقة من حرص النظام الإيراني على التميز والإبداع، والبعد عن التبعية والتقليد، والاهتمام بالقيم والحقائق، بدل الشكليات والظواهر، نلاحظ كذلك في الجانب العلمي هذا الاهتمام، وربما بصورة أكثر وضوحا.

حيث أننا عندما نتابع أحاديث قادة الثورة الإسلامية، وخصوصا القائد الحالي، نجد اهتماما كبيرا بهذا الجانب، فهو يحضر الجلسات التي تصف الأوضاع، أو التي تضع الاستراتيجيات المستقبلية، ويدلي برأيه فيها، وبصورة لا نكاد نجدها عند أي زعيم من زعماء العالم.

[1] المرجع السابق، ص232.

[2] المرجع السابق، ص232.

ومن الأمثلة على ذلك لقاؤه الذي تم بتاريخ 29/ 7/2012 م، مـع حشـد من البـاحثين والمختصّصـين والمبـدعين ومسـؤولي المؤسّسات البحثية، والذي قال في مقدمتـه: (أتمنّى أن تسـتطيع هـذه الجلسـة والجلسـات المماثلـة الأخـرى أن تسـاعد على سـدّ الحاجة الأساسية التي يعيشـها بلـدنا اليـوم، والـتي هي عبـارة عن تنمية العلم والبحث العلمي والتقنية، وتخريج المـواهب وإعـدادها، وزيادة انتشار ثمار المواهب المميّـزة لشـعبنا في حيـاة كـل أبنـاء الشعب)[1]

ثم ذكـر مـدى مـا يوليـه النظـام الإيـراني للعلم والابتكـارات العلمية، حـتى يتحقـق الاسـتقلال الحقيقي، وفي جميـع الجـوانب، فقال: (ما نصرّ ونؤكد عليه هو أنّ العلم بالنسبة للبلاد رأس مال لا ينفد ولا ينتهي. إذا تحرّكت عجلة إنتاج العلم في بلدٍ ما، وإذا كـانت ثمّة موهبة انطلقت وسارت، وإذا بدأت الإمكانيات والقابليات تبرز وتظهر فستكون مصدراً لا ينفد. العلم ظاهرة ذاتية الإثمـار، وليس شـيئاً يضـطرّ المـرء من أجلـه للتبعيـة. نعم، إذا أردتم أخـذ العلم حاضراً وجاهزاً فستكون فيه تبعية واحتيـاج للآخـرين، ومـدّ الأيـدي نحوهم، ولكن بعد أن يتكوّن الصـرح العلمي في بلـد من البلـدان، وإذا كانت في ذلك البلد مواهب، فسيكون كالينابيع المتدفقة) [2]

ومثلما دعا في الاقتصـاد إلى إيجـاد الاقتصـاد المقـاوم الـذي يخلص البلاد من التبعيـة، ويجعلهـا تسـتهلك مـا تنتج لا مـا يمن بـه عليها، دعا كذلك في المجال العلمي إلى [الجهاد العلمي]، والــذي لا يقـل عن الجهـاد في جبهـات الحـروب، يقـول: (إن البلـد اليـوم بحاجة إلى جهادٍ علمي. وعنـدما أذكـر العلم هنـا فـإن قصـدي هـو المعـنى العـام للعلم وليس العلـوم التجريبيـة فقـط. يلزمنـا جهـادٌ علمي.. ففي المفهـوم الإسـلامي يكـون الجهـاد عبـارة عن ذلـك السعي مقابل عدو مـا أو خصـم. فليس كـل سـعيٍ جهـاداً. فجهـاد النفس، وجهـاد الشـيطان، والجهـاد في الميـدان العسـكري هـو

1() خطابات الخامنئي 2012، ص270.

2() المرجع السابق، ص270.

مواجهة عدو أو مخالف. ونحن اليـوم في مجـال العلم بحاجـة إلى مثل هذا السعي في البلد، نشعر بأن هناك موانع علينـا أن نزيلهـا، وعوائـق يجب أن نحطّمهـا، وفي مجـال توفـير الإمكانـات العلميـة يوجد خسة لدى أولئك الـذين يمتلكونهـا ــ وهي الـدول المتطـورة علمياً، وعلينا أن نظهر من أنفسنا في المقابل عزّة ونهضة تحركـاً نحو الأفضل. العالم اليوم ورغم تظاهره بالسـخاء العلمي هـو في منتهى الخسّـة من حيث العلم. فالـذين تمكّنـوا، لعوامـل مختلفـة، من أن يمتلكوا في فترة ما تطـوراً علميـاً واعِتلـوا مـركب التطـور وتفوّقوا على غيرهم ـ وهم الدول الغربية المتطورة الـتي حصـلت على ذلك منذ عصر النهضة، وقد كـان ذلـك في أيـدينا يومـاً ــ هم احتكاريون، فهم لا يريدون أن تتسع دائرة هذا العلم وهذا الاقتدار، فلهذا يخالفون علم الشعوب، وخصوصـاً بعـد أن أصـبح هـذا العلم وسيلة بأيديهم للسياسة)[1]

وهـو يـذكر أن من دلائـل لا أخلاقيـة الحضـارة الغربيـة ذلـك الاحتكار الذي تمارسـه للعلم، مـع أن الأصـل فيـه أن يشـاع حـتى يستفيد منه البشر جميعا، وهو يذكر أن هذا ليس خاصا بعصــر من العصور، ففي الفـترات السـابقة كـان العلم وسـيلة للمسـتعمرين للهيمنـة والظلم، يقـول: (فالاسـتعمار ظهـر من العلم. والعلم هـو الذي مكّنهم وجعلهم مقتدرين، لهذا جالوا العالم واستعمروه، هــذا حينما كانت الشعوب تعيش مستقلة. فـأين هي بريطانيـا وأين هي أندونيسيا؟! فأولئك استطاعوا أن يحتلـوا تلـك المنـاطق بواسـطة العلم. وعندما صار الاستعمار وليد العلم واعتمـدت القـوة الدوليـة والقـدرة السياسـية على العلم، قـالت إنـه لا ينبغي لهـذا العلم أن يكون بيد الآخرين، وإلا فإنه يهدد هذه القـدرة. وهـا هم اليـوم ومـا زالوا على هذا المنوال)[2]

وما دام العلم أصبح بهذه الصـورة في يـد الحضـارة الغربيـة، فإن على العلمـاء الإيرانـيين ــ كمـا يـذكر الخـامنئي ــ أن يقومـوا

---

[1] خطابات الخامنئي 2010، ص313.

[2] المرجع السابق، ص313.

بدورهم الجهادي حتى لا تستعمر بلادهم بالعلم كما استعمرت بلاد أخرى، ولذلك يبث فيه الروح العقائدية التي تجعلهم يتحركون لمواجهة الخطر، وبكل عزم وإيمان.

وهو يشير في هذا الجانب إلى ضرورة التخطيط وفق استراتيجية واضحة ودقيقة، يقول معلقاً على بعض المشاركات في المؤتمر: (أشار الأصدقاء إلى التخطيط لمئة سنة. بالطبع إنني لا أعتقد بالتخطيط لمئة سنة، لكنني أستحسن هذا التفكير وهذه الروحية التي نشعر معها بأننا ما زلنا نخطو الخطوة الأولى رغم مرور ثلاثين سنة، حتى إذا أردنا أن نخطو عشر خطوات فهذا يعني ثلاثمائة سنة. علينا أن نعلم أننا في خطواتنا الأولى، ويجب أن نعلم أننا نستطيع أن نخطو خطوات أكبر، يجب أن نخلق هذا الشعور. وإنني أعتقد بأنه سيتحقق حتماً، فمثلما أن هذه الحركة العلمية العظيمة وهذه الإبداعات العلمية وهذا الإنتاج العلمي والعبور إلى حدود العلم لم تكن لتخطر على بالنا، وها هي قد طُرحت وقيلت وتوبعت، وها أنتم ترون ثمراتها اليوم، لهذا فإننا نستطيع أن نخطو خطوات أكبر ونستطيع أن ننجز أعمالاً كبرى)[1]

ومثلما دعا في الجوانب السابقة إلى الابتكار والخروج من التقليد والتبعية يدعو كذلك في هذا المجال، بل يبين الخطوات العملية لتحقيقه، وهي تنمية التفكير الإبداعي والنقدي في عقول الطلبة حتى تكون لديهم الآليات التي تجعلهم يمارسون الإنتاج بدل الاستهلاك، يقول: (أساس العلم وقاعدته هي الفلسفة، ولو لم يكن هناك فلسفة لم يوجد علم. ما لم يكن تحليل واستنتاج فلسفي فالعلم سيكون بلا معنى. إن إنتاج الفكر مهم جداً. وبالطبع فإن إنتاج الفكر أصعب من إنتاج العلم. فالمفكرون والنخب الفكرية معرضون للآفات التي هي أقل في ساحة النخب العلمية. لهذا فإن العمل هنا صعب، لكنه مهم جداً)[2]

ولأجل تحقيق هذا يدعو إلى تحفيز الطلبة وتشجيعهم، وزرع

[1] المرجع السابق، ص314.

[2] المرجع السابق، ص316.

الثقة فيهم، حتى يتمكنوا من أداء مسؤولياتهم، وإخراج بلادهم من التبعية العلمية، وتحقيق النصر في هذا الجـانب، مثلمـا تحقـق في الجوانب الأخرى، يقول: (لقد كان الشعب الإيـراني طـوال أعـوام متمادية قبل الثورة أسيراً لإضعاف روح الثقة بالذات. منـذ أن فتح المسؤولون الحكوميون أعينهم أولاً، ثمّ فتح أبناء الشـعب تـدريجياً أعينهم وبهتـوا أمـام التقـدّم العلمي المـذهل للغـرب، بـدأ تـرويج الشعور بـالنقص والدونيـة والاسـتهانة بالـذات في هـذا البلـد وبين أبناء شعبه، ولحسن الحظّ فإنّ الثورة غيّـرت كـلّ شـيء، بمـا في ذلـك هـذه الحالـة وهـذه الـروح. وعليـه، فـإنّ تأسـيس الأعمـال والمشاريع الاقتصادية على أساس العلم يؤدّي إلى تعزيز الروحيـة والشخصية والهوية الوطنية ويزيـد كـذلك من الاقتـدار السياسـي. الاسـتقلال والاعتمـاد على الـذات في بلـد مـا يـورث الاقتـدار السياسـي فضـلاً عن الاقتـدار الاقتصـادي الـذي سـيتحقّق بشـكل طبيعي) [1]

ودعـا في هـذا الصـدد إلى الاهتمـام بـالمخترعين، والسـعي إليهم، وتشجيعهم، حـتى لا تمتـد إليهم الأيـادي الغربيـة، لتأخـذهم، يقول: (من القضايا المهمّة أن ترصد أجهزتنا الحكومية الاختراعات وبراءاتها، وتتوجّه هي نحـو أصـحاب الاختراعـات والنخب الفكريـة وتطـالبهم بالتعـاون والمسـاعدة كي يسـتطيعوا أن يسـاهموا في تأسيس شركات البحث العلمي وفي أقسـام معينـة منهـا. لا تقعـد أجهزتنـا حـتى يأتيهـا المخـترعون ويراجعوهـا وتقـع الأعمـال في التلافيف والتعقيدات الإدارية والبيروقراطية وغيرها من المشكلات .. هذه الأمور تضعف بلا شكّ المحفّزات والاستعدادات)[2]

ويقول: (حسب التقـارير الـتي لـديَّ فـإنّ الأجـانب يرصـدون المواهب الموجودة في بلادنا، وما ينفعهم منها يأتون ويسـتثمرونه ويأخذونـه. المـواهب والطاقـات الإنسـانية أثمن مـا يمتلكـه البلـد. يجب أن لا نسـمح ولا نـدع هـذا يحصـل. والشـكل المنطقيّ لعـدم

---

(1) خطابات الخامنئي 2012، ص273.

(2) المرجع السابق، ص274.

السماح هو أن نوفّر الفرص والأرضية، ونشجّع ونأخذ بالأيدي، وندفعهم نحو العمل، ونأخذهم إلى الميدان ليعملوا ويكونوا متفائلين متشوّقين، وعندها سيتوفّر ذلك الينبوع المتدفّق الذي لا ينضب)[1]

وهو يدعو لتحقيق هذا، وللمنع من هجرة الأدمغة، والاستفادة من كل الطاقات إلى التعامل الحريص على الطلبة، وتشجيعهم وتوفير الفرص لهم، وعدم ممارسة أي سلوك قد يجعلهم ينفرون من البحث، يقول: (هناك من يجلس على قلب الطالب الجامعي والأستاذ ليتلو عليه آيات اليأس والإحباط: هذا لا يتحقق، وهذا لا نقدر عليه، وهذا لا فائدة منه؛ فهؤلاء في الواقع مثل حشرة العث: مخلوقات دنيئة ومخربة ومدمرة. فالبلد يتحرك نحو الأمام بكل يسر، والغرسة قد أصبحت بحمد الله شجرة طيبة.. فنحن نتقدم في جميع المجالات، وبالطبع نواجه تحديات. ولو أراد المرء أن لا يسقط أرضاً فعليه أن لا يسير أبداً. وإذا أردنا التحرك فهناك سقوط وارتطام. ومواجهة التحديات تعد من خصائص حركة أي شعب، وبدونها لا تكون حركة. فبهذا اليسر والثبات يتقدم شعبنا، فيما تجلس جماعة من الناس لنشر اليأس والإحباط)[2]

ولم يفته أن يذكر في هذا الموضع بعض مظاهر التقدم العلمي الذي حصل لإيران، وقد علق على بعضهم في هذا، فقال: (لاحظت أن بعض المتحدثين ليس لديه اطلاع على بعض الأقسام الأخرى، وأنا مطلع عليها. على سبيل المثال في التكنولوجيا العسكرية هنا إنجازات كثيرة ومدهشة. وما يشاهده المرء في التلفزيون ليس سوى واجهة، والواجهة لا يمكن أن تُظهر حقيقة الأمر وعظمته وتعقيداته. لقد أُنجز الكثير) [3]

---

[1] المرجع السابق، ص274.

[2] خطابات الخامنئي 2010، ص316.

[3] المرجع السابق، ص316.

وقال: (في هـذه الإحصـائيات الـتي ذُكـرت لاحظتم أنّ تقـدّم البلاد في القطاعات المهمّة والعلوم الحديثة والمـؤثّرة في الحيـاة كـان ملفتـاً خلال عـدّة أعـوام. وهـذا مؤشّـر على وجـود مـواهب وإمكانيات واستعداد. علينـا أن نأخـذ هـذه المسـألة بجدّيـة، أي أن نهتم لقضية العلم والاعتماد على العلم في البلاد، ونجعلهـا أساسـاً للأمور والمشاريع. هذا هو ما نقوله في هذه الأعوام) [1]

وهو يذكر أن تطـور الاقتصـاد مربتـط بتطـور العلم، فأحسـن أدوات الاقتصـاد المقـاوم هـو الجهـاد العلمي، يقـول: (إذا جـرى الاهتمام بالعلم في القطاعـات والمجـالات المختلفـة فستسـتطيع شـركات البحث العلمي والـتي تعمـل وتنتج وتـوفّر الـثروة على أسـاس العلم أن تصـل باقتصـاد البلاد تـدريجياً للازدهـار الـواقعيّ. الحصول على الثروة عن طريق بيع المصادر النافـدة مثـل النفـط ونظائره ليس ازدهاراً ولا تقدّماً، إنّما هو خداع للـذات. وقـد وقعنـا في هذا الفخ، ويجب أن نعترف ونتقبّل أنّ هذا فخٌّ بالنسبة لشعبنا. لقد ابتلينا ببيع الخام، وهذا واقعٌ وصلنا كتراث من الماضي وجـرى تعويد البلاد عليه. طبعاً جرت محـاولات في هـذه الأعـوام الأخـيرة لترك هذا الإدمان المضرّ بالبلاد، لكن هذا لم يحدث بنحو تامّ. يجب أن نعتقد أولاً أن البلد ينبغي أن يصـل إلى حيث يسـتطيع بإرادتـه، وأنّـه مـتى مـا شـاء يسـد آبـار نفطـه .. يجب أن نصـل إلى هـذه العقيدة والقناعة. هـذا مـا يتعلـق بقضـية النفـط. وبيـع الخـام في مختلف أنواع المواد الخام والمعادن لا يزال قائماً. وهذه من نقاط ضـعفنا ومن مشـكلات بلادنـا. إذا أردنـا أن ننجـو من هـذا الوضـع، ونحقق النمو الاقتصادي الحقيقي، فالسبيل إلى ذلك هـو الاعتمـاد على العلم، وهذا متاح عن طريـق تقويـة شـركات البحث العلمي) [2]

وذكر أن أهمية ذلـك لا تقتصـر على المجـال الاقتصـادي، بـل تعم كل المجالات، يقول: (إذا استطعنا إن شـاء اللـه التقـدّم ببنـاء

---

[1] خطابات الخامنئي 2012، ص272.

[2] المرجع السابق، ص272.

الأعمـال الاقتصـادية على أسـاس العلم، وتحويـل ذلـك إلى طـابع غالب على اقتصاد البلاد، فـإنّ ذلـك لن يمنح البلاد قـوة اقتصـادية وحسب، بـل سـيمنحها قـوة سياسـية أيضـاً، وقـوة ثقافيـة. حينمـا يشعر البلد أنّ بوسعه إدارة نفسه وشعبه بعلمـه ومعرفتـه ويقـدّم الخدمات لسائر الشعوب، فسوف يشعر بالهوية والشخصية. وهذا بالضبط ما تحتاجه الشعوب المسلمة اليوم) [1]

هذه مجرد نماذج عن مـدى حضـور الـولي الفقيـه في جميـع مجالات الحياة في إيـران، وتوجيهاتـه لهـا، وهـو مـا يـبين أن دوره والصلاحيات التي أعطيت لـه، لم تعـط من فـراغ، لأن هـذا الـدور وتلـك الصـلاحيات هي الـتي تـتيح لـه أن يتـدخل في السياسـات المختلفة ليوجهها توجيها استراتيجيا لتحقيق المكاسب الكبرى.

وأحب أن أختم هذا المبحث ببعض مـا ذكرتـه وسـائل الإعلام من النجاحات التي حققتها الجمهورية الإسلامية في هـذا المجـال، وفي تلك الفترة القصيرة المشحونة بالمؤامرات.

ففي مقال إخبـاري بعنـوان [إنجـازات ايـران مـا بعـد الثـورة الإسلامية] وردت الإحصائيات التالية[2]:

في القطاع الصـحي: زاد عـدد الأطبـاء من 15،000 إلى أكـثر من 111،000 طـبيب، والقضـاء التـام على حاجـة البلاد إلى توظيف الأطباء الأجانب، فضلا عن جذب السياحة الصحية، وقبـول وعلاج المرضى الأجانب الذين يعانون من مختلف أنواع الامراض.

ومن الابتكـارات الـتي حققهـا الإيرانيـون في هـذا القطـاع: التطور الكبير في مجال الخلايا الجذعية، وفي زراعة الكلى وعلاج أمراض العيون، بالإضافة إلى حصول إيران على المركز الأول في الشـرق الأوسـط بإنتـاج 97 بالمئـة من الأدويـة اللازمـة وتصـدير الأدوية، بما في ذلك العقاقير والتكنولوجيا الحيوية.

---

[1] المرجع السابق، ص272.

[2] انظر: إنجازات ايران ما بعد الثورة الإسلامية، موقع براس الإيـراني الإخبـاري، 13 فبراير 2018.

وقد حصل الاكتفاء الذاتي في صنع اللقاحات والقضاء على شلل الأطفال وغيره من الأمراض الشاملة، حيث تغطي اللقاحات اليوم 100 بالمئة من اراضي البلاد بعد أن كانت 30 بالمئة قبل الثورة، وقد نتج عن هذا التطور انخفاض معدل وفيات الأطفال دون سن سنة واحدة من أكثر من 12 بالمئة قبل الثورة إلى أقل من 1.5 بالمئة والحد من وفيات الأمهات من 54.2 بالمئة إلى 0.24 بالمئة بعد الثورة.

في المجال الصناعي: حصلت زيادة وتطوير معامل التكرير والبتروكيماويات وتصنيع أكثر من 40 محطة كبيرة للنفط والغاز والبتروكيماويات على مدى العقود الثلاثة الماضية.

وارتفعت نسبة انتاج الاسمنت من 6.6 ملايين طن الى حوالي 80 مليون طن وازدادت الصادرات غير النفطية من 523 مليون دولار عام 1979 الى 5731 مليارا عام 2017.

وارتفع مستوى الاكتفاء الذاتي في صناعة النفط من 4 بالمئة إلى 80 بالمئة، والبتروكيماويات من 4 ملايين طن في عام 1979 إلى 38 مليون طن بعد الثورة.

في المجال العلمي: يحتل الباحثون الإيرانيون اليوم المرتبة السادسة عشر من الإنتاج العلمي، وبحلول عام 2012، تم تسجيل أكثر من 26196 براءة اختراع في البلاد، وارتفع الترتيب العالمي لإيران في المجال العلمي في الفترة من 1996 إلى 2015 من 16 إلى 53 بالمئة بعد الثورة.

بالإضافة إلى ذلك تحتل ايران مرتبة كبيرة بين الدول المتقدمة الأخرى في مجال العلوم الجديدة مثل: نانو الالكترونيات الدقيقة ناهيك عن دخول العلم الى مجال تصنيع الروبوتات.

أما الجامعات، فقد زادت قدرتها من 15 جامعة حكومية إلى 615 جامعة (115 جامعة حكومية و500 جامعة غير حكومية) وزيادة عدد الطلاب من 175 ألف قبل الثورة إلى أكثر من 4 ملايين طالب في أعقاب الثورة الإسلامية.

وقد نتج عن ذلك كله ارتفاع كبير وملحوظ في مجال نشر المقالات العلمية من 0.1٪ (669 مقالة) في عام 1979 إلى 165.1٪ (23 ألف مقالة) في السنة بعد الثورة.

في المجال العام والاجتماعي: تطورت شبكات توزيع مياه الشرب مع زيادة قدرها من 3.7 ملايين قبل الثورة إلى 11908658 مشتركا بعد الثورة وعدد المدن التي لديها شبكة مياه صحية من 45 مدينة إلى أكثر من 1000 مدينة ومن عدة مئات من القرى قبل الثورة إلى حوالي 33297 قرية حاليا.

وزادت معاشات الضمان الاجتماعي من 89،000 إلى حوالي 4 ملايين شخص والتأمين الصحي من 10بالمئة إلى أكثر من 95 بالمئة.

وتم تنفيذ خطة مهر الإسكانية، وتطوير الصناعة السياحية، وتنظيم المعارض الدولية المختلفة، وتمهيد الطريق لتحسين نوعية الحياة للشعب الايراني.

في المجال الزراعي: قبل الثورة، كان حدود الإنتاج الزراعي 25 مليون طن، والآن يتجاوز الانتاج الزراعي الايراني 100 مليون طن، بالإضافة إلى اعتماد البلاد على نفسها في انتاج كل المحاصيل.

وتم توفير 90 في المئة من طلب البلاد من المنتجات الزراعية والاستراتيجية، مثل القمح، وتعتبر ايران ثاني أكبر منتج استراتيجي واستهلاكي للرز بمعدل نمو يتراوح بين 60 و70 في المئة مقارنة بمرحلة ما قبل الثورة الإسلامية.

وقد تطورت الصناعات ذات الصلة بالقطاع الزراعي بحيث زادت قدرة الإنتاج الزراعي في البلاد إلى 33 مليون طن في عام 2006، وارتفعت في نهاية البرنامج الرابع إلى 42 مليون طن، وإيران هي المنتج الأول للفستق والزعفران والرمان في العالم.

في مجال بناء المدن والعمران: زيادة نسبة الوصول إلى المياه المكررة إلى 96.2 بالمئة من الشعب، وزيادة الطرق

الرئيسية في البلاد من 36 ألف كيلومتر إلى أكثر من 200 ألف كيلومتر، وتطوير السكك الحديدية من 4 آلاف كيلومتر إلى ما يقرب من 20 ألف كيلومتر، وزيادة عدد المطارات من 22 مطارا إلى نحو 100 مطار، وزيادة عدد الموانئ ورفع طاقتها الى 10 ملايين طن، والطرق الريفية في عام 1977كانت بطول 26 الف كيلو متر ومن التراب اما اليوم فيبلغ طولها أكثر من 100 الف كم، و56 بالمئة منها طرق من الاسفلت.

خامسا ـ الجانب الفني وقيم الحضارة:

من المزايا التي تميز بها النظام الإيراني، وباتفاق الكثير حتى المغرضين منهم، اهتمامه بالفنون الجميلة بجميع أنواعها، ما تعلق منها بالسمع كالإنشاد والغناء، أو ما تعلق بالبصر كالرسم والنحت، أو ما تعلق بهما جميعا كالمسرح والسينما وغيرهما.

وميزته الأخرى المتعلقة بهذا، والتي ترد على تلك المفاهيم الخاطئة حول الطريقة التي يفكر بها الولي الفقيه، أو القدرات الشخصية الموفرة له، هو اهتمام كلا من قائده الأول، مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني، وخليفته السيد علي الخامئني بالفنون، وبالكتابة الأدبية، والنقد الأدبي، وبالشعر؛ فكلاهما أديب وشاعر وفنان.

وقد ذكرنا في الجزء السابق، عند حديثنا عن العرفان بعض المقطوعات الجميلة للخميني، والتي تضاهي أشعار جلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، وابن الفارض، وغيرهم، كنموذج لذلك الاهتمام الأدبي، والروح الشاعرية.

وهكذا شأن الخامنئي، فقد ذكرنا في الجزء السابق أيضا مدى اهتمامه بمطالعة الروايات والقصص، وخبرته فيها، وتوجيهاته المتعلقة بها، وقد كانت علاقته بالأدب قديمة ابتدأت من شبابه الباكر، حينما كان في مشهد، حيث شارك في بعض الجمعيات الأدبية التي تشكلت آنذاك بمشاركة شعراء كبار، وكان ينقد الشعر في هذه الجمعيات الأدبية.

بالإضافة إلى ذلك كله كان شاعرا، وقد كتبت بعض المواقع

عنه تحت عنوان [خامنئي الشاعر متعطش لـ (كأس الحياة)] تقول: (كثيرة هي الأخبار التي تحيطنا بجوانب من شخصية السيد خامنئي السياسية، لكن قلة من المقربين منه تعرفوا على خامنئي الأديب والشاعر وتمكنوا من ولوج عالمه الخاص. فعلى الرغم من ولعه بالشعر منذ أكثر من ستين عاماً، إلا أنه لا يزال يشعر بالخجل من إلقاء قصائده أمام الملأ، ويتردد في إصدار ديوانه الأول. لكن الشهر الماضي تجاوز خامنئي خجله وألقى أحدث أعماله الشعرية أمام زملائه الشعراء) [1]

وعلقت كاتبة هذا الخبر عليه بقولها: (لطالما اتهم علماء الدين بالانغلاق تجاه الفنون، وبأنهم لا يملكون نظرة واضحة في الفن، لكن خامنئي كسر هذه القاعدة بانفتاحه على الساحة الأدبية بشكل واسع. فهو من كبار الناقدين للأدب، وله ذوق نقدي يشهد له كبار الشعراء والأدباء المعاصرين الإيرانيين)

ومن اهتماماته المتعلقة بهذا الجانب، والتي ترد على خصومه الذين يتهمونه ويتهمون مشروع الجمهورية الإسلامية بالتعصب للفارسية، اهتمامه، بل عشقه للغة العربية، وآدابها وفنونها؛ فقد نقلت جريدة (كيهان العربي) بتاريخ 21 رجب 1414هـ عن بعض المقربين من السيد علي الخامنئي الدكتور محمد علي آذرشب، (المستشار الثقافي للخامنئي) قوله: (آية الله الخامنئيّ يعشق الأدب واللغة العربيّة، وإنّه وحتّى اليوم مع زحمة الأعمال الّتي تحيط به، يعقد جلسات بحث أسبوعية في الأدب والشعر العربيّ يتعرّض خلالها القليل من الشعر القديم ولكثير من الشعر الحديث، وخلالها أسمعه مرارًا يقول: (طالما تمنّيت أنّني ولدت في بلد عربيّ يمكّنني من الكلام باللّغة العربيّة)

ويعقب محمد علي آذرشب على هذا بقوله: (لقد طالع موسوعات في الأدب العربيّ بأجمعها ووضع عليها هوامش وتعليقات، من ذلك كتاب الأغاني، فقد طالعه بأجمعه ووضع على حواشيه تعليقات وملاحظات هامّة؛ كما وضع فهرسًا كاملًا قبل أن تبادر دار الكتب إلى طباعة فهرس الأغاني. وحاول منذ سنٍّ مبكر

1() خامنئي الشاعر متعطش لـ (كأس الحياة)، زهراء ديراني، موقع الميادين.

أن يقرأ لجبران خليل جبران، ويترجم لـه ويقـرأ ديـوان الجـواهري ويعلّق عليه، وحتّى في السجن لم يُفوِّت فرصـة الارتبـاط بمن لـه ذوق بالأدب العـربيّ، من ذلـك أنّـه التقى في سـجن القلعـة سـنة 1963م بمجموعة من السجناء العرب الخوزسـتانيّين، فـآنس بهم وآنسـوا بـه وكـان منهم المرحـوم السـيّد بـاقر الـنزاري، ويـذكر الخامنئي، إنّه كان دائمًا يحاول أن يتكلّم مع هؤلاء العرب ويتحادث معهم، وكـان يعلّم بعضـهم قواعـد اللّغـة العربيّـة ويتعلّم منهم المحادثـة العربيّـة، حتّى أنَّه حينمـا خـرج من السـجن عملـوا لـه هوسة: (يا سيّد جدّك ويّانه)[1]

وفي هذا المجال نذكر علاقته بالشـاعر العـراقي الكبـير، بـل شاعر العَرَب الأكبر مُحمّد مهدي الجواهري، والذي كتب عنـه على الصفحة الأولى من كتابه (ذكرياتي) قصيدة أهداها إليه قال فيها:

سَيّدي أيّها الأعز ... أنتَ ذو مِنّة وَأنتَ
يَعجَزُ الحرف أن ... كُل ما قيل في سِواه
أُيّها الشامِخ الذي ... زَعيماً لِثَورَةِ تَستَهِل
لَكَ في ذِمّة الإله ... يَدٌ مَن مَسّها بِسوءِ
لَكَ في السّلم مِنبَرٌ ... لَكَ في الحرب
لَكَ أهلٌ فَوقَ الذّرى ... لَكَ بَعدَ المكرُمات
فاغتَفِر لي ما جاءَ ... يا عَطوفاَ عَلى خُطى

وبنـاء على هـذه الاهتمامـات، والـتي يجهلهـا الكثـير للأسـف، ويتصورون الولي الفقيه بصورة الفقيه الجـاف، الـذي لا يعـرف إلا الفتوى، وما يرتبط بها، ويغفلون عن كـون قـادة الثـورة الإسـلامية جميعا كانوا فلاسفة ومفكـرين وأدبـاء، ويتقنـون فـوق ذلـك لغـات متعددة تتيح لهم الاطلاع على الثقافة العالمية.

وقد كان في إمكـان النظـام الإيـراني أن يختـار لقب [الـولي الحكيم]، بدل [الـولي الفقيـه]، لهـذا الاعتبـار، خاصـة مـع اهتمـام

---

[1] جريدة (كيهان العربي) بتاريخ 21 رجب 1414هـ.

جميع قادة الثورة الإسلامية ومفكريها بالحكمة والفلسفة، لكنهم لم يفعلوا ذلك، لأن الولي الفقيه يمارس صلاحيته انطلاقا من الفقه، الذي هو التعرف على الأحكام الشرعية، والتعريف بها، ومحاولة تنفيذها في الواقع.

انطلاقا من هذا نحاول هنا باختصار أن نذكر تصورات قادة النظام الإسلامي في إيران، للفن، وأهميه، وخصائصه التي تتبناها الجمهورية الإسلامية.

ومثلما سبق ذكره في الجوانب الأخرى من التحذير والتقليد والتبعية والتغريب، نرى كذلك في هذا الجانب دعوة ملحة من جميع القادة إلى الإبداع والابتكار، وبناء منظومة فنية شاملة نابعة من الهوية، ومن القيم الإسلامية.

ولذلك نرى الخامنئي ينكر ــ في محاضراته وخطبه وكتبه ـ على الفنون الغربية، لأنها فنون مادية، وتضليلية، وتسيء إلى الأخلاق والقيم الإنسانية، وهي فوق ذلك تخدم الاستعمار والحرب الناعمة، يقول ـ في خطاب له موجه للفنانين، في أحد لقاءاته بهم ـ: (من النقاط التي ينبغي الالتفات إليها في مواجهة عالم الغرب بشكل كامل، هو عنصر الفنّ وأداته التي يستخدمها الغربيّون. لقد استفادوا من الفنّ إلى أقصى الحدود من أجل ترويج هذه الثقافة الخاطئة والمنحطّة والماحقة للهويّات، ولا سيّما الفنون المسرحية (الأدائية)، وخاصّة الاستفادة من السينما وبأقصى ما يمكن. فهؤلاء يجعلون أيّ شعبٍ تحت الدراسة على شكل مشروعٍ ما، فيكتشفون نقاط ضعفه، ويستفيدون من علماء النفس وعلماء الاجتماع والمؤرّخين والفنّانين وأمثالهم، ليكتشفوا طرق الهيمنة على هذا الشعب. ثمّ بعد ذلك، يوصون منتجاً سينمائيّاً أو مؤسّسة فنّيّة في هوليوود لكي تصنع فيلماً. فالكثير من الأفلام التي ينتجونها لنا وللدول هو من هذا القبيل)[1]

ثم ذكر مدى وضوح هذا الدور التضليلي الذي تقوم به السينما الأمريكية خصوصا مع جميع الشعوب حتى الأوروبية منها،

---

[1] خطابات الخامنئي 2012، ص506.

يقول: (ليس لديّ اطّلاعٌ على الأفلام المتعلّقة بالـدّاخل الأمـريكيّ، لكنّ ما ينتجونه للشعوب فيه بعدٌ هجوميّ. قبل عدّة سنوات، نُشر في الأخبـار أنّ بعض الـدول الأوروبيّـة الكـبرى قـرّرت أن تواجـه الأفلام الأمريكية. هؤلاء ليسـوا مسـلمين، لكنّهم يستشـعرون هـذا الخطر، خطر الهجوم) [1]

وهو يذكر أن إيران تستشعر هذا الخطر، ولـذلك تـراقب كـل ما يصدر من إنتاج فني غربي، وتضع البدائل له، يقـول: (وبـالطبع، إنّ الدول الإسلاميّة، وبلدنا الثوريّ بشكل أخصّ، يستشـعرون هـذا الأمر أكثر. فهم ينظرون ويقيسـون الخصـائص، ويزنـون الأوضـاع، وينتجون الأفلام، ويعدّون الأخبار على هـذا الأسـاس، وكـذا الإعلام فإنّهم يشكّلونه ويبثّونه وفقاً لذلك)[2]

وقد سبق أن ذكر الخميني هذا، ودعا إليه في أوائـل سـنوات انتصار الثـورة الإسـلامية، حيث قـال في خطـاب موجـه للشـعب: (المراكـز الإعلاميـة المسـموعة والمرئيـة والـتي هي على إتصـال دائم بالأمّة ليل ونهـار في سـائر أنحـاءالبلاد سـواءالمطبوعات في مقالاتها وكتاباتهـا، أو الإذاعـة والتلفزيـون في برامجهـا وتمثيلياتهـا وعرض الفنون واختيار الأفلام والفنون البناءة، عليها كلها أن تعقـد العزم وتعمل أكثر ما تستطيع وتطلب إلى الفنـانين الملـتزمين أن يأخذوا بنظر الإعتبار أوضاع فئات المجتمـع كافـة في سـبيل تربيـة المجتمع وتهذيبه بشـكل صـحيح، وتعليمـه سـبيل الحيـاة الشـريفة والمتحررة بالفنون والمسرحيات والتمثيليات والمسلسلات، ومنـع الفنـون المبتذلـة والسـيئة التعليم، فالشـعب العزيـز وعلى مـدى خمسين عاماً أسـودَ، قـد ابتلى بمجلات وجرائـد مخرّبـة ومفسـدة لجيل الشباب، كانت السينما والإذاعـة والتلفزيـون، أسـوأ منهـا إذ دحـرجت ببرامجهـا الشـعب إلى حـدّ كبـيرالى أحضـان الغـرب والمتغـرّبين. ووسـائل الأعلام الجماعيـة أشـد ضـرراً وأسـوأ من المدافع والدبابات والأسلحة المدمرة إذ أن أضرار الإسلحة أضـرار

1() المرجع السابق، ص506.

2() المرجع السابق، ص506.

عابرة والأضرار الثقافية باقيـة وتسـري إلى الأجيـال القادمـة كمـا شاهدتم وتشاهدون، ولو لم يكن اللطف الخـاص من اللــه المنّـان والتغيير السـريع لابناءالشـعب على مسـتوى البلاد كلهـا فلا نـدري إلى أين سيُجرفُ مصير الإسلام والبلاد)[1]

ولهذا نراهم يسنون القوانين التي تحمي الفنـون من الوقـوع في فخ العلمانيـة، لتبتعـد عن الـدين الـذي هـو أعـز مـا يملكـه الإيرانيـون، بـل إن الخـامنئي لا يكتفي في خطابـه للفنـانين بتلـك الشـكليات المرتبطـة بالـدين، وإنمـا يـدعو إلى ممارسـة رقابـة مشددة حتى لا تتسلل الأفكار العلمانية في ثوب فني، يقول: (في بعض الأحيان يكون الإعلام (والتوجهـات الإعلاميـة)، ظـاهره دينيّـاً والكلام كلام الدين، والشعار شعار الدين، أمّـا في البـاطن فيكـون علمانيّا، أي يدعو لفصل الدين عن الحياة)

ويقول في لقـاء آخـر: (إنـني لا أحمـل أيـة نظـرة تسـاهل أو تغاضٍ بالنسبة للتلفزيون ومن أية جهـة. فـالفنون التمثيليـة مهمـة جداً، ومدى التأثير الذي تحدثه وبناؤهـا للثقافـة واسـعٌ جـداً، ونحن اليوم كأمّة حيّة لها كلمتها وتشعر بهويتها ووجودها لنـا أعـداء كبـار ونواجه عداوات من مختلـف الأنـواع وبأسـاليب متعـددة، منهـا مـا يتعلق باستخدام الفنون وأكثرها الفنون التمثيليـة. وهـذا يـدلّ على أهمية أن نولي كأمة حيّة وكجماعة لها كلمتهـا في العـالم وهـدفها قضية الفنون التمثيلية الاهتمام الكافي لها ونبذل لأجلها الرساميل المادية والمعنوية)[2]

وهو يحذر من تلك الممارسـات الـتي تقـع في الغـرب بحجـة السـينما الواقعيـة، أو تصـوير الواقـع، ويعتبرهـا نوعـا من الـدعوة للفساد، يقول: (أجل إن إظهار حركة الشـر لا إشـكال فيـه، ولكن فليُعلم بوجـود حركـة خـير، وأن شخصـية البطـل تسـعى إليهـا، وتحارب من أجلها، وتضـحي في سـبيلها، حـتى أنـه أحيانـاً يضـحي بنفسه من أجلها ومن أجل الوصول إلى ذلك الهدف. وصحيحٌ أنكم

[1] صحيفة الإمام، ج19، ص: 145.

[2] خطابات الخامنئي 2010، ص232.

هنا أظهرتم العيب والقبح، ولكنكم أظهرتم شيئاً أكبر وهو الجهاد من أجل مواجهة هذا المنكر، هذا ما يُسمّى انتقاداً. وإنني كعالم دين، وكمسؤول في نظام الجمهورية الإسلامية، أقول لكم إن مثل هذا الانتقاد لا إشكال فيه بل هو مطلوب لأن هذا الانتقاد يتقدّم بالمجتمع على طريق القضاء على النقائص، ويمده بالحركة، وهو أمرٌ جيد. ولكن في بعض الأحيان لا يكون الأمر كذلك، وإنما اعتراض مجرد الاعتراض، حيث ينتزع المرء نقطة سلبية ويصر عليها. فهل أن النقاط السلبية ونقاط الضعف تزول من المجتمع؟ هل يمكن أن تُقتلع بشكل كامل؟ وهناك أمرٌ آخر، أن يكون معترضاً وسوداوياً وباعثاً على اليأس لا يعد هدفاً للفنان أو هدفاً، وهو لا يُعد امتيازاً أو فخراً، ففي بعض الأحيان أنتم تُظهرون منكراً دون أن تُظهروا عامل الخير الذي من المفترض أن يتغلب على ذلك المنكر أو يواجهه، وبهذا تنشرون اليأس في المجتمع وتغذونه، ومن يشاهد فيلمكم من جانب آخر يقول: ما هي الفائدة؟ رغم الأثر الكبير الذي يكون للفيلم ورغم جودة التمثيل) [1]

ويلخص لهم هذا المعنى بقوله: (أنا أقول لكم انتقدوا ولكن فليكن انتقادكم بالمعنى الواقعي للكلمة، أي أن تُظهروا صراع الخير والشر لكي يُعلم أنه مع وجود نقطة قبيحة ومنكرة في المجتمع، هناك دافعٌ لإزالتها، وهناك تيار يسعى لاقتلاعها والقضاء عليها. فإذا أظهرتم الفقر، فلا يكون ذلك بطريقة يظهر فيها الفقر في المجتمع دون أي تحرك لمواجهته. لو حصل ذلك، فإن هذا الفيلم سيكون مثبطاً حتماً، ويعكس سوداوية الأجواء) [2]

وهو يشيد بالنجاحات التي حققها المشرفون على الفنون في إيران، ويذكر في بعض لقاءاته إحصاءات مرتبطة بها، فيقول: (إنني أشكركم جميعاً وأقدركم، بيد أنني أذكر أن هناك مجالاً كبيراً للعمل ولدينا إمكانات هائلة. فمن بين 33 ألف ساعة من البث

---

[1] المرجع السابق، ص234.

[2] المرجع السابق، ص234.

خلال العام وضمن ما قدم لنا من إحصاء فإن أكثر من 60 بالمائـة من المسلسلات هو من إنتـاج محلي، وفي مجـال الأفلام فـإن مـا يبلغ حوالي 40 بالمائة هو إنتاج محلي، وهو رقمٌ مرتفع جداً، وهـذا يدل على وجود إمكانات مدهشة في البلد، بل كثير من الـدول في العـالم لا تمتلـك هـذه الإمكانـات مـا خلا عـدد محـدود من الـدول المعروفة في العالم. وفي الواقـع فـإن الكثـير من مراكـز صـناعة الأفلام في مختلـف الـدول يـدار من قبـل مجموعـة معـدودة من الـدول، وعمـدتها أمريكـا وهوليـوود، ونحن لـدينا هـذه الإمكانـات، وهذه الموارد البشرية الجيدة، وهذه الإمكانـات التجهيزيـة، وأيضـاً القدرة البرمجيـة المميـزة، وهـذا التـاريخ المليء بـالحوادث. لهـذا فإن لدينا إمكانـات كبـيرة للعمـل. لقـد بـذلتم جهـوداً كبـيرة، وفي الواقع فإن نتاج أتعابكم هو هذه الآثار الجيدة، ولكن لا زال بين مـا أُنجز وما يمكن إنجازه بهذه الإمكانات العظيمة مسافة بعيدة) [1]

ويذكر بعض النماذج الفنية الناجحة في ذلك، فيقول: (ها أنتم هنا انظروا إلى مسلسل كمسلسل النـبي يوسـف. وهـو مسلسـل أُنتج وتمت مراعاة جميع الجهات الشرعية وغيرها فيه. فإنــه يــبيّن سيرة أحد الأنبياء وأساس العمل فيــه مبـنيّ على العفـاف، وليس على الأسـاس الـرائج في الأفلام العالميـة، من العشـق والشـهوة وأمثالهما. وفيما بعد يتم الإقبال عليه بهذا الشكل في أنحاء العالم الإسلامي ـ ولعله في بعض مناطق غير العالم الإسلامي. ولقــد تم انتقـاده في الجرائـد وأسـيء القـول نحـوه واعترضـوا عليـه علنـاً واختلقوا حوله أموراً أخرى. في النهاية، مثـل هـذه الأمـور تحـدث، إنني أريد أن أقول لكم أن لا تحملوا في أنفسـكم كـل هـذا القلـق من الانتقاد والقيـل والقـال، فلـو كـان الأمـر مبنيـاً على أن تعتنـوا بمثل هذه الأمور المقلقة، ولعل بعضها غـير واقعي وممـا يتصـوره الفنان بسبب رقته، وهو وهم، لما أمكن للإنسان القيام بأي عمل، هذا مـا أؤمن بـه. لهـذا لا ينبغي أن تحزنـوا كثـيراً من هـذه الأمـور المقلقة) [2]

---

[1] المرجع السابق، ص237.

[2] المرجع السابق، ص233.

بعد إيرادنا لهذه التصورات العامة لمكانة الفن عند قادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والدعم المعنوي والمادي الذي يولونه لها، أحب أن أذكر هنا بعض نجاحات الفن الإيراني، وقدرته على أن يحظى باحترام العالم، ويحطم بذلك الكثير من أسطورات التشويه التي تشن حول تشدد نظام الولي الفقيه.

ففي مقال بعنوان [كيف انتزعت السينما الإيرانية احترام العالم؟] يقول صاحبه: (فجرت صناعة السينما الإيرانية مكامن الإبداع في أقل من عشرين سنة بعد قيام الثورة الإسلامية، وملأت الكرة الأرضية كلها بأعمالها اللامعة، وأصبحت هذه النجاحات مصدر فخر لإيران. والمدهش في هذه التجربة أنه بالرغم من أن الظروف لم تكن في صالحها (الحرب العراقية-الإيرانية إضافة إلى الفوضى العارمة والمؤامرات الخارجية) استطاعت هذه السينما أن تبرز وتفرض نفسها عالميا وتكرم في أكبر المحافل والمهرجانات. وأضحت بعض الدول مثل أمريكا وأستراليا وبريطانيا وألمانيا واليابان وغيرها تقيم مهرجانات خاصة بالأفلام الإيرانية. وباتت تعد من الدول الثلاث الأولى في العالم وذلك بفوزها بأكثر من ألف ومائة وثمان وأربعين جائزة دولية ومشاركتها في أكثر من خمسة عشرة ألف مهرجان دولي في مختلف أنحاء العالم. كما شارك خبراء السينما الإيرانية في تشكيلة لجان التحكيم للمهرجانات الدولية لأكثر من مائتين وخمسين مرة. وحصلت عشر إيرانيات على جوائز أحسن ممثلة من اكبر المهرجانات الدولية مثل مونريال، ولوكارنو، وموسكو، والقاهرة، ونانت. كما رشحت بعض الممثلات الأخريات إلى أحسن ممثلة في القسم الأجنبي في الأوسكار الأمريكية)[1]

وهكذا ذكر الكثير من النماذج عن نجاح الإيرانيين في نيل الجوائز العالمية على الرغم من الإمكانيات البسيطة التي يؤدون بها أعمالهم، مقارنة بما هو عليه الحال في الدول الكبرى.

ويتساءل الكاب العربي المغربي عن سر ذلك النجاح الذي

---

[1] كيف انتزعت السينما الإيرانية احترام العالم؟ ، حسن بنشليخة، نشر في هبة بريس يوم 18 - 06 – 2010.

حصل لإيران، ولم يحصل مثله للدول العربية، وخصوصا الخليجية على الرغم من الإمكانات الضخمة التي لديها، ويجب عن ذلك بقوله: (في الوقت الذي نجد فيه الدول العربية ولاسيما الخليجية منها والتي تطل على سواحل إيران تستنسخ المركبات الرياضية العملاقة وناطحات السحاب الشاهقة وتتباهى بها، نجد إيران تستثمر في الثقافة والفكر والفن الذي يرفع من شأن شعبها. فالاسمنت لا روح له سيما إذا بنته أياد أجنبية بينما الثقافة تحمل تعريفا للمجتمع. وفي الوقت الذي نجد فيه المخرج المبدع العربي يقف لوحده في عراك مستميت لإنتاج فيلم واحد، وربما الانسحاب بعد ذلك من الساحة الفنية إلى الأبد، نجد إيران تتخذ إستراتيجية تلقي بكل ثقلها المادي والمعنوي وراء مخرجيها وتجعل من السينما نافذة يطل عبرها الشعب الإيراني على العالم قصد التواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى. وتتخذ إيران أهم خطوة مسؤولة فتعين مفكرا وفيلسوفا على رأس وزارة الثقافة من سنة 1982 إلى سنة 1992، أي عشر سنوات. وتضم وزارة الثقافة مؤسسة الفارابي السينمائية، وتعهد هذا المفكر بالنهوض بالمشروع السينمائي الإيراني وتهيئ الأرضية اللازمة وإعادة الثقة والاعتبار إليها خلال السنوات العشر. فكان هذا الرجل بمثابة الأب الروحي للسينما الإيرانية) [1]

وهو يذكر بعض الأدلة على اهتمام النظام الإيراني بالفنون السينمائية، فيقول: (نشير هنا أن في إيران أكثر من 500 مخرج ويتخرج من معاهدها 20 امرأة مخرجة سنويا وبذلك تتفوق حتى على الدول الغربية)

ويذكر أن وزارة الثقافة الإيرانية أنشأت [مدينة سينمائية] (جندت لها كل الطاقات ورؤوس الأموال وآخر المكتشفات التقنية والتكنولوجية المتطورة كما هي الحال في استوديوهات هوليود. بذلك تكون قد أعدت الأرضية اللازمة للسينما الإيرانية خلال السنوات التالية كما أنها أتاحت الجو اللائق للمخرجين حتى يبدعوا في إنتاجاتهم. وفتحت وزارة الثقافة هذه المدينة لكل المخرجين

---

(1) المرجع السابق.

الإيرانيين دون استثناء وبأرخص الأثمنة في العالم. ويقوم بالإنتاج السينمائي المخرجون بصفتهم منتجين منفذين ويحصلون على الدعم لأول ثلاثة أفلام ويتم شراؤها وتقوم شركة توزيع كبيرة أنشأتها الدولة بتوزيع الأفلام داخليا وخارجيا. وبنت أرقى وأكبر عدد ممكن من دور السينما.. ونجد أن في طهران لوحدها أكثر من 100 قاعة سينمائية كما أن هناك مركبات قيد البناء تتسع ل 1200 متفرج. كما دشنت وزارة الثقافة مهرجان الفجر السينمائي الذي لا يكتفي في نشاطه بدعوة ضيوف أجانب، ويقيم لهم الحفلات الصاخبة، وتهدر الأموال الباهظة بدون فائدة، بل الغرض أن يكون وسيلة لإنجاز إنتاجات مشتركة ودفع عملية تعاون أوثق مع المهرجانات الأخرى وتبادل الآراء على المستوى العالمي. وأصبح يعد تظاهرة فنية عالمية تستقبل أكثر من 45 دولة من بينها أمريكا، فرنسا، اليابان، بريطانيا، ايطاليا، الصين، ألمانيا، هولندا، ودول أمريكا الجنوبية وغيرها. وتوافد على المهرجان في السنة الماضية أكثر من 200 وكيل من 47 بلد و 123 موزع ومنتج عالمي بما فيهم الولايات المتحدة، كما حضر 91 موفدا من المهرجانات العالمية (لوكا رنوا، كان، البندقية، برلين، تورنتو) هذا بالإضافة إلى 141 وكيل من 39 شركة إنتاج إيرانية حيث تم تبادل الأفلام الهامة المنتجة)[1]

وهو يشيد كذلك بنوعية الأفلام والمسلسلات الإيرانية، وكونها نابعة من القيم، ومحافظة على الأصالة، فيقول: (تمكن السينمائيون الإيرانيون بفضل كفاءتهم وجرأتهم وحبهم للفن السابع من العمل وتقديم أفلام واقعية تحمل رسائل إنسانية ومسحة جمالية وتحترم القيم ولا تشتم في ثوابت التراث، ولا تتاجر بجسد المرأة ومن دون أن تكشف حتى غطاء رأسها، ولا تغطي بالضجيج والعنف الغير الواقعي والنماذج البطولية المزيفة تفاهة المضمون ولا تعتمد على ميزانية الديكورات الضخمة. إنها سينما بالغة البساطة، ملتزمة وهادفة، وبذلك تكون قدمت مجموعة من روائع الأفلام ونماذج عظيمة للفن الإنساني الراقي. وأبرع ما في ذلك أنها تعتمد في تصوير الكثير من الأفلام على

---

(1) المرجع السابق.

كـاميرا الفيـديو الرقميـة المحمولـة على الكتـف (أغلب الأفلام الإيرانيـة تنتج بأقـل من200 ألـف دولار أي حـوالي 160 مليـون سنتيم مغربي وتحصد الأربـاح الكثـيرة مثـل فيلم [أطفـال الجنـة] الـذي حقـق أرباحـا تتمثـل في مليـون دولار من أمريكـا وحـدها، والأهم من ذلك أنها ليسـت سـينما نجـوم، فمعظم أبطالهـا ليسـوا ممثلين محترفين) [1]

وهو يشيد بالأفكار المطروحة في السينما الإيرانيـة، والنابعـة من ثقافتها، فيقول: (أما السيناريو فهو يحمل عمقـا مدهشـا ولغـة ثرية متنوعـة ومكتـوب بنكهـة الإبـداعات القصصـية الراسـخة في الثقافة الإيرانية الشعبية، وتشم من خلاله رائحة حافظ الشـيرازي وعمـر الخيـام وجلال الـدين الـرومي. ونظـرا لطبيعتـه التأمليـة والفلسفية وقيمة مادته الجمالية ولغته التعبيريـة يصـبح السـيناريو واحـدا من أهم خصوصـيات ومـيزات السـينما الإيرانيـة. فالطـابع الشـرقي المحلي حاضـر، والهويـة الثقافيـة مسـتمدة من الواقـع الاجتمـاعي وقمـة التمثيـل تـدهش المشـاهد ومهـارة الكـاميرا وتحكمها في المشاهد ودقة اختيار مواضيعها والتركيز على الحس الجمـالي في أرقى مسـتجدياته حـتى تحس أنـك أمـام السـجاد الإيراني المفعم بروعة الفن وجمال النقـوش والألـوان الـتي تعـبر بدورها عن شاعرية الإنسان الإيراني ودفئه العـاطفي وحبـه للفن) [2]

وهو يذكر أن السينما الإيرانية متفردة في الكثير من النواحي عن السينما العالميـة، وخاصـة فيمـا يرتبـط بحفاظهـا على هويتهـا وأصالتها، يقول: (والسينما الإيرانية مختلفة من خلال تأكيـدها على هويتهـا وخصوصـياتها وتفردهـا وعـدم تشـبهها بـأي سـينما أخـرى. ومعروف أن أهم مـا يمـيز السـينما الإيرانيـة يتمثـل في بسـاطتها العميقـة في مضـامينها ورمزيتهـا ممـا جعلهـا تنـافس المسـتويات العالمية. وشكل الرهان على المحلية الـذي اعتمـدت عليـه الأفلام

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

الإيرانية أهم خطواتها نحو العالمية إذ اهتمت بتوثيق مشاغل مجتمعها وهمومه وتخلت في المقابل على الإكسسوارات الزاهية واهتمت بالمواطن الإيراني وآلامه وهواجسه. وبذلك تكون السينما الإيرانية قدمت استعراضاً راقياً يصل إلى الجمهور المحلي والعالمي يستحق كل الإعجاب والتقدير) [1]

وهو يشبهها في دقتها وغموضها وجمالها بالسجاد الإيراني، فيقول: (السينما الإيرانية، مثل السجاد الإيراني: لوحة بديعة تنبض بالجمال وبشاعرية فياضة. وكان لزاما على المتفرج أن يدقق بعين ثاقبة لان السينما الإيرانية بها غموض غريب وإثارة لا يستطيع معها المتفرج الإمساك بالمعنى الذي يريد المخرج التعبير عنه. فالتفاصيل فيها مهمة لأنها تحمل الكثير من ألوان الطبيعة الشعرية والقصصية التي تزخر بها الثقافة الفارسية المليئة أيضا بالرموز الروحية والتعبيرات والإيحاءات الخفية. فهم يحكون قصة لكنهم لا يكشفون كل جوانبها ويتركون هذه المهمة للمتفرج ليتفاعل معها. فيكون الفيلم بديعا في تفاصيله وألوانه، مليئا بالفلسفة والعمق والتناغم الشعري، غنيا بالمشاعر الإنسانية المستلهمة من الهوية والكرامة والحضارة الإيرانية)[2]

هذه مجرد شهادة صادقة عن بعض نجاحات الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الجوانب الفنية، ومثلها شهادات كثيرة، وهي تتصاعد كل يوم بمقدار تطور القدرات الإيرانية في هذا الجانب، والذي لا يختلف كثيرا عن تطورها في سائر المجالات.

والملفت للنظر في هذا الجانب خصوصا هو تلك العلاقة الطيبة بين الخامنئي وبين المخرجين، كالمخرج الكبير فرج الله سلحشور، صاحب مسلسل [يوسف عليه السلام]، والذي ذكر علاقته الشخصية بقائد الثورة الإسلامية، واستفادته من توجيهاته في إنتاجاته الفنية.

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

وهكذا الحـال مـع شـهريار بحـراني، مخـرج مسلسـل [مـريم المقدسة]، والـذي لقي إكبـارا في جميـع أنحـاء العـالم، فقـد ذكـر استفادته من توجيهات قائد الثورة الإسلامية، ومتابعتـه للمسلسـل أثناء إخراجه.

وهذا كله يزيل تلك الصورة القاتمة المتوحشة الـتي يرسـمها له المغرضون؛ فهـو ليس سياسـيا فقـط، وإنمـا هـو أديب وشـاعر وفنان.. وفوق ذلك فيلسوف ومفكـر وفقيـه.. ولسـت أدري إن لم يستحق مثل هذا منصب إرشاد شعبه وأهل بلده؛ فمن يستحقه.